موسوعة تاريخ بور سعيد

الجزء الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب

إعداد
ضياء الدين حسن القاضى

موسوعة
تاريخ بور سعيد

الفرما إحدى المدن الثلاث لمنطقة بورسعيد القديمة طبقًا للحدود الإدارية لها، حيث توجد مدينة الطينة شرقًا، وكذلك مدينة تنيس، وكانت الفرما تسمى «بيلوز» ووصل عدد سكانها إلى مائة ألف نسمة، وقد ذكرت في التوراة باسم «سين» ومعناها قوة مصر، وهي أعظم مدن هذه المنطقة خلال فترة حكم الأسر في العصر الفرعوني. وتؤكد البرديات الفرعونية على أن (ست) قد قتل أخاه أوزوريس في هذه المنطقة. وعرفت الفرما في العصر المسيحي باسم (برما أو برمون) وفي العصر العربي الإسلامي أصبح اسمها الفرما ومكانها اليوم تل الفرما بعد بورسعيد بعدة كيلو مترات. وتكتسب الفرما أهمية تاريخية كبيرة، حيث إن بها قبر «جالينوس». وكان بها مجمع البحرين الذي ذكره القرآن الكريم في سورة الرحمن: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان). وكان بها طريق برى يصل إلى جزيرة قبرص، وكانت مفتاح مصر الشرقي. إذ كانت تشرف على الطريق القادم من الصحراء، وتملك ناصية البحر. وكان بها ميناء عظيم يطل على الفرع البيلوزي من النيل، لتتوسط بذلك طريق الغزو المشهور القادم من الصحراء أو من ناحية الشرق ومن البحر شمالاً، وهو طريق رفح ـ العريش ـ الفرما ـ القرين ـ العباسة ـ بلبيس ـ عين شمس ـ بابليون. حصن منف الأمامي عن طريق القوافل، وكان الفينيقيون يدخلون مصر بمراكبهم من هذا الطريق الذي شهد تسرب الهكسوس لمصر. وقد أقام الهكسوس مدينة ملاصقة لها اسمها «جات أورات» وبنوا عليها القلاع العظيمة والحصون ووضعوا بها حامية قدرها مائتا ألف جندي.

ويؤكد بعض الباحثين على أن السيدة هاجر زوجة نبي الله إبراهيم وأم نبي الله إسماعيل جد كل العرب، كانت من مدينة الفرما. وقد اجتاح الفرس مدينة الفرما عام ٦١٦ هـ، وحطموا كنائسها وأديرتها، وفي عام ٦٤٠ هـ استطاع عمرو بن العاص بعد حصار دام ما يقرب من الشهرين أن يفتح الفرما، وقد روى المقريزي أن قبط الفرما قد ساعدوا المسلمين أثناء الحصار، ومن الفرما بدأ الفتح الإسلامي لكل مصر.



design: ali abu alkhier

الهيئة المصرية العامة للكتاب

السعر

ISBN# 9789779104737

6 221149 039469

موسوعة تاريخ

بورسعيد

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

«وقل رب زدني علما»

صدق الله العظيم

موسوعة تاريخ

بورسعيد

الجزء الأول

إعداد
ضياء الدين حسن القاضي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
طبعة ٢٠١٥

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

إسم الكتاب: موسوعة تاريخ بور سعيد ج١
المـؤلـــف: ضياء الدين حسن القاضى
الطبعة الأولى ١٩٩٧

الإشراف الفنى: صبرى عبد الواحد

القاضى، ضياء الدين حسن.
موسـوعة تاريخ بورسـعيد/ إعداد: ضياء الدين حسن القـاضى. ـ طـ١. ـ القاهـرة: الهيئـة المصريـة العامـة للكتاب، ٢٠١٥.
٢٨٨ص، ٢٧سم.
تدمك ٨ ـ ٤٤٧ ـ ٩١٠ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨
١ ـ بورسعيد ـ تاريخ ـ موسوعات.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٢٧٠/ ٢٠١٥
I.S.B.N 978- 977- 910-447-8
ديوى ٩٦٢,١٥٣٠٣


غص أبحر العلم واستخرج لآلئها
ولايصدك عنها هول لجتها
فالنفس إن قهرت فازت ببغيتها
كالأرض إن حرثت جادت بغلتها



إهــداء ...

إلـى روح أجـدادى الـذين حـفروا وشـقوا بأرواحـهم ودمائهم القـناة

إلـى أن ظهـرت إلـى الوجـود مدينتنا بـورسـعيـد .

إلـى روح والـدى الـذى غـرس فـىّ حـب البحـث والتنقيب والتدقيـق

فـى تأصيل المعلومة التـاريخية وترك لـى مـكتبة عـامرة كـانت

زاداً ومعيناً فـى حياتـى الثقافية .

إلـى روح والـدتى ولـولا المال الـذى تركـتة لـى ماإسـتطعت أن أطبع

هـذه الموسـوعة علـى نفـقتى الخاصة .

إلـى إبنـى حسـن الـذى أدعـو الله أن يجـعلـه خـلفاً لخير سـلَف

ليـكمـل المسيرة من بـعدى هـو وشقيقـتاه آية وأمنيـة .

إلـى زوجـتى الـتى قـالت عنهـا أستـاذتى سـكـينـة فـؤاد" أحـمـل لـهـا

كـل الحب والتـقدير والإحترام فالمؤرخ الـكبير ماكـان يحـقق هـذا

النجـاح لـولم تـكن هـناك شجـرة وارفـة لإمرأة من النـماذج

المصرية الجـميلة . إنها شـريكـة فـى صنـاعـة تاريخ مصـر ..."

إلـى تـؤام روحـى شـقيقـتى عصـمت الـزهـراء الـتى تـقف بـجانبـى

دائمـا فـى الـسـراء والضـراء

إلـى كـل أبنـاء مصـر بـصفـة عـامـة

وإلـي كـل أبنـاء بـلدى بـورسـعيد بـصفـة خـاصـة

أهـدى موسـوعتى هـذه

ضياء الدين حسن القاضي

كتاب يليق بالحدث

جمال الغيطانى

سافرت لأول مر إلى بورسعيد عام ١٩٥٦، بعد الإسماعيلية كان الطريق يمر محاذيًا لقناة السويس. القنطرة غرب، الكاب، التينة، رأس العش، لم أكن أدرى أن هذه المواقع ستصبح ذات أهمية خاصة وأننى سأعيش بها أهم حياة صباى بدءًا من عام ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٣ عندما بدأت عملى صحفيًا كمراسل حربى لجريدة الأخبار، مازلت أذكر دهشة لقائى الأول بالمدينة التى دخلتها من الجنوب. كأنى أصل بلدًا مختلفًا جدًا عن كل ما عرفته فى مصر. ثمة خصوصية أدركتها منذ اللحظة الأولى، العمارة مختلفة، طراز مختلف تمامًا، الواجهات خشبية. ليس أى خشب، ولكن التصاميم مختلفة. منذ سنوات اهتم المركز الثقافى الفرنسى بالمدينة وتبنى حملة لإنقاذ هذا التراث المعمارى الفريد، والذى لم أعرف له مثيلاً فى حوض البحر الأبيض المتوسط، وكتبت دراسة بعنوان «نقوش بورسعيدية» أحاول فيها فهم هذا الطراز الفريد، فى البداية ظننته من العمارة، وللعمارة شأن عظيم فى تحديد شخصية المدن. لكننى بعد أن بدأت أتعرف على الشخصية البورسعيدية اكتشفت أن الموضوع أعقد من ذلك، ثمة لهجة خاصة فى الحوار تكثر فيها الأمثلة الدارجة، وعندما تعرفت على ميراث فن الطنبورة. واستمعت إلى أغانيها الفريدة التى

قام بجمعها وإحيائها الفنان زكريا محمد، أدركت أن العمق أبعد، الطنبورة فن بورسعيدى جدًا، يأخذ منابعه من الفن الشعبى، والميراث الصوفى والروح المصرية، وهو فن متأصل جدًا، الأغانى التى صانها الفنان زكريا محمد سمعتها على شاطئ البحر من فتية لا تتجاوز أعمارهم الخامسة أو السادسة عشرة، الطنبورة آلة وترية أكبر قليلاً من السمسمية السويسية، وتعطى ملمحًا وحيدًا للشخصية البورسعيدية، نشأت بورسعيد التى نعرفها مع بدء حفر قناة السويس، وتكون سكانها من الفلاحين المصريين الذين استخدمتهم الحكومة مجانًا، سخرة فى حفر القناة، وتجاوز عددهم العشرين ألفًا، وكذلك بعض أهالى دمياط الذين اشتهروا بالمهارة فى الحرف المختلفة، ومن أبناء الصعيد والدلتا ودمياط والأجانب أبناء المتوسط تكونت الشخصية البورسعيدية، أحببت المدينة، خلال المرحلة السابقة على هزيمة يونيو ١٩٦٧، لفت نظرى أسلوب حياة أهلها الخاص جدًا، فنونهم، رؤيتهم للحياة، خاصة من امتهنوا البمبوطية تلك الحرفة التى تقتضى حذقًا رفيعًا ومهارة وشطارة، دخلت بورسعيد تكويننا الروحى عام ١٩٥٦، خلال الحرب الثلاثية، مازلت أذكر العنوان الرئيسى للأخبار.

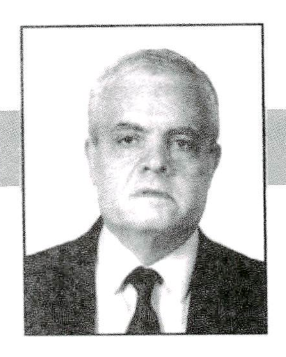
بورسعيد دفعت ضريبة الدم.

بعد احتلالها تحولت بورسعيد إلى بؤرة للكفاح الوطنى، والبطولة، عبر إليها الشهيد إبراهيم الرفاعى مع رجال الرعيل الأول للصاعقة المصرية، وحاربوا جنود الاحتلال، وممن شارك فى المقاومة الأستاذ محمد فائق - أطال الله عمره - والمرحوم كمال الدين رفعت، وغيرهم من رجال يوليو، أما الأستاذ مصطفى شردى مراسل الأخبار فى ذلك الوقت، فقام بالتقاط صورة نادرة للدمار الذى أحدثه العدوان، لم تكن الحرب تدار على الهواء كما هو الآن، ولم تكن هناك خطوط إنترنت أو فيس بوك وتويتر، قام مصطفى

شردى بمجهود هائل؛ لكى تصل الصور إلى الأستاذين مصطفى وعلى أمين، وقاما باستئجار طائرة خاصة اتجهت إلى نيويورك لعرض الصور من خلال مندوبنا فى الأمم المتحدة على العالم، يشاء القدر أن أول زيارة لى بعد يونيو ١٩٦٧ تكون فى وفد من أخبار اليوم ضم الأساتذة صلاح قبضايا، وأحمد زين، ومصطفى حسين (رحمهم الله أجمعين)، والمصور الشجاع مكرم محمد أحمد، استضافنا الأستاذ شردى فى بيته الذى خلا - تقريبًا - من الأثاث بعد تهجير أهالى المدينة، وأصغيت إلى قصص مؤثرة جدًا عن وداع أهل المدينة لهدهم وعالمهم الأثير، زرنا خلال هذه الرحلة موقع رأس العش، وعدت لأكتب تحقيقًا صحفيًا أدبيًا بعنوان: «المقاتل المصرى كما رأيته على خط النار» نُشر على صفحة كاملة من الأخبار، فرآه الرئيس جمال عبد الناصر وعلق عليه قائلاً: هذه هى الكتابة التى نحتاجها. نقل الفريق أول محمد فوزى ذلك إلى الأستاذ محمد فائق، والتقط الصحفى الكبير موسى صبرى الرسالة وقرر أن أكون مراسلاً حربيًا للأخبار، بدأت مرحلة جديدة بعلاقتى بالمدينة، كان عدد المواطنين الذين بقوا لتسيير شئون المدينة قرابة ثلاثة آلاف إذا اجتمعوا معًا فى شارع محمد على أو شارع الجمهورية لن يزحموه، طوال حرب الاستنزاف وخلال حرب أكتوبر ترددت على المدينة مرارًا وتحقيقاتى عنها منشورة فى صحف أخبار اليوم. ولم أزدد إلا حبًا. ومع الحب تزداد حياتى، من أى مصدر تأتى هذه الخصوصية؟

إلى أن زرت المدينة فى نهاية التسعينيات، وأمام أحد أكشاك الصحف لمحت كتابًا ضخمًا من ثلاثة أجزاء عنوانه «موسوعة تاريخ بورسعيد» تناولت الجزء الأول وعدت إلى الثانى، ثم الثالث، وكان أهم ما عدت به إلى القاهرة، لم أكن أعرف شيئًا عن مؤلفه ضياء الدين حسن القاضى، عكفت على قراءته باستمتاع لم أعرفه إلا مع خطط المقريزى، الذى أرّخ لشوارع ودروب ومنشآت

القاهرة. كتاب فريد لا يترك شبرًا فى المدينة العريقة إلا ويتناوله بالفحص والبحث. ليس المكان بظاهره فقط ولكن ملامسة روحه أيضًا، وشيئًا فشيئًا بدأت أكتشف شخصية المدينة التى حيرتنى، من سيرة شوارعها ومقاهيها ومواصلاتها ودور لهوها وماجرى لأهلها، لو قيض لكل مدينة فى مصر مؤرخ فى دقة ومحبة هذا الرجل لأهله ومدينته لحصلنا على تاريخ نادر لمصر الغنية، المتنوعة، المتعايشة مع كل أجناس وأديان الأرض، كتبت معرفًا بالموسوعة، وعرف الرجل طريقه إلىَّ عبر الهاتف، لم نلتق حتى لآن، حتى بعد أن وافق مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب على إعادة إصداره بمناسبة افتتاح القناة الجديدة فى السادس من أغسطس القادم. الكتاب الذى يقع فى ألف صفحة تقريبًا موسوعة ليس للمدينة فقط ولكن للقناة نفسها ووقائع احتفالات افتتاحها الأول والعمل خلال حفرها، ويتضمن صورًا نادرة لم أرها فى أى كتاب آخر، إنه يليق بالمناسبة حقًا، وإصداره سيكون عن أبرز الأحداث، وهذا هو - بالضبط - دور الهيئة التى يقودها باقتدار الدكتور أحمد مجاهد الآن، لا أجد وصفًا أدق مما قاله المؤرخ الكبير يونان لبيب رزق فى تقديمه له: المؤلف مؤرخ هاوٍ يعمل بروح المحترفين، أما أنا فمؤرخ محترف يعمل بروح الهواة، مرحبًا بجهد استثنائى نادر يفسر لنا الكثير ليس من جوانب الشخصية البورسعيدية فقط، إنما الشخصية المصرية.



تقـديـم

المؤرخ والعالم الجليل الأستاذ الدكتور/ يونان لبيب رزق

أن تنشأ علاقة حميمة بين رجلين قبل التعرف الشخصي، هذا ما حدث بالضبط بيني وبين الأستاذ ضياء الدين حسن القاضي، حيث اكتشفت أنه يجمع بيننا أنه هاوٍ للتاريخ وصل في هوايته الى حد الاحتراف بينما أرى نفسي محترفا لكتابة التاريخ وصل في احترافه الى حد الهواية !

هذا الاكتشاف تم من خلال الخطابات المتلاحقة التي ظل الأستاذ ضياء يبعث بها للأهرام تعليقا على بعض حلقات "الأهرام-ديوان الحياة المعاصرة" التي أتشرف بكتابتها كل يوم خميس بالصحيفة العريقة، وقد لفت انتباهي فيها جملة من الأمور:

١) قدر كبير من التصميم، وهو أمر يفتقر اليه الهاوي، غير أنه يتوفر في المحترف، فقد ظل الرجل يكتب بشكل منتظم تعليقا على عديد من تلك الحلقات، وبشكل شديد الانتظام على كل ما يكتب عن بورسعيد .. سواء كان ذلك على شكل دراسات مستقلة أو في سياق بعض الحلقات، وقد كشفت تلك الكتابات عن دارس متعمق لتاريخ مدينته فضلا عن التاريخ المصري عامة، الأمر الذي دعاني في ردودي على مكاتبات القراء أن أوصفه بالمؤرخ البورسعيدي، وهو توصيف يستحقه.

٢) أثبت الأستاذ ضياء من خلال هذه الكتابات أنه مثقف موسوعي وعلى دراية دقيقة ليس فحسب بتاريخ بورسعيد السياسي وانما قبل ذلك بالتطورات الاجتماعية لهذه المدينة المناضلة التي استمرت واقفة على خط النيران الأول، وكان يدهشني في كثير من خطاباته قدر التوثيق الذي كان يدلل به على ما يذهب اليه من كتابة تاريخية، ثم أنه كان يعجبني بتلك المراجع اليونانية والايطالية التي يقدمها لاضافة مزيد من المعلومات عما جاء في حلقات الديوان، والتي يعجز الكثير من الباحثين المصريين في حقل التاريخ الاكاديمي عن الاستعانة بها.

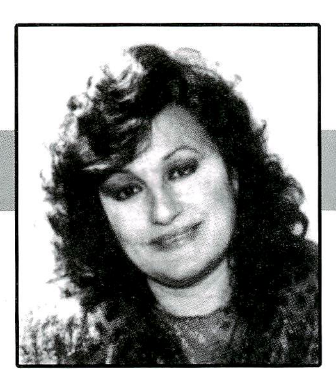
٣) عنيت عناية خاصة بالطبعة الأخيرة من كتاب الأستاذ ضياء "الأطلس التاريخي لبطولات شعب بورسعيد عام ١٩٥٦"، وبعد أن طالعته تبينت أن الرجل فضلا عن علمه الموسوعي وقدرته التوثيقية يتمتع في كتاباته بشكل من الجاذبية تدفع القارىء الى الاستمتاع بأعماله العلمية.

لكل تلك الأسباب رحبت أن أكتب هذا التقديم للعمل الذي ينوي الأستاذ ضياء الدين حسن القاضي اصداره في أربعة أجزاء تحت عنوان "موسوعة تاريخ بورسعيد"، حيث اني على يقين بأنه سيكون مصدرا من أهم مصادر التأريخ للمدينة المجاهدة، كما سيكون في ذات الوقت تعميما للمعرفة التاريخية الموضوعية، وهو أفضل ما يمكن أن يخدم به مفكر وطنه وأمته.

وعلى الله قصد السبيل،،

٢٦/٢/١٩٩٧

دكتور يونان لبيب رزق



تقديم

بقلم الصحفية الكبيرة الأستاذة/ سكينة فؤاد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الكاتبة التي أمضت سنوات صغيرة فاتنة من بورسعيد نشأت بها شاطئها وشربت شمسها وسمعت نضالها ومواجهاتها الأولى وسمعنا التحدي وهي تزفنا الجنود الإنجليز عن أرضنا... واضطرنا ظرف عمل الأب إلى أنحاء مصر ولكن ظل الحبل السري موصولاً بمدينتي الأم لا ينقطع أبداً.. أعود إليها لأتزود ولا أتذكر من يحمل أذنى إليها وأعود إلى شاطئ بحرها وشواطئ تاريخها وأسرار نضالها لأكتب... وسائني تلك الليلة التي جمعتني مع فاطمة من هناك.. وأحلم الآن بتحقيق تكامله عن بورسعيد التاريخ والإنسان والبناء والماضي والحاضر والمستقبل... واعترفت أنه ربما كنت من قبل كانت تعوزني الوثائق والمرجعيات التاريخية لترشيح الأبعاد الإنسانية والتاريخية للمدينة حتى صدر لي أطلس بورسعيد الذي ساهم بحلمه المتعارف بالأستاذ ضياء القاضي مؤرخ بورسعيد الذي يكمل المشوار بموسوعة متكاملة تضم أحداث ٥٦ حلقة من حلقاتي ونشرها لتشمل أولتحقيق الرؤية ونحلم لكل مشغف ولكنه ابن من أبناء مصر ومن بورسعيد وحدها... إنه هذا الإنجاز الكبير لتاريخ بورسعيد في موسوعة متكاملة تفوق القدرة الفردية ويحتاج إلى مؤسسة ثقافية تحمله - ولكن قدرة ومكونات الحضارة والثقافة والتحدي والإصرار وسط ما يحمله أبناء بورسعيد من صفات أصيلة - هذه الموسوعة - وهذا المؤرخ - تجربة من أشياء هذا النظم...

لإنجاز ثقافي يترجم حلماً وأملاً وواجباً.. ولأن من أبناء بورسعيد من سلالة المناضلين والمكافحين.. يواصل النضال عن ضمنات هذه الموسوعة بأنه يهدي الأجيال صفحات موثقة من تاريخهم العظيم.

لابن بورسعيد ومؤرخها الأستاذ ضياء الدين حسن القاضي كل التقدير والاحترام لإنجاز الحلم في صدور هذه الموسوعة الثقافية التي أثق أنها ستكون دعوة لكل مدن وأقاليم مصر إلى أن يحتذي بالأسلوب على هذا العمل المرتقب إلى التاريخ والوثائق بل ما حققه للموسوعة هذا المستوى المتميز الذي لا يستطيعه إلا راهب في محراب مدينته أو معشوقته أو محبوبته...

بورسعيد

ابنتك سكينة فؤاد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنه لشئ عظيم وشرف كبير أن يقدمنى للقارئ اثنان من كبار مفكرى مصر .

عالم التاريخ الجليل الأستاذ الدكتور / **يونان لبيب رزق**

والكاتبة الصحفية الكبيرة ابنة بورسعيد الأستاذة / **سكينة فؤاد**

ولم يكن تقديمهما لى من فراغ لكن المعرفة الأولى بينى وبين سيادتهما هو قلمى .

فبالنسبة لأستاذى الدكتور يونان كان عشقى وانفعالى مع مقالاته التى يكتبها بجريدة الأهرام ، الأهرام ديوان الحياة المعاصرة ، وردودى على تلك المقالات بشكل يكاد يكون منتظماً جعل سيادته ينشر مختصراً منها ويصفنى مرة ، بالمؤرخ البورسعيدى ، ومرة أخرى يقترح أن يكون لعشاق مقاله القيم هذا عديد من الأركان وخص لى ، ركن المؤرخين ، .

أما بالنسبة لأستاذتى سكينة فؤاد فقد تعرفت بى من خلال كتابى ، الأطلس التاريخى لبطولات شعب بورسعيد سنة ١٩٥٦ ، وفى مقال سيادتها الإسبوعى بجريدة الأهرام كتبت عن أبطال بورسعيد وعنى بشئ يدل على الحب والعشق لبلدها بورسعيد وانتقل قلمها للكتابة فى ذات الموضوع بمجلة الشباب .

إلى أن جاء اليوم وفى غضون شهر مارس ١٩٩٧ التقيت بهما وكان اللقاء **أمنية** ، فتحقق الحلم وكان **لحسن** استقبالهما لى أعظم الأثر فى نفسى ، واكتملت **الآية** بتقديمهما الجليل الذى فاق فى شكله وموضوعه كل **زينات** الأرض ... فشكراً لسيادتهما .

إن موسوعتى هذه ليست وليدة يوم وليلة بل هى أيام وليالى عمرى عشتها راهباً وعاكفاً ومكباً على قراءة وجمع كل مايتصل ويتحدث عن محبوبتى ومعشوقتى بلدى بورسعيد .

ولقد أورثنى والدى رحمه الله مكتبة عامرة زاخرة بالكتب والوثائق وأصبحت لى زاداً ومعيناً لموسوعتى هذه .

وفى غضون عام ١٩٧٩ شكل المحافظ الأسبق المرحوم الأستاذ السيد سرحان لجنة للتأريخ عن مدينة بورسعيد تحت اسم لجنة ، تاريخ نضال وكفاح شعب بورسعيد ،، فضمنى لتلك اللجنة لعلمه بما أملكه من مراجع وصور ووثائق تخدم اللجنة ولما كان الغرض الأساسى من تلك اللجنة إصدار كتاب عن تاريخ بورسعيد فقد قمت بالفعل بتقديم مادة غزيرة ، وقد أكون فى الحقيقة الوحيد الذى تقدمت بمادة لهذا الكتاب ، وقبل تسليمها لمقرر اللجنة سجلتها ووثقتها بالشهر العقارى .. إلا أنه للأسف سلمها لأحد أعضاء اللجنة لمراجعتها وتجاوزت تلك المراجعة العشر سنوات .

ومن خلال تلك اللجنة تمكنت من الاطلاع على محاضر المجلس البلدى لمدينة بورسعيد منذ نشأته سنة ١٩١١ إلى أن أطلق عليه اللجنة الإدارية سنة ١٩٦٠ (والتى أعتبرها ديوان الحياة المعاصرة لمدينتى بورسعيد) ومن خلال اطلاعى عليها قمت برصد كل صغيرة وكبيرة عن بورسعيد ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى صديقى عضو اللجنة الأستاذ عبد الرحمن مصطفى (رئيس الشئون الإدارية بمحافظة بورسعيد فى ذلك الوقت) .

وفى أغسطس سنة ١٩٨٠ صدر العدد الأول من ، مجلة بورسعيد الجديدة ، رئيس تحريرها الأستاذ محمد أبو الشهود وإذا بى أجد أستاذى فى ماد التاريخ بمدرسة بورسعيد الثانوية الأستاذ محمد محمد على يقدمنى للأستاذ أبو الشهود (تلميذه أيضاً بالمرحلة الثانوية) ويطلبان منى أن أعد سلسلة من المقالات تتحدث عن شوارع بورسعيد وبالفعل صدر لى أول مقال بعنوان بانوراما شارع محمد على بالعدد الرابع من تلك المجلة وتوالت المقالات فى شتى مجال التاريخ عن مدينتى بورسعيد وقدمت لها سيلاً من المقالات التاريخية مستمراً حتى الآن .

وفى أوائل عام ١٩٨١ عرفنى المرحوم الأستاذ كامل رضوان (رئيس العلاقات العامة بالمحافظة) بالأستاذة الدكتورة ضياء محمود أبو غازى (رئيس قطاع متاحف جمهورية مصر العربية الأسبق وشقيقة وزير الثقافة الأسبق الأستاذ المرحوم بدر الدين أبو غازى) والتى حضرت لبورسعيد ترأس لجنة كانت وقتها بصدد إنشاء متحفين : الأول متحف تاريخ الحضارة (أنشئ بالفعل) ، والثانى متحف تاريخ بورسعيد أسفل قاعدة النصب التذكارى (لم ينفذ) وتعاونت معها ومع لجنتهاو أعجبت بمقالاتى التى أنشرها وعملت على نشرها فى مجال أوسع فقدمتنى لمجلة **PRISM** التى تصدرها وزارة الثقافة (إعلام خارجى) بعديد من اللغات ونشرت بها عدةمقالات عن تاريخ بورسعيد جعلتنى سفيراً ثقافياً لبورسعيد بالخارج بفضل رئيسة تحريرها الأستاذة انعام سليم وظهر أول مقال لى بالعدد ١٥ (أبريل / يونيه ١٩٨٧) ، وقد آثرت أن أضم مقالاتى هذه باللغة الإنجليزية إلى هذه الموسوعة .

وبعد ذلك قدمت ماسبق نشره من مواد عن تاريخ بورسعيد لإذاعة وتليفزيون القناة بل امتد تقديمى للمادة العلمية بتاريخ مدن القناة الثلاث .. لدرجة أن فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم (مفتش الوعظ والإرشاد بمنطقة القناة فى الخمسينات) أطلق على جبرتى القناة ونظم لى قصيدة بهذا العنوان .

ولما فكرت فى إعداد مادة موسوعتى هذه وبالأخص الباب السابع (جولة فى مدينة بورسعيد) وجدت أن ماكتبته فى المجلات والجرائد أو ماقدمته فى الإذاعة والتليفزيون عن معالم بورسعيد وشوارعها وميادينها يكاد يكون بالشئ اليسير المختصر فقدمت فى موسوعتى هذه أضعاف أضعاف ماسبق تقديمه . ولما عدت إلى مكتبتى وجدت كتاباً باللغة الفرنسية صادراً فى باريس سنة ١٩٤٨ يتحدث عن الشوارع والميادين وأهم المبانى فى حاضرة فرنسا باريس إعداد **LÉON GOSSET** وهو بعنوان **PARIS ASPECTS ET REFLETS** فحذوت حذوه فيما سلك من عرض لشوارع وميادين باريس .

ولايسعنى فى هذا المقام الا أن أذكر المحاولة الأولى لطبع ونشر هذه الموسوعة من خلال لجنة الثقافة والإعلام بالمجلس الشعبى المحلى لمحافظة بورسعيد ، بإعتبارى عضواً فيها ، كما أذكر جهود الرئيس الأسبق لهذه اللجنة الأستاذ / حمد أحمد شاهين (المحامى) الذي بذل الجهد وقتها حتي تري هذه الموسوعة النور إلا ان دورة المجلس إنتهت ولم أعاود التقدم مرة ثانية وهى بنفس أبواب وفصول موسوعتى هذه .

وأنتهز هذه الفرصة وأقدم شكري وعرفاني لجميع أفراد أسرة مطبعة المستقبل الذين بذلوا الجهد والعناية الفائقة في طبع هذه الموسوعة وإخراجها للقارئ وللمكتبة العربية بالشكل اللائق والمستوي الرفيع في الإخراج والطبع .

وأخيراً يسعدنى أن أقدم لكم الجزء الأول من موسوعتى ذات الأربعة أجزاء ، وأدعو الله أن يوفقنى فى السير فى مشوارى لتقديم الأجزاء الثلاثة الباقية .

والله المستعان ،،،

ضياء الدين حسن القاضى

السيرة الذاتية

ضياء الدين حسن حسن القاضى

- مواليد بورسعيد فى التاسع من سبتمبر ١٩٤٤
- بكالوريوس تجارة سنة ١٩٦٧
- عضو لجنة تاريخ نضال وكفاح شعب بورسعيد والتى شكلت عام ١٩٧٩
- مقرر لجنة التاريخ والتراث وعضو لجنتى القصة والمقال والمكتبات بالمجلس الأعلى للثقافة ببورسعيد منذ عام ١٩٨٩
- عضو لجنة السياحة بالحزب الوطنى الديموقراطى بمحافظة بورسعيد
- عضو لجنتى الثقافة والإعلام بالمجلس الشعبى المحلى بمحافظة بورسعيد
- عضو لجنة تسميات شوارع بورسعيد .
- معد برامج تاريخية و ثقافية بالإذاعة والتليفزيون .
- كاتب ومحاضر عن تاريخ بورسعيد .
- عضو فخرى مدى الحياة بمكتبة الإسكندرية .
- كرمه المحافظ الأسبق محمد سامى خضير فى عيد التفوق العلمى لمحافظة بورسعيد ١٩٩١ .
- فاز بجائزة الكاتب الراحل محمود تيمور ١٩٩٤ سلمها له المستشار إسماعيل الجوسقى محافظ الإسكندرية .
- أعد من خلال عضوية بلجنة التاريخ والتراث كتاباً بعنوان « الأطلس التاريخى لبطولات شعب بورسعيد سنة ١٩٥٦ »

طبعت منه ثلاث طبعات الأولى سنة ١٩٩٠ والثانية سنة ١٩٩٣ والثالثة سنة ١٩٩٧ .





قصيدة جبرتى القناة لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

جبرتي القناة وأنت أهل	لأن تدعى جبرتى القناة
أصخت السمع للتاريخ يحكي	وقائعه عن السلف الثقات
وبعض الكاتبين اليوم ممن	يروقك منهمو بعض السمات
وآثرت المعارف فاستحالت	هوي لك في الأصائل والغداة
ولم تسب النوادي منك عقلاً	بما حفلت به من ألهيات
وفاءً للوظيفة واقتناصاً	لميراث العقول من الهبات
فرحت تشيع في دأب رحيقاً	كنحل الروض في شتي الجهات
وترسل يا ضياء الدين نوراً	من العرفان والفكر المواتي
كمثل الشمس يؤنسنا ضحاها	ويغمر ضوؤها رحب الحياة
وتلك وسائل الاعلام تبدو	شواهد همة وعلو ذات
بما تلقيه أقوالأحساناً	وتنشره الجرائد راشدات
وأطلسك الذي قد صار ثبتاً	لمعركة القناة لدي الرواة
فأولاك اللدات مزيد حب	وصافوك الأخوة في ثبات
وخير حلي الدني صدق التآخي	وأن نبقي علي زاكي الصلات
أبا حسن أباً وابناً وجداً	وبورك في الأصول الزاكيات
تعاهد بالتقي حسناً وتابع	خطاه علي خطي خير الهداة
وأورده بحار العلم صفوا	بأسلوب الترفق والأناة
وأحسبه يراك كما يراكم	جميع الناس محمود الصفات
وخذ زهرات بيتك بالمعالي	يكنَّ الأمن في حال وآت
ودم لمحبكم ولمن يليكم	بخير يا جبرتي القناة

أولاً المراجع العربية

الكتاب	المؤلف
بدائع الزهور فى وقائع الدهور	محمد بن أحمد بن إياس
مروج الذهب ومعادن الجوهر	للرحالة الكبير أبى الحسن على المسعودي
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار	عبد الرحمن الجبرتى
تاريخ الأمم والملوك	لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
معجم البلدان	لياقوت الحموى
المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار	للمقريزى
مقدمة ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون
كتاب وصف مصر	علماء الحملة الفرنسية تعريب زهير الشايب
البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر	محمود فهمى باشا
الخطط التوفيقية	على باشا مبارك
بغية الطالبين فى علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين	أحمد كمال باشا
قاموس الإدارة والقضا	فيليب جلاد
السخرة فى حفر قناة السويس	الدكتور عبد العزيز الشناوى
عصر إسماعيل	عبد الرحمن الرافعى
مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية	عبد الرحمن الرافعى
ثورة ١٩١٩	عبد الرحمن الرافعى
فى أعقاب الثورة المصرية	عبد الرحمن الرافعى
مقدمات ثورة ٢٣ يوليو	عبد الرحمن الرافعى
تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل	إلياس الأيوبى
القاموس الجغرافى للبلاد المصرية	محمد رمزى باشا
وقفة وذكرى وتاريخ على ضفاف بحيرة المنزلة	اللواء عبد المنصف محمود باشا
منطقة قناة السويس ومدن القناة	المهندس فؤاد فرج
قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة	الدكتور مصطفى الحفناوى
بورسعيد (تاريخها وتطورها منذ نشأتها ١٨٥٩ - ١٨٨٢)	دكتور زين العابدين شمس الدين نجم
بورسعيد ملتقى الشرق بالغرب	الدكتور محمود جلال الدين الجمل
مذكراتى فى نصف قرن	أحمد شفيق باشا
مذكرات فى السياسة المصرية	الدكتور محمد حسين هيكل
قناة السويس وأهميتها السياسية والإستراتجية	الدكتور محمد عبد الرحمن برج
بيئة بحيرة المنزلة	الدكتور عبد الحليم منتصر
مصر القديمة	سليم حسن بك
مصر فى عيون الغرباء	الدكتور ثروت عكاشة
قناة السويس ـ تاريخها واهميتها	چورج حليم كيرلس

الكتاب	المؤلف
الأهرام ديوان الحياة المعاصرة	الدكتور يونان لبيب رزق
السويس	دكتور محمد السيد غلاب وآخرين
إفتتاح مدينةبورفؤاد	محمد عرفان
أسرار ثورة ١٩١٩	مصطفى أمين
نضال شعب مصر	المستشار محمد عبد الرحمن حسين
سيرة مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعاً	على فهمى كامل (شقيق الزعيم مصطفى كامل)
آسرار الزعيم سعد زغلول	محمد إبراهيم الجزايرلى
سعد زغلول سيرة وتحية	عباس محمود العقاد
الزعيم الخالد المغفور له سعد زغلول	دكتور أحمد ماهر باشا
تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية	محمد شفيق غربال
٩٠ سنة على الثورة العرابية	عايدة العزب موسى
تاريخ مصر الحديث	چورچى زيدان
نمر السياسة المصرية	سنية قراعة
موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية	الدكتور أحمد شلبى
جيشنا فى فلسطين	السيد فرج
النقود	حسين عبد الرحمن
مفكرون وأدباء من بورسعيد	على بركات
عباس علام - الكاتب المسرحى	صلاح الدين كامل
عشت وشاركت فى ايام هزت الدنيا	المهندس عبد الحميد أبو بكر

الجرائد

الوقائع المصرية ـ الأهرام ـ الأخبار ـ بورسعيد ـ الفرما ـ بورسعيديون ـ شباب بورسعيد

المجلات

الأستاذ ـ الهلال ـ المقتطف ـ المنار ـ المقتبس ـ الرسالة ـ المسرح ـ الرسالة الجديدة ـ المصور
النيل ـ اللطائف المصورة ـ التحرير ـ الجيل ـ القنال ـ بورسعيد ـ أخبار بورسعيد
النهضة (مجلة نادى العمال) ـ بورسعيد الجديدة (مقالات ضياء الدين القاضى التاريخية)
صوت بورسعيد ـ بورسعيد المصورة ـ بورسعيد اليوم ـ بورسعيد المستقبل
مجلة مدرسة بورسعيد الأميرية الثانويةسنة ١٩٣٧ـ الشاطئ
مجلة الشرقية وسيناء (منطقة الزقازيق التعليمية سنة ١٩٤٩)

الوثائق

محاضر مجلس بلدى مدينة بورسعيد اعتباراً من سنة ١٩١١ حتى سنة ١٩٦٠
ألبوم صور حفر قنال السويس وإفتتاح القنال
مطبوعات لجنة تشجيع الإصطياف فى مدينتى بورسعيد وبورفؤاد فى الثلاثينات
القضية المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٤ (مجموعة وثائق) مصلحة الإستعلامات ١٩٥٥

التقويم

تقـــــــــويم المـؤيـد سـنـة ١٩٠٦	الشـــيخ عـلى يـوسف
الـتـــقـــويم الحـكـومى سـنـة ١٩٣٥	
تقـــــــــويم الـنـيـل سـنـة ١٩٣٦	أمين ســـامـى باشـــا

المراجـــع الأجنبـــيـــة

REFERENCES

Histoire Du Canal Et Des Travaux (Paris 1869)	**M. Marius Fontane**
Itinéraire De L'Isthme (Paris 1869)	**M. Riou**
L'Isthme Et Le Canal De Suez (Paris 1901)	**Charles Roux**
The Second World War (London 1948)	**Winston Churchil**
Independent Egypt	**Amin Youssef**
L'Égypt Son Avenir Agricole Et Financier (Paris 1884)	**Félix Paponot**
Mohammed Ali Et Les Beaux - Arts (Le Caire)	**Gaston Wiet**
L'Univers Et L'Humanité (Paris)	**H. Kraemer**
Histoire De La Nation Égyptienne (Paris 1926)	**Gabriel Hanotaux**

أحـــداث وذكـــريات عن بورســـعـــيـــد (الاسكندرية ١٩٣٩)	باللغـة اليـونانيـة	ديمتـريوس خـالدويس
تاريخ مدن القنال (بورسعيد - الاسماعيلية - السويس) (المانيا ١٩٢٢)	باللغـة اليـونانيـة	چـورچ سـلـطـنـاكـى

Barchays Bank (1836 - 1936)	
Histoire De La Navigation Dans Le Canal De Suez (Le Caire 1956)	**Paul Reymond**
Paris Aspects Et Reflets (Paris 1948)	**Léon Gosset**

NEWSPAPERS - JOURNAUX

Le Progres Egyptien , La Bourse Egyptienne — مقالات كمال مردان - باب القنال

La Voix De Cassos (Journale) باليـونانيـة

Timsah (Revue Éditée Par Le Comité Du Canal De Suez)

Noi Di Port - Said (Dell Associazione Portosaidini Nel Mondo)

Le Canal — مجلة شركة قنال السويس العالمية

Prism — مقالات ضياء الدين القاضى عن بورسعيد

L' ILLUSTRATION

THE NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE

ثبت الموضوعات

الصفحة

موســـوعة تاريـــخ

بورســــــعيد

الجـــزء الأول

الباب الأول
بورسعيد قديمة قدم الزمان

الكثير ينظر إلى البقعة التى نشأت عليها مدينة بورسعيد وما أضفت عليه اليوم من تقدم وإزدهار .. على أنها وليدة دق أول معول فى أرض قناة السويس فى يوم الإثنين ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ .

والقلة وهم علماء التاريخ وباحثو الآثار يعلمون أن تلك المنطقة كانت تحوطها مدنيات زاهرة على مر العصورالتاريخية ... كانت مراكز إشعاع لحضارات سادت ثم بادت بسبب عديد من العوامل كالزلازل وطغيان البحر أو بسبب الحروب أو أمر الحكام بتدميرها كاملة لمنع إستيلاء الأعداء عليها .

فجغرافية تلك المنطقة فى الأزمنة القديمة لم تكن بوضعها الحالى الذى نعرفه الآن .... فلم يكن لبحيرة المنزلة وجود بأطرافها المترامية والتى ينتشر فيها كثير من الجزر التى ينمو فيها البوص والبردى ... ولم يكن للشريط الرملى الضيق الذى يفصل بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة المنزلة هذا الوجود .

وقبل القرن السادس الميلادى كان يمر بدلتا النيل العظيم سبعة أفرع[1] وعلى ضفافها وعند مصابها نشأت مدن كثيرة وعريقة لأنه من الثابت تاريخياً أن المدن القديمة لا تظهر ولا تنمو إلا حول ضفاف الأنهار ومصابها ... وكان لكل منها طابعه الخاص المتميز مما جعل منها نقطة إتصال بالمدنيات المحيطة بها (آشور و بابل و فينيقيا و بلاد الروم وجزر البحر الأبيض و بلاد العرب ..) .

وقد أضاف لها موقعها الهام أهمية إستراتيجية واعتبرت المفتاح الشرقى لقلب مصر وكانت تلك المنطقة موضع إهتمام حكام مصر على مر العصور فعملوا على تحصينها بالقلاع والحصون وإحاطتها بالأسوار وضجت بواغيزها بالسفن الحربية فقد دار على مسرح تلك المنطقة العديد من المواقع الحربية ومر عليها كثير من الغزوات الوافدة والمتقهقرة .

كما أضاف هذا الموقع المتميز أهمية إقتصادية على تلك المنطقة جعل منها مفتاحاً للتبادل التجارى بينها وبين الشعوب القريبة بل كانت نقطة إشعاع ثقافى وفكرى ودينى لقلب مصر فمر منها إبراهيم الخليل وزوجته سارة ومنها سارت قافلة إخوة يوسف وتوليته خزائن مصر ومنها قدمت العائلة المقدسة وفى النهاية مقدم عمرو بن العاص وفتحه مصرونشره كلمة الإسلام .

وهناك سؤال ما العوامل التى غيرت من القشرة الأرضية لتلك المنطقة لتصبح بوضعها الحالى ؟!

نقول أنه أتى على تلك المنطقة مجموعة من الزلازل فى أواخر القرن السادس الميلادى فطغى عليها البحر وتحول أغلب تلك المنطقة إلى بحيرة مترامية الأطراف (بحيرة المنزلة) وتحولت الأجزاء المرتفعة من تلك المنطقة إلى جزر داخل تلك البحيرة لم تغمرها المياه أمثال جزيرة تنيس وبن سلام وغيرهما .

ونظراً لأهمية هذه المدن والمدنيات فلم يخل أى كتاب من كتب التاريخ القديمة من ذكرها أو التعرض لها ... لذلك فسوف نذكر أهم الكتب لكبار المؤرخين القدامى التى تعرضت لتلك المدنيات من قريب أو بعيد لإلقاء الضوء عليها وقد نجد فى بعض هذه الكتب بعض التهويل فى الوصف ... كما ذكر ياقوت الحموى فى معجمه عن فتح المسلمين لمدينة تنيس ، ظهر لهم نحو عشرين ألفاً من أهلها من العرب المتنصرة والقبط والروم ... ، فهذا عدد كبير ومبالغ فيه من ياقوت لكنها معلومة لا يستهان بها . مما يدل على إتساع تنيس وعظمتها وبالتالى كثرة أهلها وسكانها .

وحالياً يجرى المجلس الأعلى للآثار حفائر فى هذه الأماكن والتى تعتبر بمثابة الكتاب المفتوح الأكثر صدقاً عن ذكر الأولين من المؤرخين وذلك إعتباراً من سنة ١٩٧٩ وحتى الآن برئاسة الأستاذ عباس الشناوى حيث تعتبر هذه المنطقة بكراً ومليئة بالآثار التى لم تكتشف .

---

(١) كانت دلتا نهر النيل العظيم تتكون من سبعة أفرع فمن الشرق تبدأ بفرع النيل البيلوزى (الطينى)ثم التانيسى ، المنديسى ، الفاتينيتى (فرع دمياط حالياً) ، السبنيتى ، البولبيتى (فرع رشيد حالياً) ، الكانوبى (فى أقصى الغرب عند الإسكندرية) .

الفصل الأول
مدينة تنيس TENNIS

معنى تنيس :

ذكر المقريزى فى خططه أن تسمية تنيس تنسب إلى تنيس بن حام بن نوح . كما ذكر المقريزى أن الذى بناها هو قليمون بن أتريب بن قبطيم (أحد ملوك القبط) وهى مدينة مكشوفة تقع على مصب فرع النيل التانيسى وتطل على البحر مباشرة .

أما آخر ما وصل إلى أسماعنا فى معنى تنيس ما ذكره الأستاذ عباس الشناوى مدير عام آثار شرق الدلتا فى محاضرة ألقاها بأن تنيس إسم مركب من مقطعين (تى) ومعناها بالمصرية القديمة أداة التعريف (ال) والمقطع الثانى نيسوس ومعناها باليونانية (جزيرة) .

وتنيس عبارة عن جزيرة فى الشمال الشرقى لبحيرة المنزلة وموقعها بالنسبة لبورسعيد فى جنوبها الغربى ببحر البشتيل .

تنيس وأهم تواريخها :

فى سنة ١٠١ هـ هاجمها الروم وقتلوا أميرها مزاحم بن مسلمة فى زمن إمارة بشر بن صفوان على مصرمن قبل يزيد بن عبد الملك .

وفى سنة ٢٣٩هـ حاول الفرنج غزو تنيس فلم يفلحوا فأمر الخليفة العباسى المتوكل أمير مصر عنبسة بن إسحاق ببناء حصن عظيم على شاطئها حماية لها .

فى سنة ٥٧٣ هـ وصل إليها من صقلية أربعون مركباً فحاصروها وقاتلوا أهلها حتى إحتلوها وقتلوا نحو سبعين من أهلها ثم اتجهت أعداد كبيرة منهم إلى دمياط تجنباً لبطش الغزاة .

وفى سنة ٥٧٧هـ أمر الملك العادل بعمارة تنيس وتجديد آلات الحرب فيها وإعادة عمارة سورها .

وفى سنة ٦٢٤ هـ أمر الملك الكامل محمد بن العادل بن أيوب بهدمها حتى لا تقع فى يد الفرنج .

المؤرخون وما كتبوه عن تنيس
ذكر تنيس فى كتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور "
للمؤرخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى

كانت مدينة تنيس هذه من أجمل المدائن وكانت بالقرب من دمياط . قال المسعودى ، كان طول مدينة تنيس من الجنوب إلى الشمال ثلاثة آلاف ذراع ومائتي ذراع وكان عرضها من المشرق إلى المغرب ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وثمانين ذراعاً بالعمل وكان لها تسعة عشر باباً مصفحة بالحديد وكان بها عدة مساجد نحو مائة وستين مسجداً وبكل مسجد منارة وكان بها ستة وثلاثون حماماً وكان بها مائة معصرة للزيت والشيرج والقصب وكان بها مائة وستون طاحوناً وكان بها من الحوانيت ألفان وخمسمائة حانوت برسم البضائع وكان بها من المناسج للقماش نحو خمسة آلاف منسج يصنعون فيها الثياب الشرب التي لا يصنع مثلها فى الدنيا وكانوا ينسجون بها أثواباً تسمى البدنة تنسج من الذهب صناعة محكمة يباع منها الثوب بمائة دينار وكانت تحمل منها إلى بغداد وكان يعمل بها طرز من الكتان بغير ذهب يباع كل طراز منها بمائة دينار وكان بهذه المدينة النخل والكرم وسائر أصناف الأشجار وكانت صحيحة الهواء كثيرة الطير والسمك وكان أهلها يدخرون بها ماء النيل فى جباب فلا يفسد ولو أقام بها دهراً طويلاً . ولم تزل مدينة عامرة إلى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة هـ[١] (١١٧٧م) حتى جاء إليها نحو أربعين مركباً موسوقة بجماعة من الفرنج فحاصروا أهلها فلما أشرفوا على أهل المدينة

---

(١) فى زمن الخليفة المستضئ ببغداد وكان صلاح الدين الأيوبى والى مصر .

هرب أهلها إلى ثغر دمياط وتركوا المدينة فاستولى عليها الفرنج وملكوها ونهبوا ما فيها ثم ألقوا فيها النار فاحترقت كلها ثم أخذوا ما قدروا عليه من الغنائم وتركوا المدينة خراباً ورحلوا عنها . واستمرت على ذلك إلى سنة أربع وعشرين وستمائة (١٢٢٦م) فى دولة الملك الكامل محمد بن أيوب فأمر بهدم ما بقى من سورها وبيوتها واستمرت خراباً من يومئذ الى الآن . .

ذكر تنيس فى كتاب "مروج الذهب"
للرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى

كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها إستواء وطيب تربة وثروة وكانت جناناً ونخلاً وكرماً وشجراً ومزارع وكانت فيها مجار على إرتفاع من الأرض وقرى على قرارها .

ولم ير الناس بلداً كان أحسن من هذه الأرض ولا أحسن إتصالاً من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبهها إلا الفيوم . وكانت أكثر خيراً من الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الأصناف الغريبة .

وكان الماء منحدراً إليها لا ينقطع عنها صيفاً ولا شتاء يسقون منه جناتهم إذا شاءوا وكذلك زروعهم وسائره يصب إلى البحرمن سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالأشتوم . (١)

وقد كان بين البحر وبين هذه الأرض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرص طريق مسلوكة إلى قبرص نسلكه الدواب يبساً ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرص إلا مخاضة .... حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وقبرص والذى كان طولها نحو إثنى عشر ميلاً فى عرض واسع وسمو بين . فلما مضت لديقلطيانوس من ملكه مائتان وإحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها بأجمعها . فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما التى كانت على إرتفاع من الأرض فبقيت منها تونة (٢) وغيرها مما هى باقية إلى هذا الوقت والماء محيط بها .

وكان أهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم إلى تنيس فيقبرونهم واحداً فوق أخر وهى الأكوام الثلاثة التى تسمى اليوم أبو الكوم .

وكان استحكام غرق هذه الأرض بأجمعها وقد مضى لديقلطيانوس الملك مئتان واحدى وخمسون سنة وذلك قبل أن تفتح مصر بمائة سنةً .

ذكر تنيس فى "معجم البلدان"
لياقوت الحموى

تنيس : قيل فيه أن سور تنيس إبتدىء بنيانه فى شهر ربيع الأول سنة ٢٣٠ وكان والى مصر يومئذ عيسى بن منصور بن عيسى الخرسانى المعروف بالرافعى من قبل إيتاخ التركى فى أيام الواثق بن المعتصم وفرغ منه فى سنة ٢٣٩هـ (٨٥٣ م) فى ولاية عنبسة بن اسحاق بن سمر الضبى الهروى فى أيام المتوكل وكان بينهما عدة من الولاة فى هذه المدة .

قال وسميت تنيس بإسم تنيس بنت دلوكة الملكة وهى العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر فإنها أول من بنى تنيس وسمتها بإسمها وكانت ذات حدائق وبساتين وأجرت النيل إليها ولم يكن هناك بحر ويكمل ياقوت الحموى فى ذكر تنيس ووصفها قائلاً :

وتنيس جزيرة فى بر مصر مابين الفرما ودمياط وبها تعمل الثياب الملونة والفرش الأبوقلمون وبحيرتها التى هى عليها مقدار إقلاع يوم من عرض نصف يوم .

ويكون ماؤها ملحاً لدخول ماء بحر الروم إليها عند هبوب ريح الشمال فإذا إنصرف نيل مصر فى دخول الشتاء وكثر هبوب الريح

---

(١) يقصد به أشتوم الجميل

(٢) يقصد بتونه هى جزية ابن سلام الحالية

الغربية خلت البحيرة وخلا سيف البحر الملح مقدار بريدين حتى يجاوز مدينة الفرما فحينئذ يخزنون الماء فى جباب (جمع جب) أى صهاريج لهم ويعدونه لشربهم مدة السنة .

ويكمل ياقوت الحموى حديثه عن تنيس فيقول :

ولما فُتحت مصر فى سنة ٢٠ هـ كانت تنيس حينئذ أخصاصاً من قصب وكانت تعرف بذات الأخصاص إلى صدر أيام بنى أمية ثم أن أهلها بنوا بها قصوراً ولم تزل كذلك إلى أيام بنى العباس فبنى سورها ودخلها أحمد بن طولون فى سنة ٢٦٩ هـ فبنى بها عدة صهاريج وحوانيت فى السوق تعرف بصهاريج الأمير .

الرحالة الفارسى ناصر خسرو يصف تنيس

ويقول يصف تنيس • وبلغنا مكاناً يسمى طينة وهو مرفأ للسفن يذهب منه إلى تنيس وقد ركبت السفينة إليها ، وتنيس جزيرة ومدينة جميلة وهى بعيدة عن الساحل بحيث لا يرى من أسطحها والمدينة مزدحمة وبها أسواق فخمة وجامعان وقد يبلغ عدد الدكاكين بها عشرة آلاف دكان منها مائة دكان عطار وهناك يبيعون الكشكاب (السوبيا) فى فصل الصيف فإن الجو حار تكثر الأمراض فى المدينة .

ويُنسج بتنيس القصب الملون ومنه عمامات ووقايات ومما يلبس النساء ولا ينسج مثل هذا القصب فى جهة غير تنيس . والأبيض منه ينسج فى دمياط وما ينسج منه فى مصانع السلطان لا يباع ولا يعطى لأحد .

وقد سمعت أن ملك فارس أرسل رسله إلى تنيس بعشرين ألف دينار ليشتروا له بها حلة من كسوة السلطان وقد بقى رسله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها . وبتنيس صناع مختصون بنسيج ملابس السلطان وقد سمعت أن عاملاً نسج عمامة للسلطان فأمر له بخمسمائة دينار ذهب مغربى وقد رأيت هذه العمامة ويقال أنها تساوى أربعة آلاف دينار مغربى .

وينسجون فى تنيس هذه البوقلمون الذى لا ينسج فى مكان آخر من جميع العالم وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتُحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب . وسمعت أن سلطان الروم كان قد أوفد رسولاً ليعرض على سلطان مصر أن يعطيه مائة مدينة على أن يأخذ تنيس فلم يقبل السلطان وكان قصده من هذه المدينة القصب والبقلمون .

وحينما يزيد ماء النيل يبعد الماء الملح من حول تنيس بحيث يصبح ماء البحر عذباً حتى عشرة فراسخ حولها . وقد بنوا بتنيس وجزيرتها صهاريج عظيمة تحت الأرض وهى قوية البنيان تسمى بالمصانع فحين يزيد ماء النيل ويطرد الماء الملح من هناك تملأ هذه المصانع من ماء النيل الذى يجرى إليها وبتنيس مصانع كثيرة موقوفة يعطى ماؤها للغرباء وسكانها خمسون ألفاً . ويرابط حولها دائما ألف سفينة منها ما هو للتجار وكثير منها للسلطان ويجلب لهذه الجزيرة كل ما يحتاج إليه اذ ليس بها من خيرات الأرض شيئاً .

وتجرى المعاملات فيها بالسفن لأنها جزيرة ويقيم بتنيس جيش كامل السلاح إحتياطياً حتى لا يستطيع أحد من الفرنج أو الروم أن يغير عليها وسمعت من الثقات أنه يصل منها لخزينة سلطان مصر يومياً ألف دينار مغربى ويصل ذلك المقدار مرة واحدة يحصله شخص واحد يسلمه أهل المدينة إليه فى وقت معين وهو يسلم بعد ذلك للخزانة فلا يتأخر منه شئ ولا يجبى شئ بالعنف من أى شخص .

وما ينسج للسلطان من القصب والبقلمون يدفع ثمنه كاملاً بحيث يعمل الصناع برضاهم للسلطان لا كما فى البلاد الأخرى حيث يفرض الديوان والسلطان السخرة على الصناع .

وتصنع أستار هوادج الجمال ولبود سروج الخيل الخاصة بالسلطان من البوقلمون .

ويصنعون بتنيس آلات الحديد كالمقراض والسكين وغيرهما فقد رأيت مقراضاً فى مصر صنع فى تنيس ثمنه خمسة دنانير مغربية يفتح إذا رفع مسماره ويقص إذا أنزل • .

فجاء وصف ناصر خسرو الحسن لتنيس خير آية وأنها أمنية غالية لكثير من حكام مصر .

إبن بطلان يصف تنيس

تنيس بلد صغير على جزيرة فى وسط البحر ميله إلى الجنوب عن وسط الإقليم الرابع خمس درج . وأرضه سبخة وهواؤه مختلف وشرب أهله من مياه مخزونة فى صهاريج تملأ فى كل سنة عند عذوبة مياه البحر بدخول ماء النيل إليها وجميع حاجاتها مجلوبة إليها فى

المراكب . وأكثر أغذية أهلها السمك والجبن وألبان البقر فإن ضمان الجبن السلطانى سبعمائة دينار حساباً عن كل ألف قالب دينار ونصف وضمان السمن عشرة آلاف دينار .
وأخلاق أهلها سهلة منقاده وطبائعهم مائلة إلى الرطوبة ...

تنيس وحفائر المجلس الأعلى للآثار

أسفرت الحفائر التى أجراها المجلس الأعلى للآثار (قطاع الآثار الإسلامية والقبطية) برئاسة الأستاذ عباس الشناوى فى جزيرة تنيس

عن إكتشاف عدة صهاريج (تعرف بصهاريج الأمير) والتى بناها أحمد بن طولون عند دخوله تنيس سنة ٢٦٩ هـ بالإضافة إلى خرزه وحوض لتوزيع المياه على المدينة ، ونظراً لشهرة تنيس فى صناعة أجود أنواع الأنسجه وأفخرها فقد عثر بالحفائر على الكثيرمن رؤوس المغازل والمواكيك كما تم الكشف عن لوحة من الرخام الأبيض مكونة من جزئين هلالى الشكل يقرأ فيهما (هذه الدار لعبد العزيز بن الوزير الجروى القائد) وكانت مثبتة على أحد دور المدينة التى كان يسكنها الوزير الجروى الذى قدم إلى مصر مع السمرى بن الحكم أيام الخليفة العباسى هارون الرشيد وسكن تنيس سنة ١٩٧ هـ .
وخلال هذه الحفائر تم العثور على الكثير من التحف من بداية العصر الإسلامى وحتى الفترة الأيوبية وهى آخر فترة عاشتها المدينة عندما هجرت وخربت بأمر الملك الكامل الأيوبى سنة ٦٢٤ هـ .

الفصل الثانى

مدينة تونة

ومدينة تونة تلى تنيس فى الأهميه وهى الآن مغمورة فى مياه بحيرة المنزلة وهى عبارة عن تل فوقه ضريح إبن سلام وتعرف الجزيرة بإسمه وقد زار أعضاء الحملة الفرنسية تلك المنطقة وذكر أحد علمائها ، أندوريوسى ، أخبار تونة فى كتاب وصف مصر: ، بالنسبة للفرع التانيسى الذى كانت فتحته (فمه) هى نفسها فتحة (مصب) ترعة أم فارج ويمر المرء عند ذهابه من هذه الفتحة إلى سمنة وعلى يمينه بجزيرتى تونة وتنيس أما الجزيرات الصغيرة والأجزاء الضحلة التى تتقارب لحد التلاصق فى جنوب هذه الجزر فتبعث على الشك بأن ثمة قارة غارقة .. ويرى المرء فى بحيرة المنزلة جزراً كانت آهلةً فيما مضى وتغطيها الأنقاض وتشكل نتوءات بالغة الأهمية متناثرة وسط المياه مما يجعل السكان يطلقون عليها إسم الجبال - جبل تنيس ، جبل تونة ، جبل سمنة - وسنوضح فيما بعد أن هذه الجزر كانت مدناً تنتمى إلى قارة غارقة وتبدو جزيرتا تنيس وتونة بإعتبارهما أهم الجزر وقد احتفظت الأولى بإسمها القديم أما جزيرة تونة فقد أصبح يطلق عليها إسم الشيخ عبد الله .. ولاتتصل بحيرة المنزلة بالبحر إلا عن طريق فتحتين يمكن إجتيازهما وهما فتحة فم الديبة وفتحة أم فارج واللتان كانتا مصبى الفرع التانيسى والمنديسى القديم .. كانت تقع على شواطئ هذه الفروع أوفى المناطق المجاورة لها مدناً هامة مثل تنيس وتونة وسمنة وبيلوز بالإضافة إلى مدن أخرى أقل أهمية . ولقد أصبحت مدينتا تنيس وتونة الخربتان تقعان اليوم وسط المياه وتنتميان كما سبق أن قلنا إلى بحيرة المنزلة وكانت هاتان المدينتان ككل المدن التى تصلها مياه الفيضان تنهضان فوق بسطة صناعية لكن أرضها المليئة بالأنقاض والتى نسير فوقها اليوم أرض غير مزروعة بشكل تام بل إن سطحها أصيب بنوع من التبلور بحيث تئز الأرض وتتفتت تحت الأقدام .. لقد قادتنا الصدفة فى تونة لنعثر فوق سطح أرضها على تمثال قديم من العقيق المجزع يقف فوق قاعدة من العقيق ويبلغ طوله ٢٦ مم وعرضه ٢٨مم ويمثل رأس إنسان فى منظور جانبى ينطق بتعابير كثيرة وعين ثاقبة وملمح شجاع وشفاة لا مبالية وكل هذا يحملنا على الظن بأننا هنا بصدد تمثال لرأس أغسطس ذلك الذى استطاع أن يقاوم سحر وجمال كليوباتره ..... ، .

الفصــــل الثالـــث

مدينة تانيس TANNIS

عرفت مدينة تانيس فى التوراة بإسم ، صوعن ، وفى العصر اليونانى بإسم ، تانيس ، وقد مر بتانيس سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة حيث نزلا صوعن فى عهد الأسرة الثانية عشرة سنة ٢٠٠٠ ق . م . وأهداه فرعون مصر هاجر ، كذا مر بها أيضا موسى عليه السلام . كانت تانيس مقراً للفراعنة فى عهد الأسرتين الحادية عشرة والثالثة والعشرين فأقام بها أمينمحات الأول فى عصر الأسرة الحادية عشرة معبداً فخماً كشفه الأثرى بترى سنة ١٨٨٤ م .

وقد أكتشف بها الحجر المشهور الذى نقش عليه قانون كانوب وكتاباته يونانية وديموطيقية وهو مثل حجر رشيد فى الأهمية .. كما اكتشف الأثريون بها كثيراً من المسلات والمعابد . وقد وصف المؤرخ العظيم إسترابون مدينة صوعن بالعظمة والشهرة إلا أن أهميتها وشهرتها تقهقرت فى زمن المؤرخ ، فلافيوس يوسفوس ، وأصبحت قرية لا أهمية لها وكانت صان فى وقت من الأوقات عاصمة للهكسوس أثناء غزوهم مصر إلى أن طردهم القائد المصرى أحمس وذلك خلال الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة .

وكانت منطقة تانيس من ضمن المسح الشامل الذى قام به علماء الحملة الفرنسية والآتى ما جاء بكتاب وصف مصر عنها ، وتقع سمنة SAMNAH - صان - وهى مدينة تانيس القديمة وقد وردت فى التوراة بإسم تزوان TZOAN ومنها جاءت كلمة صان - على شاطئ بحر مويس ويبدو أنها كانت مدينة هامة فى الماض وأنها كانت تمتد كثيراً محاذية للترع ونرى بداخلها نوعاً من الفورم أو الميدان العمومى على شكل مستطيل له مدخل كبير من ناحية الترعة ومنافذ فى الأجزاء الجانبية ويتجه المحور الكبير لهذا الميدان من الشرق إلى الغرب ولقد لمحنا فوقه كثيراً من المبانى المحطمة والمسلات المكسورة والمقلوبة وعندما نتأمل أنقاضاً بهذه الضخامة فقد يحق أن نندهش من الوسائل والجهود التى استخدمها الناس أو بذلوها لإقامتها ولقد احترم الزمن النقوش الهيروغليفية لواحدة من هذه المسلات قد أخذنا رسماً لها . واليوم فإن سمنة هى مستودع البلح الذى يجلب من الصالحية والذى يذهب صيادو البحيرة ليأخذوه مبادلة بالسمك المملح ، ... وهى الآن قرية صان الحجر التابعة لمحافظة الشرقية .

الفصــــل الرابـــع

مدينة الفرمـــا

ذكرت فى التوراة بإسم سين SIN أى عظمة مصر وفى العصر الفرعونى أطلق عليها الفراعنة إسم (بر آمون) أى مدينة آمون بلغ عدد سكانها فى هذا العصر نحو مائة ألف نسمة . وفى العصر اليونانى أنشئ بها ضاحية أُطلق عليها ، بيلوز ، تحولت فيما بعد إلى مدينة مستقلة حملت نفس الإسم (بيلوز) وفى العصر القبطى أطلق عليها القبط (برمون أو برما) وفى العصر العربى أطلق عليها العرب الفرماء ..

وكانت الفرما تقع عند مصب فرع النيل البيلوزى وموقعها شرق مدينة بورسعيد على بعد ٣٠ كيلومتراً .. ونظراً لموقعها الهام باعتبارها مفتاح مصر الشرقى والطريق البرى لبلاد العرب وفينيقيا فقد اهتم حكام مصر على مر العصور بإنشاء الأسوار العالية والحصون المنيعة بها لصد هجمات الغزاة وقد أقام بها رمسيس الثانى مدة ثم بنى بجوارها مدينة (بير رمسيس) وكانت أول موقع حصين قابل جيوش عمرو بن العاص عند مقدمه لفتح مصر حيث قاتل فيها الروم قتالاً عنيفاً واستولى على حصنها سنة ٦٤٠ م وأغرق السفن التى كانت بخليجها وقام بهدم أسوارها منعاً لعودة الروم إليها وأعيد بناؤها وازدهرت مرة أخرى إلى أن دمرت بالكامل عند الغزو الصليبى عام ١١١٨م ومنذ هذا التاريخ اختفت الفرما إلى الأبد .

وقال فيها المقريزى ، كانت الفرماء على شط بحر تنيس وكانت مدينة حصينة وبها قبر (الحكيم جالينوس) وبنى بها المتوكل على الله حصناً على البحر عندما بنى حصن دمياط وحصن تنيس ،.

وقال فيها إبن الكندى ، الفرماء أكثر عجائب وأقدم آثاراً من غيرها ويذكر أهل مصر أن كان منها طريق إلى جزيرة قبرص فى البر يسار عليه بالدواب فغلب عليه البحر وأن بها مجمع البحرين وهو البرزخ الذى ذكر فى القرآن الكريم (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان) . .

وقد ورد ذكرها كثيراً فى تاريخ الطبرى لابن جرير الطبرى .

وفى العصر القبطى كثر بها عديد من الكنائس والأديره .

وقد حاول التاريخ إعادة مجدها عندما وضع دى ليسبس دراسته المبدئية لشق قناة السويس حيث أختير موقعها لتشق منه القناة محل فرع النيل البيلوزى إلا أن كثرة الطينة المترسبة وضحولة مياه البحر عند تلك النقطة حال دون تنفيذ شق القناة فى هذا المكان وأختير موقع بورسعيد الحالى لتشق منه القناة ومكان الفرما الحالى يطلق عليه تل الفرما شرق بورسعيد وبورفؤاد .

الفرما كما جاء ذكرها بمعجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى

الفرماء من الإقليم الثانى طولها من جهة المغرب أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة وعرضها إحدى وثلاثون درجة ونصف. وهى إسم عجمى أحسبه يونانياً .

الفرما مدينة على الساحل من ناحية مصر ينسب إليها أبو على الحسين بن محمد بن هارون بن يحيى بن يزيد قيل أنه مولى من موالى شرحبيل مات سنة ٣٣٤ .

وقال الحسن بن محمد المهلبى ، وأما الفرما فحصن على ضفة البحر لطيف لكنه فاسد الهواء لأنه من كل جهة حوله سباخ تتوحل فلا تكاد تنضب صيفاً أو شتاءً وليس بها زرع ولا ماء يشرب إلا ماء المطر فإنه يخزن فى الجباب ويخزنون أيضا ماء النيل يحمل إليهم فى المراكب من تنيس وبظاهرها فى الرمال ماء يقال له العذيب ومياه غيره فى آبار بعيدة الرشاء وملحة تنزل عليها القوافل والعساكر وأهلها نحاف الأجسام متغيروا الألوان وهم من القبط وبعضهم من العرب من بنى جرى وسائرجذام وأكثر متاجرهم فى النوى والشعير والعلف لكثرة إجتياز القوافل بهم ، ولهم بظاهر مدينتهم نخل كثير له رطب فائق وتمر حسن يجهز إلى كل بلد . قال أهل السير كان الفرما والإسكندر أخوين بنى كل واحد مدينة ، فقال الإسكندر بنيت مدينة إلى الله خضرة وعند الناس فقيره فبقيت بهجتها ونضرتها إلى اليوم وقال أخوه الفرما بنيت مدينة إلى الناس فقيرة وغنية عند الله فلا يمر يوم إلا وفيها شئ ينهدم حتى أنه فى زمننا هذا لا يعرف أحد أثر بنائها لأنها خربت وسفت عليها الرمال وهى مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قاطية وشرق تنيس على يمين القاصد لمصر بينها وبين بحر الظلام المتصل ببحر الهند أربعة أيام وهو أقرب موضع بين البحرين بحر المغرب وبحر المشرق وهى كثيرة العجائب غريبة الآثار ذكر أهل مصر أنه كان فيها طريق إلى جزر قبرص فى البر فغلب عليها ماء البحر وكان بها مقطع الرخام الأبلق فغلبت عليه البحر أيضا وكان بها مقطع الرخام الأبيض بلونين .

وكان أحمد المدبر قد أراد هدم أبواب الفرما وكان من حجارة شرق حصن الفرما فخرج أهل الفرما ومنعوه من ذلك وقالوا إن هذه الأبواب ذكرت فى كتاب الله ، قال يعقوب لبنيه يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب منفرقة ، فتركها .

ونخلها كان من العجب فإنه كان يتمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر البلدان فإنه يبتدأ حين يأتى كوانين فلا ينقطع أربعة أشهر حتى يجئ البلح فى الربيع فى غيرها من البلاد ولا يوجد هذا فى البصرة ولا غيرها ويكون فى بسرها ما تزن البسرة قريبا من عشرين درهماً ويكون فيه ما يقارب أن يكون فتراً .

فتحها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكرها أبو نواس،فى قصيدته التى مدح فيها الخصيب .

الفصــــل الخامــس

مدينة بيلوز PELOS

أنشأها اليونانيون فى أول الأمر كضاحية لمدينة الفرما وما لبثت تلك الضاحية أن توسعت واستقلت عن الفرما وعرفت بمدينة بيلوز .

وتعنى كلمة بيلوز (الطينة) نظراً لكثرة الطين فى بوغاز فرع النيل البيلوزى التى تقع عليه . وقد أطلق عليها المؤرخون العرب الطينة وموقعها بالقرب من رأس كاسيوس ومن فم بحيرة البردويل وخليجها هو خليج بيلوز معروف حالياً بإسم خليج التينة أو الطينة وقد أكسبها إلتصاقها بالفرما نفس الأهمية الإستراتيجية التى كانت تشتهر بها الفرما فكثر فيها بناء الحصون وأحيطت بالأسوار العالية وانتشرت بها أنواع السلاح وكانت سوقاً تجارية للمبادلات مع فينيقيا .

لقد جاب علماء الحملة الفرنسية تلك المنطقة من مصر وسجلوا ملاحظاتهم عنها فى كتاب « وصف مصر » فهذا المسيو مالو يصف بيلوز ذاكراً «كان يوجد بين الفرع التانيسى وبين خليج السويس الفرع البيلوزى الذى كان ما يزال صالحاً للملاحة فى عصر الإسكندر الذى إخترق إسطوله مصر عن طريق هذا الفرع لكنه الآن يكاد يكون مطموساً برمال الصحراء وإن كان مصبه على البحر لا يزال قائماً على الرغم من أنه يقع أبعد بمقدار أربع مرات عن بيلوز القديمة كما كانت فى زمن سترابون STRABON فهى تقع عند طرف يسميه العرب الطينة وهى الترجمة العربية للكلمة اليونانية بيلوز PELOS أى الطين » .

أما العالم أندوريوسى فذكر فى كتاب « وصف مصر » عن بيلوز الآتى « لاحظنا أثناء مرورنا أن إرتفاع الكثبان التى تقع إلى الشرق من بيلوز والتى تتجه جنوباً نحو ولاية الشرقية أمر يسمح لنا بالتأكيد من أن ترعة الإتصال بين الخليج العربى (البحر الأحمر) والبحر الأبيض المتوسط لا يمكن أن تؤدى إلا إلى الفرع البيلوزى ويقول سترابون إن محيط بيلوز كان يبلغ عشرين غلوة (١٩٠٠ قامة) وأنها تقع على مسافة مماثلة من البحر وبالفعل فان إمتداد السور الحائطى الذى يوجد فى بيلوز يبلغ عشرين غلوة وإن كان البحر يبعد عنها الآن بمسافة أكبر أربع مرات من تلك التى كان يبعد بها عنها فى زمن سترابون .... ولا يوجد أقل أثر للخضرة فوق السهل حيث تقع بيلوز ويرى المرء داخل أسوارها ربوة منعزلة تتوجها الأشجار الصغيرة وبعض العصافير هى ضيوف هذا الدغل الوحيدون وهم الذين يخففون بعض الشئ من تلك العزلة المقبضة وفضلاً عن ذلك لا يرى المسافر الذى تستبد به الدهشة فى هذا المكان الذى كانت توجد به ذات يوم مدينة كبيرة وشعب كبير إلا بعض الأعمدة الراقدة فى الأتربة وبعض الأنقاض الفقيرة وسيظل يبحث بلا جدوى فى الضواحى عن ظل أثر لمقاتل عرف السعادة زمناً طويلاً وكان عليه فى النهاية أن يخضع لمشيئة قيصر لكنه لن يجد هناك سوى ذكرى هذا الرجل الشهير ضحية الغدر والنكران إن نصباً يقام فوق هذا الشاطئ المهجور الذى فاضت فيه روح بومبى POMPÈE أحد قادة روما العظام وصديق قيصر روما فى بادئ الأمر إلا أنهما تنازعا على السلطة حيث قتله بو ثينيس POTHINUS وزير بطليموس الثانى بطعنة نجلاء حين وطأت قدما بومبى أرض شاطئ تلك المنطقة » .

وعالم آخر من علماءالحملة الفرنسية إنه «جريتيا لوبير» كتب يقول «كانت بحيرة سربونيس (البردويل) كما يذكر كل من هيرودوت وديودور وسترابون تبدأ من رأس كاسيوس الواقع إلى الشرق فى بيلوز وتحاذى الساحل البحرى لمسافة تزيد على مائتى غلوة (١٩٠٠٠ قامة) ويبلغ أ قصى إتساع لها ٥٠ غلوة (٤٧٥٠ قامة) وحتى اليوم لا تزال تطابق ما وصفت به وكما يذكر ديودور الصقلى أن « فرقاً عسكرية قد هلكت فيها حيث كانت تجهل حقيقة هذه المستنقعات العميقة التى كانت تغطيها الرياح بالرمال التى حجبت هوائها » ويذكر أن كل المنطقة من غزة حتى سربونيس وكذلك تلك المنطقه التى يمدها من الغرب رأس كاسيوس حتى بيلوز ذات طبيعة رملية تامة قاحلة وتخلوا من أية مياه عذبة كما أن تربتها على الدوام موحلة منخفضة وعميقة ومن كاسيوس يبدأ الطريق إلى بيلوز ويجد المرء فى هذه الأنحاء هوات تكونت بشكل طبيعى حيث تقع فى ضواحى بيلوز وتحمل بحيرةسربونيس اليوم إسم سباخة البردويل بإسم بودوين BAUDOUIN ملك أورشليم الذى مات فى العريش أثناء عودته إلى سوريا فى عام ١١٧٧ بعد الحملة التى سيطر فيها على الفرما (بيلوز) » .

خـاتمـــة : وفى النهاية أرجو أن تكون قد عرفنا موقع بورسعيد فى الأزمنه الغابرة .. فهذا الباب أوضح لنا أن بورسعيد ليست الفرما كما يظن البعض .. بل أن موقعها فى منطقة تقع وسط هذه المدنيات.

الباب الثانى

قناة الفراعنة LE CANAL DES PHARAONS

لم تكن فكرة ربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر من بنات أفكار العلماء فى أوائل القرن التاسع عشر والتى نفذها فرديناند ديليسبس لتعرف بترعة برزخ السويس أو ما تعرف الآن بقناة السويس .

بل سبق شق قناة السويس على مر عصور التاريخ المصرى عديد من الأفكار التى تقضى بربط البحرين منها ما نفذ فعلاً ومنها ما لم ير النور وكانت أغلب تلك الأفكار تقضى بربط هذين البحرين بطريق غير مباشر عن طريق نهر النيل أو أحد أفرعه السبعة .

ومن المشروعات التى نفذت لربط البحرين الآتى :

الفصل الأول

قناة سنوسرت الثالث SESOSTRIS III

أول من فكر فى ربط البحرين الأبيض المتوسط (البحر الشمالى - البحر الأخضر العظيم) بالبحر الأحمر (بحر أروترى) بطريق غير مباشر عن طريق النيل وفروعه ، بقناة لتسهيل التجارة والمواصلات بين مصر والشرق الأفريقى هو الملك إمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة والتى حكمت مصر من (٢٠٠٠ إلى ١٩٧٠ ق . م .) والذى اتخذ عاصمة جديدة لملكه جنوبى منف (عاصمة الدولة القديمة) وأطلق على عاصمته إسم (إث تاوى) ومعناها مراقبة الأرضيين . وكان فى الصيف ينتقل إلى مدينة صوعن (صان الحجر) فشيد فيها المعابد العظيمة والقصور الجميلة .

إلا أن فكرة ربط البحرين لم تنفذ إلا فى عهد الفرعون ، سنوسرت الثالث ، خامس ملوك الأسرة الثانية عشرة الذى حكم مصر من عام ١٨٧٨ إلى ١٨٤٣ ق . م . والذى يعد عند المصريين من أكبر الغزاة الذين قاموا بحروب طاحنة دفاعاً عن حدود مصر فكان أول عمل حربى يقوم به عند توليه العرش أن قاد حملة تأديبية إلى بلاد النوبة فقام بتحريرها وواصلت زحفها جنوباً إلى وادى حلفا داخل حدود السودان وأقام عدة حصون بها وأرسل حملة لآسيا الصغرى وفلسطين وامتد نفوذه إلى شواطىء البحر الأسود وجنوب أوربا . وكان من نتيجة إنتصاراته أن ألهه المصريون فيما بعد وأطلقوا عليه إسم سيزوستريس وحكم مصر مدة ثمانية وثلاثين عاماً ويعد عصره من أزهى العصور وأمجدها فى التاريخ المصرى وضع خلال فترة حكمه أساس بناء الإمبراطورية المصرية .

وقام سنوسرت الثالث بحفر قناة تربط بين البحرين وهذا ما أوضحه لنا الدكتور سيد كريم فى عدد الهلال الصادر فى يونيو ١٩٧٥ فكان أول من حفر القناة الثلاثية التى تربط البحر الأبيض المتوسط (بحر الشمال - البحر الأخضر العظيم) بالبحز الأحمر (بحر أروترى) وذلك بحفر قناة تصل كلاًمنهما بالبحيرات المرة والتى ربطها فى نفس الوقت بممر مائى يصلها بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد . وكان إفتتاح القناة الثلاثية عام ١٨٧٤ ق . م وقد سجل سنوسرت الثالث إفتتاح قناته فى لوحه منحوتة على الواجهة الخارجية للجدار الشمالى بمعبد الكرنك .. وتمثل اللوحة الملك سنوسرت الثالث وهو يقف بعربته الحربية عند قنطرة السد الحاجز الترابى الذى يفصل جزئى القناة عند مدينة حور (ثارو) مكان القنطرة الحالية حيث أقيمت أقواس النصر وشيدت بها قلعة (شارو) للدفاع عن القناة ... إن تلك اللوحة تفسر أكثر من حقيقة تاريخية فبجانب كونها تسجل ما قام به الفراعنة لشعب مصر من تخطيط وحفر أول وأطول قناة صناعية على وجه الأرض وأول مشروع لربط البحرين بل وأيضا وربطهما بالنيل فهى أيضاً تميط اللثام عما أشاعه المؤرخون عن تسخير الفراعنة لشعب مصر فى بناء الأهرام وحفر القناة التى ذهبت ضحيتها عشرات الآلاف من الضحايا فى أعمال السخرة كما رددها هيرودوت ومن خلفه من المؤرخين الأجانب . إلا أن تلك اللوحة أكدت ماذكره المؤرخ المصرى القديم مانيثون عندما ذكر أن الفراعنة كانوا يسخرون الأسرى فى مشروعات حفر الترع وتمهيد الطرق وقطع الأحجار وبناء الحصون والقلاع والأهرامات والمعابد .

لعبت قناة سنوسرت دوراً هاماً فى تاريخ مصر العسكرى والاقتصادى فى عصرها الذهبى خلال الأسرة الثامنة عشرة فى كل حروب

وفتوحات وغزوات أحمس وتحتمس وأمنحتب الثانى كما ورد ذكر هذه القناة فى وثائق حتشبسوت وسنموت وإخناتون وإمنحتب الثالث حيث كانت تمر خلالها السفن التجارية الكبيرة التى كانت تنقل أخشاب الأرز ومواد البناء والحيوانات والبضائع .

ويقول هيرودوت فى وصف هذه القناة : « إن أقدم جزء أنشئ من هذه القناة يبدأ من مدينة بوباستيس [1] .. وتجرى متجهة نحو الشرق تجاه وادى طوميلات ويسير محاذياً للفرع الطبيعى شمالاً حتى بلدة القصاصين ثم ينعطف إلى الجنوب محاذياً الحافة الجنوبية للوادى فيخترق إحدى المدن القديمة التى يغلب الظن أنها بنيت فى عهد الأسرة السادسة وأطلق على آثارها إسم تل رتاب إلى أن يصل هيروبوليس HEROOPOLIS (أبو صوير حالياً) ثم كانت مرحلة ثانية أنشئت فيها قناة توصل بين هيربوليس والبحيرات المرة وإن كانت هناك مراجع حددت مساراً آخراً للقناة التى شقها سنوسرت الثالث ذاكرة أن رحلة السفينة القادمة من البحر الابيض المتوسط تمر فى فرع النيل البيلوزى (أول أفرع النيل السبعة من جهة الشرق) حتى تصل إلى مدينة بوباست (مدينة الزقازيق الحالية) ثم تتجه إلى مدينة تيخاو (مدينة أبوصير الحالية) ثم تتجه إلى البحيرات المرة التى كانت تعتبر جزءا من خليج السويس المتصل بالبحر الأحمر .

الفصل الثانى

الملك سيتى الأول وتطهير القناة SETI I

كان الملك سيتى الأول ثانى ملوك الأسرة التاسعة عشر فوالده رمسيس الأول مؤسس تلك الأسرة التى كانت تمثل بداية عصر جديد فى تاريخ الأمة المصرية من الوجهتين السياسية والدينية ، كما كان عصرها عصر رخاء وإصلاح داخلى من ناحية الإدارة والعمارة .

وكانت مدة حكم سيتى الأول تسعة عشر عاماً (من ١٣١٩ ـ ١٣٠٠ ق . م .) حيث شارك أباه حكم مصر كما اشترك معه فى معاركه وفتوحاته .

ولما تولى الحكم بعد وفاة والده إتبع سياسة تحتمس الثالث والقائد حور محب فأعاد لمصر سيادتها ومجدها القديم فقاد حملات منظمة على آسيا الصغرى وسيطر على موانى الساحل الفينيقى ، كما دافع عن حدود مصر الغربية أمام هجمات الليبيين وقد سجل انتصاراته عليهم على جدران معبد الكرنك وانتهى به الأمر أن ألهه الشعب المصرى ـ أصبح فى مصاف الآلهة يعبد كما تعبد باقى الآلهة المصرية ـ لإنتصاراته فى حملاته الأربع ومعاركه الأربع والعشرين وبإنتهاء فتوحاته إتجه سيتى الأول إلى الإصلاحات الداخلية من ناحية الإدارة والعمارة وقد استعان فى حركة البناء والتعمير والتشييد بآلاف من الأسرى الذين أسروا خلال غزواته .

وقد ذكر المؤرخ المصرى العظيم مانيثون [2] أن سيتى الأول إهتم بإعادة حفر وتطهير قناة سيزوستريس التى أصابها الإهمال بعد أن غمرتها الرمال وإستعملها فى التجارة وفى رحلاته وحملاته التأديبية على الحدود الشرقية وقام بإثبات كل تلك الوقائع على جدران أحد معابد الكرنك ، وإن كان بعض المؤرخين شكك فى دور سيتى الأول فى إعادة حفر قناة سيزوستريس إلا أن بردية ميليت التى ترجع إلى عهد الملك نخاو الثانى فى الأسرة ٢٦ سجلت دور سيتى الأول فى حفر القناة حيث جاء بها : «لقد أمرت رجالك أيها المليك العظيم بأن يعيدوا حفر القناة التى سبق لسلفك العظيم سيتى الأول حفرها لتوصل بين البحرين ـ البحر الشمالى وبحر أروترى الجنوبى ماره ببحيرات أميريس (المره) » .

كماوصفت ورقة أنسطاسى حفلات إستقبال الملك منتصراً من البلاد الأسيوية عند عبور القناة بالقرب من قلعة (ثارو) التى تقام فيها الأعياد المقدسة لإفتتاح القناة منذ زمن سنوسرت حتى أواسط الأسرة ١٨ وبرهنت بذلك أن سيتى الأول يعتبر أول ملك أعاد حفر القناة بعد سنوسرت الثالث .

وقام بتأسيس مدينة على مقربة من تلك القناة تعرف بليونتوبوليس وأتى بعد سيتى الأول إبنه الملك رمسيس الثانى أعظم ملوك مصر قاطبة والذى امتد حكمه إلى سبعة وستين عاماً عامرة بالفتوحات الحربية والإنتصارات العظيمة بلغت مصر خلال حكمه شأناً عظيماً فى العمارة والحضارة فاستن سنة والده وعنى عناية بالغة بترعة سيزوستريس أو ترعة الفراعنة وشيد مدينة « بير رعمسيس » على ضفاف فرع النيل البيلوزى وأقام فيها زمناً .

---

(١) كما تعرف ببوباست BUBASTIS وهى مدينة الزقازيق الحالية .

(٢) كاهن وعالم شهير كانت شهرته فى بداية القرن الثالث ق . م . له ثمانية كتب أشهرها تاريخ مصر AEGYPTIACA وهو يشمل قوائم بأسماء الملوك مرتبة بحسب الأسرات مع تقدير بمدة حكم كل ملك .

الفصل الثالث

قناة الملك نخاو الثانى NÉCOS

نخاو الثانى هو ثانى ملوك الأسرة السادسة والعشرين فوالده باسماتيك الأول مؤسس تلك الأسرة .

وحكم الملك نخاو مصر عن المدة من سنة ٦٠٩ إلى سنة ٥٩٤ ق . م .

قاد حملة على الشاطىء الفنيقى فاستولى على سوريا وفلسطين إلا أن حكمه لم يدم طويلاً بعد هزيمته فى موقعة قرقميش على نهر الفرات على يد بختنصر فوجه إهتمامه للاصلاحات الداخلية لمصر ففكر فى إعادة حفر القناة التى تربط بين البحرين حيث حشد مائة وعشرين ألف عامل وبدأ فى الحفر - يؤتى إليهم الماء العذب من النيل - مارة بمدينة بوباستيس إلا أنه لم يكملها خوفاً من نبوءة العرافة ميليت والتى جاءت على بردية ميليت المحفوظة بمتحف برلين ونصها : « لقد أمرت رجالك أيها الملك العظيم بأن يعيدوا حفر القناة التى سبق لسلفك العظيم سيتى الأول حفرها لتصل بحر الشمال ببحر الجنوب أروترى مارة بالبحيرات المرة . انى أرى وراء الغيب أن عملك هذا سيجلب الضرر على مصر فحفر القناة سيعود بالفائدة على الغريب دون القريب وعلى الأجنبى دون الوطنى ، إنك اليوم تتقاضى الرسوم على مرور الناس بأرضك وعلى مرور التجارة والقوافل وتتحكم فى مصير الناس والبضائع أما غداً عندما تفتح القناة فسيمر بها الجميع ، وتجذب الجميع ستجذب مطامع أعدائك فتفقد السيطرة على القناة وتجعل للخطر منفذاً إلى قلب بلادك فبحق الآلهة وبحق الوطن عليك مر بوقف العمل فى الحفر لا كانت القناة ولا كان الإتصال » .

فعدل عن حفر القناة واستعاض عن فكرة شق القناة ببناء أسطولين كبيرين جعل مركز أحدهما فى البحرالأحمر والثانى مركزه فى البحر الأبيض ويعتبران من أعظم الأساطيل البحرية فى تاريخ مصر .

وإن كان هناك مراجع كثيرة تؤكد أن الملك نخاو الثانى قام بالفعل بإعادة تطهير قناة سنوسرت الثالث . وقد قيل أنه هلك خلال إعادة شقها ١٣٠ ألف عامل . وكان شقها سنة ٦١٠ قبل الميلاد .

الفصل الرابع

قناة الملك دارا الأول DARIUS

كان الملك دارا الأول ثانى ملوك الأسرة السابعة والعشرين عندما غزا الملك قمبيز مصر (إمبراطور فارس) وعندما دخل مصر كانت القناة مهملة وقد ردمت الرمال الجزء الأكبر منها فلم تتمكن سفنه من غزو مصر عن طريقها. وقد ذكر أكثر من مؤرخ أن قمبيز كان له يدٌ فى تخريب الجزء الشمالى من القناة باتصالها بالبحر الشمالى (فرع النيل البيلوزى) . وبغزو قمبيز لمصر اتبع سياسة تعسفية ضد المصريين ومشاعرهم الدينية .

وكانت فترة حكم الملك دارا لمصر من سنة ٥٢٢ الى سنة ٤٨٥ ق . م فنهج سياسة جديدة على خلاف سلفه فتقرب إلى المصريين وقام ببناء معبد للإله آمون فى الواحات الخارجة وأطلق على نفسه إبن الإله رع إله المصريين فقدروه ورفعوه إلى مراتب ملوكهم من الفراعنة.

وكان من أهم الأعمال التى قام بها أن وصل مياه النيل بالبحيرات المرة فى سنه ٥١٠ ق. م. وكانت هذه القناة تنحدر من أبى صوير نحو الجنوب ثم تتفرع إلى الجنوب الشرقى محاذية للتلال الرملية وتسير ما يقرب من ألف متر تقريباً عند شرق سرابيوم إلى أن تصل إلى البحيرة الكبيرة بالقرب من الدفرسوار. ولما تم فتح هذه القناة أبحر أسطول مكون من ٣٢ سفينة محملة بالبضائع لتصل إلى بلاد فارس .

وقام دارا بتسجيل افتتاح هذه القناة على لوحات داريوس [1] المشهورة التى أقامها بالقرب من البحيرات المرة وقد ورد فى إحداها : «ملك الملوك داريوس الأول ملك الفرس ، أنا الفارسى من بلاد الفرس غزوت مصر وأصدرت أوامرى بحفر قناة من نهر يسمى النيل يخترق أرض مصر من جنوبها إلى شمالها ويصلها بالبحر الذى يجرى من أرض مصر إلى أرض الفرس » .

(١) نقشت كتابتها باللغة المسمارية

وقد وجد دى ليسبس كثيراً من هذه اللوحات عند حفره قناة السويس قام بضمها إلى متحف أنشأه بالإسماعيلية ليضم الآثار المكتشفة خلال الحفر على أرض القناة .

وإن كانت بعض المراجع تصف قناة دارا وما قام به لتنفيذ فكرة ربط البحرين كالآتى : ، قام الملك دارا الأول بتطهير أجزاء من قناة الملك نخاو الثانى وأدخل عليها تحسينات كثيرة لتسير بمحازاة قناة نخاو مارة بوادى الطميلات ، .

الفصل الخامس

قناة الإسكندر الأكبر (مشروع قناة لربط البحرين)

دخل الإسكندر الأكبر مصر سنة ٣٣٢ ق . م- بعد اضمحلال دولة الفرس- واستمر حكمه لها إلى أن توفى فى بابل سنة ٣٢٣ ق . م . وتقرب إلى المصريين واعتنق ديانة الإله آمون ونسب نفسه له (زيوس آمون) فى معبده بواحة سيوة ثم توج فى معبد الإله بتاح فى منف .

اشتهر بمشروعاته العمرانية والهندسية فقام بتصميم وتخطيط مشروع مدينة الإسكندرية والتى نسبت إليه والتى أراد منها أن تكون أكبر ميناء حربى فى البحر الأبيض المتوسط يجمع فيه أساطيله ولتكون عاصمة لمصر .

كما وضع مشروع قناتى الإسكندر لكى يسيطر بأساطيله على بحار العالم القديم فمشروع قناته الأولى يتضمن إعادة حفر القناة التى تربط بين البحرين الأبيض والأحمر ومشروع القناة الثانية تمتد من رشيد وأبى قير مخترقة الدلتا حتى البحيرات المرة بعد إتصالها بقناة سنوسرت القديمة ليتمكن من نقل السفن من الإسكندرية إلى البحر الأحمر مباشرة .. وبالفعل بدأ العمل فى تنفيذ مشروعى القناة فى وقت واحد وسافر تاركاً مصر ليستكمل فتوحاته فى آسيا (بابل والهند) إلا أن وفاته فى بابل منعت من استكمال مشروعاته ودفنت جثته فى منف ثم نقلت إلى الإسكندرية عاصمة ملكه التى قام بتخطيط مشروعاتها ولم يرها .

الفصل السادس

قناة بطليموس الثانى PTOLÉMÉS PHILADELPHE

تولى بطليموس الثانى حكم مصر من ٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق . م خلفاً لبطليموس الأول واتخذ نفس سياسة الإسكندر فى التقرب من المصريين فأطلق على نفسه إبن الإله رع وقام باصلاح المعابد المصرية القديمة واهتم بآلهتهم .

فقام بحفر القناة التى قام بتصميمها الإسكندر الأكبر فأنشأ ميناء لأسطوله على البحر الأحمر فى هيروبوليت (ميناء السويس الحالى) بالقرب من مدينة كليسما (مدينة السويس الحالية) كما أنشأ مدينة أرسنوى نسبة إلى زوجته (الملكه أرسنوى الثانية) وأنشأ لها معبداً بعد وفاتها بجوار بحيرة كم أور (بحيرة التمساح) واستمر فى حفر القناة من البحر الأحمر حتى البحيرات المرة لتتصل بفرع النيل الشرقى كما أعيد حفر الجزء الشمالى منها الموصل إلى القنطرة والبحر الشمالى وتم حفر القناة فى سنتين مستعيناً بأسرى الحرب فى حفرها وافتتح بطليموس الثانى قناته فى سفينته الخاصه (أرسنوى الجميلة) التى يتصدرها تمثال لرأس الإله آمون والتى أبحر بها من الإسكندرية ودخل القناة من بلوزيوم عند مصب الفرع البيلوزى، حيث أقيمت الإحتفالات فى كم أور (بحيرة التمساح) ومدينة أرسنوى (السويس) واعتبر يوم الافتتاح عيداً دينياً وشعبياً حيث أقام إيوناً عند مدخلها عند البحر الأحمر لإقامة حفلات وأعياد افتتاح القناة .

وقد أنشأ بطليموس الثانى عند مصب تلك القناةعند البحرالأحمر هويساً عظيماً خوفاً من إرتفاع مياه البحرالأحمر وطغيانها على مصر [1] وفى نهاية العصر البطلمى أصاب الإهمال تلك القناة مما أدى إلى إغلاقها .

---

(١) من المعروف أن بطليموس الثانى بعد إنتهائه من حفر النيل، تربط النيل بالبحر الأحمر توجه إلى حدود مصر عند الحبشه وقام ببناء منطقتين لإستقبال السفن القادمة من الحجاز وبلاد فارس والهند لتفريغ بضائعها والتى تنقل بعد ذلك على ظهور الإبل إلى قفط COPTOS ومنها يعاد شحنها على سفن شراعية عبر نهر النيل الى أن تصل الى الإسكندرية .

الفصل السابع

قناة الإمبراطور تراجان L'EMPEREUR TRAJAN

إحتل إكتافيوس مدينة الإسكندرية سنة ٣٠ ق. م وأصبحت مصر ولاية رومانية، ولما وصل الإمبراطور تراجان إلى الحكم سنة ٩٦ ميلادية رأى إعادة حفر القناة التى قام بإنشائها كل من نخاو الفرعونى ودارا الفارسى وذلك لربط أطراف الإمبراطورية الرومانية فى شرق إفريقيا والهند إلا أنه قام بحفر قناة جديدة تبدأ من النيل شمال مدينة بابليون (القاهرة) مارة بمدينة عين شمس ثم إلى قرية العباسة عند مدخل وادى طميلات حتى يصل بوبست بالبحيرات المرة .

وجاء بعد تراجان الإمبراطور أدريان سنة ١١٧ ميلادية فقام بالحفاظ على قناة تراجان وقام بتطهيرها وقام باستبدال إسم ثغر أرسنوى القديم باسم السرابيوم .

الفصل الثامن

قناة أمير المؤمنين

بعد الفتح العربى لمصر أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه القائد عمرو بن العاص قائد جنود المسلمين بحفر قناة من الفسطاط (القاهرة) إلى القلزم (السويس) وابتدأ العمل فيها سنة ٦٤٣ ميلادية وظلت مفتوحة أكثر من مائة عام واستخدمت لنقل البضائع والحجاج إلى الحجاز وقيل إن عمرو كان ينوى حفر قناة مباشرة بين البحرين الأبيض والأحمر ولكن الخليفة عمر بن الخطاب منعه خوفاً من طغيان الروم عليها فيقطعون الطريق إلى الحج .

وفى سنة ٧٣٥ ميلادية أمر الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور بردم القناة لمنع وصول المدد للثائرين على حكمه من أهل مكة والمدينة .

الفصل التاسع

حفلات إفتتاح القناة على مر التاريخ

لم تكن حفلات افتتاح قناة السويس التى أقيمت فى بورسعيد إبتداء من ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ فى عهد الخديوى إسماعيل هى الأولى فى التاريخ بل سجل لنا التاريخ والمؤرخون بأن أول حفل لافتتاح القناة فى عهد سنوسرت الثالث - أول من قام بحفر قناة صناعية فى التاريخ - وقام بتسجيل افتتاحها فى لوحة الكرنك على الواجهة الخارجية للجدار الشمالى للمعبد وسجل عليه تاريخ افتتاحها فى الشهر الثانى من فصل الفيضان فى العام الثانى عشر من حكمه . وتمثل تلك اللوحة الملك سنوسرت الثالث وهو يقف بعربته الحربية عند قنطرة السد الحاجز الترابى الذى يفصل جزئى القناة عند مدينة حور (ثارو) مكان القنطرة الحالية - حيث أقيمت أقواس النصر وشيدت بها قلعة (ثارو) للدفاع عن القناة - إن تلك اللوحة تفسر أكثر من حقيقة تاريخية فبجانب أنها تسجل ما قام به الفراعنة من تخطيط وحفر أول وأطول قناة صناعية على وجه الأرض وأول مشروع لربط البحرين بل وأيضاً وربطهما بالنيل بل تميط اللثام عما أشاعه المؤرخون عن تسخير الفراعنة للشعب المصرى فى بناء الأهرام وحفر القناة التى ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الضحايا فى أعمال السخرة كما رددها هيرودوت وغيره من المؤرخين إلا أن هذه اللوحة أكدت ماذكره المؤرخ المصرى القديم مانيثون عندما ذكر أن الفراعنة كانوا يسخرون الأسرى فى مشروعات حفر الترع وتمهيد الطرق .

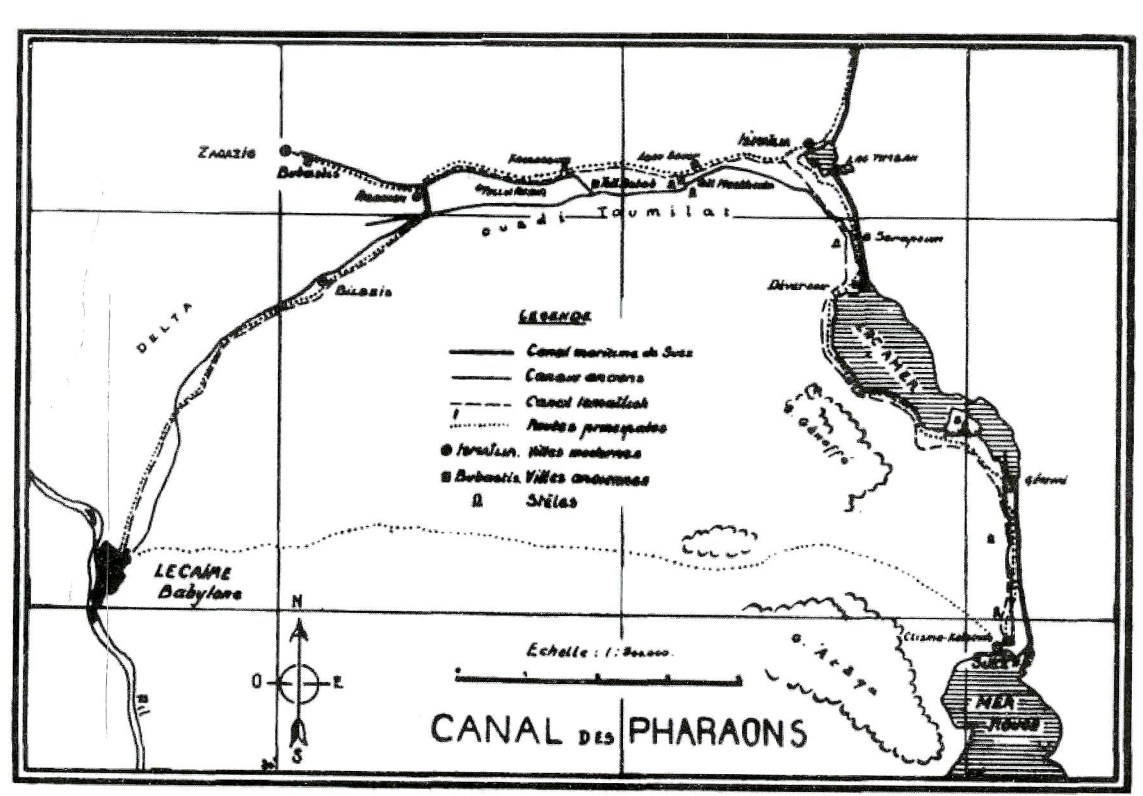
وقد بدأ الحفل بالمراسيم الدينية التى قام فيها كهنة معابد آمون بمباركة القناة وقدموا القرابين للآلهة تبعه حفل عسكرى فى قلعة ثارو التى أقيمت للدفاع عن القناة أطلق عليه عيد النصر . احتفل فيه الشعب بجيشه وقائده فرعون مصر وأنشدت الأناشيد التى تغنى

بها الشعب ممجداً الجيش وإنتصاراته . ثم أقيم حفل شعبى اشتركت فيه الهيئات الرسمية التى تمثل كافة أقاليم مصر بأعلامها المميزة .

وقد اعتبر عيد إفتتاح قناة سنوسرت من الأعياد المقدسة التى استمر الإحتفال بها وأعيد إحياؤها خلال عدة أسرات إستمرت إلى ما يقرب من سبعة قرون وحتى أوائل الأسرة التاسعة عشرة رغم أنها قد أهملت وتعرضت للتخريب وأعيد حفرها عدة مرات .

ومن حفلات إفتتاح القناة التى أسهب المؤرخون فى وصفها حفل إفتتاح القناة فى عهد الملك ، دارا ، الأول الذى سجل افتتاحها على لوحات داريوس المشهورة والتى نقشت كتاباتها باللغة المسمارية بالإضافة إلى برديات تانيس فى العام الثانى عشر من حكمه واحتفل بافتتاحها بمرور قافلة بحرية أتت من بلاد فارس تتكون من ٢٢ سفينة بحرية كبيرة محملة بالهدايا لأهل مصر ومعابدها فوصلت من البحر الأحمر من مدينة منف على النيل ثم عادت مارة بالقناة محملة بالهدايا ومن خيرات مصر هدية من شعبها إلى بلاد الفرس .

ومن الإحتفالات التى وصفها مؤرخو الإغريق حفل إفتتاح قناة بطليموس الثانى وأطلقوا على تلك الإحتفالات والقناة ، كم أور ، نسبة إلى المعبد الذى أقامه بطليموس الثانى عند بحيرة التمساح . واحتفل بإفتتاح القناة فى العام السابع من حكمه ويصف المؤرخون حفل الإفتتاح وسفينته الأسطورية التى أبحر بها من الإسكندرية تتبعه قافلة مكونة من ٢٤ سفينة تحمل رجال الدين والحاشية وقواد جيشه وكانت سفينته أول سفينة تدخل القناة بعد إزالة الجسر الترابى الذى كان يفصلها عن البحر الأبيض عند الفم البيلوزى وسارت القافلة حتى معبد ، كم أور ، على بحيرة التمساح حيث أقيم حفل دينى اشترك فيه كهنة معابد آمون وسارت القافلة حتى وصلت إلى السويس حيث أقيم إيوان بطليموس الشهير إحتفالاً بافتتاح القناة وأطلق على مدينة السويس وميدائها البحرى الجديد أسم ، أرسنوى ، نسبة إلى زوجته .



خـــــــريـطـة قـنـاة الـفـــــــــــراعـنـة

الباب الثالث
كيف كان الإتصال بين الشرق والغرب قبل شق قناة السويس

قبل افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ كانت تجارة أوروبا مع الهند تسلك طريقين أولهما طريق مصر ونصفه بحرى والنصف الآخر برى، وثانيهما طريق رأس الرجاء الصالح .

وفى القرون الوسطى كانت الإسكندرية والفسطاط من أكبر أسواق منتجات الهند والصين وبلاد فارس والجزيرة العربية وقد حدث تبادل تجارى واسع بين موانى البحر الأبيض المتوسط مثل مارسيليا وجنوة وبرشلونة، والبندقية على قمة هؤلاء والتى بلغت شأواً عظيماً فى تلك الأزمنة بفضل مهارة أهلها الذين اتخذوا الطريق البرى الموصل إلى الهند ماراً بسوريا وبلاد فارس.

وعلى أثر الحروب الصليبية وفقد سيطرتهم على فلسطين وسوريا إتجهت أنظار تجار البندقية إلى طريق مصر القديم فتقربوا إلى سلاطين مصر طمعاً منهم لإحتكار طريق عبورهم من مصر إلى الشرق إلا أن نجم البندقية بدأ بأفل بظهور منافس جديد لها ففى مستهل القرن الخامس عشر احتلت البرتغال مكاناً مرموقاً فى مجال التجارة الدولية بفضل اكتشافات بحارته لأراض جديدة ففى سنة ١٤١٩ اكتشفت جزيرة مادير وفى سنة ١٤٣٢ اكتشفت جزر الآزور وفى سنة ١٤٨٦ اكتشف ، برتلمى دياز ، BARTHELEMY DIAZ رأس العواصف الذى عرف فيما بعد برأس الرجاء الصالح CAPE OF GOOD HOPE والذى تمكن ڤاسكو دى جاما VASCO DE GAMA من الدوران حول هذا الرأس [1] ووصل إلى القارة الهندية سنة ١٤٩٨ .

وبعد نجاح ڤاسكو دى جاما إنطلق البرتغالى ،الفاريز كابرال ، ALVAREZ CABRAL محاولاً الوصول إلى الهند إلا أن إعصاراً داهم سفينته فحولها عفواً جهة الغرب فكان إكتشاف البرازيل ثم اتجه مرة أخرى صوب الهند فأنشأ فيها أول متجر أوروبى . الذى أتى من بعده ، ألميدا ، ALMEIDA البرتغالى فوطد مركز بلاده فى الهند بعد فتوحاته سنة ١٥٠٦ ورد أطماع الأتراك وملكهم سليمان الأكبر وقوات البندقية فضعفت العلاقات التجارية لتجار موانى البحر المتوسط وصار الطريق التجارى عبر مصر نسياً منسياً خلال ثلاثة قرون من الزمان بعد إكتشاف ڤاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح الذى أصبح الطريق المألوف لتجارة أوروبا مع الشرق الأقصى .

إن سكان مدينة ليون اتحدوا مع سكان مارسيليا الذين كان من عادتهم الذهاب مرتين فى السنة إلى الإسكندرية لإستجلاب البهارات الواردة من الهند والروائح العطرية الواردة من بلاد العرب وكانت هذه التجارة فى أيدى العرب وكانت عدن تمثل فى البداية المخازن . ثم قام ملك اليمن بعد ذلك بتوجيه هذه التجارة إلى مرفأ بلاده موخا MOKA .

وفى عام ١٥٠٢ قام ڤاسكو دى جاما بأسطوله بإغراق السفن المصرية على البحر الأحمر وبذلك بدأت أربعة قرون من الصراع بين الذين يستخدمون رأس الرجاء الصالح .

وبرغم المبالغ الطائلة التى كانت تجنى فإن هذا النضال لم يسمح أبداً للغرب - إلا فى فترات قصيرة بإنتزاع إحتكار الغرب لطرق المواصلات مع السويس عن طريق البحر الأحمر - فالعرب كانوا يخشون الصليبيين عندما يجدونهم يجلبون سفنهم إلى البحر الأحمر وكانوا يرفعون شعاراً بأنهم يخشون أن يدنس الصليبيون قبر [2] رسولهم محمد وكانوا يضيفون إلى هذا الإدعاء الدينى منطقهم بأن يحتفظوا لأنفسهم بطريق يحقق الربح كما أنه بالإضافة إلى ذلك لم تكن تضيف شيئاً إلى تجارتهم بل على العكس كانت تمثل للرغبة خدشاً ولو بسيطاً لإحتكار البحر الأحمر .

---

(١) أما الخطوط التى كانت تسلكها السفن الشراعية المستخدمة طريق رأس الرجاء الصالح فى رحلتها من بحر المانش متجهة إلى خليج الصوند - وهو خليج بجزر ملاكا وسومطره وجاوه فى إندونيسيا - كانت تستخدم أولاً الرياح الغربية التى تسيطر على منتصف الطريق فى شمال مدار السرطان ثم تتجه إلى الطريق الجنوبى الشرقى مستفيده من الرياح الشمالية الشرقية بشمال خط الإستواء أما فى جنوب خط الإستواء فتحت تأثير الرياح الجنوبية الشرقية كانت تدور غرباً مخترقة فى وسط الرياح المضادة للإعصار الواقع على مدى إتساع رأس الرجاء الصالح تحت تأثير الرياح المضادة للإعصار الواقع بين مدغشقر وأستراليا مستفيدة من الرياح الجنوبية المنتشرة فى هذه المنطقة لكى تصل إلى خليج الصوند .
أما طريق العودة فكان يتم بعبور الثلاث مناطق المضاده للإعصار من الجانب المواجه لطريق الذهاب .
أما بالنسبة للرحلات عن طريق البحر الأحمر فكانت السفن تستغل الرياح الصيفية لتوصلها إلى الهند . أما الرياح الشتوية فكانت تستخدمها تلك السفن للصعود إلى إفريقيا

(2) Paul Reymond, Histoire De La Navigation Dans Le Canal De Suez P.8

ومع ذلك فمنذ حكم لويس الرابع عشر كانت تصل باريس برقيات من الهند عن طريق قنصل فرنسا فى القاهرة .

وعن هذا الطريق أيضا وصلت إلى مارسيليا أنباء إنتصارات مندوب الملك التى حققتها إحدى السفن الفرنسية عند السويس . إلا أن هذه الوسيلة لم تدم طويلاً ولكنها كسابقتها لا يمكن نسيانها .

الطريق إلى القارة الهندية فى أوائل القرن التاسع عشر

كان الشكل التقليدى للملاحة للوصول للقارة الهندية يتم عبر طريق رأس الرجاء الصالح فيبدأ من بحر المانش وينتهى عند بومباى وذلك باستخدام السفن الشراعية فى طريق بحرى يقرب طوله من ١١٥٠٠ ميل وكانت مدة الرحلة لهذه السفن الشراعية لا تقل عن ثلاثة أشهر لإتمام الرحلة فى إتجاه واحد فقط .

وبعد النجاح الذى حققته السفينة SAVANNAH (وهى أول سفينة تجهز بآلة بخارية أوبمعنى آخر فهى سفينه أقرب الى السفن الشراعية تقوم باستخدام البخار كعامل مساعد) كان عبورها للمحيط الأطلنطى فى أول رحلة لها سنة ١٨١٩ .

لذلك اتجهت الآراء فى بريطانيا - سيدة البحار - سنة ١٨٢٢ إلى أن إستخدام السفن البخارية سوف يقلل من مدةهذه الرحلات الطويلة فى الطريق الموصل إلى الهند . لذلك تكونت لجنة فى لندن لدراسة إنشاء خط خدمة للسفن البخارية مع القارة الهندية عبر طريق رأس الرجاء الصالح وأرسلت هذه اللجنة الملازم JOHNSTON للتحقيق فى مدى منح حكومة الهند معونة ماليةِ لإنشاء مثل هذا الخط وخلال قيامه بمهمته مر بمصر فى طريقه للهند وبعد هذه الرحلة إقتنع بأهمية إنشاء خط يمر بالبحر الأحمر .

وفى العام التالى نجد أن حكومة الهند وعدت بتوفير إعانة قدرها عشرون ألف روبية (توازى ٢٠٠٠ جنيه إسترلينى تقريبا) تمنح لكل سفينة مجهزة بالبخار . وبناء على ذلك تم إعداد خط ملاحى قبل نهاية سنة ١٨٢٦ تعمل عليه سفن بخارية تخدم الطريق الموصل إلى القارة الهندية وحتم على أصحاب هذه السفن أن تتم الرحلة ذهاباً وإياباً مرة كل سنة على الأقل بسرعة تسمح بتسيير الرحلة فى كلا من الإتجاهين فى ٧٠ يوماً على الأقل. وكان من ضمن السفن التى بنيت لهذا الغرض السفينة ENTERPRISE والتى أقلعت عام ١٨٢٥ وقد تولى قيادتها الملازم JOHNSTON والتى فشلت محاولاتها فى قطع مسافة الخط بالسرعة المطلوبة فى مدى أقل من ٧٠ يوماً وعندما وصل إلى نهاية هذه الرحلة الفاشلة تحدث كثيراً عن المزايا التى يوفرها طريق البحر الأحمر وكان حديثه متبادلاً هذه المرة مع الملازم واجهون الذى قام بإرشاد سفينته من مضيق HOOGLY إلى مرفأ ، كلكتا ، وقد أصبح واجهورن فيما بعد من أنصار فكرة طريق البحر الأحمر وذلك من خلال طريق برى يمر بمصر. ومنذ ذلك التاريخ سار التقدم بخطى سريعة فنجد أن السفينتين ، SIRIUS GREAT WESTERN أثبتتا عام ١٨٣٨ أن البخار يمكن أن يوفر إمكانية رحلات طويلة دون اللجوء إلى الشراع ومع ذلك ظلت السفن التجارية تعتمد على القلاع .

وفى سنة ١٨٥٥ كان الأسطول التجارى الإنجليزى مكوناً من ٣٦٣٤٨ سفينة تمثل حمولة ٥١١٦٠٠٠ طن منها ١٨٤٨ سفينة تعمل بالبخار وحمولتها ٢٩٨١٢٦ طناً تمثل ٤ ٪ من عدد السفن ، ٦ ٪ من جملة الحمولة .

أما الأسطول الفرنسى فكانت السفن البخارية تمثل نسباً أضعف لا تتعدى ١,٥ ٪ من عدد سفن الأسطول أما حمولتها فكانت تمثل ٥ ٪ من جملة الأسطول وكانت غالبية السفن البخارية تبنى من الحديد واستغنى عن الخشب فى بنائها كما تم التطوير فيها فاستبدلت أجنحة الدواليب (فى شكل الساقية) المركبة على جانبى السفينة بالرفاصات .

ووصلت حمولة السفن ذات الرفاصات والمتجهة إلى إستراليا والتى يمتلكها السادة HENDERSON وشركاه تتراوح بين ٢٢٠٠ إلى ٢٥٠٠ طناً سنة ١٨٥٧ وبقوة من ٥٠٠ إلى ٥٣٠ حصاناً وبسرعة متوسطة ١٠,٥ عقدة وكانت أهم سفن أسطولهم السفينة AUS-TRALIAN وحمولتها ٢٧٦١ طناً وقوة آلاتها ٧٠٠ حصاناً وأبعادها ١٠٠متر طولاً ، ١٢,٨ متر عرضاً .

وفى نفس الحقبة كانت سفن الخط الإنجليزى المشهور P&O تصل الحمولة المتوسطة لأسطولها ١٣٠٠ طن وقوة آلاتها ٢٩٢ حصاناً أما أكبر سفن هذا الأسطول فهى السفينة SIMLA ذات حمولة ٢٤٥٠ طناً بقوة ٦٠٠ حصان وأبعادها ١٠٠ متر طولاً ، ١١,٥ عرضاً بغاطس ٦,٧ مترا .

وفى عام ١٨٥٦ بنت شركة CUNARD LINE السفينة البخارية PERSIA بحمولة ٣٣٠٠ طن وقوة ٩٠٠ حصان بأبعاد

١١٤.٩ متر طولاً ، ١٣.٧٧ متر عرضاً.

ومما يجدر الإشارة به أنه يجب تقديم توضيح للقارئ لنبين الفرق بين السفن الشراعية والسفن البخارية فالأخيرة يزدحم سطحها بوجود أعمدة طنابير الدواليب (كالسواقى) وهى المحركة للسفينة . لذلك أتجهت النية سنة ١٨٥٩ لبناء السفينة ESTRAMADURE وهى سفينة بخارية ذات دولاب أضيف إليها ٧ أمتار لإحتوائها الإزدحام الناتج من تواجد أعمدة الطنابير فوصل عرض سطحها إلى ١٨.٦٠ متراً أما طولها فيبلغ ٩٦.٥ متراً وحمولتها ٢١٣٢ طناً وقوة آلاتها ٥٠٠ حصان .

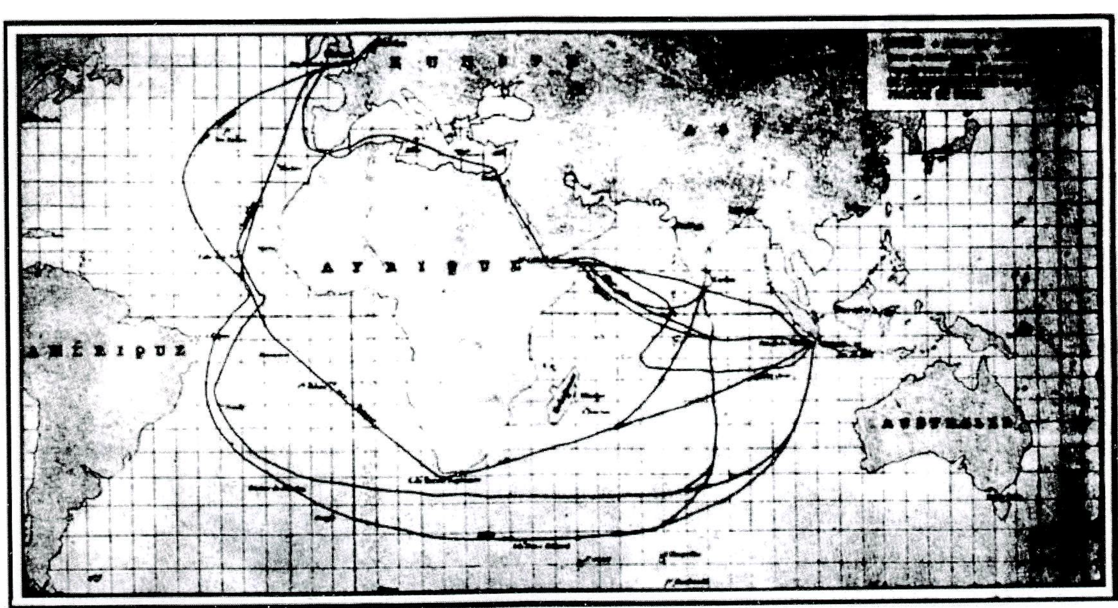
وإجمالاً فإن إستبدال الشراع وإحلاله بالبخار برغم البطء الذى صاحبه كان أمراً لا يمكن تفاديه حيث ظهرت الضرورة إليه تمشياً مع التطور .

وقد استبدلت البحرية الحربية الإنجليزية سفنها الشراعية وأصبحت جميع سفنها تعمل بالبخار واستتبع ذلك أن لحقت بها الدول الأخرى .

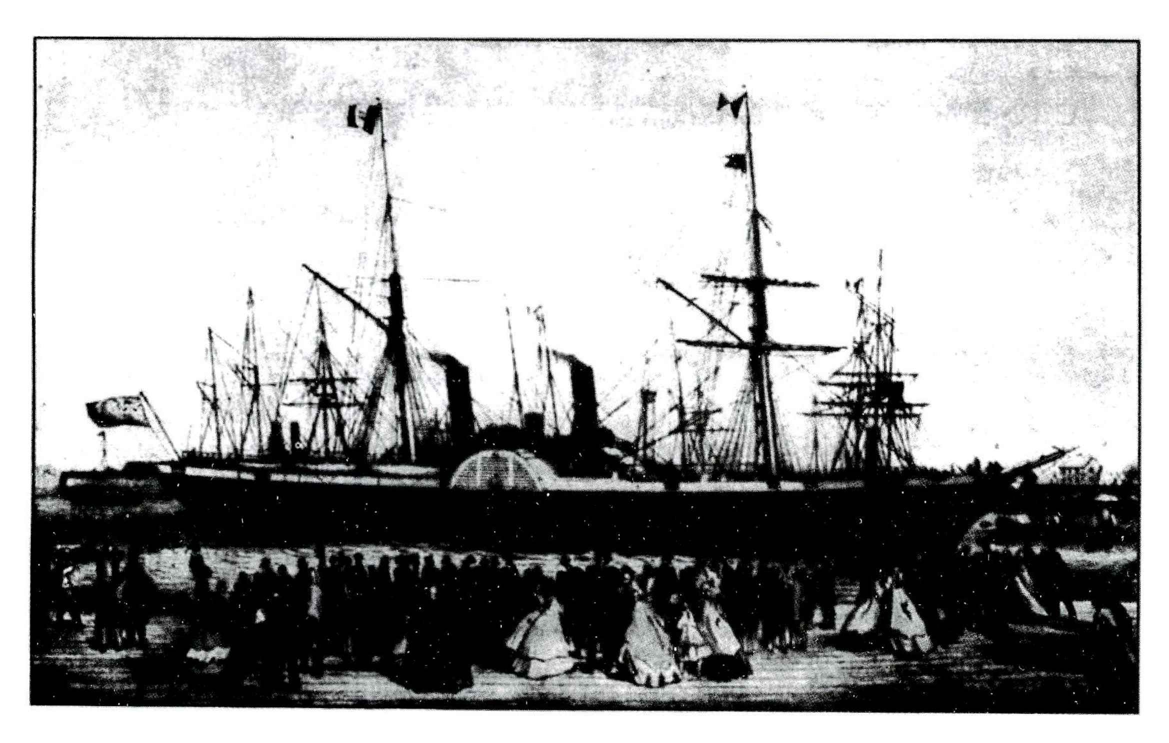
وسرعان ما اتجهت البحرية التجارية إلى إستبدال سفنها الشراعية بأخرى تعمل بالبخار وإن تم ذلك ببطء .

وفى تلك الآونة كانت هناك آراء اقتصادية تنادى بأن السفن البخارية فى رحلتها عبر طريق رأس الرجاء الصالح تمثل عبئاً مالياً كبيراً على أصحابها لأن الدوران حول طريق رأس الرجاء الصالح لم تكن فيه أماكن يخزن فيها الفحم تمكن السفن بأن تتزود به خلال رحلتها وبالتالى كانت السفن تضطر إلى التزود به فقط عند إقلاعها مما كان يسبب لها مواجهة صعوبة نقل البضائع على ظهورها فالمكان الذى كان يحتله الفحم كان يجب أن يخصص للبضائع .

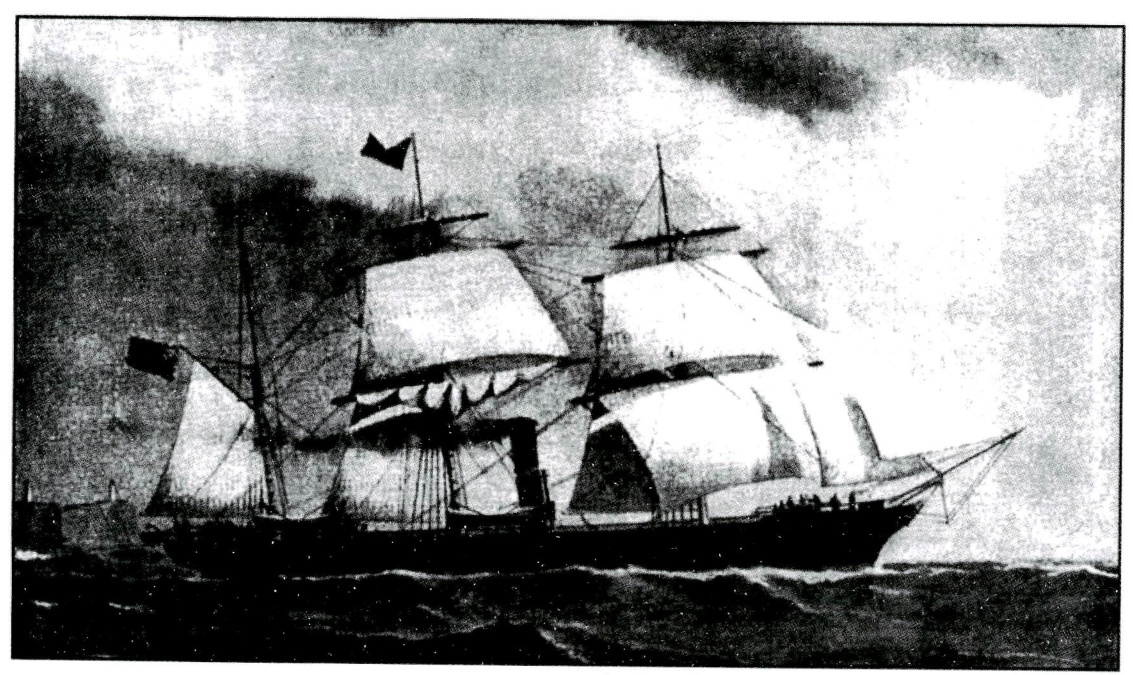
وهذا الوضع عجل بضرورة تنفيذ مشروع لشق قناة تربط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ليس فقط لتقصير المسافة بل وأيضا يتخلل هذا الطريق أماكن لمخازن الفحم انتشرت فى الموانئ التى تمر عليها السفن فى جبل طارق ومالطة وبورسعيد والسويس وعدن مما أثر ذلك فى إقتصاديات النقل .



مسار السفن الشراعية حول طريق رأس الرجاء الصالح



السفينة ريبون التي تسير بالاجنحة ، **السواقي** ،



السفينة شوزان أول سفينة تسير بالرفاص

الباب الرابع
الأفكار والمشروعات الخاصة بوصل البحرين

الفصل الأول
فرنسا وفكرة وصل البحرين

أراد الفينيقيون أن يقطعوا على البرتغاليين سيطرتهم على الطريق الذى يربط أوروبا بالهند فتقدموا لأحد سلاطين المماليك بالقاهرة بإعادة تطهير القناة التى كان قد أنشأها الخلفاء ولم تعدو هذه الخطوة إلا أن تكون فكرة فى شكل إقتراح .

أما من جانب الأترك الذين كانوا يبسطون أيديهم على مصر فيسجل لهم التاريخ محاولة واحدة لم تتم عندما تقدم قائد الأسطول التركى EL EUDJ ALI BACHA للسلطان التركى سنة ١٥٥٦ باقتراح يهدف إلى إنشاء قناة متفرعة من النيل إلى البحر الأحمر .

وقد أثارت فكرة ربط البحرين التنافس البحرى والتجارى والسياسى بين الدول الأوربية وكان على رأسها فرنسا وإنجلترا .

فبالنسبة لفرنسا خلال القرن السابع عشر كانت تستشعر الخطر من جراء تنفيذ فكرة شق طريق مائى يربط بين البحرين كما أن تنفيذ تلك الفكرة كان من رأيهم أن يتم على خطوات ... ففى البداية كان الفرنسيون يطالبون ببعض الضمانات والتسهيلات لعبور خليج السويس بالطريق البرى . لأن فكرة حفر قناةعبر الخليج فى تلك الآونة لم تكن أمراً تستدعيه الظروف السارية فى ذلك الوقت وكان على فرنسا أن تؤجل تنفيذ هذه الفكرة للمستقبل .

وخلال فترة حكم الوزير الكردينال DE RICHELIEU وبالرجوع إلى مذكراته تبين أنه أوصى بضرورة تنفيذ فكرة وصل البحرين .

وبمرور الأيام قام COLBERT وإبنه SEIGNELAY بإحياء فكرة المشروع وفتح ميناء السويس للتجارة الفرنسية بطريق يبدأ من الإسكندرية ماراً بالقاهرة وتمت بهذا الشأن مفاوضات بالقسطنطينية قام بها على التوالى NOINTEL, GIRARDIN, LA HAYE -VAINTELET مقترحين على لويس الرابع عشر غزو مصر وفتحها وقاموا بتضخيم المزايا التى ستجنيها فرنسا من سيطرتها على مصر وأهم هذه المزايا سيطرة فرنسا على بحار الهند والصين .

ونرى JACQUES SAVARY فى كتاب التاجر الكامل ومن بعده BENOIT DE MAILLET فى مذكراته التى إستغلها بعد موته الأب LE MASCRIER يشيدون بالميزات التى يحققها طريق السويس والبحر الأحمر مع تذكيرهم بأهمية القنوات السابق شقها لإيصال البحرين .

وفى عهد لويس الخامس عشر أطلق ARGENSON خياله بإثارة هذا الموضوع وفى عهد لويس السادس عشر إختمرت فكرة غزو مصر التى كان من أهم أهدافها السيطرة على الطريق المؤدى للهند عبر مصر ... وقد قامت مجموعة بدراسة هذا الموضوع وقدموا للويس السادس عشر عدة مذكرات وكان على رأس هؤلاء DE SAINT - DIDER, DE LA LAUNE, DU BARON DE TOTT, DU CONSUL MURE .

وفى عام ١٧٨٥ أجرت الحكومة الفرنسية عدة مفاوضات للحصول على تصريح باستخدام طريق السويس وتأمين مصالحها التجارية مع الهند وانتهت تلك المفاوضات بإبرام معاهدة فى القاهرة قام بالتوقيع عليها مراد بك وإبراهيم بك ومسيو TRUGUET الموفد خصيصاً لتلك المهمة من قبل سفير فرنسا بالقسطنطينية المسيو CHOISEUL - GOUFFIER والذى أشاد بالجهود التى بذلها المسيو CHARLES- MAGALLON وهو أحد الفرنسيين المقيمين بالقاهرة الذى كان له الفضل فى نجاح هذه المعاهدة والتى كانت ميزاتها مثار تأييد ومعارضة داخل فرنسا فنجد أن وزير البحرية الفرنسية CASTRIES على رأس مؤيدى تلك المعاهدة أما المعارضين فكان على رأسهم وزير الشئون الخارجية والمراقب المالى العام VEGENNES, CALONNE ، وبعد قيام الثورة الفرنسية كثرت مطالب التجار الفرنسيين بالقاهرة وعلى رأسهم CHARLES MAGALLON بضرورة أن يحتل الجيش الفرنسى مصر برغم ما منحته مصر من تسهيلات تسهل عملية الإتصال بالهند وخدمة المراسلات معها نظراً لتغلغل النفوذ الإنجليزى فى المنطقة

منذ أن وقعت إنجلترا سنة ١٨٧٥ معاهدة مشابهة للمعاهدة الفرنسية بناء على طلب المستر WARREN HASTINGS وقع عليها حاكم القاهرة فى ذلك الوقت محمد بك أبوالدهب .

وبدأت فكرة حفر قناة تربط البحرين تختمر فى الفكر الفرنسى وبالأخص مجلس المديرين الذى أنشأته الثورة الفرنسية للتخطيط لغزو مصر بما عرف بالحملة الفرنسية على مصر.

الفصل الثانى

الحملة الفرنسية على مصر
والدراسات التى أمر بها نابليون لوصل البحرين

كلفت حكومة فرنسا أو ما كان يعرف بالديركتوار [١] DIRECTOIRE الجنرال بونابرت [٢] بغزو مصر بغرض قطع الطريق على إنجلترا والذى يسهل لفرنسا تجارتها مع الهند . بل والعمل على محاربتها فى الهند وطردها منها كذا كسر شوكة المماليك لسيطرتهم على مصر .

فقاد نابليون أسطول الحملة من ميناء طولون على ظهر سفينة القيادة (أورينت) التى تحمل على ظهرها ١٢٠ مدفعاً وتحمل كنوزاً من الذهب كان قد استولى عليها من جزيرة مالطا بعد أن دفعها إليه ملوك صقليه كفدية كما كانت تحمل كمية كبيرة من العملة عبارة عن مرتبات جنود الحملة بالإضافة إلى خطة نابليون غزو مصر والشام حيث وقف بإسطوله فى ميناء الإسكندرية أمام منطقة العجمى الحالية فى أول يوليو سنة ١٧٩٨ وقام بإنزال الجنود والجياد والعربات التى تجرها الجياد بما تحمله من أسلحة وذخيرة ومعدات ومطابع منها مطبعة للغة العربية تعتبر أول مطبعة فى تاريخ الطباعة العربية كما أنزل معدات البعثة العلمية المرافقة للحملة ثم ارتجل نابليون بقواته الطريق البرى حتى وصل إلى منطقة عامود السوارى حيث أصدر أوامره بالهجوم على الإسكندرية وأصدر أوامره لإسطوله بالتوجه إلى خليج أبى قير بما فيه سفينة الأورينت إلا أن الأسطول الإنجليزى بقيادة نلسون تمكن من محاصرة الأسطول الفرنسى وأغرقه فى خليج أبى قير [٣] .

اصطحب نابليون معه صفوة من العلماء والخبراء والمهندسين والرسامين والمصورين وغيرهم من أعضاء المجمع العلمى (لجنة العلوم والفنون) .

وبعد أن هزم نابليون المماليك بقيادة مراد بك ودخوله القاهرة ظافراً أنشأ المعهد العلمى المصرى فى ٢٠ أغسطس ١٨٩٨ على غرار المجمع الوطنى بباريس وبطبيعة الحال لم يضم إليه جميع أعضاء (لجنة العلوم والفنون) بل ضم إليه الصفوة الممتازة من أعضاء تلك اللجنة التى صاحبت الحملة وقاربت من ١٧٥ عالماً فى شتى فروع العلم والحياةوعين مونج رئيساً للمجمع العلمى المصرى بينما كان نابليون نائباً للرئيس وتكون من أربعة أقسام :

١) قسم الإقتصاد السياسى ويضم : الجنرال وعالم الإجتماع كافريللى وعالمى الدبلوماسيات بوسيلج وتاليان .

٢) قسم الرياضيات ويضم : مونج (الرئيس) وجيرار وفوربيه وكوستاز.

٣) قسم الطبيعيات ويضم : بيرتوليه وكونتيه وديبييت وجوفروا إيلير .

٤)قسم الآداب والفنون ويضم : ڤيڤيان دينون ودوترتر ودى دتيه والمستشرق فنتور .

وقد أختير للجميع مقر مناسب حين إكتشف مونج وبرتوليه وكافاريلى على مقربة من مسجد السيدة زينب عدداً من القصور ذات الحدائق الغناء لأمراء المماليك الفارين إلى الصعيد مع مراد بك بعد هزيمتهم فى معركة الأهرام مثل قصر حسن باشا كاشف وإبراهيم بك السنارى وقاسم بك وفى القصر الأول تم إعداد معامل الفزياء والكمياء والمكتبة [٤] وكان أول متحف ينشأ فى مصر ليضم آثارها والتى من

(١) مجلس ادارة حكومة المديرين الذى أنشأته الثورة الفرنسية ليضم المديرين تفادياً للنزاعات التى قامت بين أبطال الثورة الفرنسية الأصليين .
(٢) نابليون الأول امبراطور فرنسا فيما بعد .
(٣) غرق مع سفينةالقيادة ، الاورينت ، ثلاث سفن هى ،لارتميز، و ، لوجرييه ، و ،لاسربيز ، .
(٤) افتتح علماء الحمله الفرنسية تلك المكتبه لابناء الشعب المصرى كنوع من التقرب منهم وقد أذهلت الشعب المصرى الكتب المصوره فلم يكونوا يألفون مثلها كذا الكتب المطبوعة بالمطابع حيث كان النظام فى مصر بالنسبة للكتب يعتمد على المخطوطات وكان عبد الرحمن الجبرتى من الذين ترددوا على تلك المكتبة واعجب بها وقام بوصفها .

ضمنها توابيت الموميات وحجر رشيد قبل أن يفك رموزه شامبليون . ومن الجدير بالذكر أن الذى اكتشف هذا الحجر بوشار أحد ضباط الحملة وضم قاعة كبيرة لاجتماعات أعضاء المجمع من بينهم بونابرت بالإضافة إلى عدة قاعات صغرى لاجتماع لجان (أقسام) المجمع العلمى المصرى وكان أول إجتماع لهذا المجمع فى ٢٣ أغسطس ١٧٩٨ .

أما بيت إبراهيم بك كتخدا السنارى فقد أعد فيه علماء الحملة الفرنسية كتاب وصف مصر [١] وقد حول هذا البيت إلى «متحف بونابرت» .

رحلة نابليون لبرزخ السويس

فى يوم ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ غادر نابليون القاهرة فى فوج كبير يتألف من كبار العسكريين البريين والبحريين والعلماء والمصورين وغيرهم من أعضاء المجمع العلمى متجهين إلى السويس يرافقهم ثلاثة من كبار التجار لإرشادهم للطريق إلى المنطقه . وكان أشهر من إصطحبهم نابليون من العلماء :

- مونج MONGE كبير علماء الحملة الفرنسية ورئيس المجمع العلمى .
- جاك مارى لوبير JACQUES -MARIE LE PERE مدير مصلحة الطرق والكبارى بباريس.
- الجنرال برتييه BERTHIEN رئيس أركان حرب الحملة الفرنسية .
- الجنرال كافاريللى CAFFARELLI قائد سلاح المهندسين فى الحملة .
- الجنرال دومارتين DOMMARTIN قائد سلاح المدفعية فى الحملة .
- الأميرال جانتوم GANTEOME قومندان البحرية الفرنسية .

واصطحب نابليون عدداً كبيراً من قواته (فرسان ومشاه) ومعهم أحدث المعدات العلمية فى ذلك الوقت .

وذكر الجبرتى تلك المسيرة إلى السويس فى كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ...

فى يوم الاثنين سادس عشر من شهر رجب ١٢١٣ (٢٤ ديسمبر ١٧٩٨)ذاكراً الآتى :

« سافر سارى عسكر بونابارته إلى السويس وأخذ بصحبته السيد أحمد المحروقى وإبراهيم أفندى كاتب البهار وجرجس الجوهرى والطون أبوطاقية وغيرهم وأخذ معه أيضاً بعض المدربين والمهندسين والمصورين وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختوان وعدة جمال لحمل الذخيره والماء والقومانية » .

وعند غروب يوم ٢٦ ديسمبر وصل الركب من الفرسان والمشاة والعلماء إلى مدينة السويس وارتاد بونابرت منطقة السويس وجاب نواحى شبه جزيرة سيناء وزار منطقة عيون موسى وهى آبار إرتوازية ذات تركيب طبيعى وتقع على مسافة ١٦ كيلو متر من الجنوب الشرقى للسويس وفضل فريق العلماء التوجه إليها عبر الصحراء أما نابليون وفرقته من الضباط والجنود فاختاروا طريق البحر حيث كان البحر منخفضاً وفى حالة جزر ولم تمض مدة حتى ارتفعت مياه المد فجأة فكادوا يهلكون فى البحر الأحمر .

وفى ٣٠ ديسمبر ١٧٩٨ اكتشفت هذه البعثة آثار ترعة « أمير المؤمنين » القديمة فى شمال السويس وكان قد مضى على ردمها حوالى عشرة قرون ولكنها كانت واضحه الأثر بطول عشرة كيلو مترات تقريباً .

---

(١) كتاب وصف مصر عبارة عن دائرة معارف «أنسيكلوبيديا» عن مصر طبع مرتين الأولى واستغرق العمل فيها من ١٨٠٩ إلى ١٨٢٢ وقد ظهر المجلد الأول منها عام ١٨٠٩ وكتب على غلافه وعلى غلاف المجلد الثانى أنه طبع بأمر صاحب الجلالة الإمبراطور نابليون الأكبر أما المجلدات التسعة فظهرت بعد سقوط نابليون لذا كتب على غلافها بأنها طبعت بأمر من الحكومة وهذه المجلدات التسعة موزعه كالآتي : مجلدان لدراسة التاريخ الطبيعى لمصر (طيور نبات حشرات أسماك حيوانات ....الخ) .
أربعة مجلدات لدراسة العصور القديمة إثنان منها للدراسات الإجتماعية والآخران لوصف آثار مصر فى العصور القديمة .
ثلاثة مجلدات لدراسة الدولة الحديثة لمصر منذ الفتح الإسلامى حتى مجئ الحملة الفرنسية كذا معالجة العصر العثمانى أما الطبعة الثانيه فقد صدرت فى ٢٦ مجلدا بالإضافة إلى ١١ مجلداً للوحات وأطلس جغرافى وهى نفس المجلدات التى صدرت مع الطبعة الأولى . وبيانها كالآتى : ٥ مجلدات للوحات العصور القديمة ومجلدان فى ثلاثة أجزاء للتاريخ الطبيعى ومجلدان للحالة الحديثة لمصر بالإضافة إلى مجلد واحد يشمل مقدمة لفوربيه على شرح اللوحات ثم أطلس جغرافى يشمل على خرائط مفصله لمدن وأقاليم مصر .
ومن الجدير بالذكر أن محتويات المجلدات الـ ٢٦ هى نفسها محتويات المجلدات الـ ٩ فى الطبعة الأولى .

وقام لوبير ومساعدوه[1] بمسح المنطقة الخاصة بترعة أمير المؤمنين والمنطقه المحيطة بالسويس وقارب هذا العمل الأسبوع كما قاموا بعملية قياس إرتفاعات خليج السويس والأراضى المحيطة به وكان هذا العمل يعد عملاً تمهيدياً للدراسة التى أعدوا لها تقريراً نهائياً فيما بعد عن عملية تخطيط القناة التى تربط بين البحرين .

أما نابليون وبعض رفاقه فعادوا إلى القاهرة تاركين لوبير ولجنته لتكملة دراستهم لمنطقة برزخ السويس والقيام بأعمال المساحة لإعداد المشروع المنتظر .

وقد وصف لنا عبد الرحمن الجبرتى وصول تلك المسيرة للسويس وما قامت به من وقائع ذاكراً :

، فى يوم الثلاثاء٢٤ من شهر رجب (أول يناير ١٧٩٩)

،حضر السيد المحروقى وكاتب البهار من السويس وكان سارى العسكر (نابليون) ذهب إلى ناحية بلبيس فاستأذنوه فى ذهابهم إلى مصر فأذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكرياً ليوصلوهم إلى مصر فلما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجئ الفرنساويه هربوا وأخلوا البلدة فذهبوا إلى الطور وذهب البعض إلى العرب بالبادية فنهب الفرنسيس ماوجدوه بالبندر من اللبن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك وهدموا الدور وكسروا الأخشاب وخوابى المياه فلما حضر كبيرهم وكان متأخراً عنهم فكلمه التجار المرافقون له وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح فاسترد من العسكر بعض الذى أخذوه ووعد باسترجاع الباقى أو دفع ثمنه بمصر وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات ثم أنه وجد مركبان حضرا قرب السويس بهما بن ومتاجر فغرقت إحداها فنزلت طائفة من الفرنسيس فى مراكب صغار وذهبوا إليها فى الغاطس وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال ، وفى مدة إقامته بالسويس صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ليلاً ونهاراً كان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاث طيور دجاج محمرة ملفوفة فى ورق وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولا خيمة وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق فى عنقه ،.

وبعد ذلك بدأ لوبير أبحاثه فى ١٦ يناير ١٧٩٩ فزار ولجنته مدينة السويس والمناطق التى حولها ثم غادروها لارتياد المنطقة التى فى شمالها حتى وصلوا إلى البحيرات المرة .

وفى ٢٩ سبتمبر ١٧٩٩ قام لوبير ولجنته برحلة ثانية إلى بلبيس لقياس سطح البرزخ إبتداء من قرية العباسه واتجهوا شرقاً إلى البحيرات المرة ثم تابعوا رحلتهم إلى السويس .

وفى ١٤ نوفمبر قاموا برحلتهم الثالثة فاتجهوا شمالاً إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط حيث إرتادوا منطقة بيلوز وجالوا فى أطلالها .

وفى٦ ديسمبر ١٨٠٠ قدم لوبير تقريره إلى نابليون بونابرت الذى كان فى هذا الوقت موجوداً فى باريس بوظيفته المعروفة باسم القنصل الأول وجعل لوبير عنوان تقريره ، مذكرة عن إيصال بحر الهند بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق البحر الأحمر وبرزخ السويس ، .

مشـــروع لوبيـــر

إشتمل تقرير لوبير على حلين

الحل الأول : وهو لخدمة تجارة مصر

تحفر ترعة بقطاع صغير لربط مدينة الإسكندرية بمدينة السويس وتمر هذه الترعة عبر وسط الدلتا وتغذى من مياه النيل ويتم تنفيذ هذا الحل على ثلاث أجزاء :

الجزء الأول : عبارة عن إعادة حفر ترعة الملوك القديمة والتى كانت آثارها لم تزل موجودة بالصحراء والتى تمتد من السويس إلى بحيرة التمساح ثم تتجه غرباً مخترقة وادى الطميلات وتمر بتل بسطة وتتصل بالنيل عند مدينة بنها فى بداية فرع دمياط .

الجزء الثانــى : عبارة عن تهذيب النهر وحفر ترع تصل بين فرعى دمياط ورشيد .

الجزء الثالث : عبارة عن إعادة حفر ترعة الإسكندرية القديمة فى خط يكاد يكون خط ترعة المحمودية الحالية (هذا الجزءمن الإقتراح قام بتنفيذه محمد على فيما بعد) .

(١) تعرض لوبير ولجنته أثناء قيامهم بدراسة منطقة برزخ السويس لشتى أنواع المصاعب وأهمها نقص ماء الشرب وقلة المؤونة ونقص الأجهزه العلمية وهجوم الأعراب فى الصحراء وعدم إخلاص الأدلاء الذين إستعانت بهم اللجنة إذ كانوا يضللون أعضاءها يضاف إلى ذلك قسوة العمل فى الصحراء وبعد المسافات ونقص وسائل النقل ومظاهرات السكان وثورتهم ضدهم مما أثر كل ذلك على دقة المعلومات التى رصدتها .

وقدر لوبير نفقات تنفيذ هذا الحل بمبلغ ٣٠ مليون فرنك أما المدة الزمنية لتنفيذ هذا الحل خمس سنوات .

وقرر بأن مجرى ترعة الملوك القديمة لم يزل ظاهراً على الطبيعة والمبين فى الجزء الأول مع إنشاء أربعة أهوسة بعرض وطول كان لاستقبال أكبر البواخر المسافرة بين البحر الأبيض والبحر الأحمر .

الحل الثانى : وهو لخدمة التجارة العالمية [١]

تحفر ترعة ملاحية بقطاع كبير وتبتدئ من مدينة السويس على البحر الأحمر وتنتهى فى خليج بيلوز عند الموقع الذى كانت به ميناء بيلوز القديمة على البحر الأبيض المتوسط .

وقد احتاط فى الحل الثانى نظراً لوقوعه فى خطأ كبير (خطأ فى علم المساحة DEODESIQUE) حين قرر أن مستوى البحر الأحمر يزيد إرتفاعاً عن مستوى سطح البحر الأبيض بمقدار ٩,٩١٨ متراً من تقريره فقال أنه لايقدمه كمشروع للتنفيذ ولكن يترك تنفيذه للزمن وللوسائل المكانيكية التى يمكن للعلم إكتشافها فيما بعد وكان من نتيجة هذا الخطأ الذى وقع فيه لوبير أن ظلت الأفكار والمشاريع التالية لمدة ستين عاماً بعده متجهه إلى ربط النيل بخليج السويس وأهملت فكرة ربط البحرين .

إلا أنه إنصافاً للحقيقة قد ساعدت مذكرات لوبير والتى نشرها فى كتاب وصف مصر كل من أتى بعده وقاموا بدراسة منطقة برزخ السويس والتى انتهت بحفر قناة السويس بمعرفة فرديناند دى ليسبس .

الفصل الثالث

توماس واجهورن وطريق THE OVERLAND ROUTE

فى أوائل القرن التاسع عشر أرادت إنجلترا إحياء طريق المواصلات المصرى القديم بدلاً من الدوران عبر رأس الرجاء الصالح . وذلك لسهولة الوصول إلى الهند التى تسيطر عليها وفتحها أسواق جديدة مع الصين . وفى سنة ١٨٢٣ تقدمت حكومة بومباى بطلب للباب العالى لإنشاء خط منتظم للملاحة التجارية بين الهند والسويس إلا أن تركيا رفضت هذا الطلب والتى رفضته للمرة الثانية سنة ١٨٢٦ . إلا أن محمد على رأى فى هذا المشروع نفع له ولمصر وللبشرية فضرب عرض الحائط بقرار الباب العالى وسمح بوصول أولى سفن شركة الهند الشرقية ، هوج ليندسيه ،HUGH LINDSAY إلى السويس فى ٢٢ أبريل سنة ١٨٢٩ حيث استغرقت رحلتها ٣٢ يوماً واعتبر ذلك إنتصاراً وفتحاً للملاحة التجارية فى البحر الأحمر وكانت حمولتها ٤١١ طناً وسرعتها ٨٠ حصاناً .

وقد شجع هذا النجاح الضابط البريطانى توماس واجهورن THOMAS WAGHORN الذى يعمل مرشداً بالبحرية البريطانية فى الهند والذى أنكب على دراسة مشروع إقامة طريق برى بين الإسكندرية والهند عن طريق القاهرة السويس عرف بطريق الأوفرلاندروت [٢] على أخذ أجازة طويلة من عمله للتفرغ إلى مشروعه والسفر إلى إنجلترا لإقناع مديرى شركة الهند الشرقية إلى تجهيز مشروعه . وخلال عرض واجهورن مشروعه استطاعت شركة إنجليزية أن تحظى باتفاق على نقل الركاب بين القاهرة والسويس فى عربات تجرها الخيول STAGE COACHES - وقد عرفت تلك الشركه باسم RAVEN, HILL & CO. وعن طريق تلك العربات تقوم بنقل المسافرين فى جزء من العربات والبعض الآخر ينقل الأمتعة وشيدت بالقاهرة فندقاً لنزول المسافرين وآخر فى السويس كما أقامت خمسة منازل فى الصحراء أحدها كبير وسط الطريق به فندق ومحلات للخدمات واسطبل للخيول وكانت تتقاضى ستة جنيهات عن كل مسافر فى الرحلة عبر الصحراء ولم تستمر تلك الشركة طويلاً لمحاربة واجهورن لها فقد حرص أصحاب الخيول والبغال على عدم بيعها أو تأجيرها لهذه الشركة . وفى النهاية انتصر واجهورن على الشركة المنافسة بعد أن نجح أمام اللورد ايلينبوروج LORD ELLENBOROUGH

---

(١) فضل لوبير الحل الثانى لأن الحل الأول تكتنفه العقبات التالية :
أ- تعرض الملاحة فى القناة التى تمر عبر النيل للعقبات المترتبة على إرتفاع مياه فيضان النيل وإنخفاضه .
ب- عمق القناة الداخلية لن يكون كافياً لمرور أكبر السفن .

(٢) معناه الطريق البرى .

مدير شركة الهند [1] فى توصيل البريد من لندن إلى بومباى فى ٧٣ يوماً عن طريق السويس وتلك مدة قصيرة بالنسبة لو تمت عبر رأس الرجاء الصالح وكان الطريق الذى خطط لتلك الرحلة أن يكون من مارسيليا أو من إحدى الموانئ الإيطالية (تريستا أو جنوا أو ليفرون) ثم عبور البحر الأبيض المتوسط إلى الإسكندرية منها إلى القاهرة عبر ترعة قنال المحمودية ثم بالنيل بواسطة الزوارق الوطنية ومن القاهرة إلى السويس مستخدماً الخيل أو الجمال عبر الصحراء وأخيراً من السويس مستخدماً البحر الأحمر بواسطة السفن الوطنية حتى جدة أوالقصير ومن هناك بواسطة السفن البخارية مستخدماً الخط الذى لم يكن منتظماً حتى ذلك التاريخ والذى كانت تستخدمه شركة الهند الشرقية إبتداء من سنة ١٨٢٩ بين السويس وبومباى . وبرغم وسائل النقل التى لم تكن على مستوى كامل حتى ذلك الوقت ، فقد وجدنا أن خطاباً مرسلاً من إنجلترا كان يحتاج إلى ما يقرب إلى ٥٠ يوماً للوصول إلى بومباى .

وفى عام ١٨٣٧ فإن خط خدمة البريد من الهند المار بمصر بلغ أوج مجده فكان يمثله فى لندن توكيل مكلف بنقل الرسائل البريدية إلى الشرق الأقصى .

كما باشر واجهورن أيضاً عملية نقل الركاب القادمين من الجنوب والذين عادة كانوا ينزلون فى القصير لأن المسافة البحرية ذات ٢٥٠ ميلاً بين القصير والسويس كانت تقطع بواسطة المراكب الصغيرة المصرية وكانت تحتاج أحياناً إلى أسابيع وتستمر الرحلة من القصير براً إلى الأقصر ثم يتجه الركاب إلى الإسكندرية على ظهر السفن عبر النيل وكان ما يثير الإشمئزاز خلال تلك الرحلة هو أن تلك السفن النيلية كانت تمتلئ بالقمل والبراغيث فكان واجهورن يتغلب على ذلك بغمر تلك السفن بالمياه لقتل تلك الحشرات .

ويمكننا أن نتخيل الجهود الشاقة والمضنية التى بذلها واجهورن [2] والذى كاد أن يموت بسببها فقراً فى عام ١٨٥٠ وتلك الجهود تتمثل فى ثلاث عمليات إنتقال من سفينة لأخرى ما بين الإسكندرية والسويس يضاف إلى تكلفتها المرتفعة إذ أن المسافة من القاهرة إلى السويس كان عليه أن يلجأ لنظام القوافل بما لا يقل عن ٣٠٠٠ جمل لنقل الشحنات (بريد ، ركاب ، بضائع) لتنقلها بعد إعادة شحنها سفينة بخارية فعملية النقل من إنجلترا إلى الهند كانت تتطلب ٣١ يوماً تقريباً .

وقد قسم واجهورن الطريق الصحراوى (الأوڤرلاندروت) إلى سبع محطات المحطة رقم ١ على بعد ٩ أميال من القاهرة والمحطة رقم ٢ على بعد ٢٠ ميلاً من المحطة الأولى وبها غرفتان للنوم واحدة للنساء وأخرى للرجال وغرفتان للخدم .
المحطة رقم ٣ على بعد ٣٠ ميلاً بها إستراحة للركاب وحظيرة للخيول، المحطة رقم ٤ على بعد ٤١ ميلاً بها ردهة كبيرة وقاعة للسيدات وغرفة للخدم وعدد وافر من غرف النوم الرحبة وخزان مياه واسطبلات ومخزن للمؤن، والمحطة رقم ٥ على بعد ٣٠ ميلاً من السويس وبها إستراحة للركاب وحظيرة للخيول والمحطة رقم ٦ على بعد ٢٠ ميلاً من السويس بها غرفتان للراحة وأخرتان خاصتان وخامسة للخدم . والمحطة رقم ٧ على بعد ٧ أميال من السويس وبها إستراحة للركاب وحظيرة للخيول ووضعت هذه الإستراحات تحت إشراف مستر شبرد لإدارتها .

وأرسلت مصلحة البريد البريطانية أول شحنة من رسائلها فى ٢ مارس سنة ١٨٥٣ عن طريق الأڤرلاندروت فكان هذا العمل بمثابة إعتراف رسمى بالمشروع المقدم من واجهورن حيث تقاضى خمسة شلنات مقابل كل رسالة . وكان البريد ينقل فى بادئ الأمر على أسطول الأميرالية البريطانية من مالطة إلى الإسكندرية ثم ينقل منها إلى رشيد حيث يسلم إلى وكلاء مخصوصين كانوا تحت رقابة الوالى مباشرة ثم ينقل عبر النيل إلى بولاق ومنها يجتاز الصحراء إلى السويس ويسلم إلى البحرية الهندية بإيصلات رسمية . وكانت قافلة الصحراء تصل فى بعض الأحيان إلى مائة جمل وتحمل عادة ألفى صندوق وخمسمائة حقيبة بريد وألف طرد بضاعة عدا صرر الفضة والنقد .

تطور مشروع واجهورن فعمل على تأسيس شركة سياحية ، شركة واجهورن للنقل والسياحة ، وقد أعلن عن شركته فى الصحف الإنجليزية عززها بنصائح السفر بالطريق البرى كما ألف كتاباً سماه ،نصائح للرحالة بالطريق البرى ، عززه بمعلومات طريفة عن القاهرة والإسكندرية ورشيد ووضع تسعيرة لخدماته منها مثلاً تكلفة نقل الراكب من الإسكندرية إلى السويس ١٣ جنيه إنجليزى بما فيها المبيت والمأكل . بل وأعلن أن تكلفة الرحلة من ساوثمبتون إلى كلكتا عن طريق السويس تتكلف ١٤٣ جنيهاً إنجليزياً للرجل و ١٥٣ جنيهاً

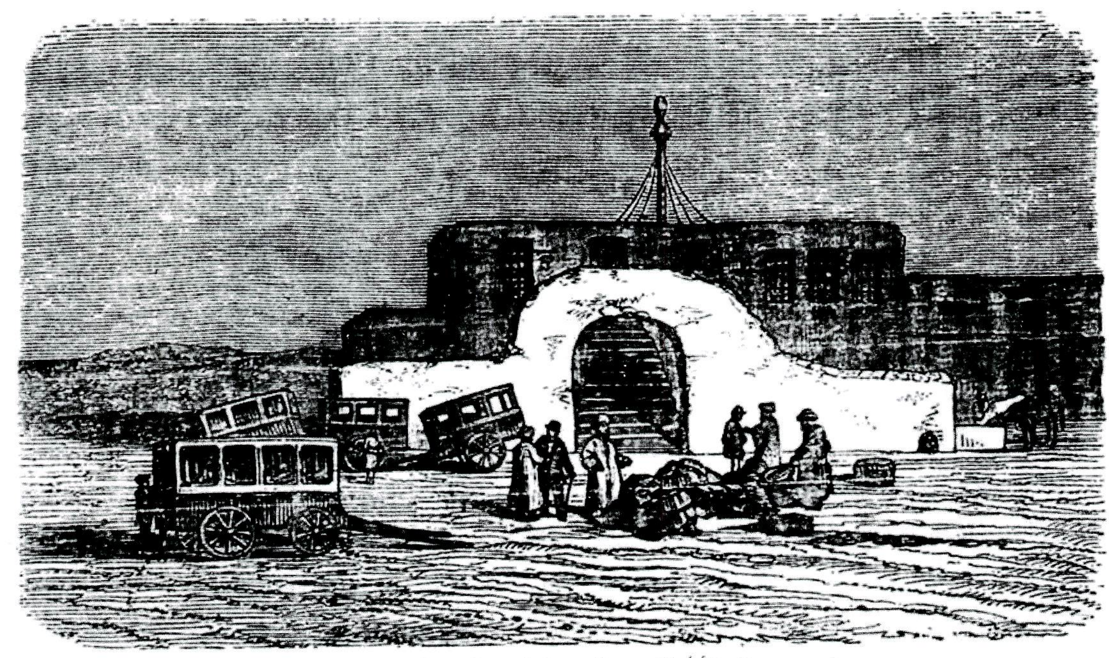
---

(١) حصل منه على تصريح بأن يحمل على نفقته الخاصة وهو يعبر مصر على صور من البرقيات المرسلة عن طريق رأس الرجاء الصالح حيث غادر لندن فى ٢٨ اكتوبر ١٨٢٩ فوصل السويس بعد يوم ٨ ديسمبر (بعد ٤٠ يوماً) ثم استوقف رحلته بعد ذلك ثلاثة أشهر وواصل الابحار لبومباى فكانت اجمالى مدة الرحلة ٧٣ يوماً فحدث تحسن ملموس فى تقصير المدة الزمنية التى يستغرقها الدوران حول رأس الرجاء الصالح .

(٢) ولد الملازم واجهورن فى شتام سنة ١٨٠٠ وتوفى بلندن سنة ١٨٥٠ .

إنجليزياً للسيدة . وبلغ عدد الركاب بين ألفين وثلاثة آلاف سنوياً.

وفى سنة ١٨٤٥ إنتعشت الحركة السياحية فى مصر إنتعاشاً كبيراً بفضل شركة واجهورن فبلغ عدد المسافرين خلال تلك السنة ثلاثة آلاف مسافر فارتفع عدد الفنادق فى الإسكندرية من فندقين إلى خمسة فنادق وهى ، فندق الهلب ، ، ، فندق اللادى هيوم ، ، ، فندق أوربا ، ، ، فندق الشرق ، ، ، فندق سويسرا ، أما فنادق القاهرة ، فندق موناى ، أقدم فنادقها وأنشئ فى عهد الحملة الفرنسية و ، فندق شبرد ، الذى تأسس سنة ١٨٣٤ و ، فندق جاردنيو ، أسسه أحد الإيطاليين الذين كانوا فى خدمة محمد على . ونظمت شركة واجهورن رحلات ترفيهية إضافية لمن يرغب من الركاب لقضاء يوم أو يومين فى القاهرة لزيارة معالمها التاريخية وأسواقها وقد قسم واجهورن بين القاهرة والسويس إلى سبع محطات تتخلله الإستراحات التى وضعت تحت إشراف مستر شبرد الذى تولى إدارتها المجهزة بغرف للرجال وأخرى للنساء وغرف ثالثة رقيقة الحال للخدم وإسطبلات للخيل .



إحدى محطات الأوفر لاند روت الموجودة بالصحراء بين القاهرة والسويس

دخول شركة P&O مجال المنافسة فى نقل البريد والبضائع

فى سنة ١٨٣٧ تأسست شركة تحت أسم PENINSULAR & ORINTAL STEAM AVIGATION CO لنقل البريد الإنجليزى عن طريق لندن ـ لشبونة ـ جبل طارق وامتد طريقها الملاحى على مدى العامين التاليين حتى مالطة فى خمسة أيام ومن مالطة إلى الإسكندرية فى أربعة أيام أى بإجمالى ١٦ يوماً .

وفى أول يناير سنة ١٨٤٢ دخلت شركة P&O مجال المنافسة فحظيت باتفاق نقل بريدها بانتظام على بواخرها من إنجلترا إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة عبر ترعة المحمودية حتى فرع رشيد ثم إلى القاهرة ومنها عبر الطريق البرى إلى السويس حيث تحمله سفن هذه الشركة من البحر الأحمر إلى بومباى وفى عام ١٨٤٤ وبعد أن نظمت أعمالها بإنشاء خط منتظم يخدم جهة الجنوب بواسطة أسطول كبير لذلك وجدت الشركة نفسها قادرة على توفير عملية نقل الرسائل للبريد الإنجليزى من السويس إلى الهند وإلى أبعد من ذلك كما وكل إليها عمليات النقل بالكامل والتى تشمل البريد والبضائع والركاب من لندن حتى القارة الهندية مارة بمصر.

وفى سنة ١٨٤٥ أنشأت الحكومة المصرية إدارة للمرور ADMINSTRA TIONDU TRANSIT خاصة باستغلال عملية النقل البرى للبضائع التى تنقلها سفن شركة الـ P & O وقد تم الإتفاق بين الشركة والحكومة على تنظيم خط سيرها فى مصر ليكون كالآتى:

ـ من الإسكنرية إلى النيل (أى ٤٨ ميلاً عبر قنال المحمودية) ويتم عبورها بسرعة ٥ميل / ساعة على ظهر مواعين مقطورة .
ـ الصعود من النيل إلى القاهرة (أى ١٢٠ ميلاً) وكانت هذه العملية تستغرق ١٦ ساعة بسفن بخارية .
ـ من القاهرة إلى السويس (أى٨٢ ميلاً = ١٣٢ كيلو متراً) كان يتم نقل الركاب فى عربات صغيرة ذات عجلتين بالإضافة لنقل الفحم اللازم لسفن شركة P & O كذا نقل المياه التى تحتاجها مدينة السويس وحقائب البريد وحقائب المسافرين والبضائع وجميعها تحمل على ظهور الجمال .

وفى سنة ١٨٤٦ شيدت شركة P & O السفينة RIPON ذات حمولة ١٥٠٠ طناً وهى سفينة بخارية تحركها عجلات ذات أجنحة من الحديد وذلك بغرض خدمة خط الإسكندرية السويس فتقوم بنقل البريد للقارة الهندية وتم زيادة طول السفينة ريبون وكذا حمولتها لتصل إلى ١٩٠٨ طناً في سنة ١٨٦٢ .

وفى سنة ١٨٥٢ شيدت شركة P & O السفينة CHUSAN من الحديد ذات الحمولة ٦٩٩ طناً وهى أولى السفن التى زودت برفاص يتم إدارته بواسطة آلة بخارية قوة ٨٠ حصاناً (سرعتها) وكلفت هذه السفينة بنقل الخدمات البريدية من إستراليا حتى جنوب السويس .

وقبل إفتتاح القناة كانت شركة الـ P & O تمتلك على خطوطها المنتظمة المارة بمصر إسطولاً كبيراً يتكون من ٤٣ سفينة تصل حمولتها الإجمالية إلى ٨٠٠٠٠ طناً .

إستخدام القاطرات البخارية فى مصر .

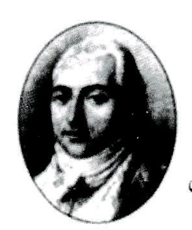
عرض المهندس الإسكتلندى ، توماس جفرسون جالواى ، على محمد على فكرة الإستعاضة عن الطريق البرى المنتهى بالسويس إلى تشغيل قاطرات بخارية تمخر عباب الصحراء من عين شمس إلى السويس . وأعجب محمد على بهذا التقدم الذى سيحدث فى عهده إلا أن دسائس قنصل فرنسا العام المسيو بارو عرقلت تنفيذ هذا المشروع لأن نية فرنسا كانت منعقدة على حفر قناة السويس ومات محمد على وماتت معة فكرة تسيير قاطرات بخارية عبر صحراء السويس . وبتولى عباس الأول ولاية مصر وجدت إنجلترا فرصتها سانحة لتنفيذ مشروع السكة الحديدية فمهد القنصل البريطانى المستر ، والم ، الطريق لروبيرت ستيفنسن ـ نجل جورج ستيفنسن صاحب إختراع القاطرة البخارية ـ لدى عباس الأول الذى وافق على فكرة ستيفنسن والذى قام على الفور بمد خطوط السكك الحديدية والتى وصلت إلى كفر الزيات سنة ١٨٥٤ عند وفاة عباس الأول . وفى عهد الوالى محمد سعيد باشا تم الإحتفال فى أول يناير سنة ١٨٥٦ بافتتاح خط سكة حديد (الإسكندرية ـ القاهرة) .. وفى نهاية أكتوبر سنة ١٨٥٨ تم إفتتاح سكة حديد (القاهرة ـ السويس) ومع أن هذا الخط الحديدى أضحى خطوة طيبة نحو التقدم إلا أنه لم يكن الحل الأمثل وذلك لايأتى إلابحفر قناة بحرية تربط بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر تنتفى معها الحاجة إلى إعادة شحن البضائع بعد تفريغها ونقلها عبر الطريق البرى كذا عملية نقل البريد إلى الهند . وقد أعادت قناة السويس إلى مصر نهائياً مركزها المرموق بين العالم باعتبارها ملتقى قارات ثلاث ذلك المركز الذى ضيعه عليها فاسكودى جاما منذ أربعة قرون خلت من الزمان .

ومن الغريب أننا لاحظنا أن إفتتاح القناة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ لم يلغ بتاتاً وبصورة فجائية عملية نقل البريد عبر الطريق البرى (الإسكندرية ـ السويس) بل وأن الإدارات البريدية الأوربية ظلت تجهل ولمدة طويلة قناة السويس (أى إستخدام القناة فى نقل البريد) .

واستمرت سفن شركة P&O فى إنزال الرسائل البريدية فى الإسكندرية لإعادة شحنها إلى السويس ليتم نقلها على ظهر السفن التى عبرت قناة السويس .

واعتباراً من ١٨٧٤ فإن الجزء المسمى بالرسائل البريدية الثقيلة الخاصة بسفن الـ P&O سمح لهذه الكمية بأن تبقى على ظهر السفينة أثناء عبور القناة أما الجزء الآخر المسمى بالبريد العاجل القادم من إنجلترا عن طريق برنديزى لم يبدأ نقله على ظهر السفن العابرة للقناة إلا فى عام ١٨٨٨ .

ومع ذلك فإن رسائل البريد الفرنسى لحقها التغيير الشامل أسرع من غيرها ، وخلال أعوام كثيرة فإن سفن شركة المساجرية مارتيم (الرسائل البحرية) MESSAGRIES MARITIMES كانت الوحيدة التى استخدمت القناة لعمليات النقل البريدية وافتتحت خط خدمة نصف شهرى مع الهند الصينية .



سان سيمون

الفصل الرابع
مشروع أتباع سان سيمون



انفانتان

ولد سان سيمون SAINT-SIMON فى عام ١٧٦٠ خلال عهد الملك لويس الخامس عشر ويعتبر أول داعية فى الغرب يطالب بإنشاء علم الإجتماع حيث نادى بعديد من الإصلاحات الإجتماعية ونبذ الحروب والمساواة بين الشعوب بغض النظر عن اللون والجنس والدين بل الربط والتقريب بينهم وقد أدت آراؤه الفلسفية فى أن يطلق عليه أتباعه برسول الإنسانية . وبوفاته فى ٢٩ مايو ١٨٢٥ تولى من بعده BARTHÉLEMY-PROSPER ENFATIN مهندس فرنسى (١٧٩٦ - ١٨٦٤) . فالتف من حوله عدداً من محبى أفكار السان سيمون فاختمرت فى ذهنهم شق ترعة تربط بين البحرين باعتبارها رمزاً للحب والسلام والربط بين الشعوب ونادوا بأن شقها لا يعتبر هدفاً حربياً للسيطرة على قلب العالم أوتحدياً لإنجلترا واطماعها .

فلما عزموا التوجه لمصر كان مجموعهم قارب على الخمسة وخمسين رجلاً يمثلون كافة فروع العلم والفنون والمعرفة وكلف المهندس أنفانتان صديقه المهندس الكبير HENRI FOURNEL لكى يتولى هو ومجموعة الخبراء أعضاء الجمعية دراسة مشروع حفر قناة تربط بين البحرين على ضوء مشروع لوبير الوارد فى كتاب وصف مصر .

وفى ٢٩ إكتوبر ١٨٣٣ وصل أنفانتان وأفراد بعثته إلى الإسكندرية إستقبلهم محمد على باشا خير إستقبال وعرضوا عليه فكرة وصل البحرين فطلب من مهندس الحكومة المصرية لينان دى بيلفون أن يتعاون معهم فى دراساتهم بل ليكون المسؤول الفعلى عن المشروع .
إلا أن تنفيذ مشروع القناطر الخيرية لاقى قبولاً لدى محمد على ولدى مجلسه الإستشارى الأعلى عن مشروع شق القناة حيث أن ميزانية مصر لا تتحمل إلا تنفيذ المشروع الأول نظراً لفداحة تكاليف المشروع الثانى .

كما أصاب انفانتان إخفاق أدى إلى حل جمعيته عندما بدا من أعضائها أمور شاذة وغير لائقة ولا تتماشى مع أفكار جمعيته السامية فرحل منهم إلى فرنسا من رحل وبقى فى مصر عدد قليل .

وتركزت محاولات السان سيمونيان ودعواتهم لمشروعهم بعد عودتهم إلى فرنسا إلى إثارة الرأى العام المهتم بالمشروع .
وفى سنة ١٨٤٤ إمتدح أحد المهندسين والإقتصاديين البارزين MICHEL CHEVALIER مشروعاً لربط البحرين بواسطة ترعة ملاحية باستخدام نظام الأهوسة وبالرغم من الفشل الذى منى به أنفانتان فى الحصول على حق إمتياز بحفر القناة إلا أنه عاد عام ١٨٤٦ إلى تكوين جمعية فى باريس للدراسات الخاصة بمشروع قناة السويس ونادى بأن يكون المساهمة فيها بالإضافة للأعضاء الفرنسيين أعضاء إنجليز وألمان ليأخذ المشروع الصبغة العالمية كما إنضمت له عدة غرف تجارية أوربية مثل غرفة مارسيليا وليون وتريستا والبندقية وبراغ وأيدوا تحمسهم لبرنامج وأهداف الجمعية .
وقامت جمعية الدراسات العالمية بتشكيل ثلاث لجان من كبار المهندسين لدراسة هذا المشروع على الواقع.
فكانت اللجنة الأولى برئاسة المهندس الفرنسى المشهور BOURDALOUE واللجنة الثانية برئاسة المهندس النمساوى NEG-RELLI والذى اعتذر عن السفر لمصر وحل محله المهندس النمساوى IASSNÜGER .

واللجنة الثالثة برئاسة المهندس الإنجليزى المشهور STEPHENSON (صاحب مشروع أول خط للسكك الحديدية بين الإسكندرية - القاهرة - السويس) لذلك لم تكن مساهمته ملائمة لأهداف جمعية الدراسات العالمية والذى قال عنه أنفانتان « لدى كثير من الإعتقاد بأن ستيفنسون كان هدفه تنفيذ مشروع أرضى لمد خط سكة حديد وهو بذلك من المحاربين لطريق بحرى يتم بشق قناة تربط بين البحرين والتى إتفقنا عليها فى بداية تكوين الجمعية » .

وسافرت اللجنتان الأولى والثانية إلى مصر حيث أمر محمد على مهندسه لينان دى بيلون باشمهندس الحكومة المصرية بمرافقة أعضائهما إلى أرض برزخ السويس وتقديم التسهيلات اللازمة - وصرح محمد على وقتها أننى متأكد بأن هذا المشروع لن ينفذ بل لا أريد أن أسمع أننى وقفت حجر عثرة أمام تسهيل مهمتها فى مصر » .

وقامت اللجنتان بعملهما بطريقة تدعو إلى الفخر وقد إستغرق هذا العمل الفترة من مايو إلى ديسمبر ١٨٤٧ . وقدمتا بعد ذلك تقريراً

مفصلاً إلى الجمعية الفرنسية عن نتائج أبحاثهما كما قام بإعداد الرسومات التخطيطية لتلك اللجنة المهندس تالابوت .

ولما نجح ستيفنسون فى الحصول على إمتياز إنشاء خط سكة حديد سنة ١٨٥١ من عباس الأول . جاهد أنفانتان فى فرنسا من أجل تنفيذ مشروعه ففى سنة ١٨٥٣ تدخل قنصل فرنسا العام المسيو SABATIER لدى عباس الأول ليسمح للمهندس لينان بإعادة دراسة المناسيب الخاصة بالبحرين .

الفصل الخامس

مشروع المهندس بولان تالابوت

لم يكن مشروع لوبير آخر مشروعات وصل القناة على خط غير مستقيم بل تبعه مشروعان هما مشروع المهندس بولان تالابوت ومشروع إخوان باروت .

فقام المهندس الشهير بولان تالابوت PAULIN TALABOT بإعداد الرسومات التخطيطية عن مشروعه لقناة تربط بين البحرين وانتهى من ذلك قبل نهاية سنة ١٨٤٧ وقد وضح من مشروعه ميله بأن يتم الوصل بين البحرين من السويس إلى الإسكندرية بقناة طولها ٤٥٠ كيلو متراً .

وفى سنة ١٨٥٥ نشر تالابوت مشروعه الذى يتلخص فى الآتى :

أن يتم مد القناة من السويس حتى بحيرة التمساح ثم تخترق وادى الطميلات ثم الإنحدار ثانياً قبيل مدينة القاهرة (وهذا المقطع يكاد يكون خط سير ترعة الإسماعيلية الحالية للماء العذب)وبعد ذلك يتم ربط تلك القناة بالنيل بواسطة حوض جاف عند نقطة تقع أمام القناطر الخيرية الحالية ثم حفر قناة تبدأ من تلك النقطة وتصب فى ميناء الإسكندرية الغربى ويكون عرضها ١٠٠ متراً وعمقها ٨ أمتار وتتغذى بمياه النيل .

وتصور المسيو تالابوت إمكان عبور النيل بواسطة حوض جاف عمق المياه فيه ثمانية أمتار وهذا التصور كاف لرفض مشروعه فهذا الحوض يلزم له يومياً ١,٢١٣,١٤٧ متراً مكعباً من مياه النيل يجب رفعها إلى منسوب ٣٠ متراً فوق سطح البحر بآلات مجموع قوتها ٥٦٢٠ حصاناً وتتكلف هذه العملية من ٥٠ إلى ٦٠ مليون فرنك بالإضافة إلى أن من عيوب الحوض الجاف أنه معرض للكسر والتصدع فى أى وقت كما أنه يلزم للبواخر الصاعدة والهابطة فى هذا الحوض عشرة أهوسة .

مشروع الإخوان بارولت BARRAULT

وفى سنة ١٨٥٣ بدأ الإخوان الكسيس واميل بارولت فى باريس بإعداد مشروع لقناة تربط بين البحرين من الإسكندرية إلى السويس بخط سير يخالف مشروع المهندس تالابوت .

وقاما بنشر مشروعهما فى يناير ١٨٥٦ متضمناً إنشاء محطة فرعية عند بيلوز .

وهذا المشروع يقترح مد قناة تبدأ من السويس رأساً حتى بحيرة المنزلة ثم إختراق هذه البحيرة من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى وقبل الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط تسير القناة فى خط موازى للشاطئ حتى تصب فى الميناء الشرقى للإسكندريه .

وهذا المشروع يختلف عن مشروع تالابوت بأنه نقل موضوع عبور النيل من أمام القناطر الخيرية إلى نهاية فرع دمياط وفرع رشيد .

عيوب مشروعى تالابوت واخوان بارولت

١) يكتنف مرور البواخر التجارية والحربية عبر النيل صعوبات فنية كبيرة لا يمكن التغلب عليها كما تتطلب هذه الحالة إيجاد عمق مياه مستمر قدره ثمانية أمتار لتوفير غاطس للبواخر الكبيرة فمن أين يأتى لنهر النيل إيجاد هذا العمق فى زمن التحاريق .

٢) تتعارض فكرة وصل البحرين بقناة على خط غير مستقيم مع شبكة الترع اللازمة لرى أراضى الدلتا المشهورة بخصوبتها عبر التاريخ .

٣) جعل مصب القناة فى ميناء الإسكندرية من شأنه قلب نظام هذا الميناء ويستوجب حفر قناة فى الصخر بطول ٢٥٠ متراً داخل الميناء للوصول إلى مياه عمقها ٨ أمتار للبواخر الكبيرة وهذا ما يدل على صعوبة تنفيذ المشاريع المقدمة عن القناة ذات الخط الغير مستقيم .

الفصل السادس

المشروع الإبتدائى للينان دى بلفون



ولد لينان دى بيلفـون LINANT DE BELLEFONDS سنة ١٧٩٩ بمدينة أورليـان بفرنسا وكان والده ضابطاً فى البحرية الفرنسية .

وفى سنة ١٨١٨ حضر إلى مصر ضمن بعثة علمية بصفته رساماً إلا أنه لم يغادرها وفضل البقاء فيها . وخلال إقامته بها إشتهر بأسفاره وزياراته الكثيرة لكافة مناطق القطر المصرى . وكانت أول زيارة له لمنطقة برزخ السويس إبتداء من سنة ١٨٢٢ ليتأكد بنفسه من طوبغرافية المنطقة وليدرس على الطبيعة مشروع لوبير الذى أوضح فيه إستحالة وصل البحرين لإرتفاع مستوى البحر الأحمر عن البحر الأبيض المتوسط .

وتكررت زيارات لينان لمنطقة البـرزخ فى سنوات ٢٣ ، ٢٧ ، ١٨٢٨ وفى سنة ١٨٣٠ لما التحق لينان [١] بخدمة الحكومة المصرية بوظيفة كبيرمهندسى أشغال الوجه القبلى أمره محمد على باصطحاب موجيل بك [٢] وطلب منه دراسة مشروع وصل البحرين . وانتهيا من وضع أول مشروع إبتدائى عن وصل البحرين حيث تأثر بأفكار لوبير بأن هناك فرقاً فى مستوى البحرين لذلك فضل فكرة وصل البحرين بقناة غير مباشرة تبدأ من خليج السويس الذى تعلو مياهه عن مستوى البحيرات المرة بخمسة أمتار وتم إقتراح وضع أهوسة بجنوب البحيرات المرة تتحكم فى سريان وإندفاع المياه إلى البحيرات المرة ومنها تسير القناة عبر وادى الطميلات حتى تصل إلى النيل عند القناطر الخيرية الواصلة بالنيل حتى القاهرة .

وفى سنة ١٨٣٣ أرسل لينان صورة من مشروعه إلى المسيو ميمو MIMAUT قنصل فرنسا العام بالإسكندرية كما عرضه على فريدناند دى ليسبس [٣] الذى كان يشغل وظيفة نائب القنصل .

وفى سنة ٤١ ـ ١٨٤٢ أدخل لينان تعديلات جوهرية على مشروعه الإبتدائى بعد أن تيقن بأنه لا فرق بين مستوى البحرين وأرسل صورة منه لشركة الملاحة الإنجليزية الشرقية وإلى حكومة الهند لدراسته .

ومشروعه بعد التعديل يقوم على فكرة شق قناة مباشرة تربط بين البحرين وفى نفس الوقت إستمرت فكرة وجود فرق بين مستوى البحرين مسيطرة عليه ضرورة إقامة أهوسة عند فم خليج السويس . وتبدأ هذه القناة من شرقى خليج السويس تتجه إلى الشمال فى خط مستقيم طوله عشرون كيلو متراً حتى تصل إلى البحيرات المرة ثم تجتاز هذه البحيرات ثم تتجه إلى بحيرة التمساح بعد أن تخترق مرتفعات سرابيوم ثم تجتاز بحيرة التمساح وبعد أن تدور حول المنطقة المعروفة بإسم مرتفعات الجسر تمر بالشاطئ الشرقى لبحيرة المنزلة وتصب فى خليج بيلوز على البحر الأبيض المتوسط فى النقطة التى كانت تعرف قديما بإسم فم الطينة .

وفى سنة ١٨٤٥ وصل إلى مصر الدوق مونبسييه LE DUC DE MONTPENSIER إبن ملك فرنسا لويس فقدم له لينان مشروعه ثم توجها إلى منطقة برزخ السويس ليشرح له مشروعه على الطبيعة .

وعاد الدوق إلى فرنسا حاملاً معه مشروع لينان وبعرضه فى باريس أدى إلى تكوين جمعية الدراسات الخاصة بحفرقناة السويس بباريس SOCIÉTÉ D ETUDES DU CANAL DE SUEZ وتأسست فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٤٦ ووصلت تلك اللجنة إلى مصر فى ١٧ سبتمبر ١٨٤٧ وعرضت فكرة وصل البحرين على محمد على فأمر محمد على لينان أن يصحب اللجنة ورئيسها

---

(١) ظل بخدمة الحكومة المصرية طيلة أربعين عاماً إلى أن وصل إلى وظيفة وزير أشغال الحكومه المصرية .
(٢) مهندس فرنسى شغل منصب مهندس الطرق والكبارى بالحكومة المصرية .
(٣) وصل فريدناند دى ليسبس لمصر أول مرة ١٨٣٢ لشغل منصب نائب قنصل فرنسا العام فى الإسكندرية .

أدريان بوردالو [1] إلى منطقة برزخ السويس ويصحب معه بعض المهندسين المصريين وقاموا بمسح منطقة برزخ السويس وانتهت الدراسة بأنه لا فرق بين مستوى البحرين وفى سنة ١٨٥٣ كلفت الحكومة المصرية لينان بإعادة دراسته لمنطقة البرزخ للتحقق من مستوى البحرين فلم يجد أى فارق بينهما .

ولما غنم دى ليسبس بامتياز حفر القناة من الوالى سعيد باشا فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ طلب من الأخير أن يأمر لينان بك وموجيل [2] باعتبارهما مهندسا الحكومة المصرية أن يصطحباه فى رحلة إستكشافية لمنطقة برزخ السويس وقال له قولته الشهيرة «إن لينان يعرف منطقة البرزخ شبراً إذ قام بعدة دراسات تنم عن علم وذكاء» .

هذا وقد إصطحب دى ليسبس فى رحلته هذه بالإضافة للينان وموجيل عدداً كبيراً من المهندسين والرسامين والكتبة والأدلاء .

وقام لينان وموجيل بوضع مشروع إبتدائى فى مارس ١٨٥٥ ويتلخص هذا المشروع بفكرة إنشاء القناة الملاحية التى تصل بين البحرين وأن تكون هذه القناة من السويس إلى بيلوز وحدد موقع الثغر المقترح على مدخل القناة فى مكان بيلوز بعد أن إختبرت هذه البقعة وقد ورد بمشروعهما أن الثغر المرتقب عبارة عن شكل بيضاوى ممتد فى البحر المتوسط من الجانبين حواجز مائية يحميها من الشمال حاجز ثالث لحماية مدخل الميناء من الأمواج .

وقدم هذا المشروع للوالى محمد سعيد فى ٢٠ مارس ١٨٥٥ وبعدها توجه دى ليسبس لأوربا لعرض هذا المشروع لينال التأييد العالمى من أجل إنجاح فكرة وصل البحرين .

ولم يكن المشروع الإبتدائى للينان وموجيل نهائياً بل عدلته اللجنة الدولية ومن بعدها لجنة الأشغال العليا .

ملحوظة : بالرغم من الفضل الذى بذله لينان من أجل إنجاح مشروع وصل البحرين وبالرغم من دراسته الميدانية الكثيرة على أرض برزخ السويس إلا أن الخلاف دب بينه وبين دى ليسبس فلم يشترك لينان مع دى ليسبس فى أعمال تنفيذ حفر قناة السويس .

الفصل السابع

اللجنة الدولية لدراسة مشروع ربط البحرين

على أثر تقديم لينان بك وموجيل مشروعهما للوالى محمد سعيد وتوجه دى ليسبس لأوروبا لعرض مشروعهما الإبتدائى لينال التأييد العالمى لإنجاح المشروع سافر لينان وموجل إلى باريس لحضور الإجتماعات التى تقرر عقدها لدراسة موضوع تأسيس الشركة العالمية لقناة السويس وبعدها سافرا إلى إنجلترا لإختيار وتعيين مهندسين إنجليز للمشاركة كأعضاء فى اللجنة الدولية .

وتكونت اللجنة الدولية من المهندسين ورجال البحرية وعلماء أوربا مثلت فيها الدول الأوروبية الهامة (إنجلترا وفرنسا وهولندا وروسيا والنمسا وأسبانيا وبيد مونت) .

وكان أول اجتماع لهذه اللجنة فى باريس فى ٣٠ أكتوبر ١٨٥٥ وقد إستفادت هذه اللجنة من الدراسات المقدمة فى المشروع الإبتدائى المقدم من لينان وموجل معترفين بكفاءتهما وبقدرتهما العلمية .

وقررت اللجنة إيفاد مندوبين إلى مصر لدراسة المشروع على الطبيعة فوصل أعضاؤها للإسكندرية ثم توجهوا إلى خليج بيلوز فى ديسمبر ١٨٥٥ تحت إشراف دى ليسبس ولينان وموجل .

ودرست هذه اللجنة أعماق المياه أمام شاطئ خليج بيلوز وطبيعة تكوينه والرياح السائدة وطبيعة المواد الرسوبية ومقدارها واتجاهها.

وقد عدلت هذه اللجنة مصب القناة من فم الطينة ليكون على بعد ٣٥ كيلو متراً غربى هذا الموقع فى النقطة التى عليها بورسعيد الآن للسببين الآتيين :

أولاً : أن عمق المياه عند فم الطينة ثمانية أمتار يكون على بعد ٧٥٠٠ متر شمالى الموقع الذى حدده لينان وموجيل .

أما عمق الثمانية أمتار أمام المنطقة التى إختارتها اللجنة الدولية (بورسعيد الحالية) يكون على بعد ٢٣٠٠ متراً فقط فيوفر هذا الموقع الجديد مبالغ كبيرة فى مصاريف إنشاء الأرصفة وحواجز الأمواج والتطهير والصيانة كما أنه يكفل الضمانات الملاحية .

---

(١) أحد الاخصائيين فى الاعمال الطوبوغرافية .

(٢) اكتسب موجيل خبرة واسعة بالمنشآت المائية وله دراسات وبحوث عن التيارات البحرية والرواسب الساحلية .

ثانياً : وجدت إتجاهات الرياح والتيارات المائية فى الموقع الجديد أكثر ملاءمة للملاحة فى أى موقع على خليج بيلوز .

وجعل إنتخاب الموقع الجديد للميناء الشمالى أن أصبح طول القناة من فمها بالسويس إلى مصبها الجديد (بورسعيد الحالية) ١٧٢,٧٥٠ كيلو متراً بما فيها ١١,٧٠٠ كيلو المعمقة عند بورسعيد لدخول السفن الكبيرة .

وقد إختارت اللجنة الدولية اسم «بورت سعيد » أى ميناء سعيد تيمناً بالوالى محمد سعيد ليطلق على الميناء المقترح .

وقامت اللجنة الدولية بصياغة نتائج أبحاثها فى ٢ يناير ١٨٥٦ وقدمته إلى الوالى محمد سعيد حيث أعلنت أن القناة المباشرة هو الحل الوحيد لوصل البحرين وأن التنفيذ سهل والنجاح أكيد .

وإزاء النجاح الذى حققه دى ليسبس عند عرض مشروع القناة التى تحقق الربط بين البحرين تقدم للوالى محمد سعيد بالنيل بامتياز جديد يضمن له المزيد من المزايا .

وبالفعل أصدر محمد سعيد فرمان الإمتياز الثانى فى ٥ يناير ١٨٥٦ .

مشروع المجلس الأعلى للأشغال

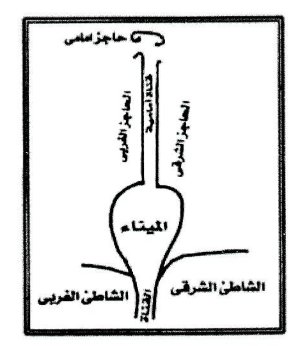
فى٢٢ نوفمبر ١٨٥٨ شكل دى ليسبس مجلساً أعلى للأشغال وذلك لدراسة المشروع بالتفصيل ودراسة خط سير العمل وطريقة تحقيقه وقد أختير مكان بورسعيد فى مكان يقع إلى الغرب فى النقطة التى إختارتها اللجنة الدولية بمسافة.كيلو متراً وهذا التعديل من شأنه أن يسمح بإقلال طول الحواجز المائية كما أن الشاطئ فى هذا الجزء أقل إتساعا من المنطقة السابقة الأمر الذى يترتب عليه سهولة حفر قناة بين البحر وبحيرة المنزلة .

وبعد إختيار اللجنة الدولية والمجلس الأعلى للأشغال موقع بورسعيد لبدء الأعمال فيها بإنشاء الميناء والمدينة ، وقد أخذ فى الإعتبار التغلب على عدة صعوبات لإمكان إتمام تنفيذ المشروع ، فقد أخذ فى الإعتبار طبيعة ظروف المنطقة الجغرافية فهى منطقة خالية من أية مقومات للحياة ففروع النيل القديمة فى شرق الدلتا جفت منذ زمن بعيد تاركة وراءها صحراء جرداء خالية من أى إستقرار سكانى اللهم بعض تجمعات للصيادين فى أكواخ متفرقة عبر الشاطئ .

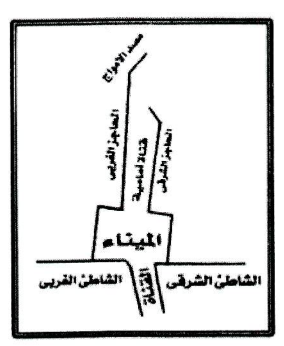
وكان من أهم العثرات التى أخذت فى الحسبان :

١) إنعدام المياه العذبة فى تلك المنطقة .
٢) خلو تلك المنطقة من أية موارد غذائية تسد حاجة القائمين على الحفر من الغذاء .
٣) خلو تلك المنطقة من العناصر البشرية التى يمكن الإعتماد عليها فى تنفيذ المشروع .
٤) إفتقار تلك المنطقة للطرق المعبدة أو غير المعبدة التى تسهل من الإتصال بها .
٥) شاطئ المنطقة خالٍ من الموانئ الطبيعية التى تساعد على رسو السفن .
٦) افتقار المنطقة للمحاجر لإستخراج الأحجار اللازمة لإنشاء الأرصفة وحاجزى الأمواج .

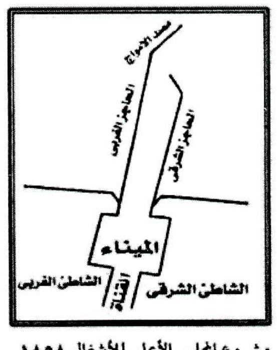
وكان التمويل أهم الخطوات لتنفيذ المشروع فأعلن دى ليسبس عن مشروعه وفتح باب الإكتتاب فيه فى أول نوفمبر ١٨٥٨ واتخذ مكتباً فى شارع فاندوم بباريس يباشر فيه أعمال الإكتتاب فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٨ .



مشروع موجل ولينان ١٨٥٥



مشروع اللجنة الدولية ١٨٥٦



مشروع المجلس الأعلى للأشغال ١٨٥٨

الباب الخامس

بورسعيد وحفر قنال السويس

١٨٥٩ ـ ١٨٦٩

PORT- SAID

ET

LA CONSTRUCTION DU CANAL DE SUEZ

1859 - 1869

VUES RETROSPECTIVES

تاريخ دق أول معول فى أرض قنال السويس

(الجزء الخاص بمنطقة بورسعيد)

سيكون حديثى هنا عن أعمال حفر القناة من ناحية بورسعيد فقط والتى تختلف إختلافاً كبيراً عن باقى نقاط الحفر ، ويعتبر موقع بورسعيد أقل صعوبة عن غيرها نظراً لوقوعها على البحر المتوسط مباشرة مما يسهل نقل وسائل الإعاشة ومواد الحفر .

وأبدأ حديثى بكلمة للكاتب اليونانى ديمتريوس خالدوبيس فى كتابه ذكريات وأحداث عن بورسعيد[١] والمطبوع فى الإسكندرية باليونانية سنة ١٩٣٩ ص ٤٦ ؛ إن شريط الذكريات يمر سريعاً منذ وصول أول فريق للحفر سنة ١٨٥٩ الذين سكنوا الخيام على شريط ضيق من الأرض يقع بين شاطئ البحر الأبيض المتوسط وبحيرة المنزلة . إن الذى يرجع بالذاكرة للوراء وينظر إلى تاريخ بورسعيد ومعارك الحفر لا يعتبرها إلا حلماً تاريخياً يظهر لنا مدى تضحية هؤلاء العمال فكانت مساكنهم عبارة عن قطع من القماش وطعامهم كسرات من الخبز وشرابهم ماء البحر المالح وسلاحهم فؤوس الحفر .. بتلك المقومات البسيطة والعزيمة القوية ، أقاموا أساساً للحضارة والمدنية عبر الصحراء القاحلة الخالية من أية مقومات للحياة وقاموا بشق بطن الأرض المصرية لتجرى فيها قناة بحرية تربط بين البحرين العظيمين البحر المتوسط والبحر الأحمر..... .

كما أقدم لكم وصفاً للكاتب اليونانى جورج سلطناكى فى كتابه مدن القناة [٢] المطبوع بألمانيا باليونانية سنة ١٩٢٢ والذى يصف فيه المنطقة التى تقع عليها مدينة بورسعيد قبل دق أول معول فى أرض القناة ص ٥٩ ؛ سنوضح لكم فى هذا الباب كيف كانت المدينة الحديثة التى نعيش فيها الآن كيف كانت قبل ٦٢ سنة [٣] من الآن فقد كانت قبل سنة ١٨٥٩ عبارة عن أرض رملية واسعة لم تطئها رجل إنسان واحد وكانت فى شكلها البدائى كملعب فسيح للكرة ملئ بالرمال والطين وكانت مياه البحر الأبيض المتوسط تتصل بمياه بحيرة المنزلة وكانت تلك المنطقة عبارة عن قطعة أرض مجهولة غير مأهولة وفى الشتاء كانت مياه البحر والبحيرة تغمر تلك الأرض مثلما يحدث فى بحيرة المنزلة الآن من فيضان على الشاطئ ولا يوجد بتلك المنطقة سوى طيور البحر المهاجرة حتى اشتهرت تلك المنطقة عند البحارة اليونانيين أبناء جزيرة كاسوس بـ KAVO POULIO أى محطة العصافير وكان يوجد بتلك المنطقة عشش تستخدم سكنى لصيادى الأسماك والطيور البحرية وكان سكان تلك المنطقة عبارة عن قوم رحل ليست لهم إقامة دائمة فى تلك المنطقة التى كانت عبارة عن أرض مغمورة بالمياه الطينية العكرة المليئة بالأمراض..... .

وفى هذا الباب سوف نتحدث عن سنوات الحفر عند بورسعيد سنة بسنة إعتباراً من سنة ١٨٥٩ حتى سنة ١٨٦٩ وأكرر مراراً كما سبق أن ذكرنا أن منطقة بورسعيد كانت أقل قسوة من غيرها من نقاط الحفر حيث ندر فيها استخدام الكرباج على عكس المناطق الأخرى للحفر .

---

(١) تفضل المسيو مانولى مانيفيس سكرتير القنصلية اليونانية ببورسعيد بترجمة هذا الكتاب لى بلا مقابل حباً منه فى بلده الثانى بورسعيد .
(٢) تفضل المسيو ينى سبانودس صديق والدى ولاعب الكرة بنادى سبريا اليونانى بترجمة هذا الكتاب حباً منه فى بلده الثانى بورسعيد بلا مقابل .
(٣) يقصد ٦٢ سنة من طبع كتابه سنة ١٩٢٢ .

١٨٥٩

عندما حظى دى ليسبس بفرمانى حفر قناة السويس بدأ فى البحث عن مقاول يقوم بتنفيذ عملية حفر قناة السويس ورسيت عملية الحفر على المقاول ALPHONSE HARDON وعقد معه اتفاقاً مبدئياً فى ١٤ فبراير ١٨٥٩ على تنفيذ المرحلتين الأوليين من مراحل حفر القناة وفقاً للشروط والمواصفات والتكاليف التى جاءت فى تقرير اللجنة العلمية الدولية .. كما تعاقد مع شركة COMBE بمدينة ليون فى ٢١ مارس ١٨٥٩ على توريد كراكتين [١] قوة كل منهما عشرون حصاناً .

وفى باريس عقد مجلس إدارة شركة القنال إجتماعاً اتخذ فيه قراراً بسرعة البدء فى حفر القناة وإيفاد لجنة من أربعة أشخاص يرأسها دى ليسبس كانت مهمة هذه اللجنة وضع يدها على الأراضى الممنوحة للشركة .. وجاءت اللجنة إلى مصر وقابلت الوالى محمد سعيد باشا الذى أبدى شعوره الطيب نحو شركة القنال وطلب أن يرجئ شرط لائحة تشغيل العمال المصريين لحين موافقة السلطان العثمانى على مشروع شق قناة السويس .. وقد وافق الوالى سعيد للجنة على أن تبدأ عملها على هيئة أبحاث فى المنطقة .. وبالفعل سافر أعضاء اللجنة [٢] إلى المنطقة التى سيبدأ فيها فى موقع بورسعيد الحالى ثم غادروها فى اتجاه السويس وفى أثناء ذلك وصلت أخبار بأن سفينة قدمت من فرنسا إلى دمياط تحمل معدات كانت شركة القنال قد أوصت باستجلابها لاستخدامها فى دق أول معول فى أرض القناة .. فتوجه دى ليسبس وأعضاء لجنته إلى القاهرة لمطالبة الوالى سعيد بإعفاء تلك المهمات من الرسوم الجمركية .. وبعد أن حظى دى ليسبس بهذا الإعفاء سافر وأعضاء اللجنة من القاهرة بطريق النيل إلى دمياط حيث أشرفوا على تفريغ شحنة السفينة عن طريق قناة الإتصال التى تخرج من النيل شمالى مدينة دمياط وتصل إلى بحيرة المنزلة ـ وتلك القناة كان قد أوصى بحفرها موجل بك مدير عام الأشغال المصرية وذلك خلال انعقاد مجلس الأشغال الأعلى لشركة قنال السويس والسابق إنعقاده بجلسة ٢٥ يونيو ١٨٥٨ وذلك لاتخاذها شرياناً مائياً تسير فيه القوارب محملة بماء الشرب والطعام من دمياط إلى عمال الشركة فى بورسعيد ولم تكد تصل إلى أسماع الوالى سعيد تلك الفكرة حتى حشد عشرة آلاف عامل حفروا خلال بضعة أيام تلك الترعة باتساع ١٥ متراً وقد أزاح سعيد عن شركة القنال عبئاً ثقيلاً ـ ثم اتجه دى ليسبس وأعضاء اللجنة من دمياط إلى البقعة التى اختيرت مبدأ للقناة من ناحية البحر المتوسط .

وفى يوم الإثنين ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ـ وكان هذا اليوم عيد شم النسيم ويكون الجو فى هذا الوقت صافياً جافاً قليل المطر ومشمساً ويكون الفلاحون قد انتهوا من الحصاد ـ توجه دى ليسبس عند النقطة التى حددها نهائياً لاروس ـ رئيس قسم الأعمال والأشغال المائية بشركة القنال ـ لتكون مصباً لقناة السويس والتى تقع عليها بورسعيد الآن ومعه وفد من مجلس إدارة شركة القنال وموجل بك ، مدير عام أعمال الحفر ، ولاروش ، رئيس قسم الأعمال الخاصة بمدينة بورسعيد ، ودى مونتو مدير مشروع الحفر وهاردن ، المقاول العام لأعمال الحفر ، ومستخدمو الإدارة وعمال وبحارة بلغ مجموعهم مائة وخمسون شخصاً وقام برفع العلم المصرى فى نقطة بداية الحفر فى تلك النقطة الجرداء الخالية من مقومات الحياة وقام بإلقاء كلمة مضمونها : « باسم الشركة العالمية لقنال السويس البحرية وبمقتضى قرارات مجلس الإدارة سنقوم الآن بضربة الفأس الأولى على هذه الأرض التى تفتح أبواب الشرق لتجارة الغرب ومدنيته . إننا مجتمعون هنا الآن تجمعنا فكرة واحدة هى الإخلاص لأغراض الشركة ورعاية مصالح راعيها العظيم الوالى محمد سعيد باشا ، إن أعمال الإرتياد الكامل والتى فرغنا منها لتبعث فينا الثقة بأن العمل الذى يبدأ تنفيذه اليوم لن يكون عملاً من أعمال الرقى فحسب بل سيزيد من قيمة رؤوس الأموال التى ساعدت على تنفيذه زيادة كبيرة » .

وبعد ذلك أمسك دى ليسبس بمعول وضرب به الأرض وكان ذلك إيذاناً بالبدء فى عمليات الحفر وتبعه أعضاء اللجنة فالمهندسون ثم سائر مستخدمى الشركة ..

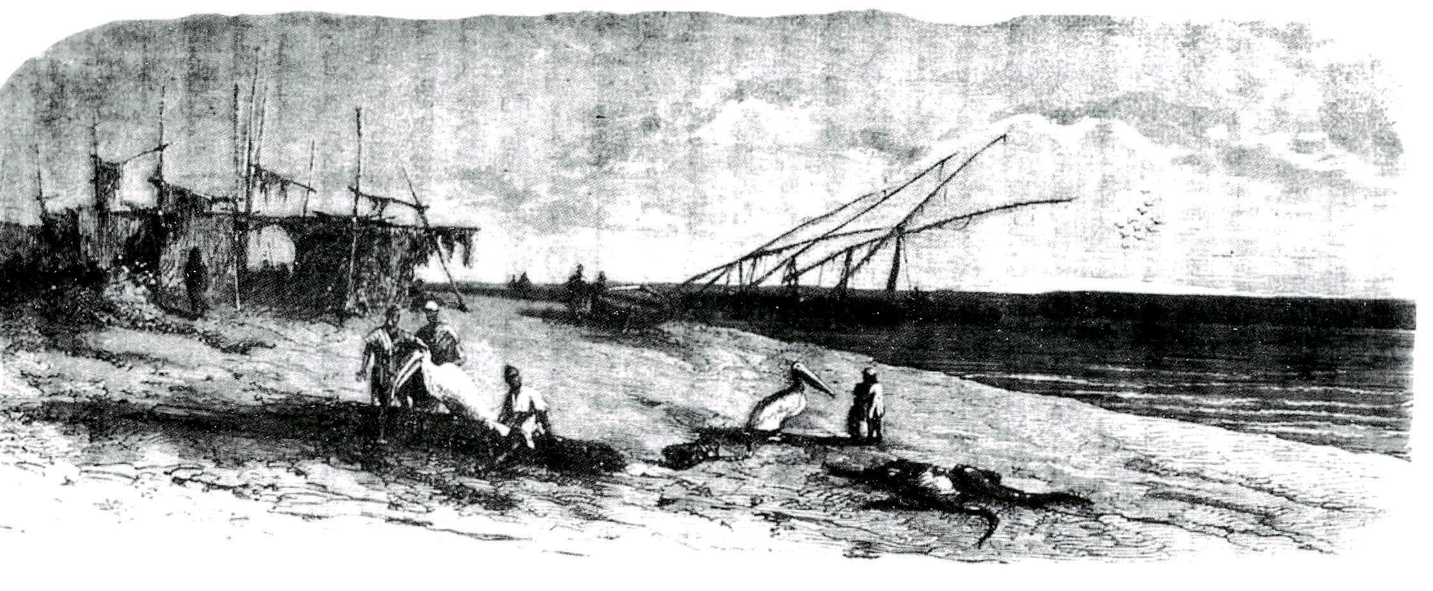
ثم توجه إلى العمال المصريين قائلاً : « سيضرب كل منكم ضربة فأسه الأولى فاذكروا أنكم لن تقلبوا الأرض فحسب بل إن أعمالكم سوف تجلب الرخاء إلى أسركم وبلدكم الجميلة » .

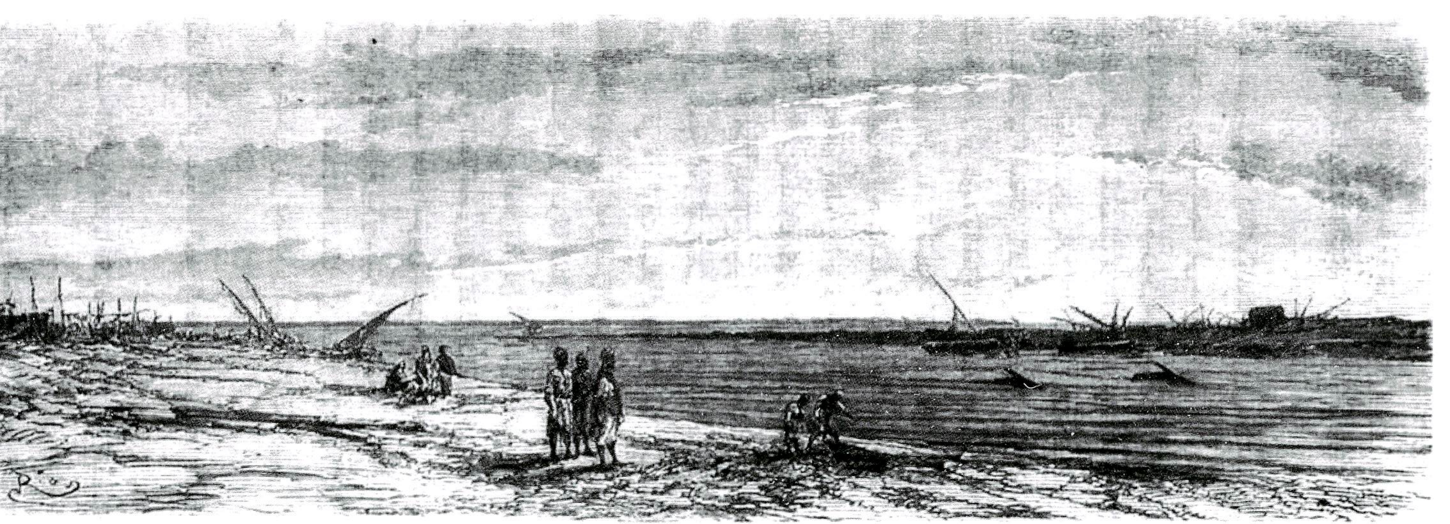
ثم صاح ... « المجد والفخار لأفندينا محمد سعيد باشا فليعش عمراً طويلاً . وبعدها شرع العمال المصريون [٣] فى حفر القناة حيث

(١) كانت الكراكات تصل مفككة على ظهر السفن والتى تقف فى مياه البحر الأبيض وتنقل هذه القطع المفككة بواسطة المراكب إلى الشاطئ ومن الشاطئ تنقل على ظهر الإبل عبر الصحراء ويتم تركيبها فى نقاط الحفر .

(٢) المهندس لاروس هو الذى حدد النقطة التى تبدأ منها أعمال الحفر (دق أول معول) .

(٣) كان لكل عامل مقطوعية من الأمتار المربعة يقوم بتنفيذها كل يوم .





النقطة التى بدأ فيها الحفر وظهرت عليها مدينة بورسعيد فيما بعد



خيام العمال والورش فى أول زمن الحفر



قرية العرب التي كانت تطل على بحيرة المنزلة



الوالى محمد سعيد باشا



فريدناند دى ليسبس



Premier coup de pioche à Port-Saïd.

دق أول معول لحفر القناة على أرض بورسعيد

قسم مشروع حفر القناة إلى ثلاث مناطق الأولى من بورسعيد إلى القنطرة والثانية من القنطرة إلى البحيرات المرة والقسم الأخير من البحيرات المرة إلى السويس عند بورتوفيق الحالية .. ثم أمر دى ليسبس بدق عمودين أو ساريين طويلين فى المكان الذى تقع عليه قاعدة تمثال دى ليسبس الآن إيذاناً ببدء الحفر ..

وعقب هذا الاحتفال كلف لاروش بالإشراف على أعمال الحفر فى القسم الأول عند بورسعيد ومعه عدد من المستخدمين الأوربيين وبدأ الحفر بمائة فلاح من مدينة دمياط ..

أما ليبان وموجل بك فكان اتفاق سعيد مع دى ليسبس (١) بأن يعهد لهما بتمثيل الحكومة المصرية فى مناطق الحفر وأن تكون لهما المراقبة العليا على أعمال الحفر وإدارة الأعمال وتنفيذها .

والكثير يتساءل عن مكان دق أول معول فى أرض القناة ؟! تجيب على هذا التساؤل مجلة صوت كاسوس والتى كانت تصدر فى بورسعيد فى عددها الصادر ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٩ فى ذكرى مرور مائة عام على بدء حفر قناة السويس فتقول : « منذ مائة عام وفى منتصف ميناء بورسعيد - الحالى - وأمام مكاتب هيئة قناة السويس ضربت أول ضربة من بدء الحفر بقناة السويس التى تم حفرها وافتتحت بعد عشر سنوات .... » .

وعن دق أول معول فى أرض القناة ذكر أمين سامى باشا فى مؤلفه العظيم « تقويم النيل » مجلد عباس الأول ومحمد سعيد ص٣٢٦:

« فى ٢١ رمضان سنة ١٢٧٥هـ الموافق ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ بدئ فى حفر قنال السويس إبتداء من بورسعيد وأعدت الحكومة المصرية لهذا العمل ٢٧٠٠٠ عامل بدون أجرة أما عدد الشغالة والمستخدمين فبلغ ٥٠٠ تقريباً وطول القنال من بورسعيد إلى السويس لبورتوفيق ٩٧ ميلاً ... » .

وتم تحديد أبعاد المدينة المرتقبة ورسمت حدودها الأربعة على الأرض فكان يحدها من الشمال « الرصيف الموازى للشاطئ » وفى الشرق « رصيف الترسانة » وفى الغرب « شارع المقابر » وفى الجنوب « رصيف البحيرة » .

وأقام دى ليسبس (٢) لفريق الحفر الخيام وقام بوضع ألواح خشبية بأرضيتها والتى أقيمت على فرشة من الرمال المتخلفة من ناتج الحفر بإرتفاع ١,٥ متراً وكانت المياه تصل إليها فى زمن الفيضان وكان الإنتقال من مكان لأخر يتم بواسطة فلايك صغيرة .

وقام دى ليسبس بإحضار كميات هائلة من الدقيق ومواد تستخدم كوقود من ميناء الإسكندرية .

وفى أول زمن الحفر واجهت دى ليسبس مشكلة المياه العذبة لشرب مئات العمال - تزايد إلى آلاف من العمال فى السنوات التالية - فأعد قوافل الجمال والتى وصلت إلى ألف جمل لاستجلاب مياه النيل من دمياط كذا استعان بسفن صغيرة لنقل المياه وفى حالة تأخر وصول تلك القوافل والسفن لأسباب خارجة عن الإرادة أهمها سوء الأحوال الجوية فى بعض أوقات معينة من السنة كان دى ليسبس يلجأ للآبار الموجودة بقرية قاطية الموجودة على بعد عدة كيلومترات شرق موقع الحفر ولما كانت مياه تلك الآبار فى أغلب الأحيان غير مستئاغة قام بإحضار مكثفين لتحلية مياه البحر أقامهما فى مكان كنيسة الكاثوليك - سانت أوجينى - إلا أن تشغيل المكثف كان يكلف شركة القنال الكثير فكانت قدرته اليومية خمسة آلاف لتر مياه ويحتاج كميات هائلة من الفحم لتشغيله وكان يتم تشغيل المكثفين بالتناوب وكانت هذه الوسيلة مقصورة على بورسعيد وإن كان دى ليسبس يستعيض عن المكثفات بحفر الآبار فى نقاط الحفر الأخرى ويزود كل بئر بساقية تديرها بقرة .

ووصل إلى نقاط الحفر تجار يونانيون قدموا من الإسكندرية وأحضروا معهم بضاعتهم (٣) ومؤنهم على ظهور الجمال وحضر من الإسكندرية اليونانى KLAVIANES الذى قام بافتتاح أول محل جزارة على أرض قناة السويس فى نقطة الفردان ليمد العمال والفنيين والميكانيكية التابعين لشركة القنال باللحوم وكانت الشركة تمنحه مكافأة قدرها ٢٠ فرنكاً عن كل رأس من الماشية يقوم بذبحها تشجيعاً له على البقاء فى تلك المنطقة القفر البعيدة عن العمران كما توافد تجار من أبناء مصر وبخاصة مدينتى دمياط والزقازيق وقاموا بفتح المحال لجموع العمال وينتقلون معهم أينما حلوا .

---

(١) ذكر التاريخ قولة دى ليسبس لسعيد عن ليبان « إن ليبان يعرف منطقة البرزخ شبراً شبراً إذ قام بعدة دراسات تنم عن علم وذكاء » وبالرغم من ذلك إختلف ليبان مع دى ليسبس ولم يشترك معه فى أعمال حفر القناة .

(٢) ساعد دى ليسبس فى مشروع حفر القنال من أفراد عائلته إبنه (شارل) فكان المدير التنفيذى للمشروع وعضو مجلس الإدارة المنتدب ثم رئيساً لمجلس الإدارة حتى سنة ١٨٨٤ أما قريبه (ڤيكتور) فعهد إليه بالإشراف على أعمال الحفر .

(٣) إفتتح المقاول العام للشركة مخبزاً كما فتح عدة محال فى ساحات الحفر يديرها لحسابه الخاص وتبيع السلع بالتجزئة كما إفتتح محالاً للجزارة وللبقالة كما إفتتح مطاعم على النظام الأوربى تقدم الأطعمة كالحساء ١٠ سنتيم ، واللحم وخضار وسلطة ٢٥ سنتيم ، الحلو ١٠ سنتيم .

وقد اعتبر الوالى محمد سعيد باشا دق أول معول فى أرض قناة السويس درباً من دروب الأعمال الاستكشافية لا يجوز لدى ليسبس التمادى فيها والاستمرار فى الحفر إلا بعد وصول موافقة السلطان التركى من الأستانة . وفى ٩ يونيو سنة ١٨٥٩ أرسل الأمر التالى إلى جعفر باشا محافظ دمياط مؤرخاً ٢١ ذى الحجة ١٢٧٥ هـ نصه ، بمجرد وصول أمرى إليك يجب أن تقوم بسرعة وتذهب إلى دو لسبس وأن تسحب الشغالة من أولاد العرب المصرى الجنسية وتعيدهم إلى دمياط وأن تبلغنى بتاريخ عودتكم وعدد العمال الذى سحبتهم من الشغل وقد حررنا هذا لكم لاتباعه ، .

حاشية : يجب أن تمنعوا بعد الآن ورود شغالة من أولاد العرب المصرى الجنسية للمحل المذكور بتاتاً وإذا كتب لكم المسيو المذكور بهذا الصدد فقولوا له أنكم مأمورون بجمعهم من طرفنا ولديك أوامر بهذا المنع وإذا إقتضى الأمر عرض الحال علينا فإعرضوه ولذلك حررنا هذه التحشية [١] .

كما أصدر سعيد أمراً سرياً آخر بمنع توريد الطعام والماء لمناطق الحفر وذلك لوقف أعمال الحفر حتى تصدر بها موافقة من السلطان العثمانى بعد أن تبين أن ماقام به دى ليسبس ليست من الأعمال التمهيدية أو الاستكشافية .

وفى نفس الوقت وجه شريف باشا ناظر الخارجية منشوراً إلى أعضاء السلك القنصلى فى مصر بعدم تعاون رعاياهم مع دى ليسبس فى أعمال حفر القناة .

وكان من أسباب تحول الوالى سعيد فى سياسته نحو مشروع حفر القناة هو ثورة الحكومة البريطانية وتدخلها لدى الباب العالى عن طريق السفير البريطانى بالأستانة كما وقفت النمسا مع إنجلترا ضد مشروع شق القناة .

وتحركت الحكومة العثمانية إزاء الغليان ضد مشروع شق القناة وطلبت من الحكومة المصرية إبلاغ دى ليسبس بوقف أعمال الحفر فوراً .

وإزاء تشدد الحكومة المصرية بعدم مد دى ليسبس بالأيدى العاملة المصرية اللازمة فى أعمال حفر قناة السويس لجأ إلى الحكومة اليونانية التى أصدرت أوامرها للعمال أبناء الجزر اليونانية العاملين كبحرية على السفن أن يشتركوا بالقوة فى أعمال حفر القناة تحت إشراف الفنيين التابعين لشركة القنال وقد بلغ عدد العمال الأوربيين ٢٠٠ عامل ...

كما تحايل دى ليسبس على مشكلة إمداد العاملين بالماء والطعام فقام بجلبها إلى منطقة بورسعيد من الإسكندرية وقام مقاول الشركة بشراء مركبين لإستخدامهما فى تفريغ شحنات السفن الكبيرة الراسية أمام ميناء بورسعيد ومنها السفينة البخارية ، سعيد ، ثم السفينة ، يوسف ، وقد وضع دى ليسبس فى الإعتبار أن يكفى المخزون من تلك الأطعمة والمياه مدة شهر وتباع للعمال بنفس السعر الذى تباع به تلك المواد فى دمياط ويصف لنا OLIVIER RITT أحد رؤساء العمل فى شركة القنال والمقيم فى منطقة الحفر يوم ٢٠ يونيو ١٨٥٩ بالجملة الآتية : ، لايزال الموقف كما هو وأن الوقت يمر ببطء شديد يبعث على الناس باليأس. إن علاقتنا مع المصريين آخذة فى التلاشى شيئاً فشيئاً .. ليست هناك أخبار من داخل البرزخ لقد آن الأوان لأن نتخذ قراراً .. ، .

أما أهم الأعمال التى قام بها دى ليسبس هو إقامة فنار بدائى خشبى ليرشد السفن القادمة لموقع الميناء المرتقب إنشاؤه لذلك قام بتكليف نحو ثلاثين أوأربعين عاملاً أوربياً لإنشاء هذا الفنار فقاموا بدق دعامات خشبية كأساسات يوضع فوقها هذا الفنار البدائى بارتفاع ٢٠ متراً وقد إنتهى من إنشاء هذا الفنار فى يوليو ١٨٥٩ وكان يضئ لمسافة ٢٥ ميلاً وكانت تلك المسافة تفى بالغرض المطلوب من إنشائه فى بادئ الأمر **وكان هذا الفنار فى نفس أماكن مستودعات البترول الحالية بالرسوة جنوب بورسعيد** وكان هذا المكان فى بادئ الأمر قريباً من شاطئ البحر الأبيض المتوسط وعين دى ليسبس اليونانى GEORGE ANETAS من أبناء جزيرة كاسوس لتشغيل هذا الفنار وعمر طويلاً وتوفى سنة ١٩٣٩ عن مائة عام وله ذكريات كثيرة عن نشأة مدينة بورسعيد واستمر هذا الفنار البدائى يفى بغرضه حتى سنة ١٨٦٩ إلى أن تم بناء الفنار الحجرى المشهور والمعروف لنا وهو مازال قائماً حتى الآن ..

وفى أكتوبر سنة ١٨٥٩ تجددت نفس الأزمة السابقة بعد أن شددت الحكومة العثمانية [٢] أوامرها إلى سعيد بضرورة وقف كافة أعمال الحفر التى تقوم بها شركة قنال السويس وتم إبلاغ ذلك لقناصل الدول الأوربية بمصر بعدم مشاركة العمال من رعاياهم فى مشروع حفر القناة وقد لاقى ذلك قبولاً منهم ماعدا العمال الفرنسيين بزعامة لاروش الذين تحدوا أوامر قنصل عام فرنسا فى مصر ، سابتيه ، وصمموا على البقاء فى أرض المشروع ولو اقتضى استخدامهم القوة ضد من يتقدم لمنعهم واستمروا فى أعمالهم . وإزاء قيام سابتيه بتنفيذ

---

(١) تعمدت أن أورد هذا الأمر بلغته العربية الركيكة نقلاً عن الأصل الوارد بكتاب تقويم النيل لأمين سامى باشا عهد محمد سعيد ص ٢٥٩ .

(٢) أوفدت الحكومة العثمانية مختار بك القبوكتخدار مندوب والى مصر فى القسطنطينية يحمل أوامر بتعليمات لسعيد باشا بإيقاف كافة أنواع الأعمال مهما كانت طبيعتها .



مكثفان لتحلية مياه البحر عند نقطة بورسعيد



تجمع حول عين للمياه العذبة وسط صحراء الحفر



Cliché de l'Illustration.

الفنار الخشبى الذى أقيم عند نقطة بورسعيد بارتفاع ٢٠ متر

أوامر سعيد تم نقله من مصر نهائياً فى ٢٦ أكتوبر ١٨٥٩ ..

واتصل دى ليسبس بالإمبراطور نابليون الثالث وزوجته الإمبراطورة أوجينى قريبة دى ليسبس .

وبالفعل توجه وفد من أعضاء مجلس إدارة شركة قنال السويس فى ٢٣ أكتوبر ١٨٥٩ لمقابلة الإمبراطور نابليون الثالث الذى وعدهم بالتدخل لحل تلك الأزمة وبالفعل تخاذل الوالى سعيد والحكومة المصرية ووقفوا موقفاً سلبياً ولم يتدخلوا فى تشغيل شركة القنال للعمال المصرين وسمحوا لمن يشاء أن يعمل فى مشروع حفر القناة ..

واستطاعت الشركة بفضل هذه السياسة الجديدة أن تحصل على الأعداد اللازمة من الفلاحين من دمياط والدقهلية والقاهرة والشرقية والإسكندرية بفضل نفوذ أصدقاء دى ليسبس القدامى كما استعانت ببعض بدو الصحراء وجمالهم وخيامهم وبالأخص بدو مديرية الشرقية وفى نهاية ديسمبر سنة ١٨٥٩ وصل عدد العمال المصريين إلى ٣٣٠ عاملاً بالإضافة للعمال الفرنسيين والنمساويين والبحارة اليونانين وكان توزيعهم على نقط الحفر كالآتى :

موقع الحفر	عدد العمال المصريين (الأحرار)	عدد العمال الأجانب
بورسعيد	٢٢٠	٨٠
الفردان	١٦	٨
سرابيوم	١٢	٨
القنطرة	٨	١٢
طوسون	٥٢	٣٢
چنيفه	٢٢	١٨

وقد أطلقت الشركة على هؤلاء العمال من المصريين بالوطنيين الأحرار OUVRIERS INDIGÉNES LIBRES لتميزهم عن عمال السخرة [١] .. وكانت شركة قنال السويس تدفع للأوربى ١٥ ريالاً فى الشهر وهذا يزيد بواقع ٥٠ ٪ عن أجرة هذا العامل أثناء عمله كبحرى على السفن أما أجرة العامل المصرى فى اليوم فكانت فرنكاً واحداً يومياً ..

وكان ذلك الأجر مرتفعاً بالنسبة لأجور هذا الزمان وقد شجع ذلك كثيراً من أبناء الجزر اليونانية وبالأخص أبناء جزيرة كاسوس بأن يتركوا أعمال البحر ويتجهوا للأعمال الشاقة الخاصة بحفر قناة السويس ..

واستمرت شركة قناال السويس بتجميع العمال المصريين بوسائلها الخاصة وتزايدت أعدادهم وشكلت لجنة تجوب قرى الدلتا بعضوية أحد مستخدمى الشركة يدعى « يوسف فرنونى VERNONI » الذى يتحدث العربية بطلاقة لجمع العمال وإرسالهم لمناطق الحفر وكان يساعده عمال مصريون بارزون وظيفتهم تنظيم جمع العمال وإرسالهم لمناطق الحفر .

كما لجأت الشركة إلى أهالى منطقة بحيرة المنزلة واستخدمتهم فى حفر قناة بحرية صغيرة تربط بين الميناء المرتقب وبحيرة المنزلة وقد أطلق عليها LA RIGOLE DE SERVICE ويصف دى ليسبس هؤلاء القوم وتفانيهم فى العمل بالوصف التالى : « إن هؤلاء العمال كانوا يقومون بأعمال مضنية فيقفون عراة تغمر المياه سيقانهم يضربون القاع بالفأس فيخرجون الكتل المتماسكة المستقرة فينتزعونها من القاع بأيديهم ويناولها العامل بكلتا يديه لزميله الواقف إلى جانبه وهذا يناولها لغيره حتى تصل إلى حافة القناة .. » لقد قام دى ليسبس ببناء مسجد متواضع للعمال المسلمين وعين له إماماً من بينهم عرف عنه الورع والتقوى ..

وقد تم تحديد أبعاد المدينة واختير موقعها ليكون غرب القناة المزمع حفرها وليس فى شرقها نظراً لأن موقع دلتا نهر النيل إلى الغرب وهى مصدر المواد الغذائية والمنتجات الزراعية والمياه كما يكسب هذا الموقع سهولة فى الإتصال ببلدان الدلتا سواء عن طريق الإبل أو المراكب عبر بحيرة المنزلة .

وقد خططت المدينة ليحدها من الشمال الرصيف الموازى لشاطئ البحر الأبيض المتوسط - أطلق عليه فيما بعد رصيف أوچينى - والذى أنشئ لصد هجمات البحر ولحماية المدينة من الأمواج العالية وقد إستغل ناتج الحفر فى إنشاء هذا الرصيف بإرتفاع ٢,٥ متر فوق سطح البحر وكان هذا الرصيف بمثابة سد منيع يحمى المنشآت والورش الصناعية والمحلات التجارية التى بدأت تنتشر على شاطئ البحر

---

(١) هذا يدل أنه فى زمن الحفر كان هناك نوعان من العمال المصريين الأول عمال بالسخرة ذاقوا الهول وصنوف العذاب والثانى عمال طواعية عاشوا بعيداً عن العذاب .

شمال المدينة حيث أقيمت عدة أكشاك خشبية ومستودعات على الشاطئ الشمالى أما الحد الشرقى للمدينة فهو رصيف الترسانة ـ الذى عرف فيما بعد برصيف فرانسوا جوزيف ـ وفى الجنوب المقابر وفى جهة الغرب رصيف بحيرة المنزلة وعلى مشارفها كثبان دفن على أحدها الشيخ الخربوطى (القابوطى) ..

وقد اختيرت المدينة المرتقبة (بورسعيد) لتقع على خط عرض ١٦ ٣١° شرقاً أى على بعد ١٢ كيلو متراً شرق قرية أشتوم الجميل الواقعة على فتحة بحيرة المنزلة من جهة الشمال وهى قرية يتجمع فيها صيادو الأسماك والطيور البحرية ..

وخلال عدة شهور قلائل نتج عن عملية الحفر ردم هائل استخدم فى ردم جزء كبير من بحيرة المنزلة فى الجنوب كما تمت تعلية تربة المدينة المقترح إنشاؤها والتى تعتبر نواة لمدينتنا التى نعيش فوق أرضها الآن ـ ومن هذا التاريخ بدأت ظاهرة اكتساب أرض للمدينة على حساب بحيرة المنزلة .. كما اكتسبت المدينة أراض أخرى من جهة الشمال نتيجة لانحسار مياه البحر الأبيض المتوسط شمالاً تاركة أراض عرفت بأراضى طرح البحر .

وأخذت الكراكات تلقى الرمال على أرض المدينة وتقوم بتوزيعها على أرجاء المدينة بواسطة عربات سكة حديد (ديكوفيل) والتى تدفع باليد وتوزع عن طريق عدة خطوط على المدينة حتى تصل إلى حدود بحيرة المنزلة بارتفاع ٢,٥ متراً بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى من الأيدى العاملة فى بورسعيد استخدمت فى ردم أجزاء من بحيرة المنزلة لكى يتم عليها بناء المساكن .

وفى نهاية أكتوبر سنة ١٨٥٩ تم التغلب على إحدى العثرات التى قابلت القائمين على الحفر فتم إنشاء مرسى مؤقت لإمكان رسو السفن واستقبالها وذلك حتى يتم حفر الميناء وهى عبارة عن جزيرة شمالى بورسعيد يصل إليها بطريق من الأخشاب ليمتد ٢٦٠ متراً شمالاً وعمق تلك الجزيرة ٣ أمتار .. وأنشئت تلك الجزيرة من الأحجار جهزت بأوناش لتفريغ المواد التى تأتى بها السفن كمعدات للحفر.
وبواسطة الطريق الموصل لتلك الجزيرة أمكن نقل البضائع للشاطئ بواسطة عربات تدفع فوق شريط سكة حديد .. وقد استخدمت تلك الجزيرة كمخزن للمواد التى تأتى بها البواخر من الخارج فى حالة وجود أنواء تمنع نقلها للشاطئ .. أما البواخر الضخمة التى لاتستطيع أن ترسو بجوار تلك الجزيرة فتفرغ بضاعتها فى قوارب أو مواعين كبيرة يتم تفريغها على هذا المرسى المؤقت ..

وقبل انتهاء عام ١٨٥٩ كان الاحتفال بإلقاء حجر الأساس لحاجز الأمواج الغربى وتم التفكير فى استجلاب الأحجار من جبال عتاقة بالسويس إلا أن صعوبة نقلها إلى بورسعيد جعل من الأفضل جلبها من محاجر المكس بالإسكندرية واستجلبت كميات هائلة منها بطريق البحر ..

وقد يتسائل البعض أين كانت بداية حاجز الأمواج الغربى عند إلقاء حجر الأساس ؟

كانت حدود المدينة الشمالية عند رصيف أوچينى بمعنى أن أول حجر ألقى واحتفل به كحجر أساس لحاجز الأمواج الغربى كان عند التقاء رصيف فرانسوا چوزيف برصيف أوچينى وتلك النقطة هى حد المدينة فى أول عهدها أى عند باب الجمرك رقم ٨ الحالى .

لقد وصل طول هذا الحاجز خلال العام الأول للحفر ٢٥٠ متراً داخل مياه البحر ..

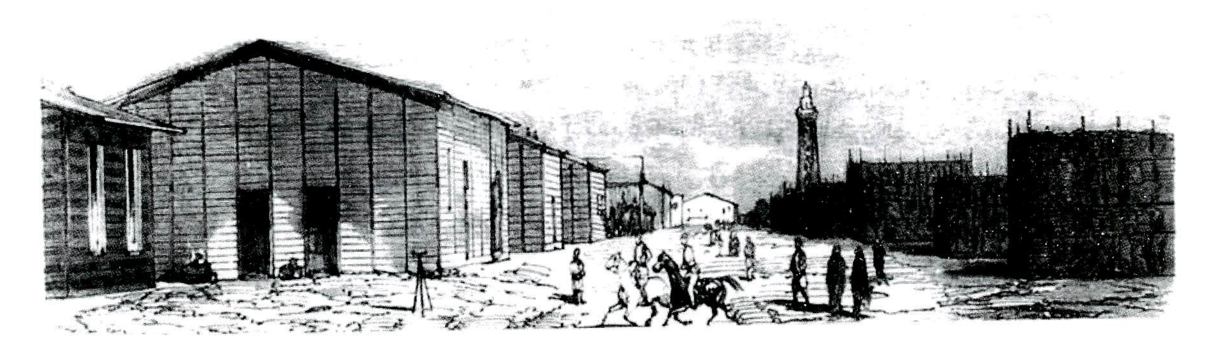
الإدارة الصحية فى بورسعيد وساحات الحفر

منذ أن وطئت قدما دى ليسبس منطقة برزخ السويس فى ٢٥ إبريل ١٨٥٩ فكر فى إنشاء إدارة صحية تتولى الإشراف على كافة الأمور الصحية لكافة العاملين فى شركة قنال السويس لدرجة أنه عندما بدئ فى دق أول معول فى أرض قناة السويس اصطحب معه الطبيب DR. AUBERT ROCHE وطلب منه وقتها دراسة إنشاء إدارة طبية مسئولة عن إنشاء مراكز طبية فى مناطق الحفر تزود بالإطباء والصيادلة والممرضين ويزود كل مركز إسعاف بأسرة وكمية من الأدوية ذات العمر الطويل ولا تتعرض تركيباتها للانحلال بسرعة وكالتى تستخدم فى مواقع الجيوش المحاربة .

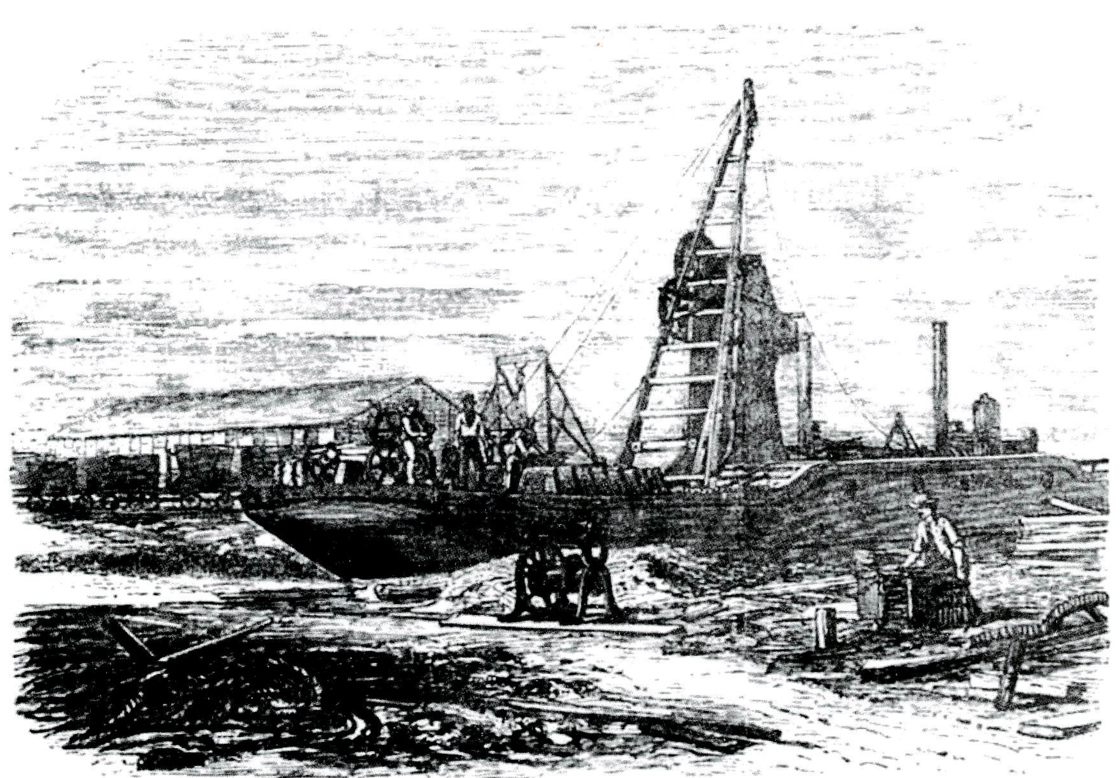
وبالفعل نجح الدكتور روش فى وضع خطة لإنشاء الإدارة الصحية لشركة قنال السويس عرضها على دى ليسبس والذى أقرها وفى العاشر من يناير سنة ١٨٦٠ أنشأ دى ليسبس الإدارة الصحية وعين لها الدكتور روش مديراً عاماً لتلك الإدارة التى كانت مهمتها مكافحة الأمراض ومواطن القذارة وإقامة المغاسل والحمامات العامة .

لقد كانت مسئولية تلك الإدارة شاقة وجسيمة أمام الجموع الهائلة الواردة على مناطق الحفر سواء كانوا مصريين أو أجانب .

وبتقدم الحفر من بورسعيد جنوباً أخذت تنشئ مراكز طبية جديدة فى كل نقطة يصل إليها الحفر تظهر للوجود وعلى خريطة المناطق التالية مبتدئة ببورسعيد ثم القنطرة والفردان وعتبة الجسر والإسماعيلية وطوسون وسرابيوم وجنيفة والشلوفة والدفرسوار والسويس



الورش المطلة على شاطئ بورسعيد

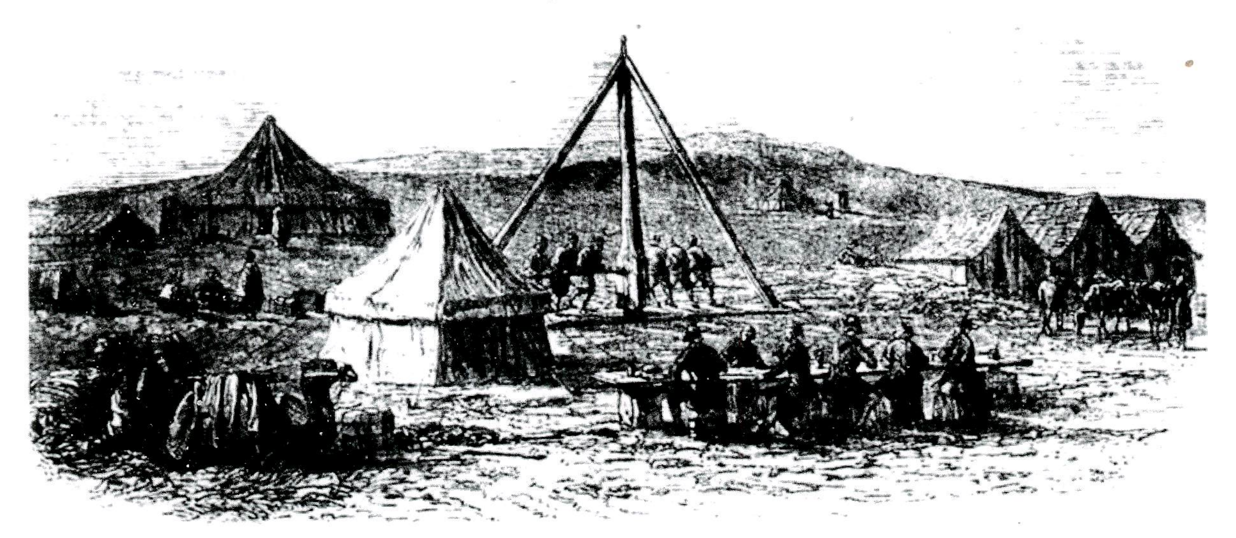


Cliché de l'Illustration.

تركيب أول كراكة في بورسعيد

Cliché de The Illustrated London News.

عمليات الحفر ونقل ناتج الحفر من الأتربة



معسكر للمهندسين عند نقطة الحفر

وانشئت مراكز عبارة عن كشك خشبى استوردته شركة القناة من فرنسا ونقل من بورسعيد مفككاً على ظهور الإبل ثم يعاد تجميعه وتعين طبيب وصيدلى ومجموعة من المستخدمين والعمال الأجانب وزودته بسبعة أسرة بالإضافة للأدوية طويلة العمر التى لا تفسد بسرعة ..

وكانت تلك الإدارة تتولى تقديم الرعاية الطبية والإنسانية لكل من يقيم على أرض برزخ السويس - ومنذ نهاية ١٨٦٦ اقتصر نشاط الإدارة الطبية على العاملين بشركة قناة السويس مما اضطر إسماعيل حمدى بك محافظ القناة (فيما بعد) أن يخطر الخديوى إسماعيل بضرورة تغيير سياستها حيال الخدمات التى تؤديها للمواطنين المقيمين على أرض قناة السويس أى تصبح الخدمة الطبية شاملة للكافة . بل وامتد نشاط هذه الإدارة إلى رصد التغيرات الجوية فى منطقة بورسعيد بعد أن وفرت شركة القنال الأجهزة الخاصة بهذه المهمة .

١٨٦٠

جاءت سنة ١٨٦٠ ولم تأت بجديد بالنسبة للأعمال المتعلقة بالحفر أو نشأة المدينة إلا أنه زاد عليها بعض التطوير فى تلك الأعمال بالإضافة إلى إنشاء حوض صغير للميناء .

ففى قطاع جمع العمال ، فبالرغم من جهود لجنة جمع العمال السابق الحديث عنها نجد أنها لم تنجح النجاح الكامل فى جمع العمال ، مما أدى ذلك إلى اقتصار نشاط شركة قناة السويس على أعمال ذات صبغة فنية فاتجهت الشركة إلى جعل بورسعيد مكاناً صالحاً لرسو السفن التى ترد من أوروبا والإسكندرية حاملة مواد التموين ومهمات تنفيذ المشروع كما ساعد الفنار المقام فى إرشاد السفن القادمة لبورسعيد والاهتداء إليها كما ساعد الكوبرى المنشأ داخل البحر فى رسو السفن عند الجزيرة وساعد هذا الكوبرى كثيراً فى نقل الأحجار الواردة لبورسعيد من محاجر المكس بالإسكندرية والتى استخدمت فى بناء الأرصفة الخاصة بالميناء وحاجزى الأمواج .. ولقد يسرت القضبان الحديدية المقامة فوق هذا الكوبرى فى نقل المعدات الواردة لبورسعيد بحراً وتوزيعها على ورش شركة القنال ومستودعاتها فى بورسعيد فأدى ذلك إلى اتساع الورش الميكانيكية سواء كانت خاصة بأعمال النجارة أو الحدادة أوسباكة المعادن ولحامها وإلى غير ذلك من الأعمال الفنية كما شيدت مصنعاً لصناعة الطوب ثم زودته بفرن لحرق قطع الطوب ..

ونظراً لقلة الأيدى العاملة فلم تكن عمليات الحفر على نطاق واسع بل ركزت الشركة اهتمامها على حفر القناة الصغيرة لكى تصل بين منشآت ميناء بورسعيد وبحيرة المنزلة تسهيلاً فى نقل ماء الشرب والمواد الغذائية الواردة لبورسعيد مباشرة بواسطة القوارب والتى أطلق عليها قناة الاتصال LA RIGOLE DE SERVICE وبلغ طولها ٢,١٠٠ كم وعمقها نصف متر واتساعها خمسة أمتار وأعدت الشركة من أجلها صنادل تسير فيها بسهولة إذ كان الجزء الغاطس منها لا يزيد إرتفاعه عن ١٢ سم حيث بدأت أول كراكة العمل فى هذه القناة اعتباراً من يونيو ١٨٦٠ .

وقامت شركة القنال بشراء صفقة من مخلفات الجيش الإنجليزى فى حرب القرم [١] وكانت عبارة عن أكواخ خشبية ضخمة كان الجيش الإنجليزى يستخدمها ثكنات لجنوده وقد استبدلتها الشركة محل الخيام التى كانت تستخدمها لمستخدميها وعمالها الأجانب دون العمال المصريين الذين استمروا فى سكن الخيام .. وجاء فى رسالة الدكتور محمود جلال الدين الجمل ، بورسعيد ملتقى الشرق بالغرب ، أنه فى الشرق من القناة نجد جزءاً خاصاً أطلق عليه حى العرب ويوجد هذا الحى فى الطرف الشمالى الشرقى من تخطيط مدينة بورسعيد سنة ١٨٦٠ ويغلب بنا الظن أن هذا الحى كان بتسميته هذه ملتقى عرب سيناء الذين كانوا يتجمعون فى هذا المكان من أجل بيع مياه الآبار والبلح فهناك فى الشرق بلدة قاطية التى تشتهر بالبلح كذا قرية البلاح التى سميت بهذا الإسم لكثرة البلح فيها - واستعانت الشركة ببعض رجال الأزهر فعينت إماماً للمسلمين [٢] فى هذا الحى لترغيب المسلمين على الاستيطان .

لقد بلغ تعداد سكان بورسعيد خلال تلك السنة ٢٠٠٠ نسمة ونظراً لقلة الأيدى العاملة فقد تمكن من تجميع إحدى الكراكات المتعاقد عليها والتى وصلت مفككة إلى بورسعيد وبدأت عملها فى يونيو سنة ١٨٦٠ حيث أنجزت جزءً من حفر القناة يتراوح عرضه بين ١١ متراً إلى ١٢ متراً وعمقه ١,٥ متراً .

لقد وزع دى ليسبس الأكواخ الخشبية على مناطق الحفر وفى منطقة بورسعيد أقامها على قوائم خشبية بارتفاع ١,٥ متراً حتى لا

---

(١) أعلن قيصر روسيا نيقولا الاول تحديه لتركيا وافصح عن نيته تصفية وتقسيم الامبراطورية العثمانية مما إدى إلى نشوب الحرب بين روسيا وتركيا فى أكتوبر ١٨٥٣ فهبت إنجلترا وفرنسا لنجدة تركيا وعرفت بحرب القرم وإنتهت بهزيمة روسيا سنة ١٨٥٦ .

(٢) من الثابت تاريخياً أن أقباط مصر لم يقدموا طواعية على الإشتراك فى أعمال حفر قنال السويس رغم توطيد دى ليسبس علاقته بالبطريرك كيرلس الرابع والدليل أنه لم ينشأ أية كنائس قبطية فى مناطق الحفر ، وهذا ماذكر بمرجع السخره فى حفر قناة السويس للدكتور عبد العزيز الشناوى .

تصلها مياه الفيضان وبمرور الوقت وبانتهاء ردم المدينة بناتج الحفر أصبحت تلك العشش الخشبية على مستوى سطح الأرض .. وكانت تلك العشش الخشبية منتشرة عند الحد الشمالى للمدينة المطل على البحر الأبيض المتوسط مباشرة وكان مكان تلك العشش فى مكان فرق الأمن والمستشفى الأميرى ومبنى الشعبة الجنائية حيث مبيت المهندسين وورش شركة القنال .. **أما سكن دى ليسبس فكان موقعه مكان الحديقة الخاصة بالبيت الحديد ..**

وخلال تلك السنة أضاف دى ليسبس مكثفاً ثالثاً لتحلية ماء البحر ليجابه حالة تزايد الأيدى العاملة خلال تلك السنة .. كما قام بمد حاجز الأمواج الغربى ١٠ أمتار أخرى ليصبح طوله ٢٦٠ متراً .

هذا وقد أصدر الوالى محمد سعيد الأمر التالى - الوارد ذكره بكتاب تقويم النيل لأمين سامى باشا ص ٣٥٣ من مجلد عصر عباس الأول ومحمد سعيد لناظر المالية « عرضت لدينا صورة الشروط المقتضى ربطها مع موسيو فردن دولسبس ريس كومبانية خليج السويس المحتوية ستة بنود كالموضح بهذا ولأجل إعتمادها وإعطاء البونات اللازمة بمبلغ الخمسة عشر مليون ومائتان ثمانية وأربعون ألف وأثنين وأربعون فرنك وثمانية وثمانون سنتيم بالمواعيد المبينة بالبند الثانى وأصدرنا أمرنا إليكم - ناظر المالية - كما إقتضته إرادتنا .

حاشية : البونات الموضح عن إعطائهم بأمرنا هى السندات وليست البونات أما الأخرى الموضح بيانها فى هذا الإتفاق فتكون بإسم النعم وهى مائة سبعة وسبعين ألف وستمائة إثنين وأربعين حصة بقومبانية خليج السويس » .

١٨٦١

لم يزد عدد العمال المصريين المشتركين فى أعمال الحفر حتى نهاية عام ١٨٦٠ عن ١٧٠٠٠ عامل بمعنى أن الزيادة التى حققها مندوب الشركة خلال سنة كانت بسيطة جداً بجانب ضخامة المشروع .. لذلك فكر دى ليسبس فى استخدام وتنفيذ لائحة عمال السخرة مرة أخرى وهى اللائحة المسماة بلائحة إستخدام العمال حتى لايصبح تنفيذ هذا المشروع مستحيلاً .

فقام دى ليسبس بوضع إعلان باللغة الفرنسية دعا فيه المصريين إلى العمل فى ساحات الحفر ووعدهم بالكسب الوفير والحياة الرغدة وارسل هذا الإعلان بخطاب إلى روسينرس Ruiyssenasers الوكيل الأعلى لشركة القناة فى مصر والموجود بعتبة الجسر وطلب منه العمل على ترجمته إلى العربية وطبعه فى إحدى المطابع . وفى ٨ فبراير ١٨٦١ طبع منه ثلاثة آلاف نسخة وزعت على المدن والقرى وثبتت على أبواب المساجد ومحطات السكك الحديدية والأسواق وأنشئت نقط تجمع للعمال بالقاهرة والمنصورة والزقازيق ودمياط .

ونص الإعلان الذى وزعته شركة القنال على المصريين كالآتى :

مقاولة الأشغال العامة

المادة الأولــى : شيدت قرى خصيصاً للمصريين على طول ساحات الحفر .

المادة الثانيــة : أعدت هذه القرى بحيث يستطيع العمال المصريون إصطحاب عائلاتهم معهم .

المادة الثالثــة : شيدت فى كل قرية مسجداً .

المادة الرابعــة : حفرت قناة تجلب ماء النيل إلى جميع القرى طوال مدة الحفر .

المادة الخامسة : يشتغل العمال المصريون على أساس المقطوعية وبهذه الطريقة يستطيع العامل العادى أن يكتسب فى اليوم الواحد أجراً يتراوح بين ستة قروش وثمانية قروش ويستطيع أن يكتسب أكثر من هذا إذا كان مجداً وذكياً ..

المادة السادسة : تدفع الأجور نقداً طالما تنتهى المقطوعية وعندها تكون للعامل الحرية فى أن يترك العمل أو يأخذ مقطوعية أخرى جديدة .

المادة السابعة : تترك الحرية التامة للعمال المصريين فى شئون الطعام فيستطيعون دائماً شراء المأكولات إما من محلات المقاول بالأثمان المقررة فى التسعيرة وإما من الباعة الذين يفدون إلى ساحات الحفر وبالإختصار فإن لهم مطلق الحرية فى تدبير طعامهم الذى يرد لهم من أقرب المدن إلى ساحات الحفر وهى بلبيس والزقازيق والمنصورة ودمياط .

المادة الثامنــة : ممنوع بتاتاً على أى أوربى أياً كان منصبه أودرجته أن يسئ معاملة العمال المصريين .

القاهرة فى فبراير سنة ١٨٦١



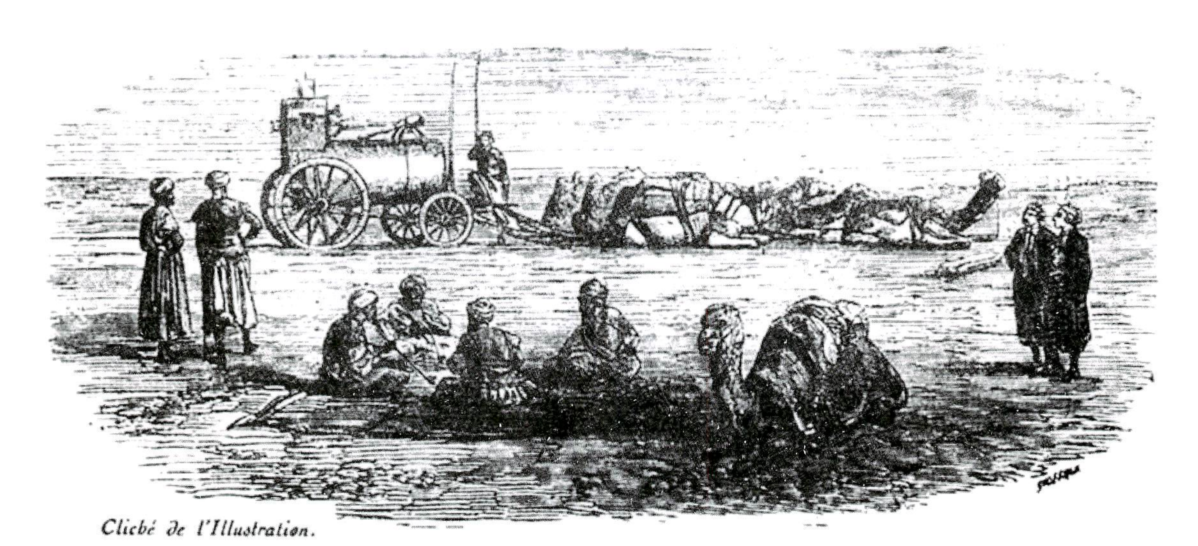
أحد الأكواخ التى اشتراها دى ليسبس من مخلفات حرب القرم على شاطئ بورسعيد



أحد التفجيرات فى جبل عتاقة للحصول على الأحجار المستخدمة فى إنشاء أرصفة القناة

Cliché de l'Illustration.

الجزيرة الصناعية والمرسى على البحر المتوسط أمام بورسعيد

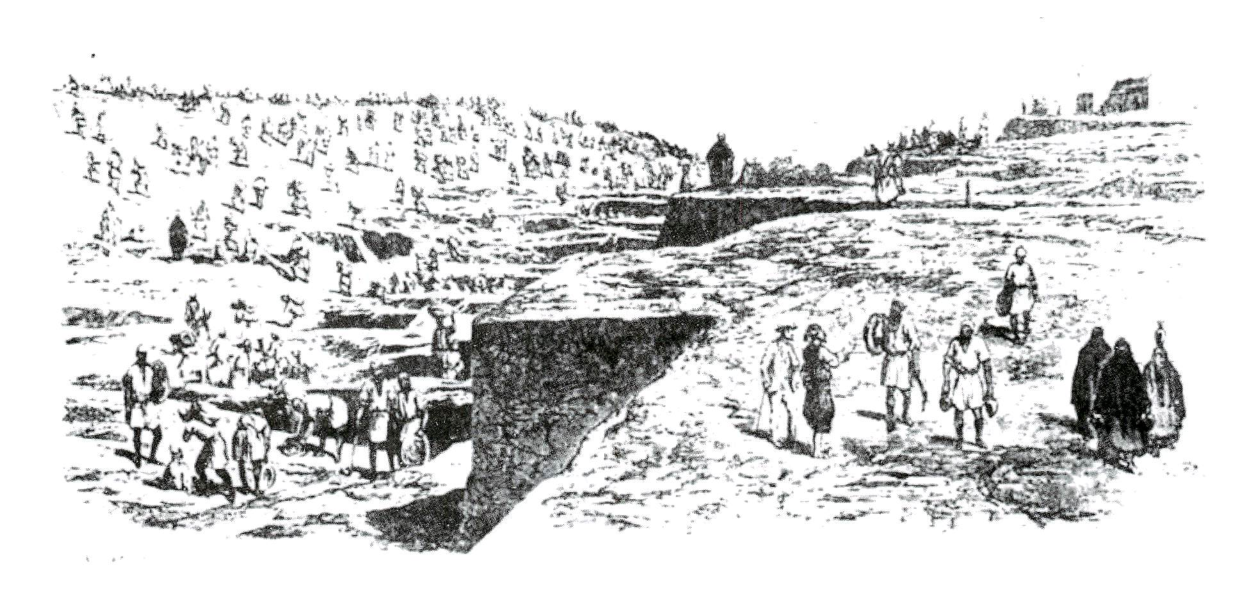


Cliché de l'Illustration.

نقل قاطرة بخارية من منطقة بورسعيد إلى داخل نطاق الحفر



نقل إحدى الكراكات مفككة من بورسعيد عبر الصحراء إلى نقاط الحفر المختلفة



مقطوعيات العمال فى أعمال الحفر



مجموعة من العمال فى فترة راحة بعد عناء الحفر

لقد ساعد كثير من العمد فى جمع العمال كما عقدت الشركة إتفاقيات مع مقاولين [1] نظير عشر بارات عمولة عن كل عامل .

وقد أدت تلك السياسة إلى توافد أعداد متزايدة من العمال حتى بدأت فى ١٩ أبريل سنة ١٨٦١ أن تحفر ترعة الماء العذب من القصاصين فى إتجاه بحيرة التمساح ومنذ هذا التاريخ إعتمدت شركة قنال السويس على أعمال السخرة فى تنفيذ مشروعها وقد بارك الوالى محمد سعيد أعمال الشركة عند زيارته [2] المفاجئة إلى بورسعيد فى ١٢ أبريل سنة ١٨٦١ حيث شاهد الميناء الجديد والذى أطلق عليه دى ليسبس إسم ميناء سعيد أو بورت سعيد - حيث أعد له دى ليسبس إحدى عربات السكة الحديد (الديكوفيل) واستقلها من الميناء وزار مختلف الورش ، والمستودعات وغيرها من المنشآت .

ونظراً لإزدياد الأيدى العاملة التى توافدت على مناطق الحفر فلم تف موارد المياه التى سلكتها شركة القنال إلى حل مشكلة مياه الشرب خلال سنوات الحفر الأولى سواء كان نقله من الإسكندرية فى السفينة التى استأجرتها الشركة « سعيد » ثم السفينة « يوسف » أو بواسطة القوارب والسفن الصغيرة عبر بحيرة المنزلة من المطرية والمنزلة أو عبر الطريق البرى من دمياط بواسطة الإبل حتى المكثفات الثلاثة التى قامت بتركيبها لتحلية ماء البحر كثيراً ما تعرضت للتوقف بسبب العطب الذى يصيب بعض أجزائها كل ذلك أدى إلى تعرض كثير من العمال لخطر الموت عطشاً .. فلجأت الشركة إلى نظام مقاولة توريد المياه العذبة عبر بحيرة المنزلة .. فاتفقت فى بادئ الأمر مع مصطفى بك عنانى - وهو أحد المصريين المشتغلين بتجارة الأسماك فى منطقة بحيرة المنزلة ويمتلك أسطولاً كبيراً للصيد وله الكلمة العليا على سكان تلك المنطقة - بأن يقوم بتوريد مالا يقل عن ستة أمتار مكعبة من الماء العذب يومياً ينقلها فى براميل تقدمها له الشركة على ظهر قواربه وترسو بجوار الفنار الخشبى المقام بالقرب من الميناء وبالقرب أيضاً من ضفة بحيرة المنزلة - **عند الرسوة الحالية ومنها جاءت تسمية الرسوة حيث ترسو السفن وقوارب الصيد بجوار هذا الفنار** - ويتقاضى ستة فرنكات عن كل متر مكعب وكان هذا الاتفاق فى صالح الشركة إذ أن تكلفة المتر المكعب الذى تنتجه المكثفات من الماء العذب يكلف شركة القنال عشرين فرنكاً .. ولم يستمر هذا الإتفاق طويلاً فعادت ثانية إلى التعاقد فى يونيو ١٨٦١ مع محمد الجيار من أصحاب السفن فى بحيرة المنزلة على نقل ماء الشرب فى براميل تعهدت الشركة بتقديمها له بحيث تحمل كل سفينة برميلين من الصاج سعة كل برميل متر مكعب من الماء العذب وعند وصول كل سفينة إلى بورسعيد تقوم بتفريغ شحنتها من الماء بواسطة مضخة ضاغطة إلى خزان شيدته الشركة من الصاج يسع ٣٢ متراً مكعباً وتوزع المياه على المساكن بواسطة سقائين يتقاضون عن كل طن ١٢,٧٥ فرنكاً بواقع ١/٤ مليم لكل لتر فهل حلت شركة قناة السويس مشكلة الماء العذب بتلك الطريقة ؟!.

نترك الجواب للمسيو ريت OLIVIER RITT أحد رؤساء العمل من الفرنسيين ببورسعيد الذى كتب يصف ما عايشه من أخطار قائلاً « بورسعيد فى ١٥ من ديسمبر ١٨٦١ - لقد خرجنا من أزمة خطيرة مروعة فقد كسر أحد المكثفات ولم تكف مقادير الماء التى ينتجها المكثفان الآخران لمواجهة استهلاك المدينة اليومى فقد زاد عدد السكان زيادة كبيرة ولم نستطع الاعتماد على الماء العذب الذى تجلبه من المطرية سفن الريس محمد الجيار الذى عقد معه اتفاقاً لنقل الحاجيات عبر بحيرة المنزلة وخاصة لنقل ماء الشرب إلى بورسعيد ورأس العش ومما زاد الموقف حرجاً هبوب رياح عاصفة شديدة دامت ستين ساعة متوالية ولم يصل إلينا أى قارب أو سفينة طوال المدة التى استمرت خلالها العاصفة ولم يكن هناك من بد من أن نطبق توزيع الماء على السكان بالبطاقات وكان نصيب الفرد لايزيد عن لترين من الماء لكفاية استعمالاته ولما حل اليوم الثالث ولم يظهر أى قارب أو سفينة فى طريقها إلينا تجمهر العمال ووقفوا عند مرسى السفن المنتظر وصولها من المطرية ولم تكد هذه القوارب تقف تجاه مراسيها حتى اندفع العمال [3] المتجمهرون وكان عددهم يتراوح بين مائتين وثلاثمائة عامل ودفعوا جانباً وبكل عنف رجال هذه القوارب وفتحوا براميل الماء واغتصبوا شحنة المياه .. لم تبق جرعة من الماء فى هذه القوارب وقد غادر العمال المكان .. إن الموقف خطير » .

وكان نصيب الفرد فى الأيام العادية من المياه العذبة ٨ لترات فى اليوم الواحد يكلف ٤ مليمات بواقع نصف مليم عن كل لتر تدفع للسقاء وهذا مبلغ باهظ فى ذلك الوقت إذ تمثل عشر دخل العامل حيث كانت أجرة العامل فى اليوم ٤ قروش .

---

(١) كان أغلب المقاولون من الأجانب وأشهر هؤلاء PILIDI , COSTA

(٢) كان سعيد قبلها فى زيادة للإسكندرية فى رحلة بحرية فلاح له أن يعرج على الميناء الجديد .

(٣) هذا الحدث نعتبره أول ثورة شعبية ضد الظلم والطغيان فى بورسعيد بل وفى مصر كلها .

دى ليسبس يصف بورسعيد بعد سنتين من بدء الحفر

فى الاجتماع الثانى لدى ليسبس بحملة أسهم شركة قنال السويس العالمية فى ٢٥ مايو سنة ١٨٦١ خطب فيهم دى ليسبس وشرح كيف حالف النجاح تنفيذ مشروعه ووصف لهم مدينة بورسعيد وماأصبحت عليه هذه المدينة الفتية قائلاً : « أصبح تعداد مدينة بورسعيد الآن ٢٠٠٠ نسمة واستقبل ميناؤها ٣٥ سفينة حمولتها ٢٩٠٠٠ طناً وأصبح لها رصيفان طول أحدهما ٢٧٥ متراً ترسو بينهما السفن فى أمن وأمان . »

موقف بريطانيا حيال أعمال حفر قناة السويس

أثار أعضاء مجلس العموم البريطانى أثناء إنعقاده موضوع قيام دى ليسبس بشق قناة السويس ومطالبته سعيد بتطبيق لائحة استخدام العمال بجلسته المنعقدة ٢٥ يونيو ١٨٦١ ووعد وزير الخارجية البريطانية بإجراء تحقيق دقيق بخصوص مدى استخدام السخرة فى حفر قناة السويس .

وتمت الاتصالات بين سعيد وقنصل إنجلترا العام فى هذا الشأن فقام سعيد بوضع السفينة البخارية « منفلوط » تحت أمره فشكل لجنة مكونة من قنصل إنجلترا بالإسكندرية Saunders ومندوب شركة القناة بإنجلترا Lange والوكيل الأعلى لشركة القناة فى مصر Ruys-senaers وكبير أطباء شركة القنال Dr. Aubert Roch والمهندس الألمانى Henze مفوض من قبل قنصل بروسيا وأعضاء آخرين غيرهم واستقلوا جميعاً السفينة « منفلوط » وأبحروا عليها من الإسكندرية فى ٢٩ يونيو ١٨٦١ متجهين إلى بورسعيد فوصلوها فى اليوم التالى حيث طافوا بمناطق الحفر ثم اتجهوا جنوباً مارين بالقنطرة والفردان ومرتفعات عتبة الجسر حتى وصلوا إلى بحيرة التمساح وبعد أن تفقدوا سير أعمال الحفر عادوا عن طريق مديرية الشرقية .

أما انطباع أعضاء تلك اللجنة عن حياة العمال فى أرض البرزخ فيتكشف من عضو المجلس البريطانى Scott فقد ذكر « إن الفلاحين يتناولون وجبات طيبة ويتقاضون بانتظام أجورهم فلا يمكن وصف عملهم بالسخرة بالإضافة إلى أن أجرهم يتفاوت من ٢٥ مليماً إلى ٥٠ مليماً فى اليوم وهذا الأجر أكثر مما يتقاضونه فى قراهم عن الأعمال العادية .. إلا أن المشاهد بأن هؤلاء العمال لا يتقاضون أجورهم نقداً بل يمنحون صكوك قابلة للدفع من خزانة الحكومة بالقاهرة ولكى يصرف هؤلاء العمال تلك الصكوك يتكبدون مصاريف الإنتقال إلى القاهرة مما يضطرهم إلى بيع تلك الصكوك للمرابين الوسطاء لقاء مبالغ زهيدة ..... » .

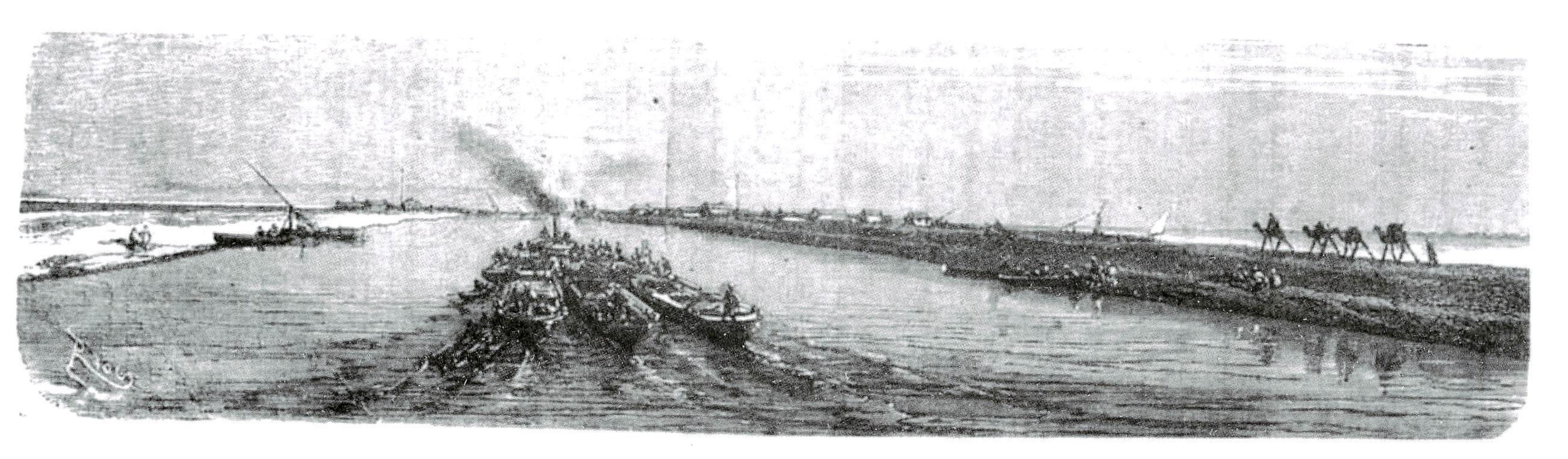
وقد ابتدعت الشركة عملة خاصة بها أصدرتها من ورق كرتون بألوان تختلف باختلاف قيمتها ـ عشر بارات وعشرين بارة ـ وتلك العملة كانت متداولة فى مناطق الحفر وتتداول فى الشراء من المحلات المنتشرة فى أماكن الحفر كذا فى الشراء من مخازن المقاول العام للشركة .. وكانت حجة الشركة فى إصدار مثل تلك العملة بأنها لا تستطيع أن توفر الكم الهائل من النقود المصرية من الفئات الصغيرة .

إن كثيراً من أخبار الحفر والمشاكل التى كانت تقابل القائمين على الحفر تناولتها الصحف العالمية وبالأخص الصحف البريطانية ـ لأن بريطانيا كانت الدولة المناوئة لمشروع حفر القناة مما أدى بالذين أشتروا أسهم شركة قنال السويس أن يمسكوا قلوبهم بأيديهم إلا أن دى ليسبس الماهر الماكر ادعى أنه باع أسهم القناة وأن العمل يجرى فى الحفر على قدم وساق ودعا دى ليسبس مندوبى الغرف التجارية الأوربية للاطمئنان على الاستمرار فى أعمال الحفر وأن السخرة تسير برضاء الوالى المصرى محمد سعيد باشا فأعدلهم قطاراً خاصاً طاف بهم مناطق الحفر حيث لجأت شركة قناة السويس إلى وسيلة سريعة فلم تحفر أول الأمر قناة السويس الحقيقية التى كان مقرراً أن يكون عرضها ٨٠ متراً وعمقها ٨ أمتار وهى الأبعاد التى قررتها اللجنة العلمية الدولية ولكنها عملت على شق طريق مائى صغير يتراوح عمقه بين متر ومتر وعشرين سنتيمتراً ويتفاوت عرضه من ثمانية أمتار إلى أثنى عشر متراً يبدأ من بورسعيد ويتجه جنوباً إلى بحيرة التمساح فالسويس على الخط المقترح لسير قناة السويس حتى يحين الوقت الذى يتوفر فيه للشركة الوسائل لتعميقها وتوسيعها فتبدو القناة البحرية أبعادها المقررة وقد عرف هذا الطريق المختزل باسم قناة الخدمة البحرية الصغيرة La Rigole De Service وكان ذلك رغبة من الشركة فى استخدام الأيدى العاملة من السخرة باعتبارها رخيصة غير مكلفة وذلك لحين التوسع فى استخدام الكراكات والتى يبلغ ثمن الكراكة الصغيرة فى ذلك الوقت ٥٤٩٠٠ فرنكاً يضاف إليها مصاريف شحنها إلى بورسعيد ونقلها إلى ساحات الحفر مفككة وإعادة تركيبها وهذا يمثل عبئاً مادياً كبيراً على الشركة ..

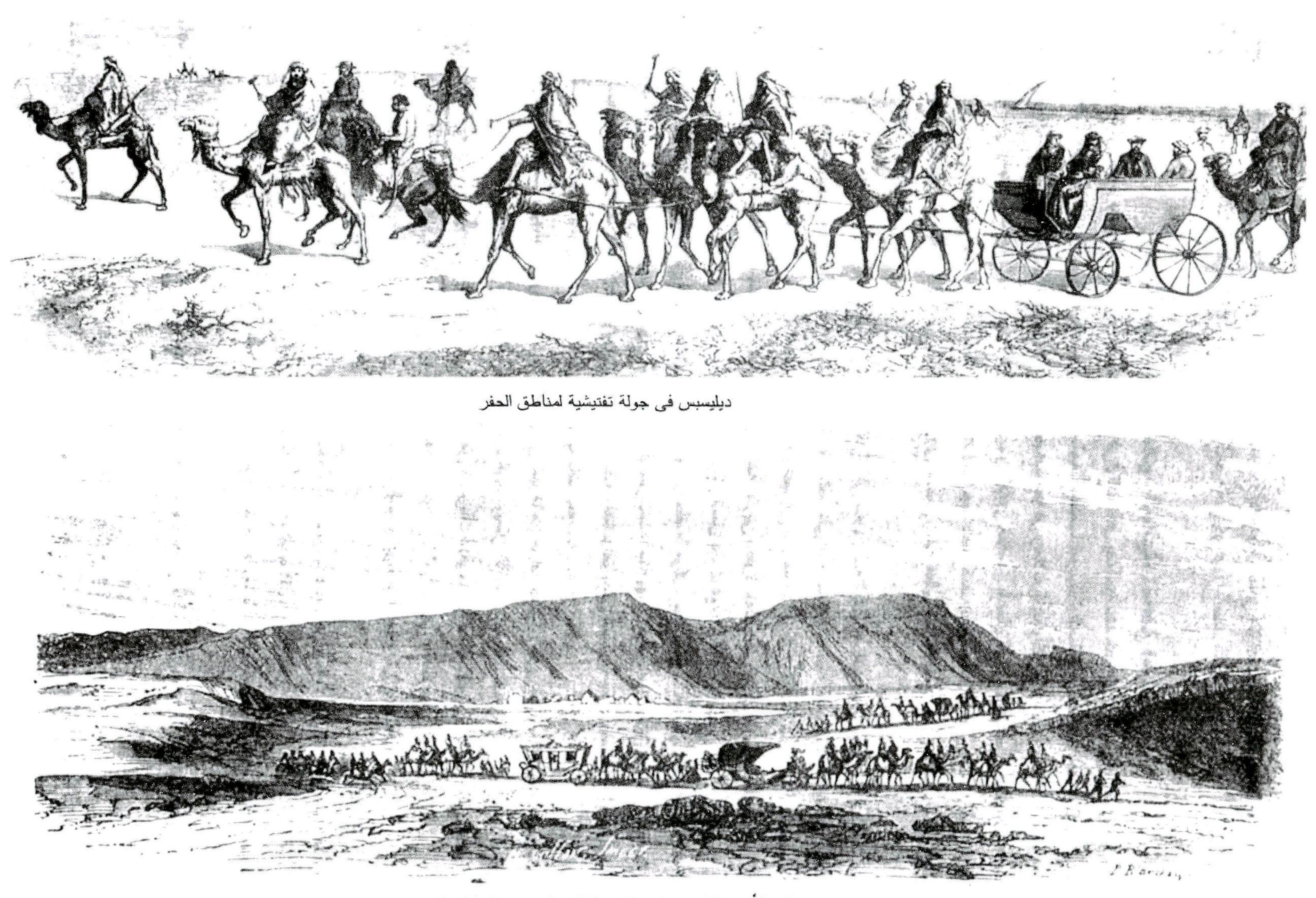
ومما يدل على إطمئنان الوالى محمد سعيد على سير العمل فى حفر قناة السويس أنه زار مناطق الحفر للمرة الثانية خلال تلك السنة



المدينة الوليدة بورسعيد وشاطئها



القناة جنوب بورسعيد



ديليسبس فى جولة تفتيشية لمناطق الحفر

زيارة الأمير نابليون ، ابن نابليون الثالث واوچينى ، لمناطق الحفر

فى ديسمبر ١٨٦١ حيث زار منطقة عتبة الجسر وهى عبارة عن هضبة صخرية بارتفاع من ١٤ إلى ١٩ متراً وتعترض مجرى قناة السويس وتقع فى شمال الإسماعيلية وأعد له مأدبة على أرض برزخ السويس حظى منه على موافقة توريد عشرين ألف عامل شهرياً يقومون بأعمال الحفر فى تلك النقطة التى تعد من أقسى نقاط الحفر والتى كثر فيها استخدام الكرباج .

تفاصيل رحلة سعيد الثانية لمناطق الحفر

توجه الوالى محمد سعيد باشا إلى مرتفعات عتبة الجسر فى ركب حافل يصاحبه عدد كبير من حاشيته وقوة كبيرة من حرسه الخاص مكونة من ألف نوبى وقوة أخرى من الجيش المصرى حاملة أسلحتها تتقدمها الموسيقات العسكرية وتلك القوة تمثل سلاحى البيادة ، المشاة ، والهجانة بزيهم الفخم المزركش .. وكان سعيد من عادته أن يصطحب معه فى رحلاته كتيبة وأكثر تقوم بعدة إستعراضات أثناء رحلته ..

واستقبله دى ليسبس - صديقه الحميم - ورفاقه من المهندسين الفنيين القائمين بأعمال الحفر خير استقبال حيث أعد له قطار ديكوفيل لينتقل به إلى مسرح العمليات فى هضبة عتبة الجسر حيث شاهد سعيد بنفسه كيف يشق العامل المصرى الصخر فى تلك المنطقة التى تعتبر أصعب نقطة على خريطة قناة السويس بعدها أعد له دى ليسبس وليمة حظى خلالها بتصريح من سعيد بعشرين ألف عامل كل شهر يشتركون فى أعمال الحفر .

وفى الساعة التاسعة من صباح ٨ ديسمبر ١٨٦١ غادر الوالى سعيد عتبة الجسر يصاحبه دى ليسبس وأفراد الحاشية حيث قاموا بجولة فى المنطقة التى وقع عليها الاختيار بأن تكون ثانى مدينة تنشأ على قناة السويس - مدينة الإسماعيلية - فيما بعد - فأعجب بسحر الطبيعة وجمالها فى تلك المنطقة ثم قام بجولة لمنطقة آبار نفيشة ومنها إلى مزرعة بير أبو بلاح التابعة لشركة القناة وأعجب بالمزروعات والأشجار التى فيها وأمر بأخذ عينات منها وبعد الظهر واصل جولته جنوبى بحيرة التمساح إلى مركز طوسون والتى أطلقت عليه الشركة هذا الأسم نسبة إلى طوسون ابن سعيد باشا وهو مركز يتوسط مراكز العمل أقامت فيه شركة قناة السويس كثيراً من الورش ودخل سعيد طوسون على ظهر جواد ويجانبه دى ليسبس ممتطياً جواداً آخر وسار خلفهما موكب مؤلف من ستة جمال ركب فوقها كبار أفراد حاشية سعيد تتبعها عربة سعيد الخاصة تجرها ستة بغال ثم عربة دى ليسبس تشدها ستة جمال ثم قوة من الجيش المصرى .. حيث اخترق هذا الركب الصفوف المتراصة من العمال المصريين الذين هتفوا بحياته وقامت الموسيقى العسكرية بعزف السلام وقام سعيد ورفاقه بزيارة المنشآت المنتشرة فى مركز طوسون وبعد إنتهاء الزيارة عاد سعيد باشا للعاصمة ..

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن بورسعيد كانت تفضل عن غيرها من مواقع الحفر الأخرى الموجودة وسط الصحراء فمهما كانت مشاكل تأخر وصول المياه فيوجد بها ثلاثة مكثفات لتحلية ماء البحر ويمكن الاتصال بها عبر البحر الأبيض أوبحيرة المنزلة بالقوارب والسفن كذلك نجد أن رؤساء العمال وعددهم [١] ٣٥ شيخاً من مديريات الدقهلية وروضة البحرين (الغربية والمنوفية وكفر الشيخ) يوقعون على عرائض يثنون فيها على شركة قنال السويس مؤرخة أول نوفمبر ١٨٦١ والآتى ماجاء بها :

أولا : نحن والعمال الذين تحت أوامرنا نعمل فى أماكن حفر قناة السويس برغبتنا التامة ولكى نكسب قوتنا ..

ثانيـــاً : يجلب إلينا الماء بوفرة ويزيد عن الحاجة .

ثالثـــاً : توزع الأغذية فى الحال على العمال كلما طلبوا ذلك ويخصم ثمن هذه المأكولات من قيمة الأجور التى سبق تحديدها فى الاتفاق .

رابعـــاً : يقسم العمل على أساس المقطوعية ووافق على ذلك العمال وتدفع إليهم الأجور بانتظام .

خامساً : يؤدى العمل بالاختيار ويوزع على العمال بحضورنا ولم تحدث مطلقاً مناوشات ولم يحدث مشاكل من جانب موظفى الشركة أو من جانب العمال .

سادساً : لا يوجد إلى هذا اليوم أى عامل مريض ولم يتوقف أحد منهم ونحن والعمال الذين تحت إشرافنا نثنى على هذا المركز الذى وضعنا فيه .

ونحن نشهد بهذا وقد ختمنا على هذه الشهادة .

أول نوفمبر ١٨٦١ (ختم ٣٥ شيخاً من رؤساء العمال)

---

(١) نشرت أسماؤهم بمجلة منطقة الزقازيق التعليمية فى عددها الصادر ١٩٤٩ .

وعلى مايبدوا لنا أن هذه العريضة موحى بها من قبل شركة قنال السويس وليست مكتوبة بإرادتهم والدليل ماسنورده عن رأى الأجانب المقيمين فى مناطق الحفر .

فنشرت جريدة Standard مقالاً جاء فيه الآتى ، لقد علمنا من مصدر موثوق به أن العمال التاعسين كانوا يسحبون سيراً على الأقدام إلى بورسعيد وقد ربط بعضهم إلى البعض كالجمال أومثل قطعان العبيد فى أفريقيا والتى يسوقهم تجار الرقيق من الأقاليم الداخلية إلى الساحل حيث تكون السفن فى إنتظارهم لنقل هذه السلع الآدمية ، ..

أما الفرنسى فوازان بك Voisin مدير عام الإشغال فى شركة قنال السويس والذى أشرف على عمليات الحفر فذكر حالة العمال خلال الحفر قائلاً ، كانت شركة القناة تواجه فى ذلك الوقت أخطر مشكلة صادفتها الموت عطشاً ونعنى بها مشكلة ماء الشرب فى ساحات الحفر وقد تخبطت الشركة فى التماس الحلول فكانت أحياناً تنقله إلى بورسعيد من دمياط فى قوارب ومن الإسكندرية فى باخرة ثم استوردت ثلاثة مكثفات تباعاً لتحويل ماء البحر إلى ماء مستثاغ كما كانت تعتمد حيناً ثالثاً على آبار متناثرة فى الصحراء تنقل منها الماء فى براميل على ظهور الجمال إلى مسافات بعيدة حيث كان يشتغل العمال ولقى كثير من المصريين مصرعهم بسبب تأخر وصول ماء الشرب إليهم وقد رأينا الشركة اختزلت مشروع ترعة الماء العذب فبدلاً من أن تحفرها من القاهرة إلى بحيرة التمساح رأت أن تحفرها مؤقتاً من قرية القصاصين فى مديرية الشرقية لتكون امتداداً لترعة الزقازيق والوادى اللتين كانتا متصلتين بدورهما بالقاهرة عن طريق بحر مويس وفرع دمياط ، .

أما Olivierr Ritt أحد رؤساء العمل فى شركة القناة وكان يقيم فى منطقة البرزخ فى ذلك الوقت فذكر فى سياق خطاب بعث به من البرزخ ان الحكومة المصرية أرسلت عدداً كبيراً من المصريين لحفر ترعة الماء العذب وهم يؤدون أعمالهم على أكمل وجه .

وكان دى ليسبس دبلوماسياً فى تعامله مع العمال المسلمين المشتركين فى أعمال الحفر حافظاً لهم مشاعرهم الدينية فأنشأ فى كل قرية من قرى ساحات الحفر مسجداً وقام بتعيين إمام له من رجال الأزهر أضاف لمسؤليتهم فض المنازعات التى تنشأ بين العمال .

وكانت منطقة عتبة الجسر والفردان وقرية التمساح من أهم نقاط الحفر فعين لها إماماً رشحه له الشيخ رفاعة الطهطاوى وصرف له مرتباً مجزياً قدره ١٢٥ فرنكاً فى الشهر وقام هذا الإمام باستلام عمله إعتباراً من منتصف مارس ١٨٦١ .

وكان من أهم الإنشاءات التى بدئ فى تنفيذها حاجز الأمواج الشرقى حيث إبتدئ العمل فيه فى شهر سبتمبر فوصل طول هذا الحاجز فى نهاية سنة ١٨٦١ خمسين متراً ..

وبلغ تعداد السكان فى مدينة بورسعيد خلال عام ١٨٦١ أكثر من ثلاثة آلاف منهم ألفان من المصريين أى أنهم يشكلون ثلثى سكان بورسعيد وقد توافدوا من المحافظات القريبة لبورسعيد أهمها دمياط والدقهلية والشرقية بالإضافة إلى أبناء محافظات الوجه القبلى مثل سوهاج وجرجا وأسيوط وقنا وأسوان .

وكان الغالب من هؤلاء أبناء مدينة دمياط الذين اشتغلوا بالإتجار فى المأكولات التى يجلبونها من موطنهم الأصلى والتى تفتقر لها بورسعيد بالإضافة إلى عملهم كحرفيين .

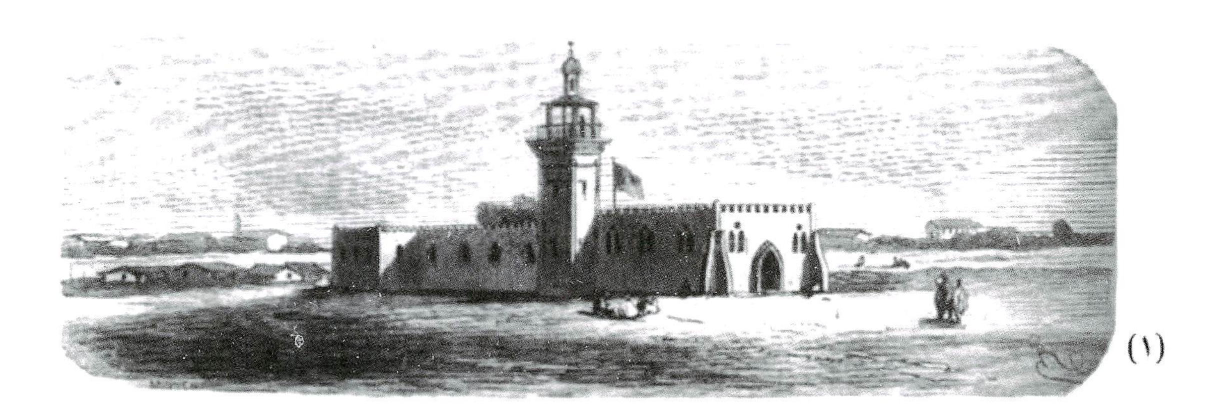
أما أبناء الوجه القبلى فلجأوا للعمل بالأعمال الشاقة كحمالة للبضائع والمعدات ولتفريغ مراكب الفحم بالإضافة لعملهم بخدمة المنازل والمحال .

وكانت بورسعيد تعتبر منطقة جذب سكانى خصوصاً وأن الأجور كانت مرتفعة نسبياً عن باقى أقاليم مصر بالإضافة إلى أن الريف المصرى كانت الزراعة فيه موسمية بمعنى أن الفلاح المصرى يبقى فى بعض أوقات السنة بدون عمل ..

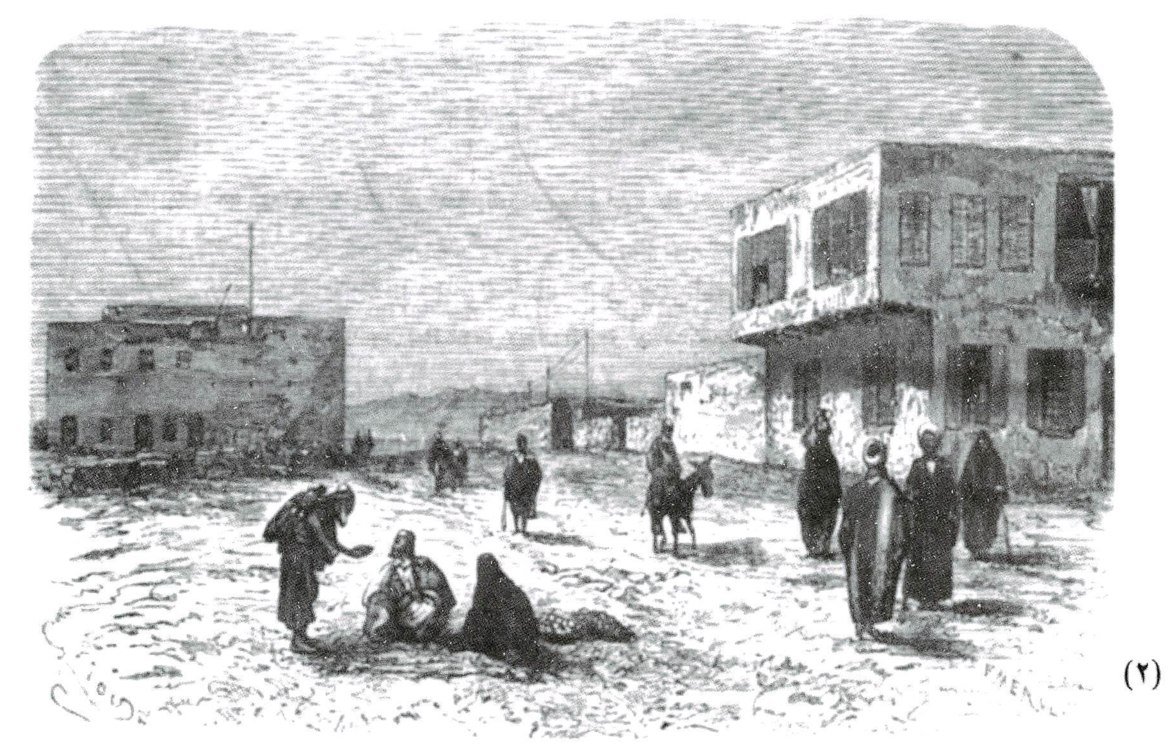
وكنوع من الإستقرار وكما أقام دى ليسبس للعاملين المسلمين مسجداً فى كل موقع من مواقع الحفر قام بتدشين كنيستين للمستخدمين الأجانب الأولى فى عتبة الجسر احتفل بتدشينها فى أول يناير سنة ١٨٦٢ والثانية فى بورسعيد احتفل بافتتاحها فى الخامس من يناير سنة ١٨٦٢ وقد حضر احتفال افتتاحهما الآب Roger والذى حضر خصيصاً لمصر لهذا الغرض وهو ينتمى لطائفة الفرنسيسكان .

١٨٦٢

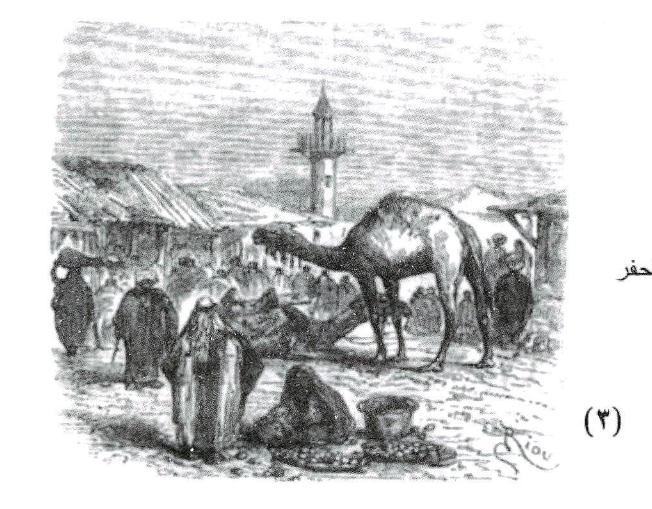
وبناء على زيارة الوالى محمد سعيد لمواقع العمل فى مرتفعات عتبة الجسر فى ديسمبر ١٨٦١ - شمالى الإسماعيلية - أصدر دى ليسبس أوامره لمديرى المديريات لحشد عمال السخرة اللازمين لأعمال الحفر لكى يصل عددهم إلى ٢٥ ألفاً شهرياً وإذا عدنا إلى مرجع



(١)



(٢)

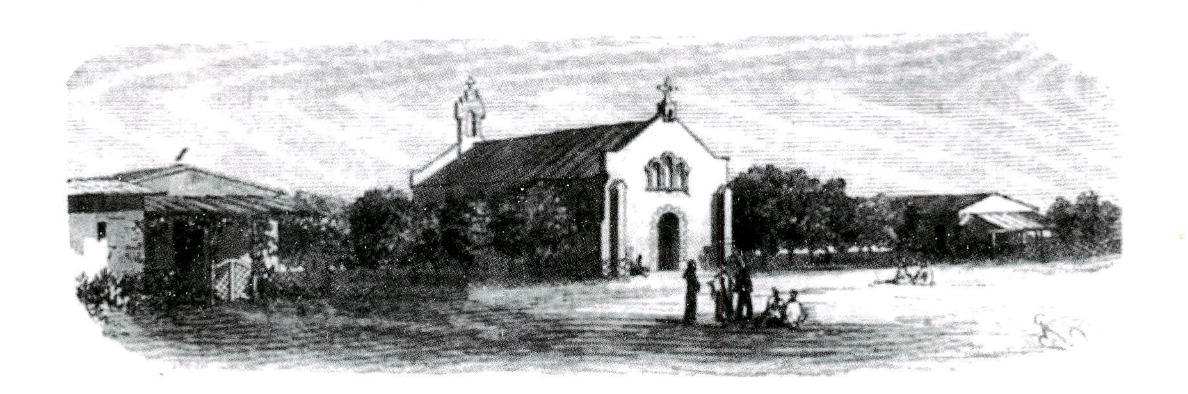


(٣)

١- نمط من المساجد التي بناها ديليسبس فى نقاط الحفر

٢- نمط لقرية العرب

٣- نمط للسوق المصرية في نقاط الحفر



إحدى الكنيستين اللتين بناهما ديليسبس في نقاط الحفر

زيارة رهبان الفرنسسكان لنقاط الحفر

« السخرة فى حفر قناة السويس » للدكتور عبد العزيز الشناوى نجده يعرض نظام السخرة ص ٣٠ ، ٣٨ : فبعد زيارة الوالى محمد سعيد للوجه القبلى فى أول يناير ١٨٦٢ أرسل إلى ساحات الحفر خمسة آلاف جندى أوشكوا على الإنتهاء من خدمتهم الإجبارية وهؤلاء يمثلون الحشد الإضافى الذى وعد به سعيد أثناء رحلته للبرزخ وسيق المصريون [١] إلى ساحات الحفر زمراً لشق قناة السويس وقد بلغ عدد المصريين الذين أكرهوا على الحفر خلال عام ١٨٦٢ - وهى السنة التى شاهدت أكبر حشد آدمى فى تاريخ شركة القناة - ربع مليون عامل مصرى[٢] وهو عدد رهيب بالنسبة لتعداد سكان مصر الذى بلغ فى تلك السنة ٤٨٣٣٠٠٠ نسمة وذلك الحشد تم إستناداً للائحة إستصدرها دى ليسبس من صديقه محمد سعيد فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦ عرفت بلائحة استخدام العمال الوطنيين - المصريين - فى أشغال قنال السويس .

وقرر كبير مهندسى شركة القنال أنه كان يحصل على العمال المصريين بمجرد طلب بسيط يبعثه إلى مدير المديرية .

وهذه اللائحة نظمت التعامل مع العمال فى أمور كثيرة مثل الأجور ومسألة الطعام وإعداد ماء الشرب ومواعيد دفع الأجور كما عالجت مسألة خروج العمال من ساحات الحفر وحددت أجر العامل بمبلغ يتراوح بين قرشين ونصف قرش وثلاثة قروش فى اليوم وإذا كان العامل يقل عن إثنى عشر سنة فيتقاضى قرشاً واحداً فى اليوم - على عكس الأجور العالية للأجانب - وبالرغم من هذا الإتفاق فقد لاقى العمال المشاق والمخاطر من السفر الطويل الشاق المتنوع بالإضافة إلى قلة موارد التموين وتعذر إعداد أماكن لمبيتهم وندرة ماء الشرب - وقد التزمت الشركة بتقديم الخبز المقدد (الجراية) إلى كل عامل بغض النظر عن عمره وقدر ثمن الجراية بقرش على أن يستبدلوا بالجراية قيمتها النقدية على شرط أن تتأكد الشركة أن فى استطاعة أولئك العمال تدبير الطعام لهم وكانت الأجور تدفع نقداً فى نهاية كل إسبوع واحتفظت الشركة لنفسها بحق حجز أجرة خمسة عشر يوماً من كل عامل كضمان لعدم تركه العمل ثم يصرف له الأجر كاملاً بعد ذلك فإذا أكمل المقطوعية يتناول المبلغ المحفوظ له .

والمقطوعية هى كمية الحفر المحددة بمعرفة مصلحة الطرق والكبارى بمصر كما قدر لينان وموجل بك تلك المقطوعية فى تقريرهما الإبتدائى لحفر برزخ السويس فى ٢٠ مارس ١٨٥٥ بمتر ونصف متر مكعب من الأنقاض المتخلفة من الحفر .. وكانت أعمال السخرة مقسمة لمعسكرات يطلب من كل معسكر حفر ٤٠٠ متراً مكعباً وكان كل عامل مكلفاً بجزء يطلق عليه نمرة تعلق عليها لوحة تكتب عليه باللغة العربية مقدار الرمال التى يتعين حفرها وكانت كل نمرة تخطط على شكل مستطيل يستغرق ١٥ متراً .

وعلى مستوى بورسعيد فقد قامت شركة قناة السويس بإنشاء شون للدقيق فى المكان الذى بنيت عليه فيما بعد مخازن تبريد اللحم الاسترالى التابع لمشينة ويلز Wills Co. شارع الجمهورية الآن وكانت تلك الشون تابعة لشركة مطاحن الإسكندرية (مطاحن الشركة الفرنسية) Moulins Français .

أما من ناحية مشكلة المياه فقامت شركة القنال ببناء أحواض فى مناطق متفرقة من المدينة دقت بجوارها مضخات لسحب المياه كان أهم تلك الأحواض بالقرب من الميناء - مكان زاوية القصيفى الحالية - وما أن جاء الشتاء على بورسعيد حتى هبت عواصف تجاه بورسعيد حالت دون وصول قوارب الماء فاستعانت بمياه استجلبت من بئر يقع عند فم الطينة على بعد ٢٥ كيلو من بورسعيد إلا أن مائها لم يكن مستساغاً .. وإن كانت الشركة قد انتهت من حفر ترعة للمياة العذبة فى ٢٣ يناير ١٨٦٢ من القصاصين إلى نفيشة .

متى ظهر حى العرب الحالى (قرية العرب) للوجود ؟!

وخلال هذا العام عام ١٨٦٢ ظهر تجمع سكانى جديد غرب نواة المدينة إنه حى العرب الجديد ويفصل بينهما مياه فى زمن الفيضان وكان الاتصال بينهما يتم عن طريق الفلايك الصغيرة وكانت فى الأيام العادية عبارة عن فاصل رملى قرابة ٥٠٠ متر وهذا الفاصل الآن يعرف بشارع الشهداء أو محمد على قديماً وعلى حدود نواة المدينة - حى الافرنج - استوطن دى ليسبس أبناء جزيرة كاسوس وكونوا تجمعاً سكانياً مغلقاً خاصاً بهم لدرجة أن هذا التجمع غير مسموح بأن يسكنه غيرهم حتى ولو كانوا من باقى الجزر اليونانية

---

(١) كان العمال يصلون إلى مناطق الحفر منهوكى القوى بعد سفر طويل وشاق بوسائل لاتليق بآدميتهم حيث يتجمعون فى الزقازيق ويقوم مندوبو الشركة بفرزهم وتقسيمهم إلى فريقين الأول أقوى ومهمته يضرب الأرض - فى المكان الذى تحدده الشركة ليكون مجرىً للقناة - بالفؤوس ويهبطون رويداً رويداً فى الأرض كلما زاد الحفر حتى يصلوا إلى العمق المطلوب أما الفريق الثانى الأقل قوة فمهمته نقل ناتج الحفر بالقفف والمقاطف إلى أماكن بعيدة تحددها لهم شركة القنال وكان العمال يعملون شبه عرايا حيث يخلع كل منهم جلبابه الأزرق ويلقى به جانباً على الأرض وبجوار كل مجموعة منهم قلة يشتركون معاً فى شرب مائها وكان العمل يتم تحت لهب شمس الصحراء وإذا توانى واحد منهم عن العمل أو سقط من شدة الإرهاق تنهال سياط مشايخ العمال على جسده لإكراهه على العمل .

(٢) أى بنسبة ٥ ٪ من اجمالى عدد السكان تقريباً ! .

وأطلقوا على تلك المنطقة الفضاء بالخرافة ـ بالعربية خرابة ـ وكانت حارة الكاشوتيه من أقدم التجمعات السكانية فى بورسعيد وكانت صيدلية شركة القنال تلاصق حارة الكاشوتيه وقام دى ليسبس بإنشاء جسر يفصل قرية العرب ويحميها من طغيان مياه بحيرة المنزلة يقوى بالأخشاب والطين والأكياب .

كيف أمكن لدى ليسبس حفظ النظام فى مناطق الحفر ؟

إزاء هذا الحشد الهائل من العمال وتوافدهم على مناطق الحفر طلب دى ليسبس من الوالى محمد سعيد أحد رجال الإدارة المشهود له بالكفاءة والحزم والقوة للسيطرة على النظام وحفظ الأمن فى مناطق الحفر .

واتجهت أنظار سعيد باشا إلى عرفان باشا [1] ناظر خاصته وطلب منه السفر إلى منطقة قناة السويس ليتولى حفظ النظام فى ساحات الحفر إلا أن عرفان باشا مرض أو لعله تمارض حتى يتجنب مشاق هذا العمل المرهق والعيشة الصعبة وسط قيظ الصحراء وقدم لسعيد باشا اعتذاره عن تلبية تلك المهمة فعهد سعيد باشا إلى إسماعيل بك حمدى [2] بتلك المهمة والذى قبلها بسرور لماله من حنكة فى أعمال الإدارة ـ كان يشغل مدير مديرية الدقهلية قبل هذا التعين ـ وأخطر سعيد باشا صديقه دى ليسبس بهذا التعيين فى ٢٦ يناير ١٨٦٢ كما أخبره بأنه سيصله وبصحبته قوة بوليسية كبيرة ـ كان يطلق عليهم القواصة ـ تساعد فى حفظ النظام ..

وعلى أثر علم دى ليسبس بتعيين إسماعيل حمدى قام بإعداد وسائل الراحة له وللقوة المصاحبة له بل أنه أشرف بنفسه على إعداد غرفة خاصة له فى كل نقطة من نقاط الحفر ليقيم فيها أثناء تنقله من نقطة لأخرى للتفتيش على العمال .

وفى أول فبراير ١٨٦٢ وصل إسماعيل حمدى منطقة عتبة الجسر ترافقه قوة بوليسية كبيرة (القواصة) فحل فى المسكن المعد له حيث نصبت حوله مجموعة من الخيام ليقيم فيها خدمه وحرسه الخاص .

وكان وصول إسماعيل حمدى لمناطق الحفر فى الوقت المناسب إذ كانت هناك أخبار تتضمن قيام بعض العمال المصريين بحركة عصيان فقام بالقبض على زعماء المتمردين وألقى بهم فى سجن أعد خصيصاً بمنطقة عتبة الجسر .

وقد أطلقت على إسماعيل حمدى عدة تسميات منها مندوب الوالى Delegué Du Vice-Roi وممثل الوالى الرسمى Representant Official Du Vice-Roi وقد تعاون إسماعيل حمدى مع فوازان بك Voisin Bey مدير عام أشغال شركة قنال السويس لتحقيق سير العمل فى مناطق الحفر خير تعاون .

كيف تم وصل البحر المتوسط ببحيرة التمساح ؟

كانت أصعب نقاط الحفر فى البرزخ هى منطقة عتبة الجسر شمالى بحيرة التمساح وكانت هذه المنطقة منطقة مرتفعات أو هضبة مرتفعة لابد من تسخير آلاف العمال للعمل فيها ليلاً ونهاراً وفعلاً كان الوالى محمد سعيد يبعث إلى ساحات الحفر بثلاثين ألف مشعل من القاهرة لزوم الحفر لوردية الليل وأخذت ساحات الحفر منظراً لم تشهده من قبل .. وفى مستهل شهر نوفمبر سنة ١٨٦٢ـ أى فى أقل من أربع سنوات من ضربة أول فأس ـ كان قد تم شق القناة البحرية الموصلة بين بورسعيد ومنخفض التمساح ولم يكن يحجز مياه البحر الأبيض عن المنخفض إلا سداً واهياً من الرمال والأتربة .

وفى ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ تدفقت مياه البحر الأبيض المتوسط إلى منخفض التمساح فأقام دى ليسبس مهرجاناً كبيراً إحتفالاً بهذا الحدث التاريخى رغبة منه فى أن يجلو أمام أنظار العالم عظمة ذلك اليوم الذى أشرف نصف شريان الملاحة الدولى على التمام ..

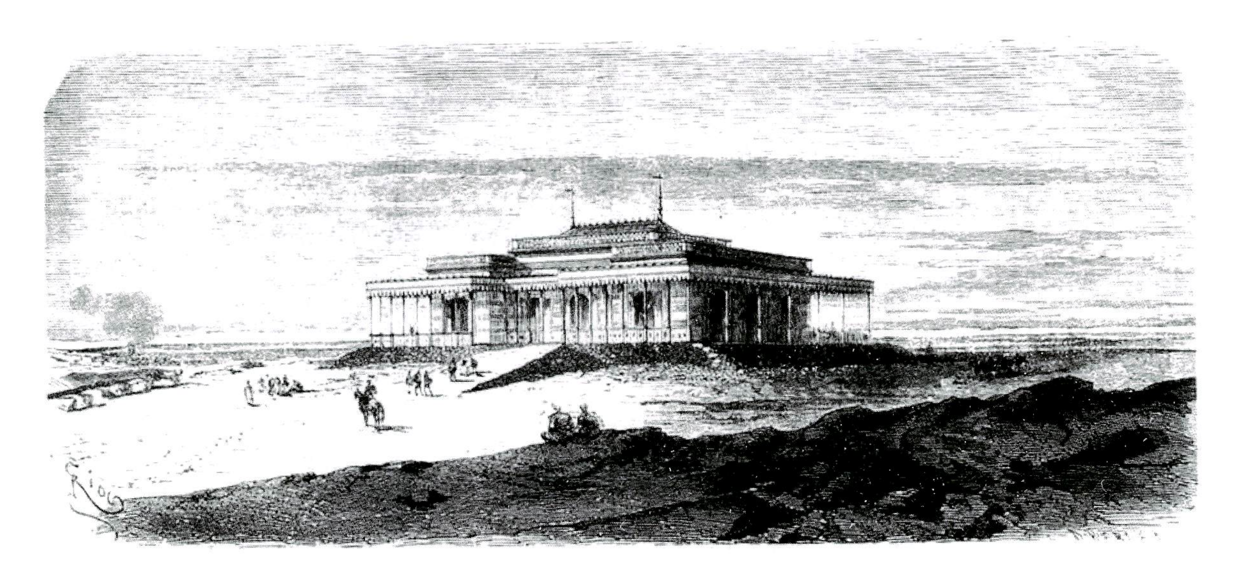
وتوافد الزوار عشية يوم الاحتفال على الإسماعيلية من كل جهة ووضع الوالى سعيد تحت تصرف دى ليسبس قطاراً خاصاً لنقل مدعويه من القاهرة إلى الزقازيق على أن يستأنفوا بعد ذلك سفرهم للإسماعيلية عن طريق ترعة المياه العذبة بالدهبيات والمراكب ومن نفيشة استقلوا العربات لمكان الحفل وكان من بين مدعوى دى ليسبس قناصل [3] دول فرنسا والنمسا وهولندا وإيطاليا بالقاهرة والبرنس كزرتونسكى والأميرة

---

(١) جاء خبر نعيه فى العدد الأول من جريدة الأهرام الصادرة ٥ أغسطس ١٨٧٦ وواضح أنه إستنزل من وظيفته إلى ناظر دائرة الأمير طوسون باشا .

(٢) هذا التعيين تنفيذاً للمادة الرابعة من عقد الإمتياز الذى منحه الوالى سعيد لدى ليسبس ويتعلق بمسائل الأمن العام فى منطقة القناة ، أعمال الشرطة فى ساحات الحفر يقوم بها ضباط الحكومة ورجالها تحت أوامر كبير مهندسى الشركة ، .

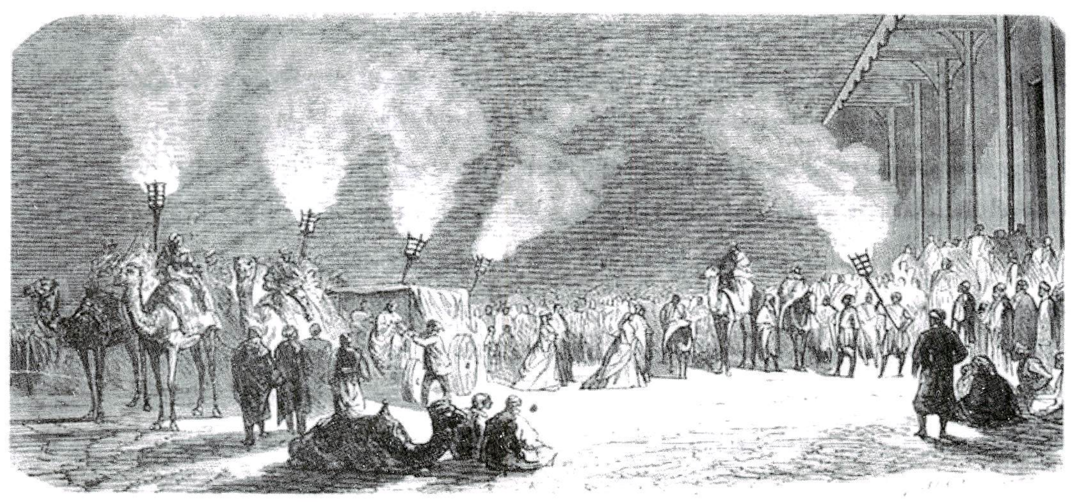
(٣) قاطع قنصل إنجلترا هذا الحفل بناء على أوامر دولته .

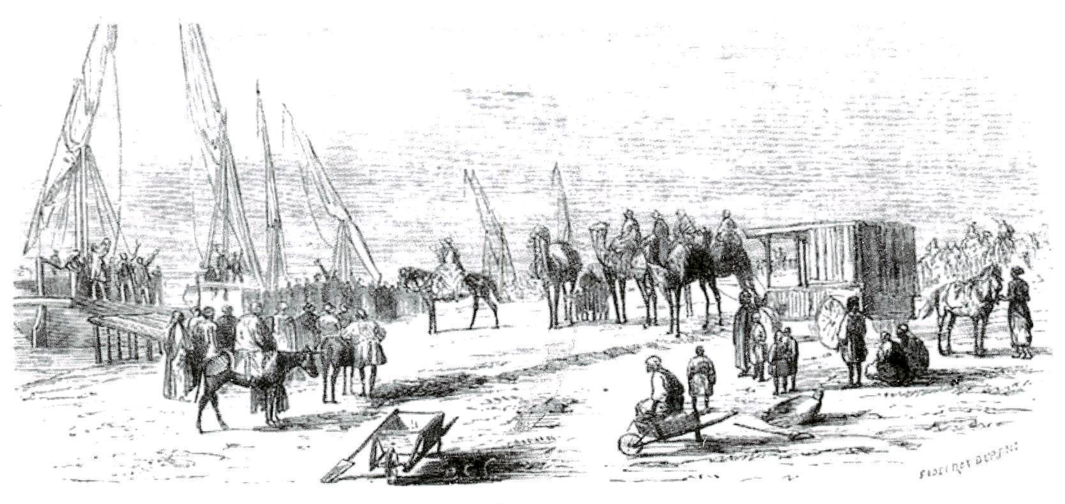


المقر الذى أعده ديليسبس لإسماعيل حمدي باشا في عتبة الجسر

الاحتفال بوصول مياه البحر المتوسط لبحيرة التمساح فى ١٨ نوفمبر ١٨٦٢







الاحتفالات بوصول مياه البحر المتوسط لبحيرة التمساح

زوجته والقومندان منسل من كبار ضباط البحرية البريطانية مع بعض أركان حربهم وأعيان القاهرة والإسكندرية كما حضر إسماعيل بك حمدى ممثل الوالى فى مناطق الحفر نيابة عن الوالى محمد سعيد الذى كان حضوره متوقعاً حتى اللحظة الأخيرة .

وفى يوم ١٨ نوفمبر منذ الثامنة صباحاً توجهت الجماهير فى سرور إلى سرادق الاحتفال حيث كانت الموسيقى العسكرية تصدح بالمعزوفات الجميلة وقد امتطى العازفون ظهور الجمال وهم فى حلل حمراء زاهية ..

وأعدت منصة زينت بالأعلام وسعف النخيل ليتوافد عليها المدعوون الرسميون أمام السرادق المنصوب بالقرب من الجسر ..

وما لبثت المنصة حتى زخرت بحاكم المنطقة والمدير العام للأشغال والمهندسين والأطباء ورؤساء الأعمال ممن أسهموا فى أعمال الحفر بينما تجمهر عدد غفير من العمال والفلاحين والبدو على جنبات القناة .

ووقف على جسر أعد بالقرب من السد كل من مفتى الديار المصرية وكبار علماء القاهرة وأسقف الكاثوليك وأسقف الروم الأرثوذكس وعدد من القسس والرهبان وأخذوا جميعاً يرفعون أكف الضراعة إلى المولى يسألونه عز وجل أن يبارك باكورة ماأنجزه المشروع .

وفى وسط الحشد المائج بالناس ارتقى دى ليسبس السد الذى كان يحجز المياه وسرعان ماصمت الحاضرون وهو يعلن بصوت جهورى ، باسم صاحب السمو الوالى محمد سعيد آمر بأن تتدفق مياه البحر الأبيض المتوسط فى بحيرة التمساح بفضل الله تعالى ، حيث قام برفع العلم المصرى على صارى خاص وعندئذ تهاوت المعاول على السد وأحدثت فيه ثغرة تدفقت منها المياه مزبدة مسرعة فاكتسحت ما اعترضها من رمال وحطمت مابقى من السد وأخذت تعلو تدريجياً فى قاع المنخفض .. وتعالت الهتافات مدوية ثم صدحت الموسيقى العسكرية بالنشيد الوطنى ووقف المشايخ يسبحون بحمد الله بصوت عال وأخذ البدو والعربان يطلقون الأعيرة النارية من أسلحتهم تعبيراً عن فرحتهم .. وبعدهم رأس أسقف الكاثوليك صلاة شكر فى الكنيسة المقامة بالقرب من الجسر .

وانتهت حفلة الافتتاح بعد ظهر ذلك اليوم [١] حول مائدة جمعت مائة وخمسين شخصية فى سرادق ضم مدعوى دى ليسبس وموظفى الدولة ومستخدمى الشركة والأعيان المصريين وعدد كبير من العمال وخطب فيهم ، لقد تحقق النجاح لتلك المرحلة فى هذا الزمن القصير بالرغم من ظهور التيفود فى ساحات الحفر من أبريل سنة ١٨٦٢ بمنطقة عتبة الجسر ..

ومن الملاحظ عن هذا الاحتفال وغيره من الاحتفالات أن دى ليسبس كان دائماً يدعو مفتى الديار المصرية وكبار رجال الدين الإسلامى ليقوموا بإلقاء كلمات توجه للعمال المصريين مباركين أعمال الشركة ويشيدوا بحضارة فرنسا وينتهوا بالمديح والدعاء لسلطان تركيا ووالى مصر .. لقد عرف عن دى ليسبس أنه رجل يجيد فن الدعاية ليجذب له آلاف المسلمين ويكسب حبهم بل أنه كان يضع أعلى كل مسجد مصباحاً قوياً ليهتدى به العمال القادمون ليلاً إلى ساحات الحفر وكذلك البدو الذين يقودون قوافل الإبل المحملة بالماء والغذاء عبر ساحات الحفر المنتشرة فى البرزخ ..

لقد بذل دى ليسبس الجهد الجهيد فى حماية ميناء بورسعيد عن طريق الاستمرار فى إنشاء حاجز الأمواج الغربى الذى وصل طوله فى نهاية عام ١٨٦٢ نصف كيلو داخل مياه البحر ..

١٨٦٣

كان أهم حوادث هذه السنة وفاة الوالى محمد سعيد باشا فى ١٨ يناير ١٨٦٣ وله من العمر ٤٢ سنة وكان لهذا الخبر وقعاً سيئاً على دى ليسبس الذى حظى منه بفرمان حفر ترعة السويس واستعد لكى يتعامل مع الخديوى الجديد الذى اشتهر بكراهيته لدى ليسبس .

وبعد وصول مياه البحر الأبيض المتوسط عبر القناة إلى بحيرة التمساح أراد دى ليسبس أن ينشئ مدينة ثانية تقع وسط برزخ السويس فتم الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدينة الإسماعيلية نسبة إلى الخديوى إسماعيل ـ وكانت عبارة عن قرية يطلق عليها قرية التمساح تحوطها الغابات .

ولما كانت مشكلة استجلاب الأحجار الضخمة من محاجر المكس بالإسكندرية تمثل أكبر المشاكل لدى شركة قنال السويس خصوصاً وأن استكمال حاجزى الأمواج الشرقى والغربى من أهم الإنشاءات التى ترمى إلى تحقيقها حماية للميناء الجديد من الرواسب التى تأتى بها التيارات البحرية .

---

(١) فى صبيحة اليوم التالى إستقل المدعوون قوارب سارت بهم فى القناة الصغيرة من التمساح إلى بورسعيد .

لذلك فكرت شركة قناة السويس فى إنشاء تلك الأحجار محلياً فتم الاتفاق بينها وبين إخوان ديسو Dussaud Freres على القيام بتصنيع تلك الأحجار محلياً وأنشئت ورشة الأحجار الصناعية فى جزيرة الشنتيه القديمة الموجودة أمام حوض مواعين الفحم وحوض إسماعيل فى الجزء الذى تم حفره من الميناء والقناة وخلال هذا العام بدأت العمائر الضخمة تظهر فى بورسعيد فأول منزل بنى بالحجارة [1] هو منزل ترنزيو Trinzio مندوب شركة اللويدز النمساوية ببورسعيد كما ظهرت منازل أخرى على الحد الشمالى للمدينة - رصيف أوچينى فيما بعد - وعهد دى ليسبس للفنيين بشركة القناة لتخطيط المدينة وجعل شوارعها أفقية من شرقها لغربها ومتعامدة من شمالها لجنوبها وقد أوصى الإمبراطور نابليون الثالث بأن تظهر بورسعيد فى النهاية كقطعة من باريس ..

إنشاء محافظة القنال

لما تولى الخديوى إسماعيل الحكم لاحظ أن أطماع شركة قنال السويس بدأت تزداد لحظة بعد أخرى وتريد أن تسلخ منطقة قناة السويس عن مصر حيث توسع نفوذها فى تلك المنطقة بل زاحمت الحكومة المصرية فى كثير من اختصاصاتها .

فسارع إسماعيل إلى إنشاء مايعرف بمحافظة قنال السويس فى مارس ١٨٦٣ وعين لها إسماعيل حمدى بك كأول محافظ لها كما عين على كوجك بك وكيلاً لتلك المحافظة على أن يكون مقرها بورسعيد وتدخل ضمنها القنطرة وقرية التمساح (مدينة الإسماعيلية) وفى بعض الأحيان كانت مدينة السويس تتبع محافظة القنال التى كانت عاصمتها بورسعيد .

أقدم المدارس فى بورسعيد

قام دى ليسبس ببناء أول مدرسة على أرض قناة السويس وقام بمنح أرضها كهبة للجمعية التابعة لها وهى مؤسسة البونباستير Le Bon Pasteur وافتتحت تلك المدرسة فى ١٨ أغسطس سنة ١٨٦٣ .

وقد ألحق دى ليسبس بها مستشفى شركة القنال فى بورسعيد والمبنى عبارة عن سكن للراهبات ومدرسة وملجأ يقبل البنات اليتيمات من أى جنسية وأى دين من سن ٧ إلى ١٨ سنة وتقوم تلك اليتيمات بأعمال المشغولات اليدوية والتى تعرض للبيع لصالح الأعمال الخيرية لتلك المؤسسة حيث توجد إدارتها ببلدة انجر بفرنسا .

١٨٦٤

بعد خمس سنوات من دق أول معول فى أرض القناة عهد دى ليسبس تخطيط مدينة بورسعيد لمهندسين فرنسيين . بدأت الأساسات الخشبية الطويلة السابق دقها فى أول زمن الحفر تختفى ويحل محلها منازل خشبية من دور واحد .

وفى مكان الصيدلية الفرنسية القديمة (الفارماشية) قام دى ليسبس بدق أساسات خشبية لإنشاء مستعمرة صغيرة حيث بدأ فى تجميع العمال المشتركين فى أعمال الحفر من أبناء جزيرة كاسوس وباقى جزر بحر إيجه وعائلاتهم وتم تسكينهم فى مساكن فى تلك المنطقة والتى عرفت فيما بعد بحارة الكاشوتية . وإذا أراد هؤلاء فى التنقل إلى داخل المدينة كان عليهم إستخدام الفلايك الصغيرة للتنقل من مكان لآخر حيث كانت المياه تغمر أرض بورسعيد فى ذلك الوقت المبكر .

وفى ١٠ أبريل ١٨٦٤ انتهت شركة قناة السويس من مد خط أنابيب المياه العذبة من الإسماعيلية إلى بورسعيد [2] حيث قامت بتوزيعها من خلال خمس حنفيات وقامت ببناء ثلاثة خزانات لتخزين المياه فيها وتوزيعها منها فى حالة انقطاع المياه عن المدينة كان أكبرها يتوسط المدينة أما الآخران فواحد منهما فى أقصى الغرب من المدينة أما الثالث ففى أقصى الشرق .

وقامت شركة قناة السويس بنقل وتوزيع المياه عن طريق مواسير من الزهر التى استوردت من شركة فرنسيس إدورد بجلاسكو بإنجلترا ثم عهدت شركة القنال للمهندس الفرنسى لاسيون بإنهاء هذا المشروع الحيوى لبورسعيد حيث فرح أهالى بورسعيد فرحاً شديداً

---

(١) كانت الأساسات والأعمدة والبواكى تبنى من الأحجار الصفراء من محاجر المكس أما الحوائط فتبنى من الطوب الأحمر الذى يرد لبورسعيد من دمياط جديداً أو مستعملاً مستخرج من أنقاض المبانى القديمة بجزيرة تنيس .

(٢) قامت شركة قنال السويس بتوصيل المياه العذبة لعمالها من الإسماعيلية إلى بورسعيد بواسطة مواسير قطرها ٢٥ سم كما قامت بتركيب أربع طلمبات لضخ المياه إلى بورسعيد الأولى بالإسماعيلية والثانية عند الكيلو ٥٤ والثالثة عند الكيلو ٢٧ والرابعة فى بورسعيد وتم توزيع المياه على منازل بورسعيد بواسطة مواسير ويدفع كل منزل ١,٥ فرنكاً عن الطن الواحد وهذا المشروع كلف شركة القنال ٨٠٠٠ فرنكاً يومياً .



الخديوي إسماعيل باشا

ميناء ومدينة بورسعيد فى السنوات الأولى للحفر

لوصل المياه لمدينتهم وانتهاء مشكلة المياه للأبد .. وبالرغم من تلك القفزة فى تاريخ المدينة إلا أن المياه لم تصل لكثير من أجزائها . كما كان لغلاء أسعار بيع المياه ظهور كثير من سرقات للمياه من أهالى قرية العرب مما اضطر الأهالى إلى جمع كثير من التبرعات لإقامة طلمبة . وإزاء السرقات المتعددة للمياه قامت شركة قناة السويس بتعيين حراس (قواصة) لمخازن المياه وحنفيات توزيع المياه فى أنحاء المدينة .

فبعد أن تم الإنتهاء من حفر الجزء الشمالى من قناة السويس ووصول مياه البحر الأبيض إلى بحيرة التمساح ، تم الإحتفال بتسيير أول سفينة بين بورسعيد والإسماعيلية فى ١٥ أبريل سنة ١٨٦٤ وكانت حمولة السفينة ثلاثمائة طن .

وخلال تلك السنة اشتد الخلاف بين الخديو إسماعيل ودى ليسبس حيث ألغى الأول نظام السخرة فى قناة السويس وقال قولته المشهورة إنى أريد القناة لمصر ولا أريد أن تكون مصر للقناة . وقامت الحكومة المصرية بسحب ٢٠ ألف عامل مصرى من المشروع .

وانتهى هذا الخلاف بتحكيم الإمبراطور نابليون الثالث إمبراطور فرنسا فى الثالث من يوليو سنة ١٨٦٤ .

وقد أصدر نابليون حكماً مجحفاً بمصر يقضى بأن تدفع مصر لشركة القنال مبلغ ٨٤ مليون فرنك (ثلاثة ملايين و٣٦٠ ألف جنيه إسترلينى كتعويض لشركة القنال مقابل إلغاء لائحة العمال وعن كل حق لها فى ترعة المياه العذبة كما تنازلت مصر عن ٦٠ ألف هكتار (١٠٠ ألف فدان) من الأراضى .

ووافق إسماعيل على هذا الحكم المجحف وسار العمل فى الحفر الذى كان قد أنجزت غالبيته ولم يبق إلا القليل على افتتاح القناة .

وبعد أن ألغى إسماعيل أعمال السخرة فى حفر قناة السويس وصل إلى مصر عن طريق ميناء الإسكندرية جموع غفيرة من الأجانب كان أغلبهم سيئ السمعة قاموا بإشعال الفتن وتجمعوا فى طرقات الإسكندرية توطئة لانتقالهم إلى منطقة القنال وكانوا لايهبون رجال الإدارة المصرية محتمين فى قناصلهم وكان أغلب هؤلاء من الإيطاليين أهل ، كالابريا ، وبدأت الحركة التجارية للأجانب تنشط .

١٨٦٥

نشأ القضاء الشرعى مبكراً فى بورسعيد فواكب نشأة الإدارة فى المدينة .. وقد كان ذلك بناء على أوامر الخديوى إسماعيل وفى ٧ يناير سنة ١٨٦٥ عين أول قاضى شرعى فى بورسعيد [١] وأسهب فى هذا الموضوع الدكتور زين العابدين شمس الدين نجم.

وفى ٣٠ يناير سنة ١٨٦٥ تم فتح القناة الملاحية من بورسعيد حتى التمساح أما الاتصال من التمساح إلى السويس فكان يتم عبر قناة المياه العذبة والصالحة فى نفس الوقت للملاحة واعتبر هذا التاريخ بداية ربط البحر الأبيض بالبحر الأحمر .

وبتلك المناسبة أنشأت الغرف التجارية الفرنسية والأجنبية أول شركة للخدمات الملاحية فى بورسعيد والإسماعيلية فى ٣١ يناير سنة ١٨٦٥ وأدى إنشاؤها إلى ربط جميع المحطات الملاحية المنتشرة عبر منطقة برزخ السويس فيما بينها كما افتتح لها فرعاً بالزقازيق .

وفى إبريل من تلك السنة وصلت بعثة مكونة من ١٢٠ مندوباً لأشهر الغرف التجارية بأوربا وأمريكا للوقوف على تقدم الأعمال فى هذا المشروع للرد على الإشاعات التى أثارتها إنجلترا ضد المشروع .

وفى ٢٨ يونيو من نفس السنة حدثت إحدى العقبات فى الحفر إذ ظهرت الكوليرا الكبرى[٢] مما أدى إلى مغادرة كثير من الأجانب لمناطق الحفر على امتداد القناة عائدين لبلادهم عن طريق ميناء بورسعيد وكان أول ظهور لهذا الوباء فى منطقة طوسون وكانت الكوليرا من أخطر الأوبئة التى تعرض لها عمال الحفر وكانوا يطلقون عليها بالموت الأسود .

وقد تفادى دى ليسبس هجرة العنصر البشرى واستخدم الكراكات فى الحفر والتى قطعت شوطاً عظيماً فى حفر المجرى المائى للقناة .

---

(١) وفى ٣١ يوليو سنة ١٨٦٥ تم الإحتفال بإفتتاح أول محكمتين شرعيتين فى أرض قناة السويس الأولى فى بورسعيد والثانية فى الإسماعيلية وقد تعين لكل قاضى كاتب ومحضر (رسول) ونائب للقاضى وهو أحد علماء دمياط الملمين بأحكام الشرعية الإسلامية الغراء . ولم يكن ينظر عند تعيين قاضى بورسعيد الشرعى أن يكون مصرياً بل يشترط أن يكون من علماء المسلمين بغض النظر عن جنسيته . وكانت محكمة الإسماعيلية الشرعية أهم من محكمة بورسعيد الشرعية نظراً للأهمية التى تعلقها الحكومة على الإسماعيلية فى تلك الأونة وأقيمت المحكمة الشرعية فى بورسعيد فى أحد المبانى التابعة لشركة قنال السويس وأقام القاضى الشرعى فى هذا المبنى على نفقة الحكومة المصرية وكانت مهمة القاضى الشرعى بالإضافة لما أسند إليه من فصل فى المسائل الشرعية القيام بمهمة المأذون بالإضافة لإثبات وراثة المتوفى وحصر تركته وبيع متروكاته للصرف على الجنازة وكان يرافق الطبيب فى حالة العثور على إحدى الجثث . وكان يتدخل فى المسائل التى فيها ورود عن الدين الإسلامى وكانت محكمتا بورسعيد والإسماعيلية تتبعان لإشراف مفتى مديرية الشرقية فى التفتيش على أعمالها . ونظراً لأهمية محكمة الإسماعيلية عن محكمة بورسعيد لذلك كان مرتب القاضى الأول أعلى من مرتب قاضى بورسعيد .

(٢) ظهرت ٨٠٠ حالة يومياً وكانت أكثر الوفيات بين العمال المصريين وعاد ٢٠٠٠ كاشوتى إلى بلادهم فوق ظهر أكثر من باخرة وبهدوء الحالة عادوا مرة أخرى فى أكتوبر من نفس السنة .

وفى ١٥ أغسطس ١٨٦٥ تم الاحتفال بمرور أول سفينة تحمل شحنة فحم من بورسعيد وقد وقع هذا الاحتفال فى ذكرى الاحتفال بميلاد إمبراطور فرنسا نابليون الثالث وتم هذا الاحتفال بافتتاح هويس يوصل بين الجزء الشمالى من قناة السويس وقناة المياه العذبة .

ومن الأحداث الهامة التى وقعت خلال هذا العام ظهور أول إنتاج لورشة ديسو بجزيرة الشنتيه وقد استخدمت حجارتها الصناعية التى تنتجها تلك الورشة فى تقوية المرسى المؤقت والجزيرة الموجودة على حاجز الأمواج .

وكانت تلك الكتل ترقم وتصنع بوزن عشرين طناً للكتلة الواحدة وكانت تلك الورشة تصنع ثلاثون بلوكاً يومياً وتنقل تلك الكتل من جزيرة الشنتيه بواسطة مواعين لتلقى بامتداد حاجز الأمواج .

وفى٢٤ ديسمبر سنة ١٨٦٥ تم عبور المركب « اوچينى» من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر وكانت وسيلة الإتصال عند بحيرة التمساح هويس قناة المياه العذبة .

١٨٦٦

وفى مارس من هذا العام نجح دى ليسبس فى إرغام السلطان العثمانى بعد مساع من الإمبراطور نابليون الثالث بالموافقة على الفرمان الذى منحه له الوالى السابق محمد سعيد سنة ١٨٥٦ والذى خول دى ليسبس حق امتياز شركة قنال السويس .

كانت الجالية اليونانية من أكبر الجاليات الأجنبية فى بورسعيد واستخدم دى ليسبس أفرادها فى حفر القناة بعد أن ألغى إسماعيل السخرة فكانوا محل تقدير دى ليسبس وكان إذا خطب فيهم أثناء العمل يوجه لهم حديثه بعباره « يونانيى » وأصبح لهم الدلال عليه لدرجة أنهم أرادوا أن يبدلوا إسم بورسعيد « بكاسوس الجديدة » إلا أن دى ليسبس خاف غضب إسماعيل .

لذلك أراد دى ليسبس أن يكافئهم فقام بالتنازل لهم عن قطعة أرض [1] كهبة فى الخامس من يوليو سنة ١٨٦٦ طولها ١١٧,٧٠ متراً وعرضها ٥٤ متراً لإقامة كنيسة عليها ومدرسة للبنين .

كان الملح من الموارد الهامة والضرورية فى الحياة المصرية لدرجة أنه كان يستورد من الخارج لمصر كذلك كانت عملية استخراجه وبيعه استوجبت فرض ضريبة عليه عرفت بضريبة الملح . وفى ١٩ يوليو سنة ١٨٦٦ عهدت الحكومة المصرية إلى جرجس بك تادرس بالتزام استخراج الملح فى منطقة بورسعيد والقنطرة وقد نص هذا الإلتزام بعدم بمنح أى شخص آخر خلاف تادرس بك أن يقوم باستخراج الملح أو الاتجار فيه أو تصديره أواستجلابه من الخارج .

وبالرغم من هذا النص الصريح لعب بعض الأجانب بالإتفاقيات التى تصدرها الحكومة المصرية وقاموا باستجلاب الملح من الخارج ونافسوا تادرس بك وتعطيل أعماله والذى تخصص فى بيع نوعين من الملح البلدى والسلطانى . واستمرت تلك الحالة حتى ٦ يونيو سنة ١٨٦٨ عندما ألغت الحكومة هذا الالتزام وأشرفت على تجارة واستخراج الملح بنفسها إلا أن ملح الحكومة لاقى منافسة شديدة من الملح الذى يستورده الأجانب من فرنسا (عرف بالملح الفرنساوى المكرر) .

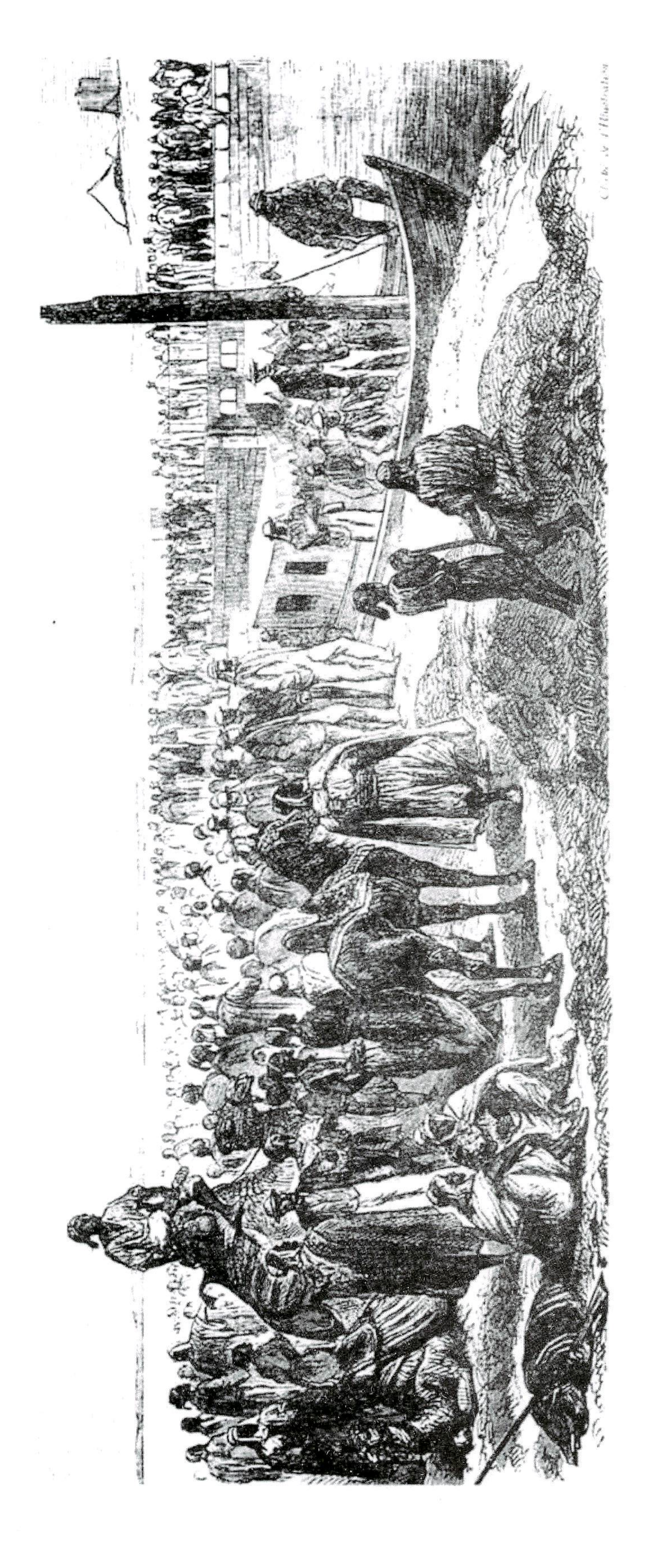
وفى هذا العام عادت الكوليرا إلى مناطق الحفر لكن بشكل أقل خطورة من سابقتها وعرفت بالكوليرا الصغرى .

إنشاء جمرك بورسعيد

ترجع فكرة إنشاء جمرك بورسعيد إلى أواخر سنة ١٨٦٣ ، يضاف إلى ذلك أنه تم تحديد المحطات التى تنزل فيها قوافل البضائع التى ترد من الشام فى ديسمبر سنة ١٨٦٥ . فأقيمت نقط حراسة على شاطئ بورسعيد لمنع أعمال التهريب نظراً لأن بورسعيد كانت تتميز بأنها نقطة مفتوحة واسعة يسهل منها التهريب .

وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦٦ بدأت إدارة جمرك بورسعيد عملها فى خيام وانتقلت إلى كشك خشبى . بعد ذلك تم توسيع هذا المكان بإضافة مخزن للبضائع الواردة لبورسعيد . وفى سنة ١٨٦٨ تم البدء فى أعمال بناء ديوان يليق بالجمرك ووضع بورسعيد كميناء وليد وهام على خريطة العالم فعهدت أعماله للمقاول هابرت للقيام ببنائه والذى قام باستجلاب الطوب المستخدم فى بنائه من دمياط فانتهى

(١) وقد استوجب انتقال ملكية تلك الأرض ضرورة موافقة الحكومة المصرية على تلك الهبة وقد إستمرت المفاوضات بين الحكومة اليونانية والحكومة المصرية فى هذا الشأن ٢٢ سنة انتهت فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٨ وتم التوقيع على عقد الهبة إبراهيم توفيق باشا محافظ القنال ممثلاً عن الحكومة المصرية وقنصل اليونان فى بورسعيد ألكسندر ليوناردوس وأخذت موافقة البرلمان اليونانى على نقل ملكية هذه الكنيسة من الحكومة اليونانية إلى جمعية الجالية اليونانية ببورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٨٨٩ .

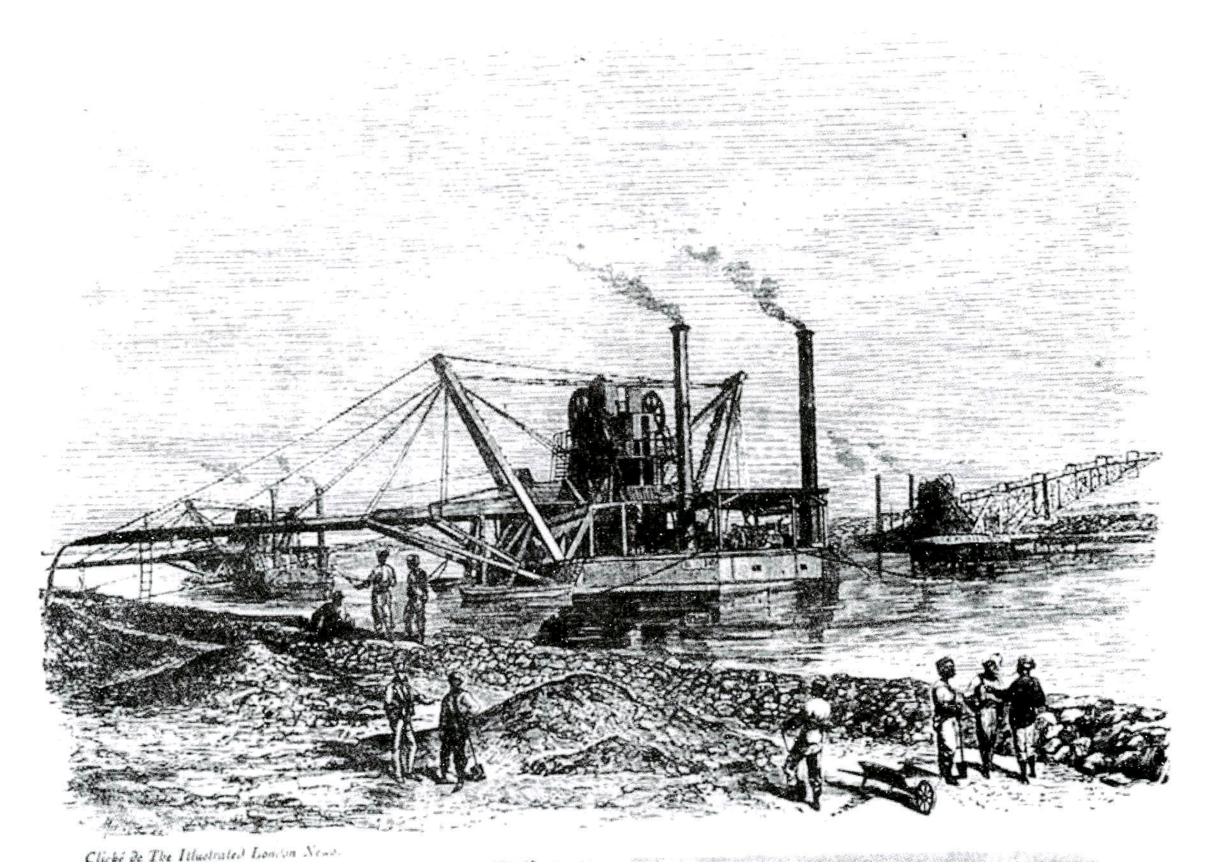


أول قارب يعبر القناة الملاحية من بورسعيد الى الإسماعيلية في ١٥ اغسطس ١٨٦٥

السفينة أوچينى تعبر القناة قادمة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر فى يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٦٥

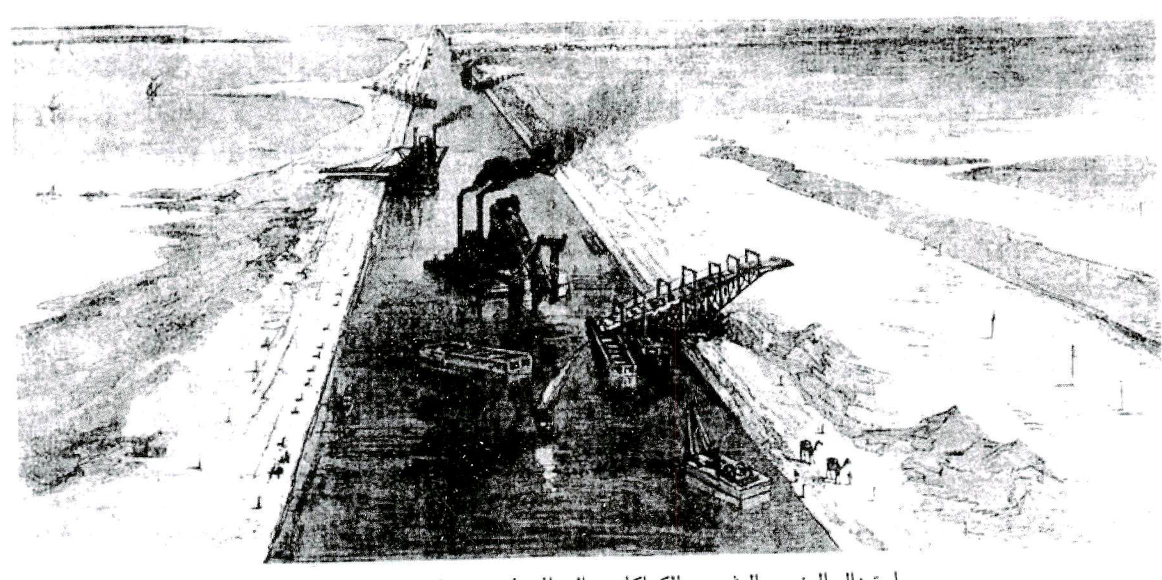


مقطع من ترعة المياه الحلوة عند نفيشة قبل أن تصل إليها مياه النيل



Cliché de The Illustrated London News.

إستخدام الآلات فى الحفر بعد إلغاء السخرة



استبدال العنصر البشري بالكراكات والروافع فى حفر القناة بعد إلغاء السخرة

من بنائه فى يوليو سنة ١٨٧٠ وتم فرشه ليكون لائقاً لاستقبال التجار الأوربيين وكان المستخدمون بجمرك بورسعيد تحت إشراف إسماعيل حمدى محافظ القنال .

وقد صدرت الأوامر إلى الجهات المختصة بوجوب مرور جميع أنواع السفن على جمرك بورسعيد لتحصيل الرسوم الجمركية الواجبة عليها كما تم إبلاغ وكلاء القناصل للدول الأجنبية بالتنبيه على رعاياهم بمرور بضائعهم على جمرك بورسعيد .

ونتيجة لتوافد أعداد غفيرة من الأجانب على بورسعيد كثرت مشاغباتهم فعرض هذا الأمر على الحكومة المصرية بالقاهرة فأمر الخديوى إسماعيل محافظ القنال بعقد اجتماع مع قناصل الدول الأجنبية انتهى بقيام هؤلاء القناصل بنفى جميع الأجانب المتعطلين والخطرين وخاصة اليونانيين والإيطاليين حيث تمت مراقبة سفرهم وتعيين مخبرين سريين للقيام بتلك المهمة وأعدت قوائم بأسمائهم فى مكتب جوازات السفر تشمل صورهم وبياناتهم .

وشهدت بورسعيد حريقاً مروعاً فى قرية العرب فقامت شركة القنال بالتبرع بمبلغ ١٥١ بنتو (١) لإغاثة منكوبى الحريق إلا أن هذا التبرع وجهته محافظة القنال بصرفه على صيانة الجسر المقام بين قرية العرب وبحيرة المنزلة لحمايتها من طغيان مياه بحيرة المنزلة .

وفى نهاية عام ١٨٦٦ أشرف العمل فى حاجز الأمواج الشرقى على الانتهاء حيث استخدمت فيه كتل الأحجار الطبيعية فى بادئ الأمر ثم أكمل بالكتل الصناعية ووصل طول هذا الحاجز ٢ كيلو متراً تقريباً بارتفاع متراً واحداً عن مستوى سطح البحر .

١٨٦٧

أخذ نمو المدينة يتسع تجاه الغرب - كان التوسع على حساب بحيرة المنزلة - واختفى الفاصل الذى كان يفصل المدينة عن حى العرب وتم تقسيم المدينة لأول مرة إلى حى الإفرنج وحى العرب . ويلاحظ أن حى العرب القديم - الواقع فى شرق المدينة - قد اختفى للأبد نظراً لأن نشأته كانت بسبب تجارة المياه والموارد الغذائية التى يستجلبها العرب من قاطية على ظهور الأبل .

كما ظهر تجمع سكانى ثالث جديد أطلق عليه حى المناخ نسبة إلى نخ الإبل وكانت حالة السكان والإسكان فى هذا المكان تمثل نوعاً من البدائية بالإضافة إلى انتشار كثير من الأمراض نظراً لأن الأرض الذى يقع عليه هذا الحى أرض ضحلة ناتجة عن ردم بحيرة المنزلة بالإضافة إلى المستنقعات التى تحوطها المليئة بالبعوض .

ظهرت بورسعيد على شكل مستطيل أكبر أضلاعه الشمالى عرف فيما بعد برصيف أوچينى ويطل مباشرة على البحر الأبيض المتوسط وحده الشرقى رصيف الميناء الذى اكتملت نسبة كبيرة منه وحده الجنوبى المقابر والحد الغربى بحيرة المنزلة .

أما قرية العرب البدائية ذات المساكن الخشبية غير المتوافر فيها أية شروط صحية انتشر فيها الجدرى انتشاراً واسعاً وخلال هذا العام قامت الإدارة الصحية فى بورسعيد بتطعيم جميع أطفال المدينة سواء أجانب أو مصريين الذين رفضوا التطعيم فى بادئ الأمر ثم قبلوه بأوامر من إمام قرية العرب .

بدأت مشكلة المياه تقل رويداً رويداً بعد وصول أنبوبة المياه العذبة من الإسماعيلية مما سبب ذلك مزيداً من الإستقرار فى بورسعيد .

ويذكر لنا چورچ سلطاناكى فى كتابه ، مدن القناة ، أسعار بعض السلع فى ذلك الوقت : أقة اللحم الضانى الممتاز ١ فرنك (٤ قروش) ، ١٠٠ بيضة ١ فرنك (٤ قروش) الفرخة الكبيرة ١ شلن (٥ قروش) أقة العيش ٣٠ سنتيم (١٣ مليم) .

أول سلخانة فى بورسعيد

أقامت شركة قنال السويس أول سلخانة على شاطئ البحر ببورسعيد (٢) . ثم انتقل الإشراف عليها للحكومة المصرية اعتباراً من عام ١٨٦٧ وأصبح طبيب الصحة هو المسئول عن ختم اللحوم المذبوحة داخلها . وبالرغم من ذلك قام بعض الجزارين الأجانب بالذبح خارج السلخانة ونتيجة لتلك المخالفات أصدرت الحكومة المصرية أول لائحة لذبح المواشى ببورسعيد أهم ما تتضمنه عدم الذبح خارج السلخانة وكلفت الطبيب ورجال الضبطية بالمرور يومياً على الجزارين وضبط المخالف منهم وكان صدور تلك اللائحة فى ٢٦ مايو سنة ١٨٦٨ .

---

(١) البنتو= ٦/٤٠ ٧٧ قرش اى٧٧ قرش و٦ بارة باعتبار أن القرش صاغ = ٤٠بارة .

(٢)ذكر فى محضر مجلس بلدى بورسعيد بجلسة ١١ نوفمبر ١٩٥٠ أن العضو محفوظ حسين العجرودى بحث فى ملفات المجلس البلدى فوجد أن نادى سبورتنج كلوب (حديقة فريال) كان مكانه سلخانة بورسعيد .

ونظراً لتهالك مبانى تلك السلخانة فقد أعيد بناؤها فظهرت على هيئة عنابر خشبية كبيرة تعلوها فتحات واسعة مفتوحة على الدوام للتهوية وكانت فضلات الذبح يتم صرفها رأساً بقناة السويس حيث كانت تقع فى الركن الشمالى الشرقى للمدينة عند تقاطع شارعى فرانسوا جوزيف بالغربية ، شارع كتشنر فيما بعد ، فى مكان حديقة الكازينو بالاس وكانت فضلات الذبح والدماء تلقى فى مياه القناة مما تسبب فى كثرة تواجد ونمو القروش المفترسة فى تلك النقطة .

١٨٦٨

فنار بورسعيد

وقرب افتتاح القناة للملاحة العالمية تم التفكير فى إنشاء فنار يعتمد عليه فى إرشاد السفن القادمة لهذا الميناء الجديد ، بعد أن أصبح الفنار الخشبى القديم لايعتمد عليه فى عملية الإرشاد .

ففى خلال عام ١٨٦٨ تم بناء الفنار الحجرى المعروف لنا والموجود للآن وقد أوردنا تاريخ الفنار فى بورسعيد والمنطقة المحيطة به . (فى الباب السابع) .

سد إحتيجات أهل بورسعيد من المياه العذبة

كانت المنازل والمحال التى أنشئت فى بورسعيد حتى سنة ١٨٦٨ تحصل على احتياجاتها من المياه العذبة عن طريق حنفيات كبيرة وعمومية أنشأتها شركة قنال السويس فى الطريق العام . وكانت هناك مجموعة من السقائين وظيفتهم نقل المياه من تلك الحنفيات إلى المنازل بوسطة قرب جلدية سعة كل منها ٥٠ لتراً نظير ٢ صولدى عن كل قربة إلا أنهم استخدموا بعد ذلك قرب أقل سعة من ٥٠ لتراً وكانوا يقومون بصب مياه القرب فى خزانات أسفل المنازل وترفع المياه للأدوار العليا بواسطة مضخات .

وحلاً لعدم كفاية مياه الحنفيات فى سد احتياجات الأهالى قامت شركة قنال السويس بدق عدة مضخات منها مضخة بشارع أمريكا - محمود صدقى حالياً - تضخ منها المياه وتصب فى بئر أو خزان بنى أسفلها . كما كانت هناك مضخة أخرى بشارع سعيد عند زاوية القصيفى واستمر وجود الحوض الخاص بتلك المضخة يستخدم فى توزيع المياه من هذا المكان إلى أن تم هدمه سنة ١٨٨٠ عنما قام بنك الأنجلو إيجبشن فى بناء مقر له مكان هذا الحوض وقد تحول هذا المبنى فيما بعد إلى محل سيمون آرزت Simon Arzt . وكثيراً ماكانت تضخ تلك المضخات مياه مالحة غير مستثاغة أودت بأرواح كثير من أهل بورسعيد فانتشر وباء الدوسنتريا خلال تلك السنة وكانت الوفيات كثيرة لأن دواء الدسنتريا لم يكتشف إلا فى العام التالى سنة ١٨٦٩ . وبتلك المناسبة يمكن أن نذكر أن مياه النيل وصلت مباشرة إلى بورسعيد سنة ١٨٩٠ وكانت المياه تصب فى حوض أو خزان كبير أنشئ بالقرب من المكان الذى أنشئت فيه محطة سكة حديد بورسعيد وكانت مياه النيل تصل الإسماعيلية لتصب فى هذا الحوض عن طريق أنابيب واسعة من الزهر . وبعد ذلك أُنشئ خزان كبير [1] مكن من وصول المياه إلى المنازل بارتفاع من ٣٠ إلى ٥٠ متراً طبقاً لنظرية الأوانى المستطرقة كما قامت شركة قناة السويس باستخدام مواد كيماوية لتنقية المياه - فاشتهرت بورسعيد بأن مياهها من أنقى مياه الشرب فى مصر كلها - داخل أحواض الترسيب بالرسوة ووضعت شركة القنال تعريفة موحدة لبيع المتر المكعب من المياه المكررة تقدر بحوالى ١٨ مليماً .

الإنتهاء من ردم المدينة بالكامل

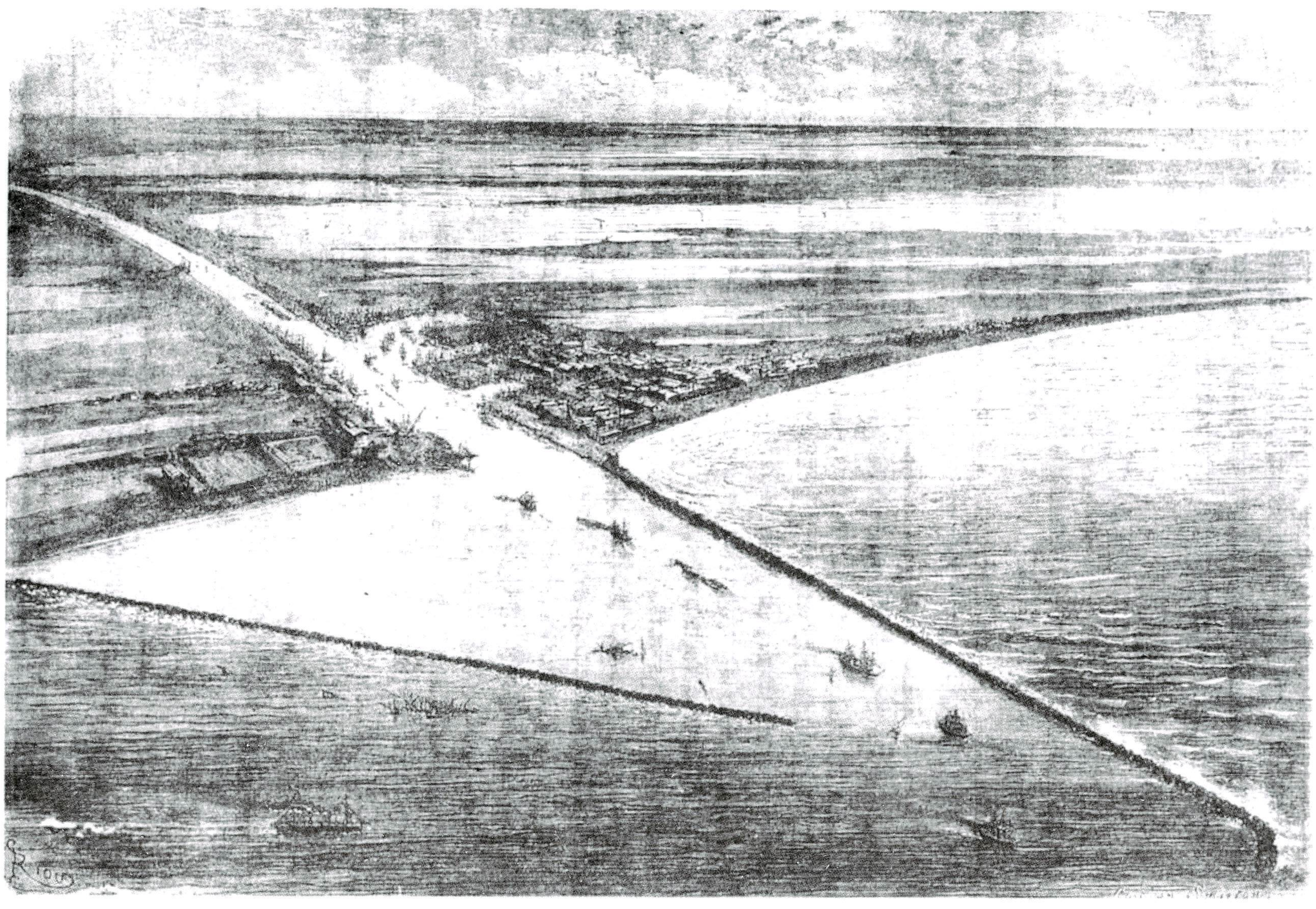
تعتبر سنة ١٨٦٨ آخر سنة من سنوات الحفر فى منطقة بورسعيد لذلك انتهت أعمال ردم الأرض التى تقع عليها المدينة تماماً وقد بلغت كمية الرمال التى استخدمت فى ردم المدينة ٦٢٨٣٠٠ متراً مكعباً من رمال الحفر .

أول إحصاء للرجال فى تاريخ بورسعيد

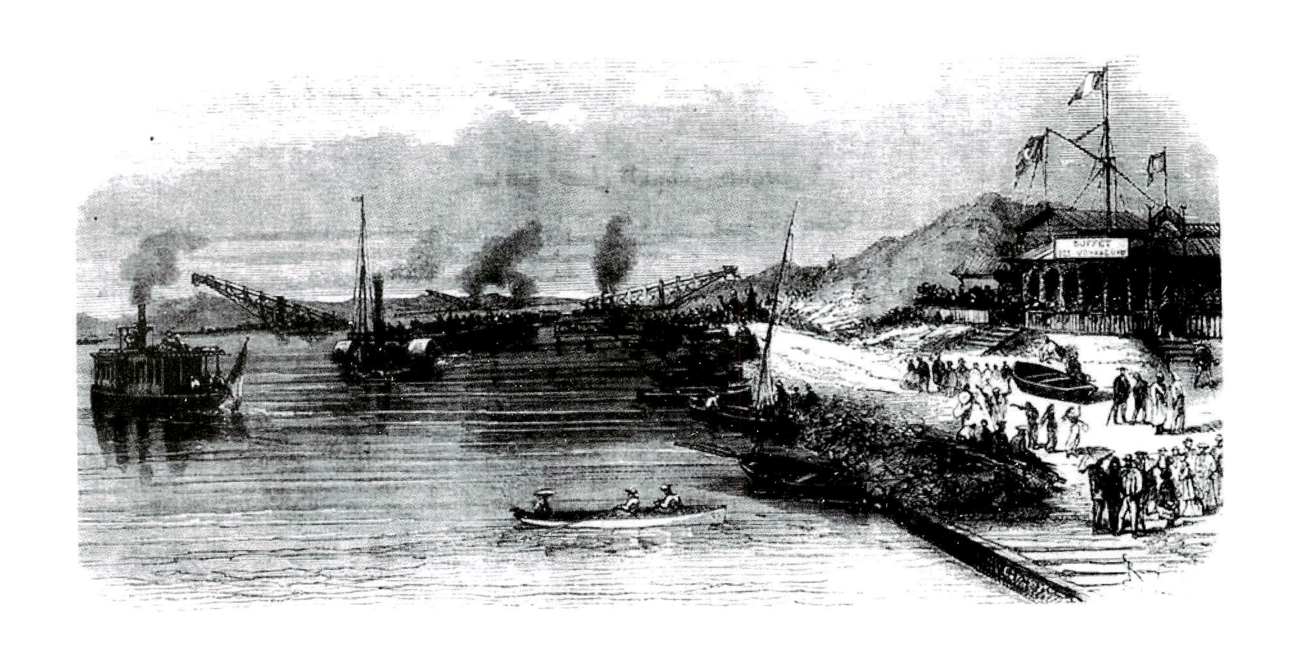
خلال سنة ١٨٦٨ أجرى أول أحصاء سكانى [1] فى بورسعيد وذلك بناء على قرار من مجلس شورى النواب وسابقة أمر الخديوى

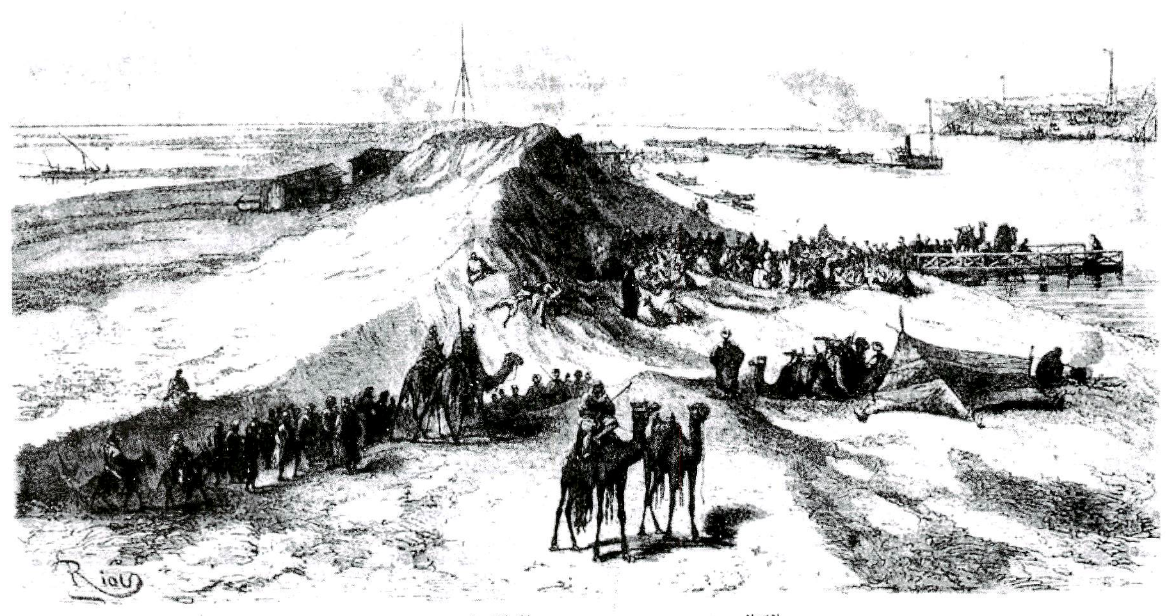
---

(١) قامت شركة قنال السويس ببناء خزانات ضخمة لتوزيع المياه على منازل المدينة حسب نظرية الأوانى المستطرقة وقام المهندسان Vraklis , Kastelnovo بتنفيذ أول خزانات توزيع للمياه النقية فى بورسعيد أما ترعة العباسة فنسبة للخديوى عباس حلمى التى نفذها إخوان باركليس .



مدينة بورسعيد ومدخل القنال





القنال جنوب بورسعيد عند محطة القنطرة

إسماعيل بضرورة حصر الأنفار العاملين بالقطر المصرى حيث أظهر هذا التعداد أن عدد العاملين ببورسعيد من المصريين ٢٧٠٠ رجلاً أما الأجانب فبلغ عدد العاملين ستة آلاف أجنبياً وقد جاء هذا التعداد خالياً من النساء والأطفال والشيوخ وغير القادرين على الكسب .

وكان الغرض من هذا الحصر هو فرض ضريبة الملح على القادرين على الكسب من الرجال .

ماهو أصل النيفى هاوس ؟

قص لنا ديمتريوس خالدوبيس قصة طريفة عن أصل النيفى هاوس ، فى أواخر عملية القناة وبالتحديد سنة ١٨٦٨ دعا دى ليسبس أحد أمراء هولندا ليقف على مدى ماوصلت إليه عمليات حفر القناة من تقدم .. وعندما وصل إلى المنطقة الواقعة جنوب بورسعيد أعجب بقطعة أرض على هيئة جزيرة تحوطها المياه من كل جانب ويخيم عليها الطابع الشاعرى من هدوء تام مهدئ للإعصاب فأبدى لدى ليسبس إعجابه بتلك المنطقة وأفصح له بأنه يرغب فى قضاء البقية الباقية من عمره فى تلك المنطقة فما كان من دى ليسبس أن نفذ له رغبته وفى الحال وأهداه قطعة أرض هبة منه ـ كما لو كانت مصر عزبة أبيه ـ وأبدى هذا الأمير إعجابه بكرم دى ليسبس وعلى الفور أمر ببناء قصر له عرف بالسراى الهولندى أوسيمبول هولنديكا كان آية فى العمارة فى ذلك الوقت المبكر لتاريخ مدينة بورسعيد لدرجة أن أهل بورسعيد فيما بعد كانوا يذهبون إلى تلك المنطقة للفسحة والتنزه . والغريب أن أرجل هذا الأمير لم تطأ أرض تلك المنطقة ولو لمرة واحدة وظل هذا القصر مهجوراً .. إلى أن تقدمت البحرية الملكية البريطانية بشرائه من الحكومة الهولندية فى أول زمن الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وجعلته مقراً لقيادة القوات البحرية البريطانية فى الشرق الأوسط وأطلقت عليه Navy House » .

وتكملة لتاريخ هذا المبنى فإن آخر جندى بريطانى رحل عن أرض مصر كان فى ١٨ يونيو١٩٥٦ فقام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بإنزال العلم البريطانى من فوق سارى هذا المبنى وقام برفع العلم المصرى فوقه .

أول حفل زفاف على أرض بورسعيد

نفس صاحب المرجع السابق يحكى ذكرياته ذاكراً بأن أول حفل زفاف فى زمن الحفر على أرض بورسعيد كان لأحد اليونانيين سنة ١٨٦٨ .. ونستفيد من هذا الخبر بأن الأجانب كان يرافقهم الإناث فى زمن الحفر وعلى مايبدو لم يكن مسموحاً للمصريين أصحاب الأرض فى اصطحاب الإناث حتى لا يشغلهم الزواج عن أعمال الحفر الشاقة .

الإنتهاء من إنشاء حاجز الأمواج الغربى

بانتهاء عام ١٨٦٨ تم الإنتهاء من إنشاء حاجز الأمواج الغربى وأصبح طول هذا الحاجز ٢٧٠٠ متراً ويرتفع عن سطح البحر بمقدار مترين وطوله الآن ٧ كم ـ وفى نهايته أنشئت مصطبة وضعت فوقها فناراً صغيراً للإضاءة ليلاً .

وكان هذا من الأحداث الهامة فى تاريخ بورسعيد فتم الإعداد للاحتفال بتلك المناسبة حضره دى ليسبس وكبار مهندسى الشركة ومحافظ القنال فى بورسعيد واستهل عام ١٨٦٩ بهذا الاحتفال التاريخى .

التجارة فى زمن الحفر

كانت التجارة فى محطات الحفر فى يد الفرنسيين وأهمهم آل بازين Bazin وشركاه وكانوا يملكون وحدهم من ١٥ إلى ١٧ مستودعاً كبيراً وصغيراً بالإضافة إلى ورشة ساڤون و شركة سير .. وبدأ اليونانيون فى منافسة التجار الفرنسيين ففى سنة ١٨٦٨ فتح أنطوان كستلاكس وأخوان آلات مستودعاً فى مكان فندق وقهوة جراند بريتين عند المنشية وكانت أكبر محال للبقالة لليونانيين ماڤريودس ولويزيدس مكان محلات أوسوناكى (عمر أفندى فيما بعد) .

---

(١) هذا الإحصاء خلاف تعداد السكان الرسمى لمصر ـ فكان ظهور بورسعيد لأول مرة فى التعداد العام لمصر سنة ١٨٨١ وكان مجموع سكانها ١٧٠٥٨ نسمة تشمل بورسعيد والقنطرة التى كانت تتبع بورسعيد وكان نصيب الأجانب من هذا المجموع ٢٩٣٧ نسمة أى ١٧,٥ ٪ من إجمالى السكان (١١١٦ يونانى ، ٥٦٣ إيطالى ، ٤٤٤ بريطانى ، ٤١٧ فرنسى ، ٣٩٧ تركى) .

١٨٦٩

إنشاء أول مكتب جوازات فى بورسعيد

منذ أن عين إسماعيل حمدى باشا محافظاً للقنال سنة ١٨٦٣ وأصبح مسئولاً عن الأمن فى تلك الجهات أراد أن ينظم دخول وخروج الأجانب من وإلى تلك الجهات فطلب من دى ليسبس أكثر من مرة أن يعد له مكاناً تدار منه أعمال الجوازات إلا أن دى ليسبس كان يهرب من هذا الطلب ليس لسبب إلا أنه أراد أن يدخل أعداداً كبيرة من الأجانب للعمل فى مشروعه دون أن تتعرض لقيود الجوازات القانونية . مما اضطر بإسماعيل حمدى أن يبذل مساعيه لدى الحكومة بأن ينشئ فرعاً لجوازات الإسكندرية فى بورسعيد وبالفعل ألحق هذا الفرع مؤقتاً بمبنى جمرك بورسعيد فى ٣ فبراير سنة ١٨٦٨ وكانت تبعية هذا المكتب لرئاسة الجمارك بالإسكندرية ومن خلال هذا المكتب أمكن حصر الأجانب المترددين على ميناء بورسعيد خلال سنة ١٨٦٩ بعدد قدره ١٦٦١٢ أجنبياً .

وفى سنة ١٨٦٩ ، التى هى سنة افتتاح القنال ، أصبح ملحاً أن يفتح فى بورسعيد قلم جوازات له فاعليته واستقلاليته فأصدر الخديوى إسماعيل الأمر التالى إلى ناظر الداخلية (محمد شريف باشا) فى١١ شوال سنة ١٢٨٥ هـ (٢٢ يناير ١٨٦٩) وقد نقلناه من كتاب تقويم النيل ـ عصر إسماعيل لأمين سامى باشا : « قد تم عرض علينا مأمور ضبطية الإسكندرية إنشاء قلم جوازات السفر فى بورسعيد حيث أن إدخال جهتى القنال تحت الضبط والربط على الوجه اللائق منوط بذلك وقد بين أن إيراد هذا القلم يكفى لسد مصاريفه ولا يكلف الحكومة شيئاً فى حال موافقتنا على إنشاء القلم المذكور هل يجب ترتيب وتدارك موظفيه بمعرفة مأمورية الضبطية أم بمعرفة جهه أخرى » .

وبالفعل تم افتتاح « قلم جوازات السفر فى بورسعيد » [١] وتعين له مأمور قلم الجوازات وعزز ببعض الموظفين وعين له مخبرين تكون وظيفتهم متابعة المبعدين عن طريق ضبطية الإسكندرية كما أنشئ به قلم لمراقبة الأجانب عزز ببلوك أمين وأربعة عسكر ومخبر وكاتب كما خصصت فلوكة لاستخدامها فى الصعود إلى البواخر كما تم إنشاء أسكلة « مرسى » أمام قلم الجوازات حتى يكون دخول وخروج الأجانب عليها بعد المرور على الموظف المختص .

وصل البحرين الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر

فى يوم ١٤ مارس سنة ١٨٦٩ وصلت مياه البحر الأبيض المتوسط للبحيرات المرة لأول مرة فى التاريخ وأصبح هذا القسم يمثل الجزء الشمالى من قناة السويس، أما النصف الجنوبى من القناة فقد انتهى من حفره إلا أنه لم يتم الوصل بين هذين القسمين إلا فى ١٥ أغسطس سنة ١٨٦٩ـ وكان يربط بين هذين القسمين الشمالى والجنوبى بواسطة هويس .

وفى يوم ١٥ مارس سنة ١٨٦٩ أقامت شركة قنال السويس احتفالاً كبيراً بهذا الحدث الهام دعت إليه الخديوى إسماعيل والبرنس أوف ويلز ولى عهد إنجلترا حيث توجهوا بعد ذلك لزيارة عدة نقاط على القناة .

وفى ١٦ مارس سنة ١٨٦٩ كان وصول الخديوى إسماعيل لمدينة بورسعيد [٢] فى الصباح حيث شاهد المدينة الناشئة بورسعيد وسار فى أرجائها يتفقد مرافقها وميناءها وكان يرافقه محافظ القنال عبد القادر حلمى باشا ومحافظ بورسعيد حسن نصرت بك ودى ليسبس ومهندسو شركة القنال وكان فى استقباله فى كل مكان يحل به فتيات صغيرات من مدرسة الراعى الصالح يقدمن له باقات الزهور والورود .

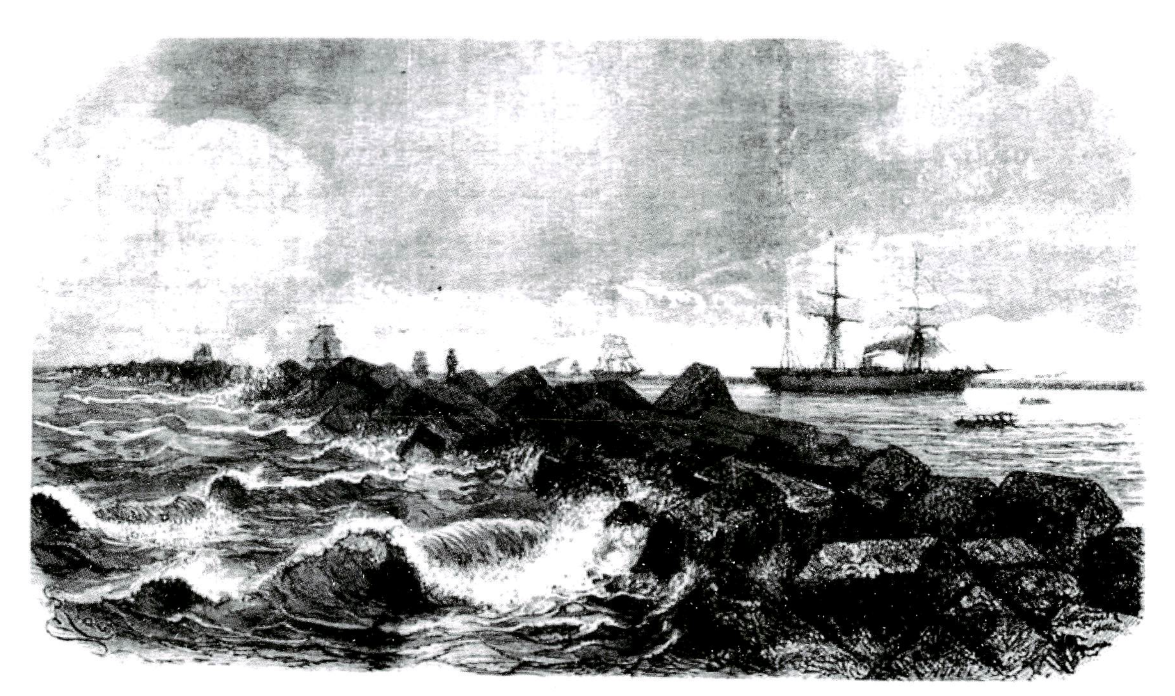
وفى بورسعيد احتفى الأجانب بإسماعيل ، فما أن حل المساء حتى أضاءوا المدينة بالمصابيح الساطعة وأطلقوا الألعاب النارية . كما أقامت شركة قنال السويس حفل بالو راقصاً امتد حتى الصباح .

وبعد أن عاد إسماعيل للعاصمة أمر بمنح دى ليسبس ومهندسيه نياشين على ما بذلوه فى زمن الحفر باعتبار أن قناة السويس انتهى العمل منها فى عهده وقد جاء ذكر تلك الانعامات من النياشين فى كتاب تقويم النيل لأمين سامى باشا « عصر إسماعيل كما جاء أيضاً ذكر تلك النياشين فى جريدة الوقائع المصرية العدد ٢٨٢ الصادر الإثنين ٢٩ مارس ١٨٦٩ واليكم هنا الخبر :

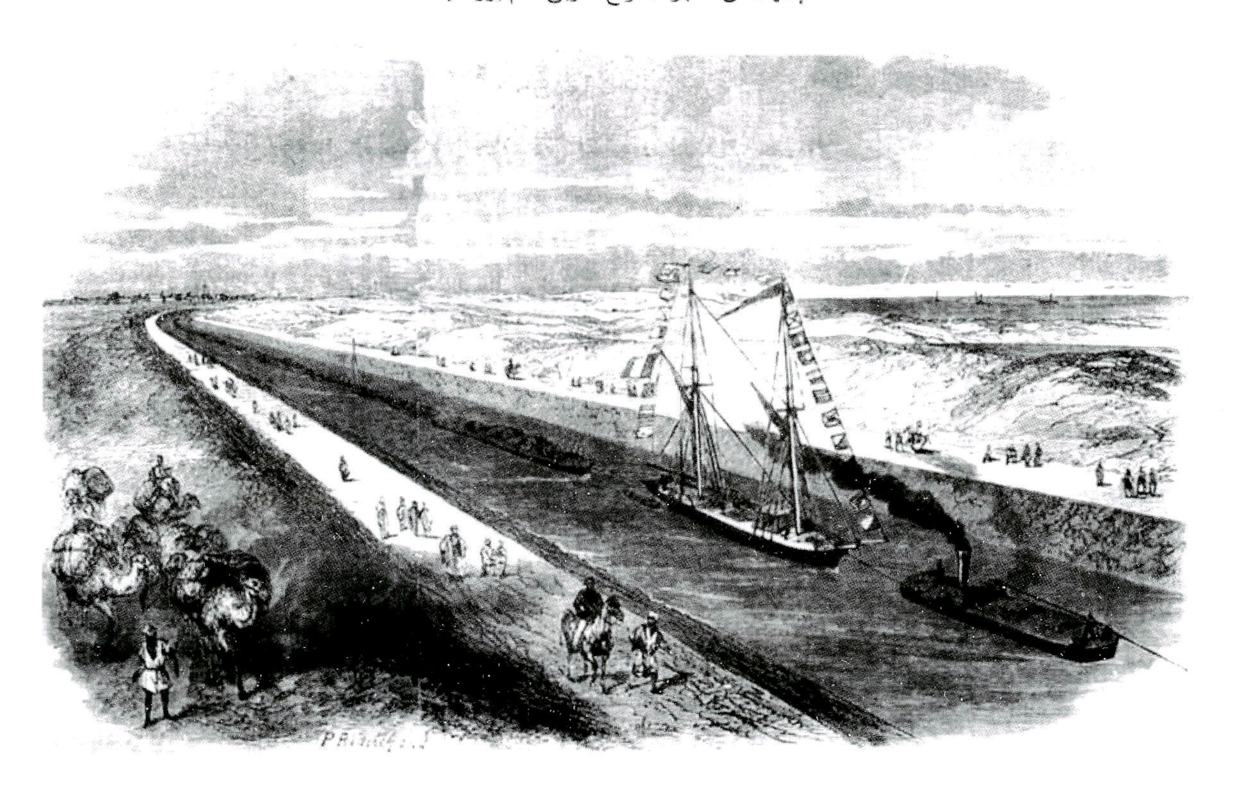
---

(١) هذه المعلومة أهديها لمصلحة وثائق السفر والهجرة والجنسية التى عمل بها والدى منذ سنة ١٩٣٧ إلى أن أحيل للمعاش فى نوفمبر ١٩٧٦ كوكيل لقسم جوازات بورسعيد، ألحقنى من بعده بعد حصولى على بكالوريوس التجارة سنة ١٩٦٧ بنفس المصلحة إعتباراً من مارس ١٩٦٨ وأشغل حالياً وظيفة مراجع أول بقسم جوازات بورسعيد كما أهديها للعقيد حسين فكرى الرئيس الحالى لقسم جوازات بورسعيد.

(٢) زيارة الخديوى إسماعيل لبورسعيد نقلاً عن الوقائع المصرية فى العدد ٢٨٢ الصادر فى ٢٩ مارس ١٨٦٩ .



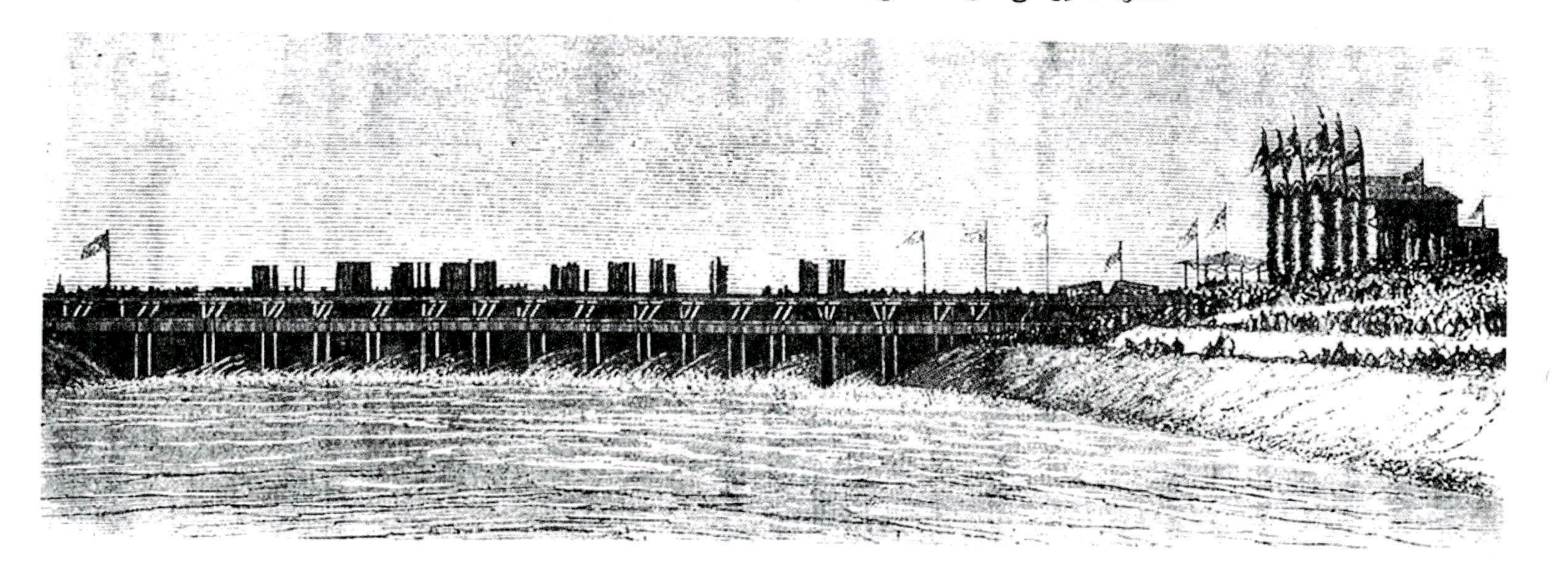
الإنتهاء من حاجز الأمواج الغربى أمام بورسعيد



نقل شحنة من الفحم عبر القنال



الخطوة الأخيرة فى حفر القناة على باشا مبارك ناظر الأشغال يشق السد الترابى لتتعانق مياه البحرين



مياه البحر الأحمر تتصل بمياه البحر المتوسط بافتتاح محول قنطرة فى سهل السويس

للحكومةالمصرية تعاون مع شركة القنال وبدأ فى تنظيم تلك الشوارع قاموا بحصر الرمال على جانبى الشارع فقط . أما رصيف أوجينى وميدانه الذى يعتبر الآن من أفخم شوارع بورسعيد كانت مياه البحر الأبيض تلاطمه، أرجوكم إعطائى فرصة لأقص عليكم قصة سكان بورسعيد الأوائل عند افتتاح القنال سنة ١٨٦٩ ـ كان السكان ليس لديهم أية رغبة لتملك الأراضى لأن الأمواج العالية للبحر الأبيض المتوسط كانت تلاطم رصيف أوجينى وتقذف مياهها على المدينة فتغمرها بالمياه . وسوف أشرح لكم كيف بدأت قصة تملك الأراضى فى بورسعيد منذ هذا التاريخ . كان التصرف فى أراضى بورسعيد فى يد المدير العام لخزينة شركة قنال السويس المسيو DE FRANCHI (إيطالى الجنسية) وكان فى ذلك الوقت صديقاً لوالدى الذى عرض عليه أن يشترى سنة ١٨٧١ بعض القطع من الأراضى فى مدينة بورسعيد بسعر المتر فرنكاً واحداً وفى إمكانه شراء خمسة عشر ألف متر مربع بخمسة عشر ألف فرنك وهذه الأراضى ـ بجوار الفنار ـ إلا أن والدى رفض هذا العرض الذى قدمه له صديقه دى فرانشى لأن الأراضى كانت تغطيها مياه البحر فى بعض أوقات السنة واعتبر والدى أن الإقدام على شراء مثل هذه الأرض نوع من المجازفة ورد عليه: إيه الكلام الفارغ ده يا صديقى فرانشى ألقى خمسة عشر ألف فرنك فى مياه البحر وهذا المبلغ يمثل كل ثروتى .. ولم تمر ٤ أو ٥ سنوات إلا وأصبح كل من اشترى أمتاراً من تلك الأرض محظوظاً لأن تلك الصفقة زادت قيمتها عن ثمنها الأصلى بكثير ، .

تدفق مياه البحر الأبيض المتوسط إلى منخفض البحيرات المرة

فى ١٨ مارس ١٨٦٩ تدفقت مياه البحر الأبيض المتوسط فملأت منخفض البحيرات المرة . وأقام دى ليسبس لهذا الحدث احتفالاً حضره نائب الولى ، إسماعيل حمدى باشا ، وأمير الغال .

عام ١٨٦٩ يشهدكثرة تنقل محافظى القنال وبورسعيد

نظراً لأهمية سنة ١٨٦٩ فى تاريخ مصر والعالم أجمع ونظراً لأهمية موقع بورسعيد خلال عام ١٨٦٩ فقد تولى محافظو القنال خلال تلك السنة : مراد حلمى باشا حتى ٣٠ ابريل ١٨٦٩ ، وعلى كوجك بك حتى ٣١ يوليو ١٨٦٩ (نقل مأمور ضبطية الأسكندرية) .

وأعيد إسماعيل حمدى بك (باشا) ليواكب وجوده فى هذا المنصب حفلات افتتاح القنال نظراً لكفاءته ودرايته بالمناطق والنقاط المنتشرة عبر القناة .

أما محافظو بورسعيد

حسن نصرت بك حتى ٣١ يوليو ١٨٦٩ (نقل محافظاً للسويس)

مصطفى بك نيازى حتى سبتمبر ١٨٦٩ جمادى الأولى ١٢٨٦ نقل بمجالس المالية

على رضا بك حتى غرة ذى القعدة ١٢٨٦ (فبراير ١٨٧٠)

ضربة الفأس الأخيرة

فى ١٥ أغسطس ١٨٦٩ كانت ضربة الفأس الأخيرة والتى ضربت فى السد الذى أقيم بالشلوفة ففتحت ثغرة أوصلت مياه البحرين وتعانقا للأبد وقام بهذه الضربة على باشا مبارك نائباً عن الخديوى إسماعيل الذى كان مشغولاً بدعوة ملوك وأمراء أوروبا . وفي الدفرسوار DEVERSOIR إنشأت قنطرة لتحويل المياه .

التخلص من الفضلات والمياه القذرة فى بورسعيد

ويستمر خالدوبيس فى ذكرياته ، تحدثنا عن تطور عملية إستجلاب المياه العذبة لبورسعيد سواء لاستخدامها فى الشرب أو الإستحمام أو الغسيل وما يشابه ذلك وانتهت تلك المشكلة سنة ١٨٦٩ بقيام شركة قنال السويس بإنشاء شركة مهمتها توزيع وبيع المياه على أرجاء المدينة ومحاسبة الأهالى عن قيمة استهلاكهم لتلك المياه كما قامت تلك الشركة بمحاسبة الحكومة على ما تستهلكه دواوينها المختلفة فى

بيان النياشين المجيدية المحسن بها

من سعادة الجناب الخديوى أثناء سياحته فى جدول السويس

نيشان رتبة أولى

إلى جناب موسيو (فرديناند دى ليسبس) الفرنساوى رئيس شركة القنال

نيشان رتبة ثانية

إلى جناب (روسينرس) الهولندى رئيس شركة القنال الثانية

نيشان رتبة ثالثة

إلى عزتلو (دوازين بك) الفرنساوى باشمهندس الأشغال فى شركة القنال ومدير عمومها

إلى الموسيو (الكساندر لاڤالى) الفرنساوى مهندس الأشغال ومتعهدها

إلى الموسيو (بوريل) الفرنساوى مهندس الأشغال ومتعهدها

إلى الموسيو (أوبريت روش) الفرنساوى حكيمباش شركة القنال

إلى الموسيو (جيشارد) الفرنساوى رئيس الأمرارية والمنقولات

إلى الموسيو (شارل ده ليسبس) الفرنساوى من أعضاء مجلس الشركة

نيشان رتبة رابعة

إلى الموسيو (لاروش) الفرنساوى باشمهندس فرقة

إلى الموسيو (لاروس) الفرنساوى باشمهندس فرقة

إلى الموسيو (جيويــا) الإيطالى باشمهندس فرقة

إلى الموسيو (كوو رور) الفرنساوى متعهد الأشغال

إلى الموسيو (كوتارد) الفرنساوى رئيس فرقة التعهد

إلى الموسيو (أدمون لاولى) الفرنساوى رئيس فرقة التعهد

إلى الموسيو (ثرانيكى) الليهستانى مهندس التعهد

نيشان رتبة خامسة

إلى الموسيو (فوشت) الفرنساوى مهندس الإمرارية

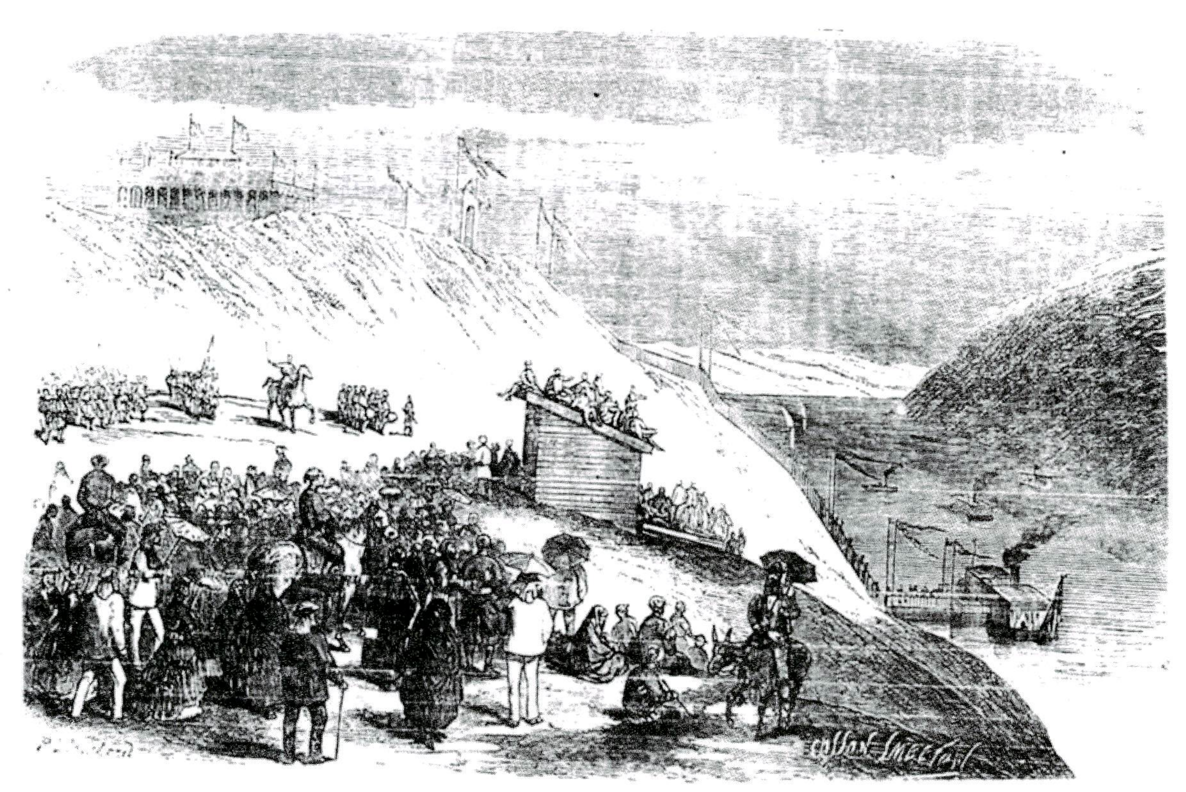
إلى الموسيو (ده سرف) الفرنساوى المستخدم بالإمرارية

وضع غريب وشاذ

بعد أن قامت شركة قنال السويس بالانتهاء من حفر القناة أرادت أن تبسط نفوذها وسلطانها على مدن القنال وأن تصبح هى المهيمنة والمسئولة عن تقسيم أراضى مدن القناة وتخطيطها وبيعها للأجانب والأهالى . فنجحت فى عقد اتفاق بينها وبين الحكومة المصرية على أن تكون هى الجهة المسئولة عن تقسيم وبيع وتخطيط أراضى مدن القناة وعرف هذا الاتفاق باتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩ ومضمون هذا الاتفاق أن تتولى شركة القنال تقسيم أراضى مدن القنال وبيعها للأفراد كقطع حيث يجرى التقسيم بمكاتب البيع الخاضعة للشركة وقد أطلق عليها مكاتب الدومين . كما ورد بالاتفاق بأن يقسم صافى المتحصل من البيع مناصفة بين الحكومة وشركة القنال ولا يتسلم المشترون القطع المباعة إلا بعد تسلمهم حجج ومستندات الملكية التى تصدر من المحكمة الشرعية بعد سداد ثمنها كاملاً وكانت الأراضى تباع بالمزاد فكثر السماسرة .

كيف بدت بورسعيد للأعين سنة ١٨٦٩

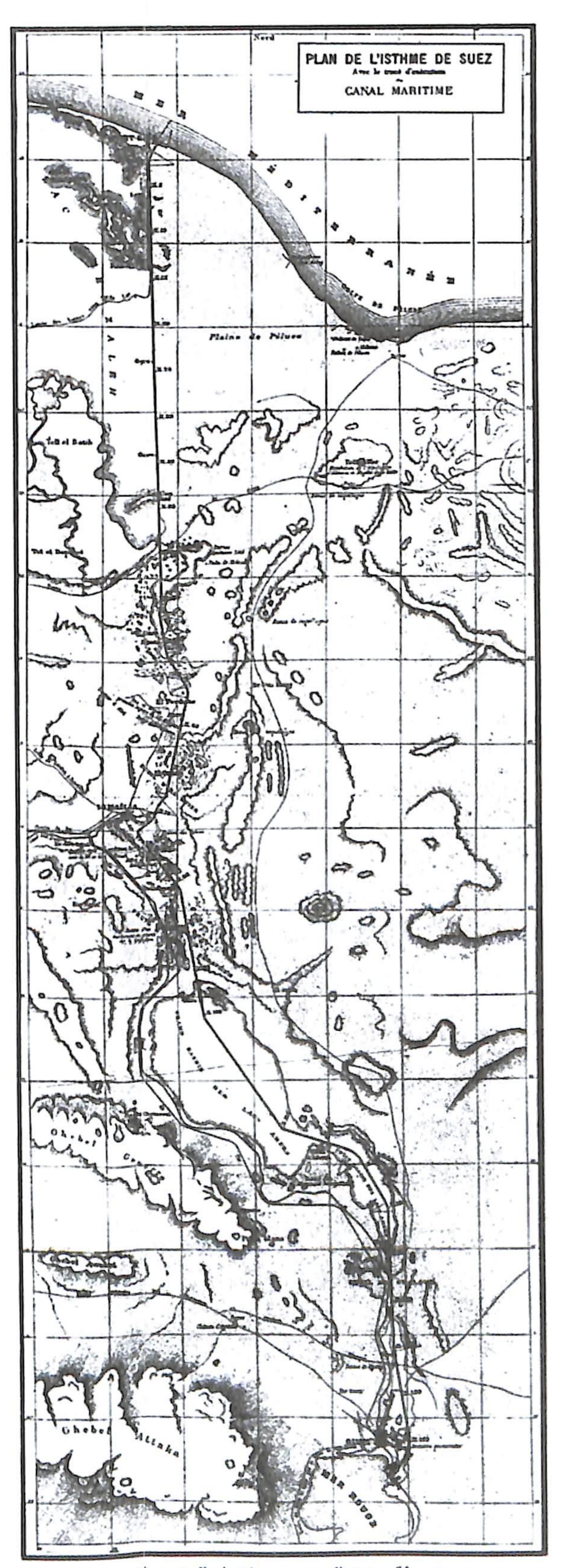
وصف مرجع خالدوبيس حال مدينة بورسعيد فى عام افتتاح القنال : « أهلنا قصوا علينا كيف كانت بورسعيد خلال تلك الفترة تبدو كقرية كبيرة وأنا مازلت متذكر شوارعها البدائية - إذا جاز لنا أن نسميها شوارع - كانت عبارة عن ممرات رملية إذا سرنا فيها غاصت أقدامنا فى الرمال وفى كل مكان تظهر مياه البحر ... هذه المعاناة استمرت فى أوائل عهد المدينة وبظهور قلم للتنظيم تابع



زيارة الخديوى إسماعيل والبرنس أوف ويلز ولى عهد إنجلترا لنقاط الحفر فى ١٥ مارس ١٨٦٩



الاحتفال الذى حضره نائب الوالى إسماعيل حمدي باشا وأمير الغال فى ١٨ مارس ١٨٦٩



خريطة برزخ السويس بعد إنتهاء الحفر مباشرة

بورسعيد من المياه العذبة .

وفى الجانب الأخر نتحدث عن كيفية التخلص من الفضلات . فى أول عهد المدينة كان سكان بورسعيد يلقونها فى الشوارع مما ساعد ذلك على انتشار كثير من الأمراض التى تنتشر فى الجو أوينقلها الذباب أو هجوم أسراب من البعوض على السكان فى المساء . أما فى سنة ١٨٦٩ فقام أصحاب المنازل فى إنشاء خزانات أسفل منازلهم تلقى فيها مياه المجارى كذا الفضلات والقاذورات لذلك ظهرت طائفة متعهدى نقل المياه القذرة ومتعهدى نقل القاذورات الذين كانوا يقومون بتربية قطعان من الخنازير التى تتغذى على مثل تلك الفضلات ويقومون ببيع لحومها للسفن المارة بالقناة وكان أغلب هؤلاء المتعهدين من أبناء جزيرة مالطة وقلة من أبناء اليونان وقد أثرت تلك الطائفة ثراء فاحشاً وتركوا لورثتهم مئات الآلاف من الجنيهات .

واعتباراً من سنة ١٨٧٢ تكونت شركات صغيرة يعمل فيها كثير من عمال النظافة من المصريين والأوربيين مهمتهم التخلص من فضلات المجارى بسعر المتر المربع شلن أو شلنين وقد اشتهرت تلك الشركات لدى أبناء بورسعيد القدامى ، بشركات الرابش ، .

وظلت بورسعيد تعتمد على المجارير (خزانات الفضلات أسفل المنازل) منذ افتتاح القنال إلى أن جاء المجلس البلدى وافتتح سنة ١٩١١ وبدئ فى مشروع المَجارى سنة ١٩١٢ وتم الانتهاء منه سنة ١٩١٧ حيث اكتملت شبكة المجارى التى تصب فى النهاية فى مكان مخصوص فى أقصى غرب المدينة ألحقت به مزرعة لزراعة الكرنب والقرنبيط والجدرة وأنواع أخرى من الخضروات تباع لكبار تجار الخضار أمثال طه أبو الخير بالمزاد ، كما أوضحت ذلك محاضر المجلس البلدى ، ويقوم هو بدوره ببيعها لمتعهدى السفن وتجار الخضر بالمدينة .

حريق هائل فى قرية العرب

ذكرت كثير من المراجع وقوع حريق هائل بقرية العرب - قبل حفلات إفتتاح القناة - أدى الى دمار كثير من العشش الخشبية الواقعة غرب المدينة وقد ذكر وقتها أن أسباب الحريق يرجع إلى اندلاع النيران فى أحد أفران القرية وانتشر الحريق من عشة إلى أخرى .

وذكر أن قلم التنظيم فى المدينة انتهز تلك الفرصة وأعاد تخطيط قرية العرب حسب خطوط التنظيم بحيث تتكون من مربعات تفصلها شوارع وحارات بحيث تقلل من أخطار الحرائق فى حالة حدوثها .. كما صدرت الأوامر بأن تكون الأفران والورش مبنية من الحجارة والخشب .

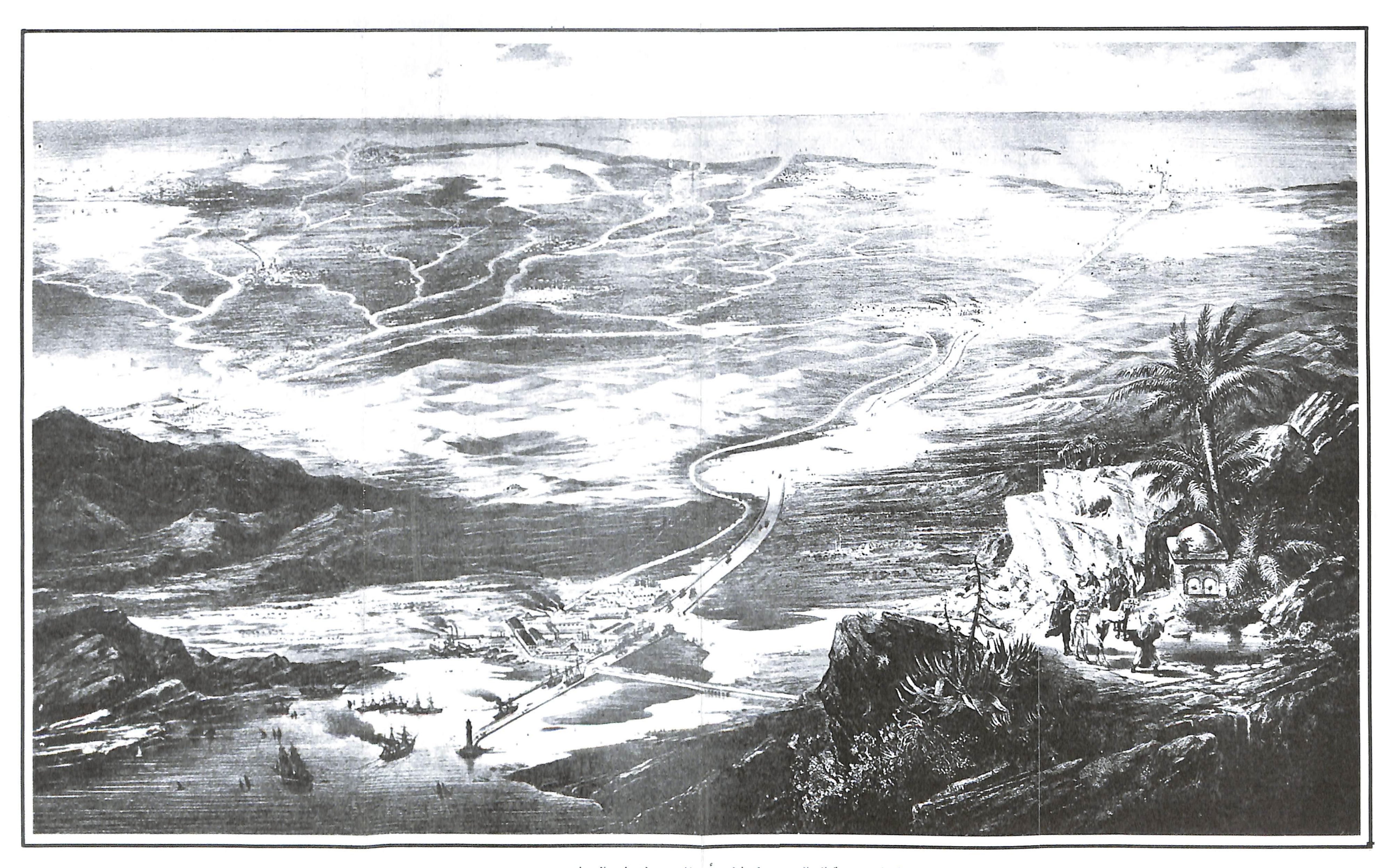
وأغلب الظن لنا أن حادث الحريق مدبر وبفعل فاعل ولا شك أن دى ليسبس أو أحد الأجانب هو المدبر لهذا الحادث لكى يظهر هذا الحى فى شكله منظماً ونظيفاً والدليل أن الحريق وقع قبل افتتاح القناة الذى سيحضره جمع غفير من كافة جنسيات العالم .

إحصاء سكان مدينة بورسعيد من العاملين

صدرت الأوامر لمحافظ بورسعيد بإجراء إحصاء لسكان مدينة بورسعيد قبل افتتاح القناة وكانت النتيجة أنهم بلغوا ما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف (أجانب ومصريين) .

التصوير وحفر القناة وحفلات إفتتاح القناة

كانت البداية الفعلية للتصوير الشمسى (الفوتوغرافى)سنة ١٨٣٩ مع الأسلوب الذى ابتكره الفرنسى لوى مانديه داجير (١٧٨٥- ١٨٥١) وهذا التقدم العلمى شجع كثيراً من المصورين فى التوجه لمصر لتصوير دقائق أمور الحياة فيها واتجه بعض من هؤلاء إلى منطقة برزخ السويس فى زمن حفر القناة لتصوير مراحل حفرها وحتى افتتاح القناة وكان أغلبهم من الفرنسيين والبريطانيين ومنهم التركى واليونانى والإيطالى . ومن أشهر هؤلاء المصور الفرنسى أيبوليت أرنو الذى أقام معمله فى بورسعيد خصيصاً لهذه الغاية وكان يستخدم مركباً فيه غرفة معدة لتظهير الصور كان ينتقل بها عبر القناة لتصوير وقائع هذا الحدث الكبير أما عبر الصحراء فكان يستخدم الخيمة المعتمة مقراً لعمله TRAVELLING PHOTOGRAPHER'S DARKROOM TENT

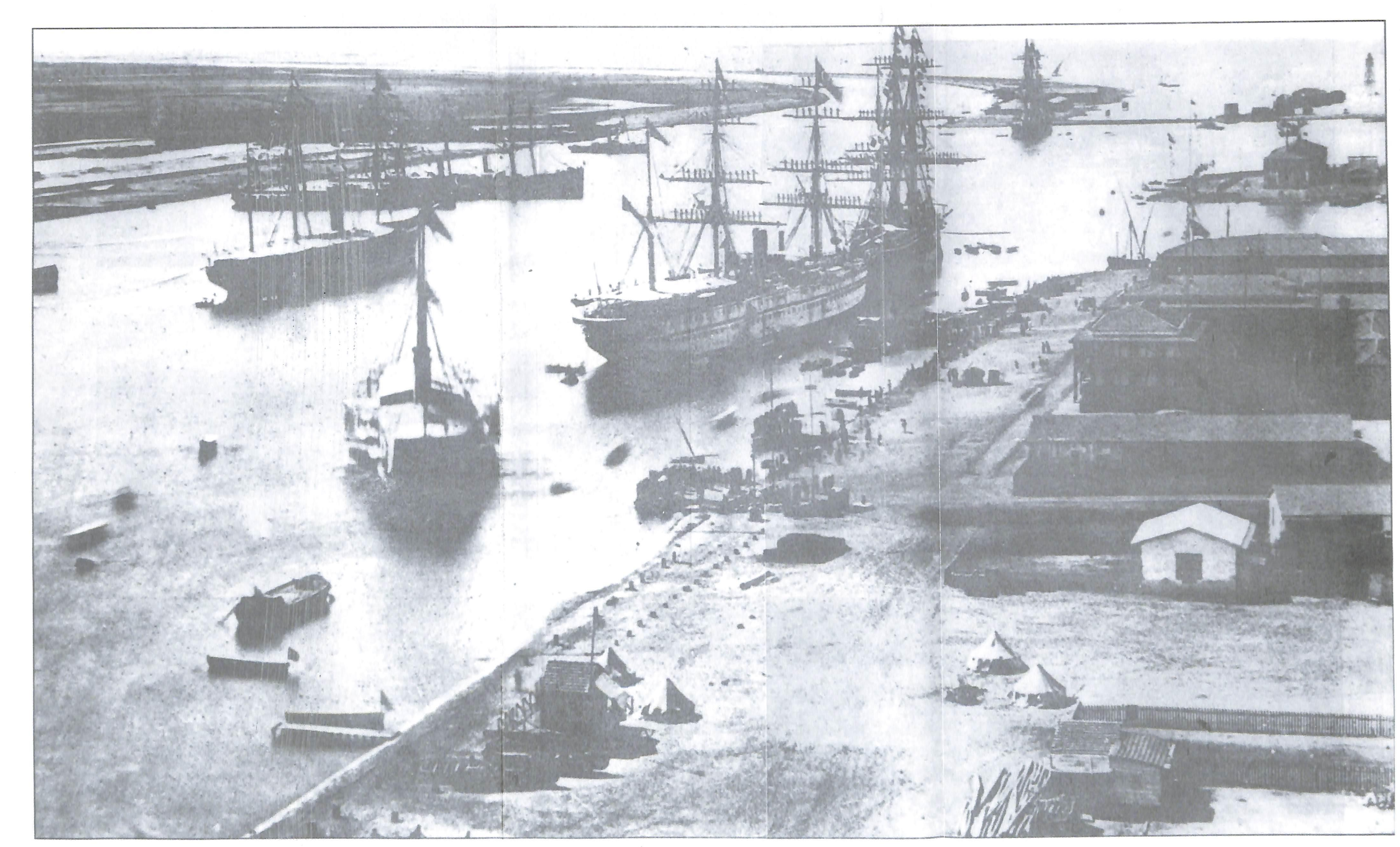


« منظر لمجرى قنال السويس كما لو رأه طائر محلق في السماء »

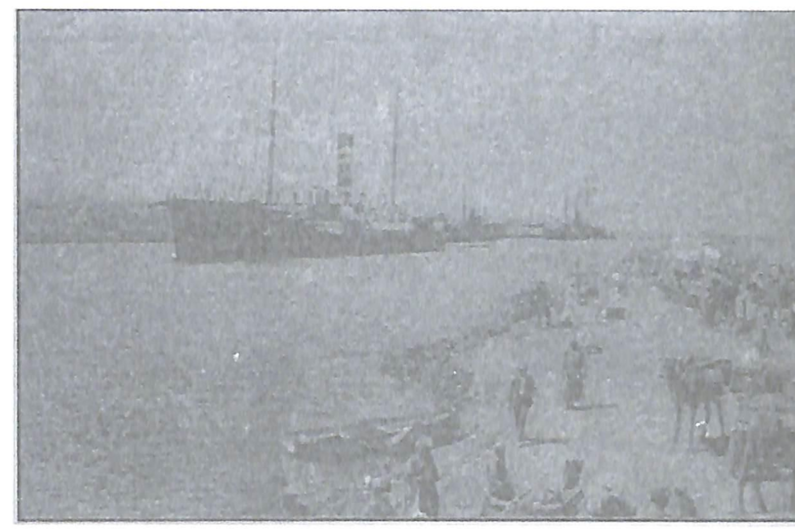
إحدى الرسومات الكاملة والدقيقة للعديد من تصميمات وتنفيذ الأستاذ الفارس الكبير « ريفو لتلا » نائب رئيس شركة قناة السويس العالمية مع المهندس اللامع « چوزيبى إسفورس »

منظر مكبر لقنال السويس لأول افتتاح لها سنة ١٨٦٩

ترجم من الإيطالية من النص الثابت علي الخريطة المحفوظة بمتحف اللوفر بباريس



رصيف فرانسوا چوزيف فى العام التالى لافتتاح القنال



رصيف فرانسوا چوزيف وكان شاطئا وملتقى لتجارة القوافل مع السفن العابره للقنال



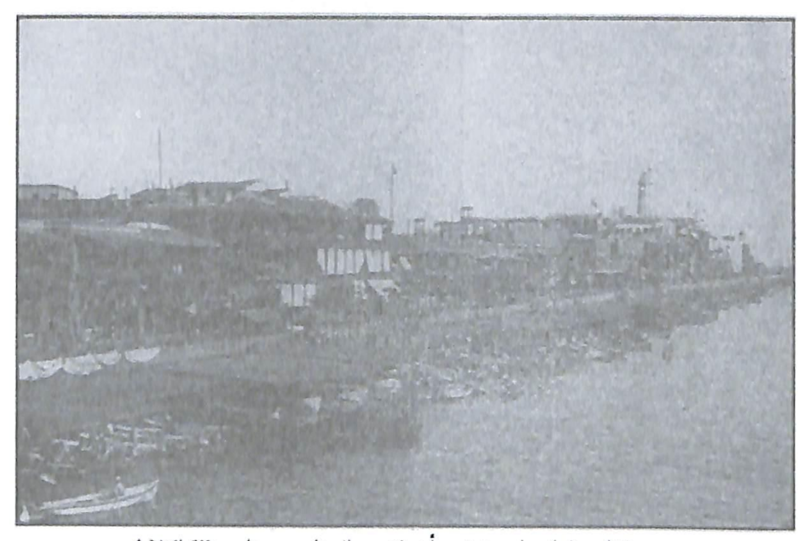
رصيف فرانسوا چوزيف فى عام الافتتاح



منزل محمد حسنين بك لهيطة المطل على رصيف فرانسوا چوزيف قبل بناء مبنى إدارة شركة القنال سنة ١٨٩٣



صورة لشارع فرانسوا چوزيف مأخوذة من الميناء وظهر السور الخشبى بدون أبواب



صورة لشارع فرانسوا چوزيف مأخوذة من الميناء بعد بناء مظلة الفلايك



صورة لشارع فرانسوا چوزيف مأخوذة من جهة الجنوب من مبنى مكاتب إدارة شركة القنال



شارع التجارة ، النهضة ،وتقاطعه عند شارع فرانسوا چوزيف وظهرت محطة ترام الخيل



زيارة الخديوى محمد توفيق لبورسعيد سنة ١٨٨١ حيث حل بفندق سافوى هوتيل



مبنى محلات سيمون ارزت

بورسعيد والتدفق الأجنبى

هذا عرض لظهور ونمو مدينة بورسعيد خلال عشر سنوات حيث لوحظ التدفق الأجنبى على بورسعيد بصفة خاصة ومصر بصفة عامة وفسر لنا مرجع « السخرة فى حفر قناة السويس » هذا الوضع تحت عنوان عهد التسلط القنصلى فى مصر حيث ذكر : « برزالجانب السياسى لمشكلة الأيدى العاملة بروزاً واضحاً وقوياً فى أول الأمر .. فان تدفق عمال أجانب على بلد له ظروفه السياسية والاقتصادية الخاصة و موقعه الجغرافى الهام ويقوم فيه وقتئذ نظام الامتيازات الأجنبية بالإضافة إلى الأراضى المترامية الأطراف التى منحها سعيد باشا للشركة فى منطقة القنال ومديريتى الشرقية والقليوبية كل ذلك يثير مشكلات سياسية خطيرة ويستطيع العمال الأجانب أن يبعثوا فى طلب ذويهم للإقامة معهم بعد أن تنظم سبل المعيشة فى منطقة البرزخ وهذه الهجرات الإضافية التى تنشأ عن إلحاق الأقارب وغيرهم بذويهم تزيد من عدد أفراد الجاليات الأجنبية التى تعيش فى أراضى الشركة الشاسعه فتصبح تلك الأراضى بمثابة مستعمرات فرنسية تقوم داخل الأراضى المصرية باستقلال فى التشريع والقضاء والإدارة وغير ذلك ثم لا تلبث أن يكون لهذه الجالية بأراضيها وامتيازاتها شأن كبير فى البلاد وهى حالة تؤدى فى النهاية إلى قيام حكومة داخل الحكومة المصرية أوما يسمى باللاتينية IMPERIUM IN IMPERIO (دولة داخل دولة) .

هكذا ظهرت الى الوجود مدينة بورسعيد وأصبحت معلماً ثابتاً على خريطة العالم سنة ١٨٥٩ (عام الحفر) إلا أن هذه المدينة الوليدة أو المدينة القرية التى لم يكتمل نموها كمدينة كبيرة كما هى الآن فسيكتمل تأريخنا عنها فى الكتاب القادم (الجزء الثانى)عن نشأة الأحياء فيها وأهم الجاليات التى كانت موجودة بها وتعدادها وعاداتها وتقاليدها ثم سينتقل حديثنا عن تاريخ بورسعيد بسرده سنة تلو سنة إعتباراً من سنة ١٨٦٩ إلى أن يأتى أول القرن العشرين فيكون حديثى عنها وعن أهم أحداثها فى شكل عقود (عشر سنوات) فمثلاً بورسعيد أوائل القرن وفى العشرينات والثلاثينات وهكذا .



يابن مصر يابن من شادوا الهرم

أنت لاغيرك من شق القناة

الباب السادس
حفلات افتتاح قناة السويس
CELEBRATING THE INAUGRATION OF THE SUEZ CANL

جاء وصف من عاصر حفلات افتتاح قناة السويس من الكتاب والمؤرخين بما يفوق الخيال فى ليالى ألف ليلة وليلة . وعلى رأس من كتب : فرديناند دى ليسبس فى مذكراته الخاصة عن تاريخ حفر قناة السويس والمسيوNicole الذى وضع كتاباً عن وصف حفلات افتتاح القناة والألبوم الذى وزعته شركة القنال عند الافتتاح والذى بين خطوات الحفر وأغلب صور هذه المراجع من رسم الفنان Riou [1] .

ذلك أنه لما أوشك دى ليسبس على الإنتهاء من الحفر نصح الخديوى إسماعيل بدعوة ملوك أوروبا وأمرائها ورؤساء حكوماتها ورجال السياسة والعلم والأدب والفن على اختلاف مراكزهم لمشاهدة هذا المهرجان ليكونوا فى ضيافته منذ خروجهم من أوطانهم وأوعز دى ليسبس بأنه سيظهر فى النهاية كأعظم ملوك العالم وأكثرهم ثراء بما سيقدمه لهم من مظاهر البذخ والأبهه خلال هذه الاحتفالات واتفقا على أن يكون الافتتاح الرسمى للقناة يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ .

لذلك أصدر إسماعيل أوامره لكافة الجهات الرسمية وغير الرسمية للاستعداد لهذا الحدث العظيم منها نظارة الخارجية فى ١٩ مايو سنة ١٨٦٩ فصدرت أوامرها للمسيو هبرت بإنشاء أبنية جمرك بورسعيد بمنزلة أسكلة قناة السويس بالإضافة للقصر المقرر إنشاؤه كاستراحة للإمبراطورة أوجينى خلال هذه الاحتفالات وتعهد المقاول هبرت بالانتهاء من تلك العملية وتسليم الأسكلة ومبنى الجمرك والقصر فى أول أكتوبر ١٨٦٩ وبلغت تكاليف هذا القصر سبعمائة وألف فرنك .

كما أصدر الخديوى إسماعيل الأمر التالى لوزير ماليته : «غير خاف عليكم أنه بمناسبة افتتاح قناة السويس سيحضر لمصر إبتداء من يوم ١٦ اكتوبر ضيوف وزائرون من ذوى الاعتبارات وبرنسات كثيرات من كافة الدول . وحيث أن المنازل الموجودة تحت يد الحكومة غير كافية لإيواء وإكرام هؤلاء الضيوف ، فبناء عليه يجب استئجار بعض القصور المناسبة بالإضافة إلى أن قصر محمد بك نجل المرحوم عاصم باشا الكائن بشارع شبرا موافق لإقامة هؤلاء الضيوف وأن البيك المذكور غير قاطن فيه الآن بمناسبة موسم الشتاء فبناء عليه يجب التشاور معه من الآن بخصوص إستئجار قصره هذا على حساب الحكومة فى موسم الشتاء وعرض النتيجة علينا » ...

وفى ٢٤ مايو سنة ١٨٦٩ أصدر الخديوى إسماعيل الأمر التالى لناظر الخارجية نوبار باشا : « حيث أنه من الضرورى تجهيز وفرش ديوان محافظة القنال بالإسماعيلية لاستقبال حضرة صاحبة الحشمة امبراطورة فرنسا المنتظر حضورها إلى مصر فى شهر أكتوبر فبناءعليه يجب إعداد اللوازم الخاصة بفرش الديوان المذكور بمعرفتكم بصورة بديعة ...... » .

الإستعدادات لحفلات افتتاح القنال
وأهم الأبنية التى بناها إسماعيل

دار الأوبرا الخديوية

بالرغم من أن الخديوى إسماعيل قام بافتتاح « مسرح الكوميدى » بالقاهرة فى ٤ يناير سنة ١٨٦٨ بالأزبكية ... إلا أنه أراد أن يوحى لضيوفه فى حفلات افتتاح القنال أن القاهرة جزء من أوروبا فأمر المهندسين الإيطاليين أفوسكانى وروسو بالقيام بتصميم الرسومات المعمارية والإشراف على تنفيذ بناء أوبرا تكون صورة طبق الأصل من دار أوبرا « لاسكالا دى ميلانو » على أن يتم بناؤها خلال خمسة أشهر .. واختار لهم قطعة أرض فى وسط القاهرة حول بركة الأزبكية وكانت تلك المنطقة عبارة عن أخصاص وأكواخ يسكنها بعض العمال فتم هدمها وتم العمل على قدم وساق فى بناء دار الأوبرا فقام أفوسكانى بإحضار العمال المهرة والفنيين من الخارج لإخراج تلك التحفة الفنية فاستجلب من لبنان كتلاً من أخشاب الأرز واستورد أفخر أنواع الأبلاكاش لتستخدم كقواطيع للألواح كما استخدم الكرتون

---

(١) وضع كتاباً صدر فى باريس سنة ١٨٦٩ غزير بالصورة والمعلومة عن مراحل حفر القنال ونشأة بورسعيد وهو مرجع نادر بعنوان Le Canal Maritime De Suez سمح لى مشكوراً صاحبه الأستاذ أفتيم عيسى أفتيميوس بالإطلاع عليه .

والجبس المفرغ فى صنع الزخارف الداخلية والديكورات التى كانت تمثل نقوشاً بارزة لملائكة ونقوش للمعابد الرومانية كما تخللت الأسقف والأعمدة الضخمة مشاهير الأوبرا والموسيقيين العالميين .

وأعدت صالة الأوبرا لتستوعب ٨٥٠ متفرجاً هذا بالإضافة إلى المسرح الذى بلغ عرضه ١١ متراً بما يكفى لعرض أية مناظر مهما كان اتساعها .

وقد توافر فى بناء الأوبرا أماكن كثيرة ورحبة للراحة والتدخين فخرجت الأوبرا فى شكلها العام آية فى الصنع والبناء والتزيين وقد بلغت تكاليفها ١٦٠ ألف جنيه .

وكلف إسماعيل خلال تشييد مبنى دار الأوبرا مدير الآثار المصرية ، أوجست مرييت ، بالبحث خلال التاريخ المصرى القديم عن قصة تناسب أحداثها الأحداث التى تعيشها مصر فى زمن حفلات افتتاح القناة خصوصاً وأن مصر فى تلك الآونه كانت فى حرب مع الحبشة . وبحث مرييت فى أوراق البردى القديمة فوجد قصة مضمونها أنه كان هناك ملك إفريقى يناوش مصر فيتوجه له قائد مصرى يدعى ، رادوبيس ، ويحاربه وينتصر عليه ويأتى به مكبلاً فى الأغلال لمصر إلا أن هذا القائد يكتشف أن أسيره الملك والد محبوبته ، عايدة ، فوقع بين كفتى ميزان أحدهما حبه لعايدة والآخر حبه لوطنه فأيهما يفضل ... فإن كان الحب أقوى فسيتحول من قائد منتصر إلى خائن لبلاده يحكم عليه بالإعدام .

ولما عرض مرييت فكرة تلك القصة على الخديو إسماعيل أعجب بها وطلب منه أن يسافر فوراً لأوروبا لتحويلها إلى أوبرا .

وبالفعل سافر مرييت إلى فرنسا وفى باريس التقى بصديقه الفنان ، كاميل دى لوكال ، وطلب منه إعداد سيناريو تلك الأوبرا ... وفى سرعة فائقة ينتهى دى لوكل من إعداد سيناريو الأوبرا فطلب من مارييت أن يرشح له من الموسيقيين المشهورين واحداً يخرجها فى إطار مصرى قديم فرشح له ثلاثة موسيقيين هم ، ڤاجنر وڤردى و جونور ، .

وعلى الرغم من أن ڤردى كان صديقاً لمرييت إلا أنه خشى أن يرفض القيام بهذا العمل كما سبق ورفض طلب الخديوى إسماعيل فى إعداد سلام الخديوى لعزفه عند بدء حفلات افتتاح القناة .

وتعهد ،كاميل دى لوكل ، أمام مارييت على أن يقنع ڤيردى للقيام بإعداد هذا العمل الجبار .. وبعد عناء كبير أقنعه على أن ينجز هذا العمل الجبار إلا أنه اشترط أن يتقاضى ١٥٠ ألف فرنك مقابل وضع موسيقى تلك الأوبرا وأن يقوم الشاعر ، جيالانزونى ، بنظم الحوار لأبطال الأوبرا وأن تعطى له فرصة مدتها سنة كاملة ليأخذ هذا العمل الجبار حقه فى الإتقان ...

صحيح وصل مرييت إلى اتفاق مع ڤردى بعد عناء شديد لكن ماهو السبيل ولم يبق على حفلات افتتاح قنال السويس إلا أشهر قليلة فقام بالاتصال بالخديوى إسماعيل الذى طلب منه الاتفاق مع فرقة عالمية لإحياء حفلات افتتاح القنال وافتتاح دار الأوبرا الخديوية .. وبالفعل وفق مرييت إلى إختيار فرقة أوبرا إيطالية تؤدى إحدى أعمال ڤردى وهى أوبرا ريجوليتو أو مضحك الملوك وهى مأخوذة من مسرحية لڤيكتور هوجو ... والتى مثلت على دار الأوبرا الملكية مساء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ .

طريــق الهــرم

أمر الخديو إسماعيل بتمهيد الطريق المؤدى للأهرامات وجعله صالحاً لسير المركبات كما أمر بغرس الأشجار على جانبيه لتظلل موكب أوجينى أثناء زيارتها لأهرامات الجيزة والتنزه بالكارتات التى تجرها الخيول فى ربوع المنطقة.

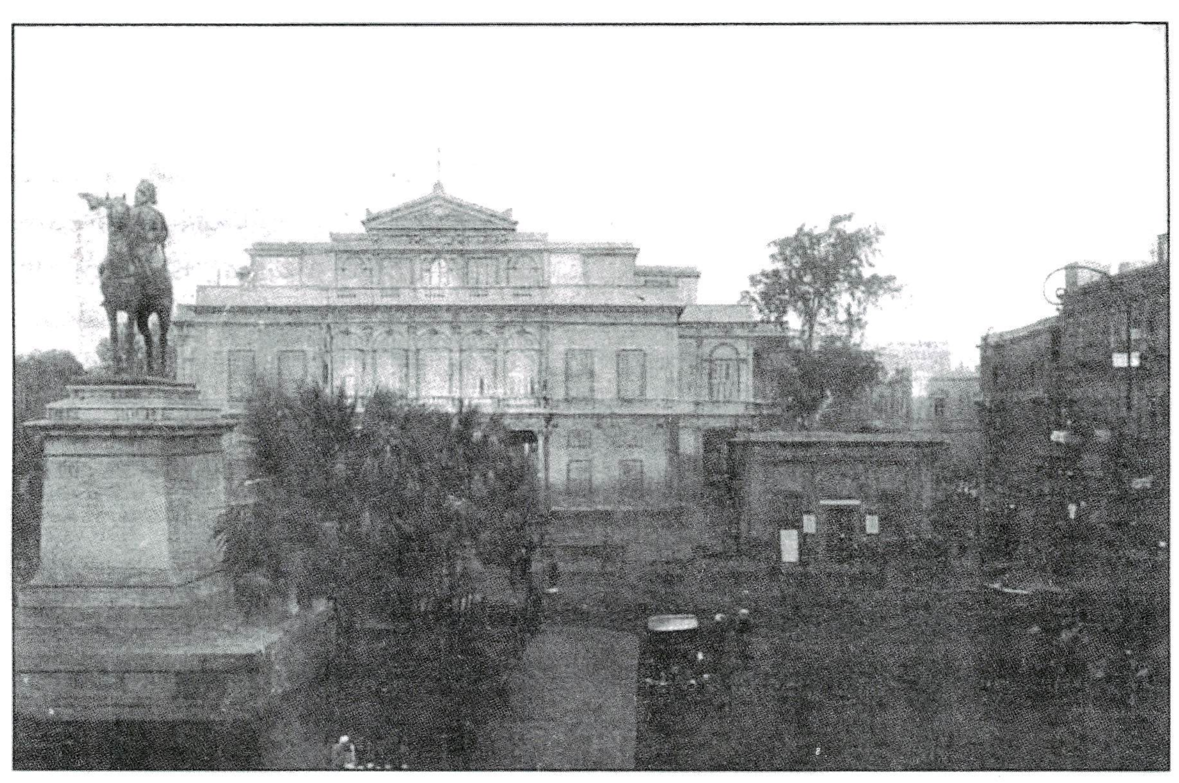
فقام ناظر الأشغال ومدير الجيزة بإصدار أوامرهما بتسخير عدد كبير من الأهالى لتنفيذ هذا العمل خلال ستة أسابيع بعد أن واصلوا الليل بالنهار فى هذا العمل الشاق والذى بلغ طوله عشرة كيلو مترات من قصر الجزيرة حتى الهرم .

قصر الجزيرة (١)

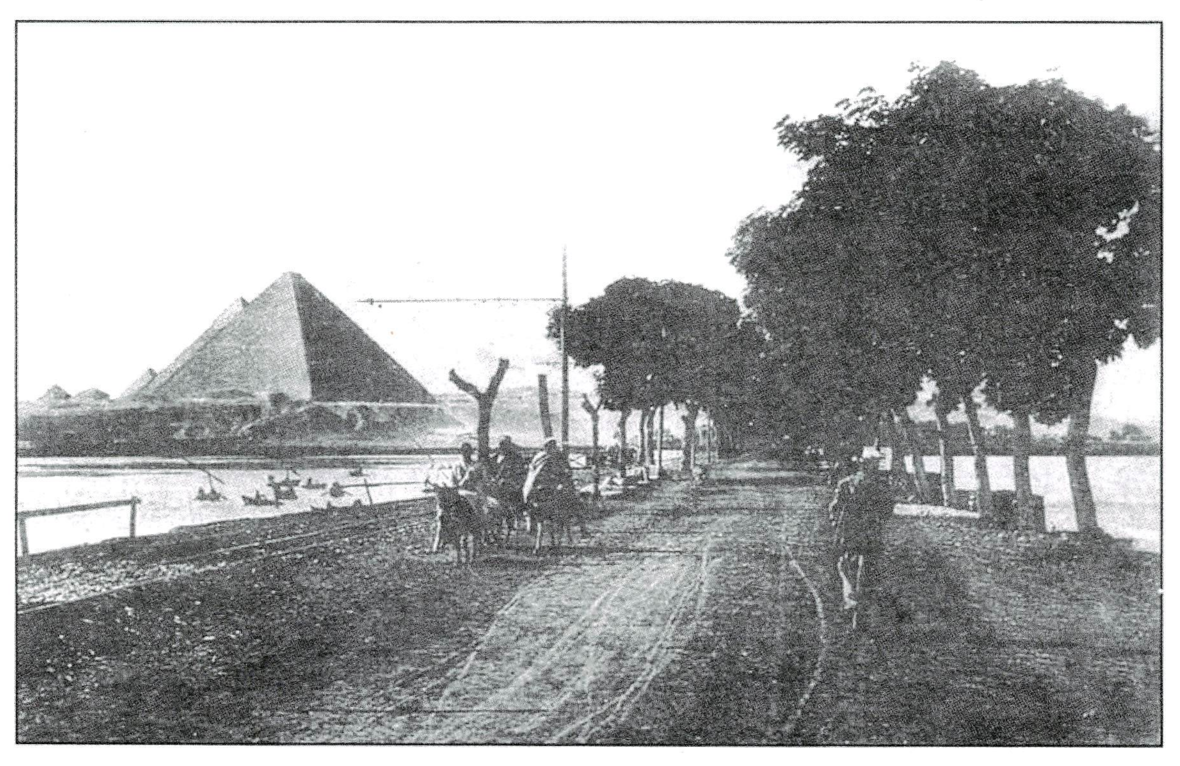
كما أمر الخديوى إسماعيل ببناء قصر عظيم أطلق عليه ، قصر الجزيرة ، خرج تنفيذه على غرار قصر الحمراء بالأندلس . وتم نقل أشجا ر اللبخ من طريق محمد على باشا الممتد من الباب الحديد حتى شبرا وترك بهذا الشارع أشجار الجميز فقط . وغرس أشجار اللبخ هذه على جانبى الطرق المؤدية لقصر الجزيرة كما غرست أيضاً على الطريق الموصل من هذا القصر إلى منطقة الهرم .

---

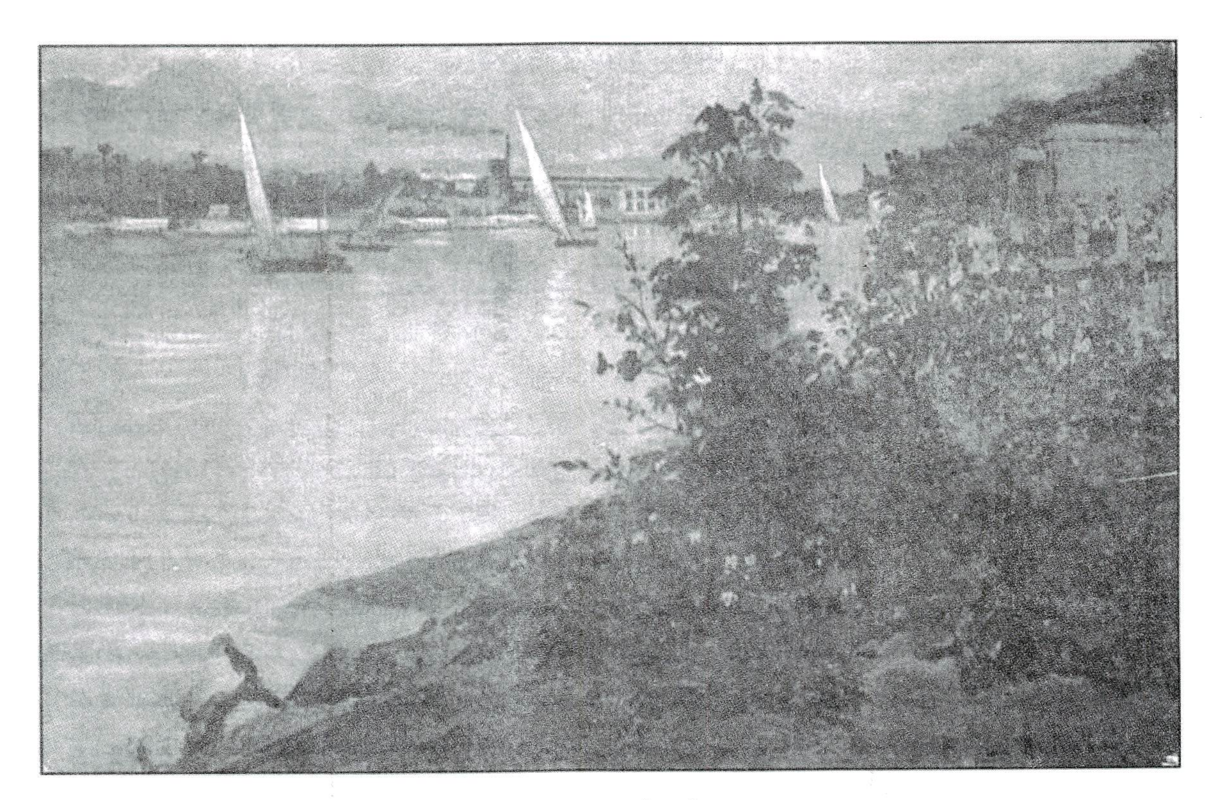
(١) باعه الخديوى إسماعيل لأسرة لطف الله بمبلغ ١٥٠ ألف جنيه ليسدد به ديونه وأممته حكومة الثورة وقامت ببناء فندق ماريوت بحديقة هذا القصر .



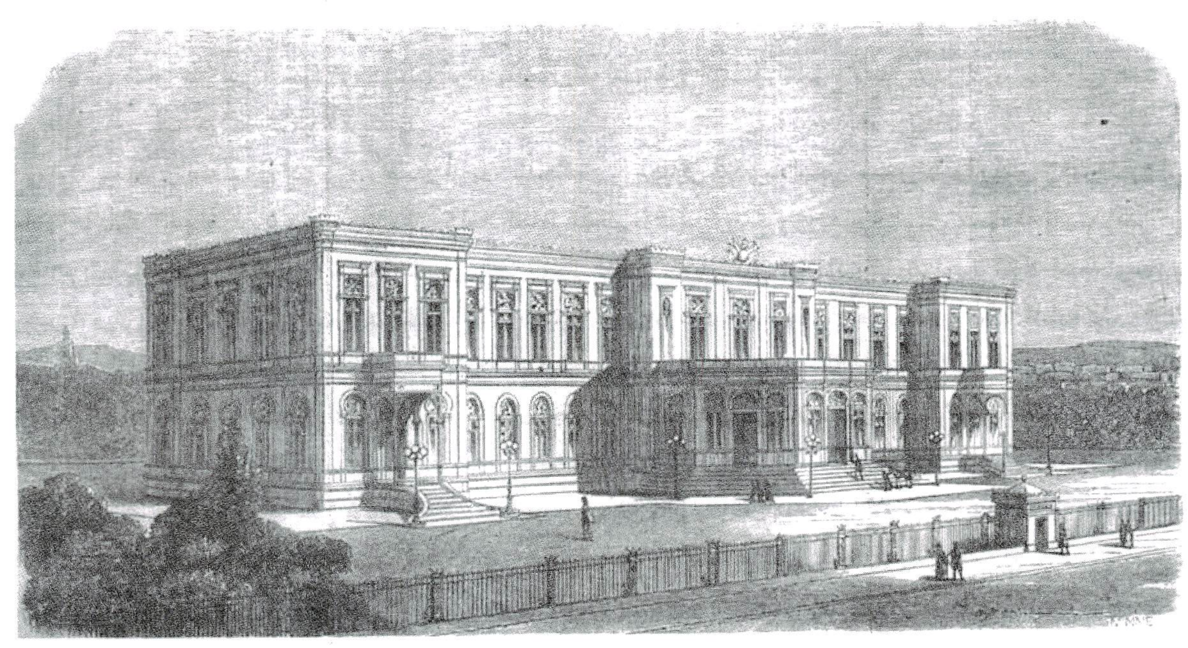
دار الأوبرا الخديوية



طريق الهرم



قصر الجزيرة



القصر الذى أعده الخديوى إسماعيل لاحتفالات قنال السويس بالإسماعيلية

قصر الإسماعيلية

سبق أن أشرنا إلى بناء قصر بمدينة الإسماعيلية أعد ليكون استراحة للإمبراطورة أوچينى ثم تلاه أمر آخر بضرورة فرش هذا القصر بمفروشات وستائر تماثل الموجودة بقصر ڤرساى لدرجة أن أوچينى أخذتها الدهشة عندما حلت بهذا القصر عندما وجدت بغرفة نومها نفس العلب وأدوات الزينة التى تمتلكها فى غرفة نومها بقصر ڤرساى .

سفر إسماعيل لدعوة ملوك أوروبا

وفى صبيحة الخميس الأول من يوليو سنة ١٨٦٩ سافر الخديو إسماعيل على يخته المحروسة [١] قاصداً عواصم أوروبا لدعوة ملوكها وأمرائها وكبرائها لحفلات افتتاح قنال السويس وترك زمام إدارة شئون حكم مصر لنجله وولى عهده محمد توفيق باشا ـ الخديوى توفيق فيما بعد ـ وقد اصطحب معه فى رحلته نجله إبراهيم باشا ووزير خارجيته نوبار باشا وشاهين باشا وزير الجهادية والبحرية ومن كبار رجالات مصر راتب باشا ورياض باشا وخيرى بك وإيرام بك باشترجمان الخديوى وبوركير بك وزكى بك وعبد القادر بك ومصطفى بك ..

وقد حمل إسماعيل معه على يخته ثلاثمائة بطاقة دعوة من جلد الفيل مزينة بالنقوش تكلفت عشرة آلاف جنيه وبالرغم من ذلك فقد تمت دعوة ستة آلاف من شخصيات العالم إلا أن هذا العدد زاد حتى وصل إلى ثمانية آلاف مدعو .

وخلال وجود إسماعيل باوروبا استقدم ألف خادم وخمسمائة من أشهر طباخى العالم ومائة سفرجى من مارسيليا وتريستا وجنوا والبندقية وليفرنو بالإضافة لطباخى الخديوى من اليونانيين والأتراك والمصريين وغيرهم ليعتنوا بإعداد الموائد لآلاف الزوار .

وتوجه الركب البحرى أولاً لزيارة جزيرة كورڤو اليونانية حيث كان ملك اليونان وملكتها يستجمان فيها فوجه لهما الدعوة إلا أن الملك چورج اعتذر نظراً لقطع العلاقات الدبلوماسية بينه وبين السلطان التركى وقبل أن يغادر إسماعيل كورڤو تبرع لفقرائها بعشرين ألف جنيه ثم توجه الركب إلى مدينة ڤينيسيا ثم مدينة فلورنسا التى كانت وقتئذ العاصمة الإيطالية ثم إلى مدينة ڤينا فبرلين وباريس ولندن وبروكسل ثم عاد إسماعيل مرةأخرى إلى فرنسا [٢] للإستشفاء بالمياه المعدنية بمنطقة EAUX BONNES [٣] وفى كل مرة حل بها إسماعيل لمدينة باريس استقبل استقبالاً عظيماً من قبل الإمبراطور نابليون الثالث الذى اعتذر عن تلبية الدعوة لوجود مشاكل داخلية تمنعه من مغادرة فرنسا وأناب عنه زوجته الإمبراطورة أوچينى حيث حل إسماعيل ضيفاً بقصر الإليزيه . كما اعتذرت الملكة ڤيكتوريا عن حضور هذه الحفلات وإن كان استقبالها لإسماعيل عظيماً حيث حل عليها ضيفاً فى قصر باكنجهام . وأقيم لإسماعيل من قبل ملوك العالم الحفلات الساهرة والعروض المسرحية والإستعراضات العسكرية .

وكان من ضمن من لبى الدعوة الإمبراطور فرانسوا جوزيف إمبراطور النمسا والمجر والأمير فردريك ويليهلم ولى عهد بروسيا والأمير هنرى ولى عهد هولندا والأميرة قرينته .

وبعودة الخديوى إسماعيل لمصر ... أصدر أوامره للمحافظين ومديرى المديريات التى سيمر عليها ركب الإمبراطورة أوچينى لسياحتها فى تلك الجهات أن يستعدوا إستعداداً كاملاً لحفظ النظام وإعداد الزينات وأن يقوم أبناء كل محافظة باستعراض أزيائهم وموسيقاهم بل أمر بزراعة الأراضى التى سوف يمر عليها القطار المقل لأوچينى بالمحصولات الخضراء ولا تترك قطعة أرض جرداء لتسر عين أوچينى خلال رحلتها . وكان أهم تلك الأماكن مديرية قنا أكبر مجمع هائل للآثار فى مصر والعالم قاطبة فوجه الخديوى إسماعيل أمره التالى لمدير قنا فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٦٩ (ذكرناه بنصه) : « وإنه لمناسبة مرور حضرة إمبراطورة فرنسا فى سياحتها بجهة مديريتكم وفرجتها على جهات الأنتيقة يقتضى الحال إجراء بعض تنظيمات وإصلاحات بأماكن الأنتيقة الموضحة بالبوصلة [٤] المرفقة » ..

ومنذ ١٥ أكتوبر ١٨٦٩ توافد على ميناء الإسكندرية كثير من السفن والبواخر تقل مئات بل آلاف الزائرين منهم من دعاهم الخديوى إسماعيل والبعض الآخر حضر للاستمتاع بتلك الحفلات على نفقته الخاصة ومن مشاهير من دعاهم البارون تينار والمسيو دى شينفيار أمين

---

(١) تقدم اليخت المحروسة ثلاث سفن حربية ومثلها سارت خلفه .
(٢) فى إحدى ضواحى باريس دعاه الكونت لافيزون لزيارته فى قصره الفخم فقام إسماعيل بشراء هذا القصر بخمسة ملايين من الفرنكات أى ربع مليون جنيه من الذهب ثم نظر إسماعيل لإبنة هذا النبيل قائلاً قدمت لك هذا القصر هدية لك .
(٣) هى منطقة تابعه لإقليم البرانس مطلة علي الأطلنطى جنوب غرب فرنسا بها مراكز متخصصه للعلاج الطبيعى .
(٤) المقصود بالبوصلة هنا هى كشف أميرى أو حكومى مرفق بالأمر الخديوى .

المتحف الفرنسي والمسيو دى كارترفاج من المعهد العلمي وبول بروكا وشارل بلان من معهد الفنون الجميلة ، وتيفول جوتيه من كبار الكتاب وإميل زولا الأديب والمصور الفرنسى المشهور وأبسن جيروم ، فرومنتان وتوغين من كبار المصورين ورجال الفن والأخوان براون من كبار المصورين بالفوتوغرافيا وبرتيلو فورتز من الكميائيين وكاميل بليتان وجامان ودالميده من علماء الطبيعة والدكتور هامى والبروفسور مارى من المجمع الطبى والمهندس بريچيه والدكتور فيكس من أمستردام والمسيو يونج مندوب جريدة الديبا والمسيو بيشو مندوب المجلة البريطانية ولوسيان مارك مندوب مجلة الإلستراسيون وموريل ستوب مندوب مجلة الدنيا المصورة والمهندس فرانشو ....

هذا بخلاف علماء من سويسرا وبروسيا وهولندا والنمسا وإيطاليا .....

وكان أشهر من حضر على نفقته الخاصة الرحالة الإنجليزى المشهور صمويل بيكر الذى اكتشف بحيرة ألبرت فى ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ والذى اصطحب معه إلى مصر الأمير إدوارد ولى عهد إنجلترا ...

وتوجهت أعداد غفيرة من هؤلاء المدعوين إلى القاهرة . وفى ١٨ أكتوبر استقبلهم الخديوى إسماعيل وأقام لهم حفل استقبال فخم فى قصر النيل شاهدوا خلاله مسرحية (كابرس) لألفريد دى موسيه وصدحت الجوقات الموسيقية بأنواع من المقطوعات الشرقية ليعيشوا فى سحر الشرق ...

ونلخص حفل إستقبال أوچينى بالإسكندرية وسياحتها بالقاهرة طبقاً لما جاء بالعدد ٣٣٠ من الوقائع المصرية الصادرة يوم الأربعاء ٢٧أكتوبر سنة ١٨٦٩ :، فى يوم الخميس ٢١ أكتوبر سنة ١٨٦٩ توجه الخديوى إسماعيل من القاهرة إلى الإسكندرية يصاحبه نجله وولى عهده محمد توفيق باشا وشريف باشا ناظر الداخلية وشاهين باشا ناظر الجهادية والبحرية وإسماعيل صديق باشا ناظر المالية ومفتش عموم الأقاليم ونوبار باشا ناظر الخارجية وطلعت باشا ورياض باشا وأحمد خيرى بك وإيرام بك وذلك لاستقبال الإمبراطورة أوچينى واصطحابها للعاصمة .

ومع شروق اليوم التالى ٢٢ أكتوبر بدأ من ميناء الإسكندرية الوابور ، إيجل ، الذى تقله الإمبراطورة أوچينى [1] فبادر الخديوى إسماعيل بالتوجه إليها لأداء واجب التحية والاحترام واصطحبها فى زورق مزين بالأعلام الخديوية والفرنسية وبوصولهما إلى أرض الميناء توجها لمحطة السكة الحديد حيث كان فى انتظارهما أمام المحطة الأمراء وكبار الضباط الفرنسيين الذين يعملون فى خدمة الحكومة وهم يصيحون بالدعاء ومهللين بالثناء . وفى منتصف الساعة الحادية عشرة استقلت الإمبراطورة أوچينى القطار الخاص متوجهة للعاصمة فشاهدت أثناء مرورها على الأراضى الزراعية اكتسابها بساط سندسى أخضر غمرها ماء النيل المبارك . وفى الساعة الثالثة بعد الظهر وصلت إلى محطة العاصمة فوجدتها مزينة بالأعلام الخديوية والفرنسية والأزهار والمنسوجات المزركشة وكان فى استقبالها كبار رجال الدولة وعلى رأسهم راتب باشا سردار الجيش المصرى وقاسم باشا ناظر الدائرة الخاصة والدراملى أحمد باشا محافظ مصر والدراملى حسين بك مأمور الضبطية المصرية وجميع اليوران ومأمورو القناصل الفرنسية بمصر والضباط الفرنسيون العاملون بالحكومة المصرية فقامت بتحيتهم ، وبعدها ركبت مع الخديوى إسماعيل فى عربة خاصة تجرها أربعة خيول وقد ركب معها الجنرال (دوته) مأمور سياحتها .. وقد مر موكبها على عديد من المنازل التى امتلأت نوافذها بالرجال والسيدات الذين أخذوا فى تحيتها وقد ازدانت الشوارع بالزينات وأقواس النصر ومرت من ميدان الإسماعيلية إلى قصر النيل ومنه ركبت وابور نيلى عبرت به إلى الجانب الآخر من النهر ووصلت إلى سرايا الجزيرة المخصصة لإقامتها ، وبعد استراحة قصيرة قامت بزيارتها والدة الخديوى إسماعيل وزوجاته واصطحبوها إلى قصر الخديوى حيث مرت على زينات تفوق الوصف ويحييها الأهالى وهى فى عربتها ، وما أن وصلت إلى القصر اصطحبها الخديوى إلى القلعة وشاهدت القاهرة من أعلى القلعة ثم توجهت وبصحبتها الخديوى إلى داخل القاهرة فتوجها إلى الغورية وخان الخليلى والسكة الجديدة والموسكى وضاحية الإسماعيلية وسكة شبرا واستمتعت بالجو الشرقى الساحر الذى يفوق الخيال وابتاعت من أسواق القاهرة كثيراً من النفائس وبعد تلك النزهة فى شوارع وضواحى وأحياء القاهرة عادت إلى قصرالجزيرة حيث باتت فيه .

وفى يوم السبت ٢٣ أكتوبر اصطحبها الخديوى إسماعيل فى عربة تجرها الخيول وزارا الجامع الأزهر المعمور ومسجد طولون وجامع السلطان حسن وسائرالمساجد الشريفة العتيقة واستقصت الأماكن الإسلامية الشهيرة واختتمت زيارتها بمسجد الإمام الشافعى.

وفى المساء توجهت إلى القصرالعالى لحضور وليمة أعدت لها خصيصاً بعدها خرجت للنزهة .

---

(١) أصدر الخديوى إسماعيل أوامره لناظر الداخلية شريف باشا فى ٢٨ شعبان ١٢٨٦ بحصر المسجونين والإفراج عنهم إحتفالاً بزيارة الإمبراطورة أوجينى وسياحتها فى القطر المصرى .

وفى يوم الإثنين ٢٥ أكتوبر أرادت زيارة شجرة السيدة مريم بالمطرية وسراى القبة وحديقتها البهية فركبت أوجينى والخديوى إسماعيل العربة المعدة لها وقد اصطف تلاميذ المدارس الحربية بالعباسية بملابسهم الزاهية لتحيتها وقاما بزيارة تلك الأماكن وأثناء عودتهما صادفا عروساً مزفوفة على العادات البلدية فاستمتعت بمشاهدة هذا العرس .

وخلال الأيام التى أقامتها أوجينى بالقاهرة استمتعت بمشاهدة الألعاب النارية المختلفة وضجت القاهرة بأهلها والقادمين من حولها خرجوا للاستمتاع بالزينات ومشاهدة الألعاب النارية وكانوا راكبين أومشاة ولم يسجل مأمورضبطية مصر أدنى مخالفة للنظام أو ما يعكر الصفو .

وطلبت أوجينى الاستمتاع بزيارة الآثار المصرية فى جهات صعيد مصر حتى الشلالات فعين لها الخديو إسماعيل الوابور (فيض ظفر) . أما من كان بصحبتها فأعد له الوابور (فيض ربانى) وغيرهما من الوابورات والذهبيات وجهزت تلك الوابورات بالخدم وكل ما يلزم لسفريتها من معدات ووسائل راحة وعين لها الأمير حسين باشا . نجل الخديوى إسماعيل . ورياض باشا ليصحبا أوجينى فى رحلتها للصعيد ، .

وقد جاء وصف رحلة أوجينى لصعيد مصر لزيارة آثارها بعدد الوقائع المصرية رقم ٣٣٨ الصادر ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٦٩ : ، فى يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر توجهت إمبراطورة فرنسا المحتشمة إلى إقليم الصعيد على ظهر النيل المبارك لمشاهدة الآثار المصرية الغريبة القديمة ومواقعها وسائر مبانيها المجسمة التى لها من الشهرة والافتخار وتعين بصحبتها إثنتا عشرة سفينة بخارية وجميع لوازم السفرية وتعين حسين باشا ثانى أنجال الخديوى رئيس بعثة الشرف وبصحبته رياض باشا وقد تم رصد جميع المشاهدات التى صادفت الرحلة ذهاباً وأياباً نقطة بنقطة فى جميع الأماكن ،.

وقد بدأت تلك الرحلة إلى صعيد مصر من سراية الجيزة فى الساعة الحادية عشرة من ٢٦ أكتوبر وأمضى الليل فوق ظهر النيل بدون سير .

وفى الساعة الثالثة صباحاً من يوم الأربعاء ٢٧ أكتوبر بدأ السير وفى الساعة السابعة وقفت القافلة النيلية عند بنى سويف للتزود بالفحم اللازم .. وفى منتصف الساعة السابعة مساء وصلت القافلة إلى المنيا ومكثت فيها حتى الخامسة من صباح الخميس ٢٨ أكتوبر حيث تم مغادرتها وفى الساعة التاسعة كان الوصول إلى الروضة وقامت بزيارة فابريكة السكر الخديوية وبمواصلة الإبحار وصلت القافلة النهرية مدينة آبو فى السابعة واستمروا فى الإبحار حتى وصلوا إلى أسيوط استراحوا فيها وتنزهوا فى أسواقها وغادروها فى الساعة الواحدة وبعد إبحار وقفوا وسط النيل ثم استأنفوا الإبحار حتى وصلوا قنا فى الساعة السادسة صباحاً فى يوم السبت ٣٠ أكتوبر وقاموا بزيارتها . وفى يوم الأحد ٣١ أكتوبر كان الوصول إلى دندرة وقاموا بالغذاء فى المعبد القديم بها وفى الساعة الأولى من منتصف الليل عادوا إلى الوابور واستمر الإبحار وفى الرابعة صباحاً كان الوصول إلى الأقصر وأبو الحجاج . وفى صبيحة الإثنين الأول من نوفمبر قاموا بزيارة بلدة الكرنك وما حولها وفى وسط النهار قاموا بزيارة الأماكن الموجودة بجهة النيل اليسرى وفى يوم الثلاثاء الثانى من نوفمبر كانت زيارة وادى القبور العتيقة وفى التاسعة عادوا إلى الوابور واستأنفوا السير إلى إدفو فوصلوها فى التاسعة صباحاً من يوم الأربعاء الثالث من نوفمبر وزاروا آثارها ومعبدها القديم وشاهدوا ألعاب عربان البشارى وغادروها فى التاسعة متوجهين إلى أسوان التى وصلوها فى منتصف الساعة الثالثة ليلاً حيث خرجوا لمشاهدتها على ضوء أنوار القناديل .. وفى يوم الخميس الرابع من نوفمبر تم التوجه لجزيرة فيلة ومروا خلال الشلالات .. وفى يوم الجمعة الخامس من نوفمبر توجهوا إلى بلاد النوبة ووصلوا كلابشة فى السادسة مساء ... وفى يوم السبت السادس من نوفمبر واصلوا السير وفى منتصف النهار اشتدت الرياح وفى السادسة مساء رست السفن على الساحل ... وفى يوم الأحد السابع من نوفمبر فى الساعة العاشرة صباحاً وصلوا إلى كورسكو وبعد ساعتين كانوا قد عادوا إلى جزيرة فيلة وانتظروا فوق سطح النيل وفى يوم الإثنين الثامن من نوفمبر كان الوصول إلى أسوان الساعة الرابعة ثم مغادرتها وانتظروا مدة فوق سطح النيل بعدها تحركوا إلى إسنا ووصلوها فى الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء التاسع من نوفمبر ... فى الساعة التاسعة من يوم الأربعاء العاشر من نوفمبر كانت الإقامة بسوهاج وانتقلوا فى السادسة مساء للاستراحة بمنفلوط يوم الخميس الحادى عشر من نوفمبر كان الوصول إلى المنيا فى التاسعة ثم بنى سويف منتصف يوم الجمعة الثانى عشر كان الوصول إلى سقارة وتمت زيارة منطقة الأهرامات القديمة وتناولوا الطعام بقصر الخديوى إسماعيل المسمى شالة (شاليه) ثم زاروا الأهرام وأبو الهول حيث تلألأت الأنوار الكهربائية وباتوا فى الوابور أمام قصر النيل وبعد الظهر من يوم السبت الثالث عشر من نوفمبر كان التوجه إلى الإسكندرية يوم الأحد الرابع عشر من نوفمبر تقبلت التهانى على ظهر

اليخت إيجل بالإسكندرية من الرعايا الفرنسيين لمصادفة هذا اليوم يوم تسميتها [1] وتقبلت التهانى و أطلقت الطلقات من ، إيجل ، لإحياء تلك الذكرى .

بعد ظهر يوم الإثنين الخامس عشر توجهت إلى بورسعيد فوصلت الميناء فى الساعة التاسعة يرافقها الأدميرال ، باريس ، قائد الأسطول الفرنسى ورئيس حاشيتها ..... ، .

فى نفس اليوم وصل بورسعيد الإمبراطور فرانسوا جوزيف إمبراطور النمسا يصاحبه وزيراه الكونت ، دى بوست ، والكونت ، اندراسى ، والأميرال تيجينوف والبارون ، بروكيش ، سفير النمسا فى تركيا وكانوا قد وصلوا على يخته الخاص ، اليزابيث ، تحرسه مدمرة حربية ..

بدء حفلات افتتاح قنال السويس

وكان أول من وصل إلى بورسعيد من الملوك والأمراء ، الأمير هنرى ، ولى عهد هولندا و الأميرة قرينته فى ١٣ نوفمبر سنة ١٨٦٩ على يخته الخاص «فولك» .

كان قد سبقهما إلى بورسعيد الخديوى إسماعيل على يخته ، المحروسة ، واصلاً من الإسكندرية يرافقه شريف باشا ناظر الداخلية ورئيس المجلس الخصوصى العالى (رئيس الوزراء) ونوبار باشا ناظر الخارجية وشاهين باشا ناظر الحربية والبحرية ورياض باشا خازندار الخديوى و ، الأمير محمد توفيق باشا ، ولى العهد والأمير طوسون ابن الوالى محمد سعيد وأطلقت طابية السلام الموجودة فى الشمال الشرقى لمدينة بورسعيد طلقات مدافعها تحية لوصولهم .

وفى ١٤ نوفمبر وصل دى ليسبس وأفراد عائلته - وكان فى ذلك الوقت أرمل لم يتزوج زوجته الثانية وكان فى الرابعة والستين - فحياه أسطول السفن التجارية والحربية الراسى فى الميناء بإطلاق الصفارات . ثم تبعه أعضاء مجلس إدارة شركة قنال السويس على ظهر الباخرة التجارية ، بيلوز ، التابعة لشركة المساجريه مارتيم .

ومنذ ١٥ نوفمبر تجمع نحو ٤٠ ألفاً من كبار رجالات مصر وأعيانها وعمد ومشايخ قرى مصر ورجال الإدارة ورؤساء القبائل ومشايخ الأقاليم بالإضافة لجمع غفير من المستقبلين على طول القناة فجموع الجماهير من كل لون ومن كل فج عميق جاءوا بملابسهم المزركشة وبأزيائهم وتسريحات نسائهم المختلفة لقد جمعهم إسماعيل ليرحبوا بضيوفه وفى نفس الوقت ليستمتعوا بهذا الحدث الهام كلٌ قام ببناء مساكنه كما فى أماكن توطنه من خيام وعشش وأخصاص وأكواخ فذلك نوبى وذاك عربى وآخر سودانى لقد استعرضوا أيضاً دوابهم وهى مغطاة بأجمل الزينات وسروج سواء كانت إبل أو خيول أو حمير .

إن يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩ [2] كان بدء تلك الحفلات الأسطورية الخاصة بافتتاح قنال السويس .

إلا أنه وقعت حادثة كادت تعكر صفو تلك الاحتفالات والتى تسببت فى رواج إشاعة انتقلت إلى مسامع أوروبا وقيل إن أوجينى عادت إلى فرنسا على ظهر يختها الإيجل وأن الإمبراطور فرانسوا جوزيف توجه إلى تريستا وأن باقى الضيوف على أهبة الاستعداد للعودة إلى بلادهم وأن الإشاعة التى انتشرت تقول إن صخرة كبيرة سدت القناة وسوف تعوق تلك الصخرة السير عبر قنال السويس .. والسبب فى تلك الإشاعة يرجع إلى أن ديليسبس أراد قبل ليلة الإفتتاح أن يجرى إختباراته النهائية على مجرى القناة ليتأكد من عدم وجود عوائق تعطل الملاحة وبالفعل تصادف وجود صخرة كبيرة فى المجرى إلا أن دى ليسبيس أزالها على الفور .. وأراد دى ليسبس أن يطمئن على سير الملاحة بالقناة فطلب أن تقوم سفينتان حربيتان بالسير فى القناة من بورسعيد حتى السويس إلا أن إحداها وهى المركب ، لطيف ، جنحت فى المجرى وسدته عند محطة القنطرة . ولما وصل هذا الخبر للخديوى إسماعيل أمر بنسفها إلا أن دى ليسبس طلب إحضار بعض الجنود البحرية للمساعدة فى حل تلك المشكلة فوصل له ألف جندى بحرى من بورسعيد استطاعوا تحت جنح الظلام العمل على سحب تلك السفينة بحذاء الساحل الشرقى للقنال وانتهت تلك الأزمة.

نعود إلى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩ :

استعدت مدينة بورسعيد لهذا اليوم فأقيمت الزينات ورفعت الأعلام فى الشوارع الرئيسية وازدانت تلك الشوارع بالفوانيس وتم دهان

---

(١) إسمها الأصلى EUGÉNIE MARIA DE MONTIJO DE GUZMAN.

(٢) خلال احتفالات إفتتاح قنال السويس أعد أحد الرسامين الأجانب صورة رمزية للدول الأوربية المشتركة فى الحفل يتصدرها الخديوى إسماعيل وهو يرحب بالإمبراطورة أوجينى وفى أسفل الصورة حوريتان تتعانقان وهما تمثلان البحر الأبيض والبحر الأحمر . وكانت هذه الصورة تباع أثناء حفلات افتتاح القنال .

المبانى العامة فى أرجاء المدينة واستعدت الفنادق والمطاعم والملاهى بالمأكولات والمشروبات وتم الاستعداد باستجلاب موسيقات وبهلوانات وألعاب سحرة وحواة أما عساكر البوليس فانتشروا فى المدينة وقدارتدوا الملابس الجديدة من الجوخ وذلك بغرض حفظ النظام فى المدينة كما اصطف جنود الجوازات والطوبجية على رصيف نزول الضيوف والذى أطلق عليه رصيف أوجينى الموصل إلى ثلاث سرادقات أقيمت على هذا الرصيف خصصت المنصة الكبرى للملوك والأمراء وكبار المدعوين والمنصة التى على اليمين لرجال الدين الإسلامى والتى على اليسار لرجال الدين المسيحى وتم كسوتهن بالحرير والديباج وزينت بالأعلام والزينات كما استجلب للمدينة طلمبة للحريق ومعها فرقة من عسكرها استعداداً لأية طوارئ وتم دهان المعدات والأسلحة وبدا كل شئ على أكمل وجه .

أما داخل مياه البحر وميناء بورسعيد فقد اصطفت ٣٠ سفينة حربية و٣٠ سفينة تجارية على هيئة قوس داخل مرفأ بورسعيد .

ونصبت المدفعية المصرية بين حاجز الأمواج الغربى للقنال ومكان الاحتفال أما مدخل القناة من الجانبين نصبت فيه مظلات أنيقة للجموع الغفيرة للمدعوين تتصدرها مظلة دى ليسبس ومجلس إدارة شركة قنال السويس .

وبدأ توافد سفن المدعوين على ميناء بورسعيد والتى بلغ عددها ٨٠ باخرة منها ٥٠ باخرة حربية وكانت من عدة جنسيات ٦ بواخر مصرية ، ٦ بواخر فرنسية بقيادة الأدميرال مولاك، و١٢ باخرة إنجليزية ، ٧ بواخر نمساوية ، ٥ بواخر ألمانية وباخرتان هولنديتان ، وباخرتان أسبانيتان وباخرة روسية وباخرة دانمركية وباخرة سويدية وباخرة نرويجية .

وتوجه الخديوى إسماعيل إلى اليخت الإيجل L'AIGLE أى النسر يرافقه دى ليسبس لاستقبال الإمبراطورة أوجينى وما أن وصل للإيجل حتى أطلقت البواخر الحربية الراسية فى الميناء مدافعها كذا المدفعية المنتشرة على شاطئ بورسعيد وهتف البحارة من على ظهر السفن وهتف معهم آلاف المشاهدين بحياة الأمبراطورة أوجينى وحياة الخديوى إسماعيل وتسلق آلاف من زوار المدينة حاجز الأمواج الحجرى الذى يحمى القناة ملوحين لليخت إيجل وللأمبراطورة أوجينى ومن كثرة طلقات المدافع المتواصلة حجب دخانها ضوء شمس هذا اليوم وارتفعت الحناجر بالهتاف لأوجينى . وأعقب هذا الاستقبال إستقبال آخر للإمبراطور فرانسوا جوزيف إمبراطور النمسا والمجر وباقى الأمراء .

وانتقل كبار المدعوين بزورق الخديوى إلى الشاطئ .. ووسط صفين من حرس الشرف تقدم تشريفاتى الخديوى يفسح الطريق وخلفه ولى عهد مصر .

وعلى الشاطئ فرشت البسط حتى مكان الاحتفال [١] لقدكان وصولهم للشاطئ فى الثانية بعد الظهر وتحت دقات الطبول ودوى المدافع بدأ طابور المدعوين فى التوجه لمكان الاحتفال وقد ظهر فى مقدمة هذا الطابور الإمبراطورة أوجينى وقد تأبط ذراعيها الخديوى إسماعيل والإمبراطور فرانسوا جوزيف وخلفهم الأمير محمد توفيق باشا ولى العهد تتأبط ذراعه أميرة هولندا وتبعهما ولى عهد بروسيا فأمير هولندا فسفير إنجلترا فى الأستانة السير هنرى أليوت وعقيلته فسفير روسيا الجنرال أجنانتيف وعقيلته فالبرنس جورج ولى عهد الهانوفر فالأمير موراو والأمير هوهنلوه والأمير عبد القادر الجزائرى [٢] وبعدهم دى ليسبس يرافقه أعضاء مجلس إدارة شركة القنال وقواد الأساطيل البحرية المشتركة فى الاحتفال فسفراء وقناصل الدول فمحافظ بورسعيد.

واحتل الخديوى إسماعيل المنصة الكبيرة وبجواره كبار الزوار والمدعوين وعلى رأسهم أوجينى وفرانسوا جوزيف وهنا عزفت الموسيقات السلام الخديوى وعلى المنصة اليمنى احتل رجال الدين الإسلامى أماكنهم يتقدمهم الشيخ إبراهيم السقا شيخ الأزهر والشيخ محمد المهدى العباسى مفتى الديار والشيخ مصطفى العروسى . أما المنصة اليسرى فقد احتلها رجال الدين المسيحى على رأسهم المنسنيور ، بوير ، واعظ نابليون الثالث الذى جاء من فرنسا خصيصاً لحضور وتبريك هذا الاحتفال .

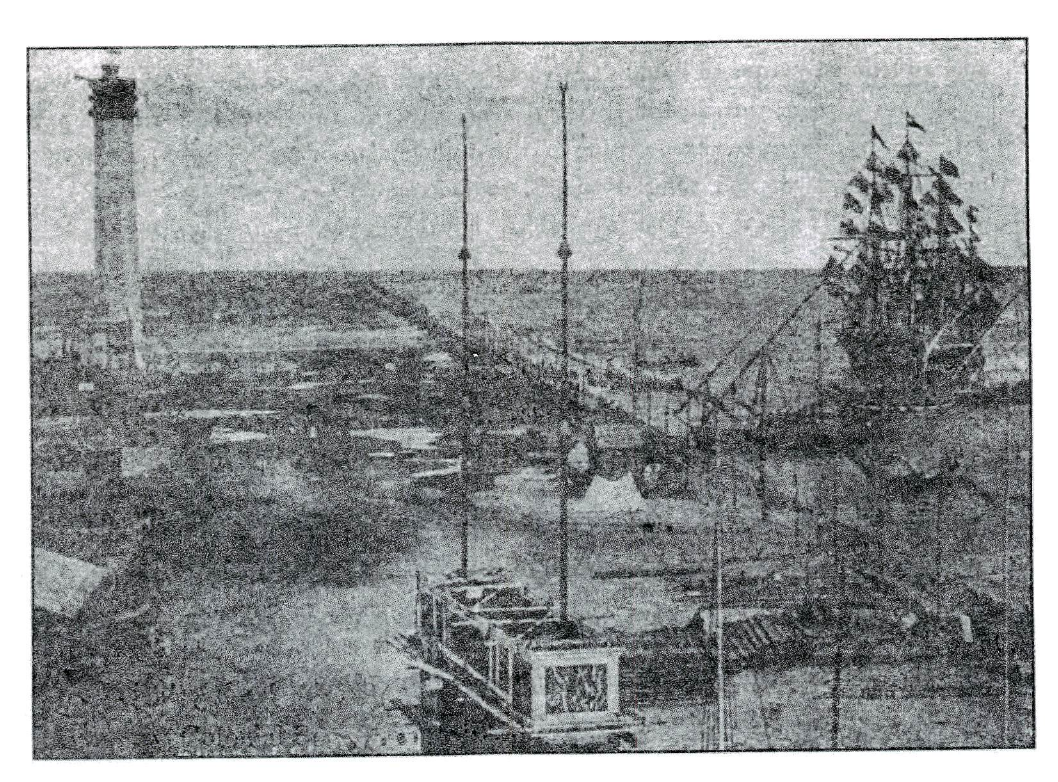
وبدأ الحفل بتلاوة آيات الذكر الحكيم ثم ألقى شيخ الإسلام خطبة دعا فيها بنجاح المشروع وتلاه المنسنيور بوير وتلا رجال الدين المسيحى صلاة شكر ثم ألقى دى ليسبس خطبة تحدث فيها عن مشروع قنال السويس .

وبانتهاء الخطاب انتهت مراسم الاحتفال وعاد المدعوون إلى سفنهم إلا قلة منهم ذهبوا مع دى ليسبس للتنزه فى بورسعيد والاستمتاع بمشاهدة هذه المدينة التى نشأت عبر الصحراء .

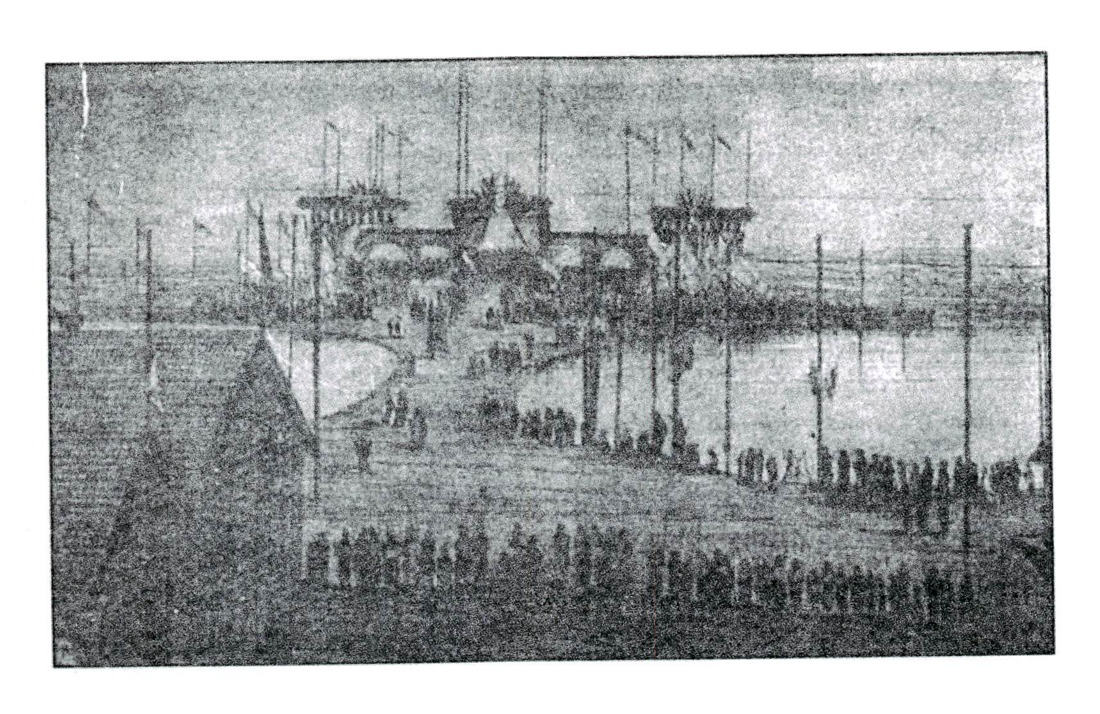
وفى المساء حين جاء موعد العشاء بسطت الموائد لستة آلاف مدعو وكانت غاية فى الإسراف والبذخ وصدحت الموسيقى واستمرت

---

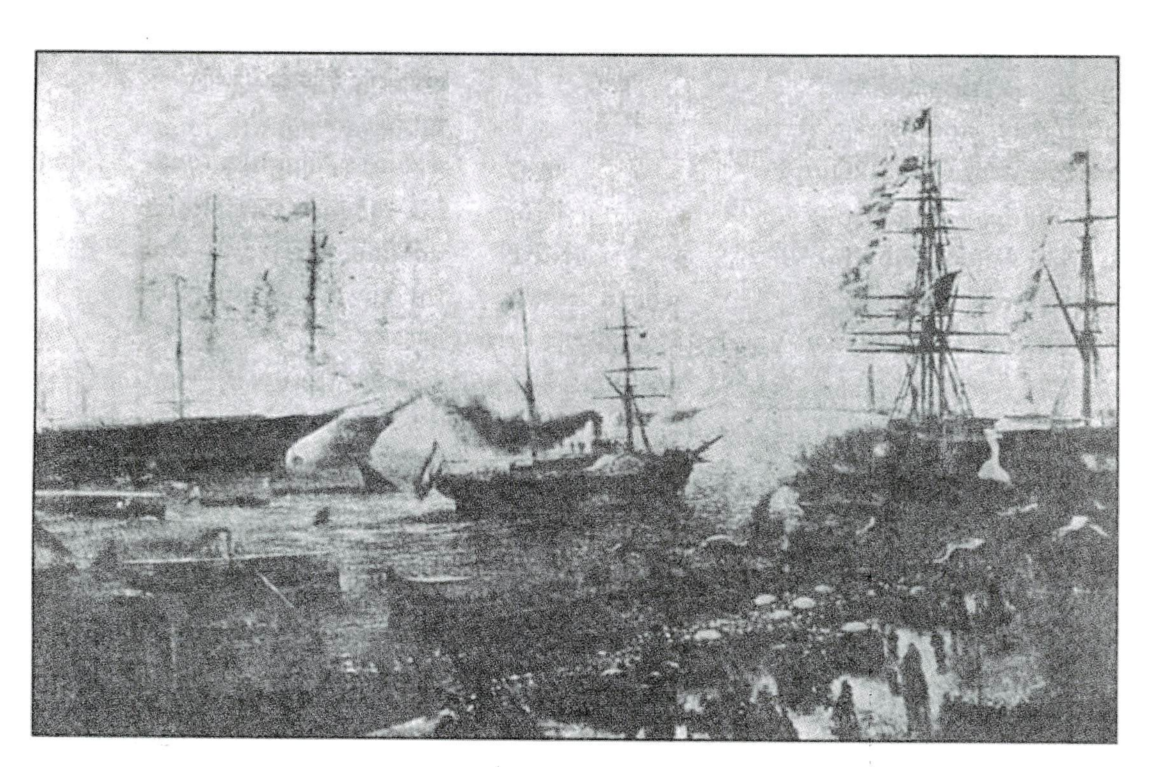
(١) أمام مبنى قنصلية فرنسا ببورسعيد مازال هذا المبنى موجوداً للآن بجوار المطافى (بيت الراهبات بشارع صفية زغلول) .
(٢) سنورد له فصلاً مستقلاً ومحاولة دى ليسبس إنشاء مستعمرة فرنسية على أرض قنال السويس .



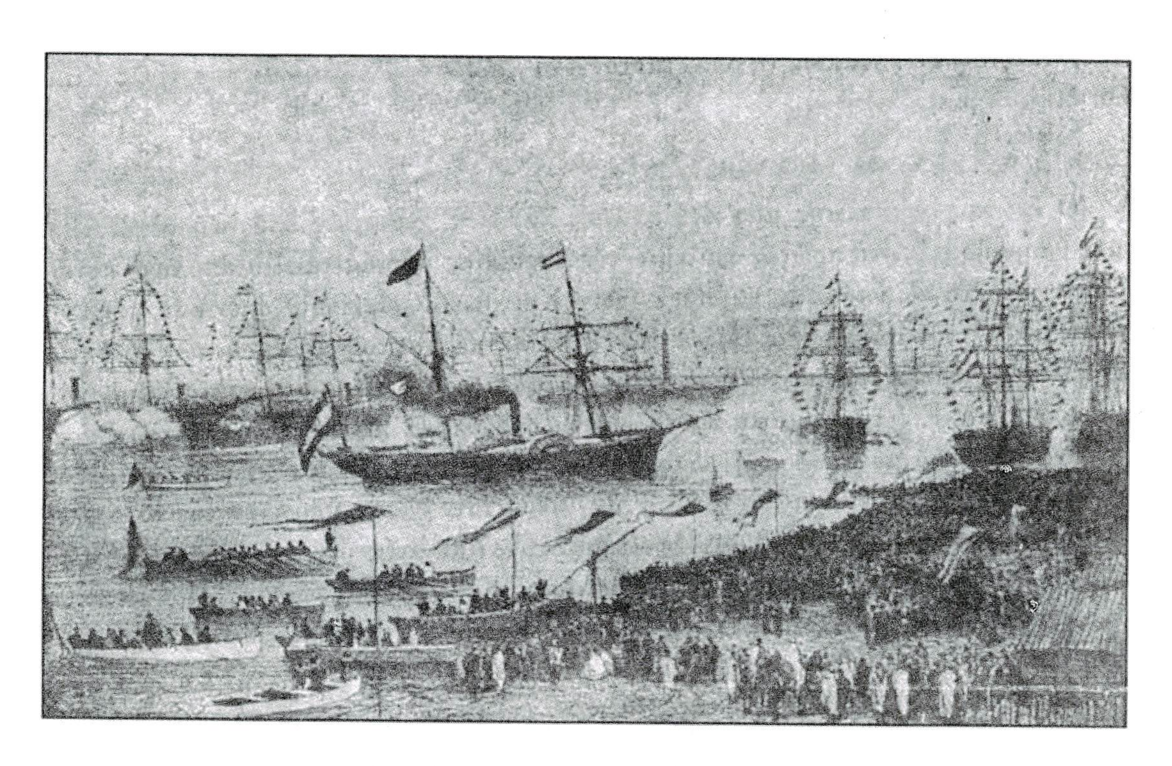
بوابة وزينات أقيمت على رصيف الميناء « فرانسوا چوزيف » عند بدء حفلات إفتتاح قنال السويس فى مكان باب « ٨ » الآن



المنصات الثلاث التى أقيمت عند الحد الشمالى لمدينة بورسعيد « رصيف أوچينى » للإحتفال بافتتاح قنال السويس



وصول اليخت إيجل المقل للإمبراطورة أوچينى لميناء بورسعيد



وصول اليخت اليزابيث وعلى ظهره إمبراطور النمسا والمجر

حتى ساعة متأخرة من الليل . وفى الثامنة مساء بدأت الأنوار والزينات فى مدخل القناة وظهر اليخت الخديوى « المحروسة » الذى أخذت مدافعه تطلق طلقة تلـو طلقة تحية للضيوف لهذا الحدث الهام ولما كانت الطلقة الأخيرة أضاءت الميناء كله وقد وصفها أحد الزوار بقوله « تفجرت فى كبد السماء وكأنها بركان ولكنه بركان فرح وابتهاج » ... وقد أضيئت بورسعيد بالكامل وأطلقت الألعاب النارية .

وفى صباح ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وهو اليوم المحدد لإفتتاح القناةل كان اليخت المحروسة مرابطاً فى الميناء ليستقله الخديوى إسماعيل وأفراد حاشيته ليكون طليعة الركب والذى وصل الإسماعيلية مبكراً عن باقى السفن حيث توجه الخديوى إسماعيل لسراى الإسماعيلية المعدة للضيوف والتى أنشأها وسط صحراء الإسماعيلية وأنفق الكثير على تأثيثها إكراماً لضيوفه كما أعد لضيوفه سرادقاً ضخماً على مرتفعات عتبة الجسر وانتظر هو ورجال حاشيته وصول ركب البواخر .

وكان الركب قد تحرك من بورسعيد فى الساعة الثامنة صباحاً تتصدره أوچينى باليخت « إيجل » ثم تبعه اليخت « إليزابيث » المقل للإمبراطور فرانسوا جوزيف الذى كان يصاحبه فوزان بك كبير مهندسى شركة قنال السويس ثم اليخت « هرتا » المقل لولى العهد بروسيا يصاحبه المسيو لاروش مدير أعمال قسم بورسعيد فى شركة القنال ثم اليخت « فولك » الذى يقله ولى عهد هولندا والأميرة قرينته يرافقهما المسيو « روسينرز » قنصل هولندا العام والمسيو جويان مدير أعمال الحفر فى الإسماعيلية . أما السفينة « سبيرت » فكان يقلها السير هنرى أليوت سفير إنجلترا فى الأستانة والباخرة « فلاديمير » التى يقلها الجنرال اجناتيف سفير روسيا فى تركيا وتبعتهم السفينة « الإسكندرية » ومن بعدهم أخذت السفن الحربية فى دخول الميناء ومنه إلى القنال وتبع هذا الركب قافلة طويلة من السفن التجارية [1] وقد بلغ مجموع هذا الموكب ٦٨ سفينة .

ولما وصل هذا الركب إلى منطقة القنطرة أطلقت السفينة الحربية « لطيف » عدة طلقات اعتقد الضيوف أن الغرض من وقوفها فى تلك المنطقة هو تحيتهم وقليل كان يعلم أن تلك السفينة كانت سبباً فى إشاعة عن وقوع حادثة عطلت الملاحة فى القنال فى اليوم السابق على الافتتاح .

وكان الموكب الملكى البحرى منذ دخوله القنال ينتظر موكباً آخراً من جموع المستقبلين على طول القنال من بورسعيد حتى الإسماعيلية فكانت أوچينى تلوح بمنديلها وبجوارها فرديناند دى ليسبس من على ظهر الإيجل لجموع الجماهير بألوانهم المختلفة وبأزيائهم الشعبية التقليدية وهم يتغنون بأغانيهم الشعبية وسط موسيقاهم ورقصهم الشعبى .

ومن الساعة الخامسة بعد الظهر وصل اليخت الإيجل مختالاً أسفل مرتفعات عتبة الجسر ثم اتجه الركب إلى بحيرة التمساح وأخذت أوچينى تلوح بفرحة وصولها ونجاح العبور وكان بجوارها دى ليسبس وأطلقت المدفعية المصرية نيرانها تحية لهذا الحدث العظيم . وأخذ صياح وهتاف آلاف الجماهير فى الارتفاع وأعجبت أوچينى بجمال مدينة الإسماعيلية وزاد فى دهشتها سماعها خبر وصول فرقاطتين مصريتين غادرتا مدينة بورسعيد فى نفس ساعة دخول اليخوت ميناء بورسعيد من البحر الأبيض وكان وصولهما فى نفس لحظة وصول اليخوت للإسماعيلية وألقيا أنكورهما أمام مدينة الإسماعيلية للقيام بواجب الترحيب بالإمبراطورة .

وقدأعقب وصول اليخت إيجل وصول باقى اليخوت ويخت الإمبراطور فرانسوا جوزيف يليه يخوت باقى الأمراء وكلها تجمعت فى بحيرة التمساح أمام مدينة الإسماعيلية .

أما مرتفعات عتبة الجسر فامتلأت بالأنوار وأطلقت فوقها الصواريخ وارتفعت فى كل مكان لوحات الترحيب بكل اللغات .

ونزل الضيوف فى سراى الخديوى اسماعيل بالإسماعيلية والتى بناها خصيصاً لهذا الحدث كما أقام إسماعيل عديداً من الخيام فى تلك المنطقة وضع بها الأسرة لإمكان مبيت الضيوف والزائرين حيث اكتظت فنادق ومنازل الإسماعيلية بهم . وقدر عدد الزائرين للإسماعيلية فى يوم الاحتفال بمائة ألف نسمة بالإضافة إلى نزوح عدد كبير من عمد ومشايخ وأهالى القرى المجاورة وأقاموا خيامهم على ضفاف بحيرة التمساح وكانت الإسماعيلة عبارة عن كرنفال للأزياء الشعبية العالمية والمحلية وفى المساء أضيئت الأنوار فى كافة أرجاء المدينة كما أضيئت الذهبيات التى ترسو بترعة المياه الحلوة والتى تحمل عائلات علية القوم من الباشاوات والباكوات والتى قطعت رحلتها من القاهرة عبر تلك الترعة للاستمتاع بمشاهدة هذا الحدث العظيم .

وقدمت الأطعمة الفاخرة لآلاف المدعوين بل لكل من حضر تلك الاحتفالات من كافة بقاع الأرض بلا حساب . لقد قدم للضيوف

---

(١) أول سفينة تجارية عبرت قنال السويس بعد الإحتفال بافتتاحه هى السفينة التجاريه IMPERATRICE من سفن المساجيرى إمبريال والتى عرفت فيما بعد بالمساجيرى مارتيم .

ثمانية آلاف من صنوف الطعام وأنواع الخمور المعتقة وقد نظمت حفلة رقص للخيول العربية « البرجاس » ...

كما أقيمت حفلات للرقص الشرقى والغناء والطرب دامت حتى الصباح وخلال تلك الاحتفالات تزوج دى ليسبس للمرة الثانية من هيلين دى براجار (٢١ سنة) وكان هو فى سن ٦٤ سنة حيث قام بعقد قرانه المونسنير بوير المبعوث البابوى للإمبراطور نابليون الثالث وقد رزق دى ليسبس من هذا الزواج ٦ بنين و٦ بنات وولد آخر أبنائه وهو فى الثمانين من عمره - وكان شاهدا العقد فوزان بك ولافاليت مدير المساجرية - هذا وقد قامت أربع سفن تجارية من السويس فى نفس زمن قيام الركب الملكى من بورسعيد ووصلت تلك السفن إلى الإسماعيلية مع ركب الملوك وأديت لكلا الركبين مراسم الاستقبال اللائقة .

وفى نهاية اليوم عندما توجهت أوجينى لحجرة نومها بقصر الإسماعيلية وجدتها تماثل تماماً غرفة نومها بقصر فرساى من كافة الوجوه فى ديكوراتها وأثاثها وألوانها حتى زجاجة العطر الصغيرة كانت فى مكانها المعتاد كما لوكانت العصا السحرية نقلتها فى لحظة من فرساى للإسماعيلية .

وفى يوم الخميس ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ إفتتح ميناء بحيرة التمساح وكانت ترسو فيه أكثر من خمسين باخرة من جميع الجنسيات . وقد خصص هذا اليوم لتبادل التهانى بين الملوك والأمراء ففى الصباح امتطت أوجينى صهوة جواد وتوجهت لتهنئة الخديوى إسماعيل وطلبت عند عودتها أن تركب أحد الجمال حيث اخترقت شوارع الإسماعيلية ثم توجهت لزيارة دى ليسبس فى منزله بالإسماعيلية لتهنئه بنجاح مشروع قناال السويس وقد تناوب بعدها باقى الملوك والأمراء لزيارة الخديوى إسماعيل لتهنئته . وبعد ظهر هذا اليوم أعد الخديوى إسماعيل عربات للنزهة لجميع المدعوين فى الفيافى المحيطة بالإسماعيلية وكان حولهم من جميع الجهات حرس الخديوى الخاص على ظهور جيادهم وكان عربان المنطقة يقومون بألعاب الفروسية بمهارة تامة أعجبت الحاضرين وقدم البدو للضيوف وجبه على الطريقة العربية وهو لحم مشوى على الطريقة البدوية، كما رتب إسماعيل لأوجينى رحلة صيد للغزلان فى الصحراء المحيطة بالإسماعيلية .

وفى المساء أقيمت حفلة رقص « باللو » فى قصر إسماعيل بالإسماعيلية إنها لم تكن كغيرها من حفلات الرقص بل كانت عبارة عن مؤتمر بين دول العالم يمثلهم ملوكهم وأمرائهم لم يكونوا واقفين بل كانوا طائرين فى الهواء بثيابهم الذهبية اللامعة وفى نفس الوقت كانوا فى غاية من البساطة لدرجة أنهم كانوا يتحدثون مع العمال ببساطة وبلا كلفة الجميع فى فرح وسرور رقص الجميع حتى دى ليسبس العجوز ماعدا الأمير عبد القادر الجزائرى كان متفرجاً .. وأعقب هذه الحفلة وليمة عشاء قدم إسماعيل لضيوفه ثمانية آلاف من صنوف الطعام وأنواع الخمور المعتقة بين أضواء الشموع ورائحة الزهور وعزف الموسيقى وكانت تلك الولائم محل إسراف ونهم بعض المدعوين وقد وصفها المؤرخون بإنها أشهر ولائم التاريخ وأغناها .

وانتهى العشاء ودارت القهوه العربية وامتد السهر حتى ساعة متأخرة من الليل وفى يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ركب الخديوى إسماعيل وابور « زينة البحرين » وتبعته اليخوت الملكية وفى مقدمتها اليخت إيجل متجهين إلى السويس فوصلوها فى صباح السبت ٢٠ نوفمبر بعد أن قضوا ليلتهم على سطح البحيرات المرة يشاهدون الألعاب النارية وبوصولهم للبحر الأحمر دوت المدافع إيذاناً بانتهاء المهرجان العالمى فأبرقت أوجينى لزوجها الإمبراطور نابليون الثالث بأنها لم تر فى حياتها لهذه الإحتفالات نظيراً من العظمة والفخامة والأبهة ...

وفى مساء هذا اليوم عاد الخديوى إسماعيل إلى القاهرة أما ضيوفه فعادوا فى قطار مخصوص وأقاموا فى قصر الجزيرة وعدة سرايات مختلفة .

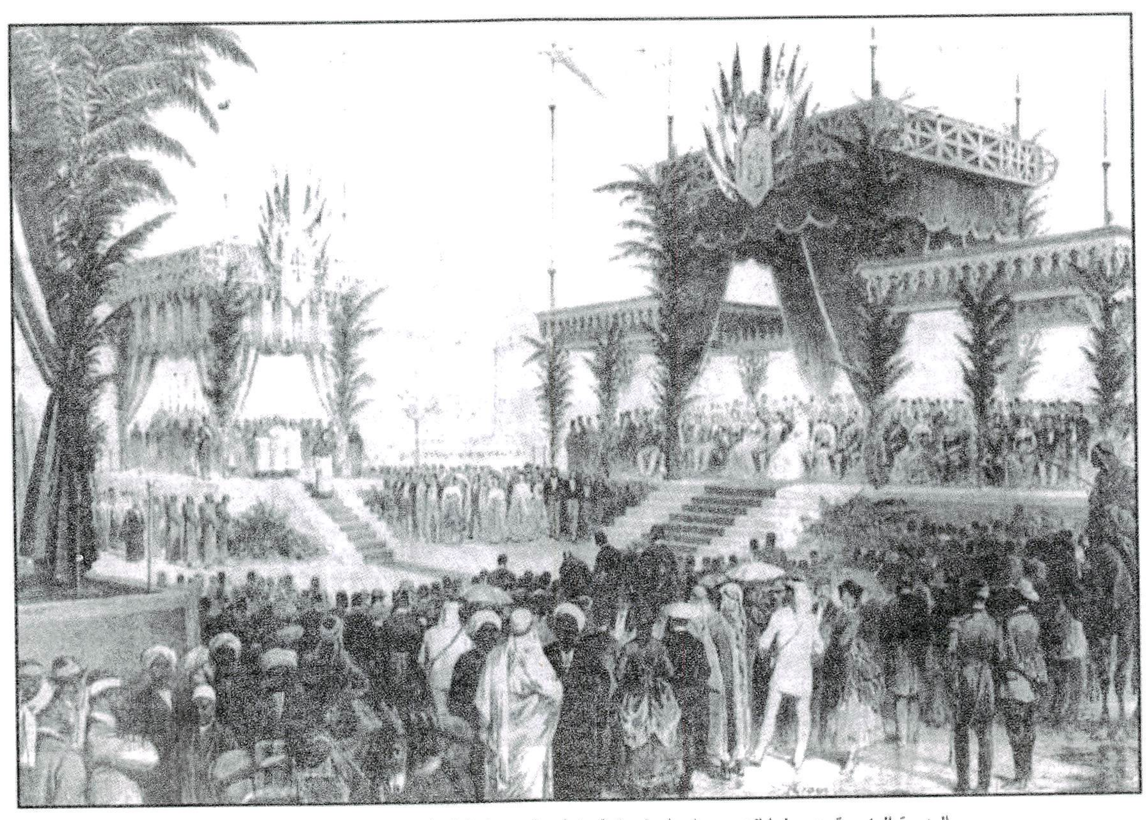
أما دى ليسبس فقد احتفل فى السويس بوضع تمثال للضابط الإنجليزى واجهورن الذى سبقه فى ربط أوروبا بالهند بطريق برى عبر مصر « لاندأوفرروت » وقضت الإمبراطورة أوجينى يومين بالسويس لمشاهدة ماضيها وآثارها وعيون موسى وأثناء وجود الملوك والأمراء بالقاهرة وفرت لهم وسائل الراحه للتنزه والإقامة ولزيارة الأماكن الأثرية وأقيمت الزينات بالقاهرة أربع ليالى متوالية أطلقت خلالها دافع فى أوقات الصلاة الخمسة .

وأقيمت بقصر النيل « باللو » غاية فى الفخامة بمناسبة إنتهاء حفلات افتتاح القناال وفى صباح اليوم التالى أجريت مسابقات للخيول فى ميدان العباسية حضرها إمبراطور النمسا والمجر وقد استقبلته الجنود على الصفين وقد بلغ عدد الجنود المصطفة فى ميدان الحصوة خمسة عشر ألفاً تحت قيادة شاهين باشا ناظر الجهادية والبحرية وقاموا بعد ذلك بزيارة الأماكن الأثرية .

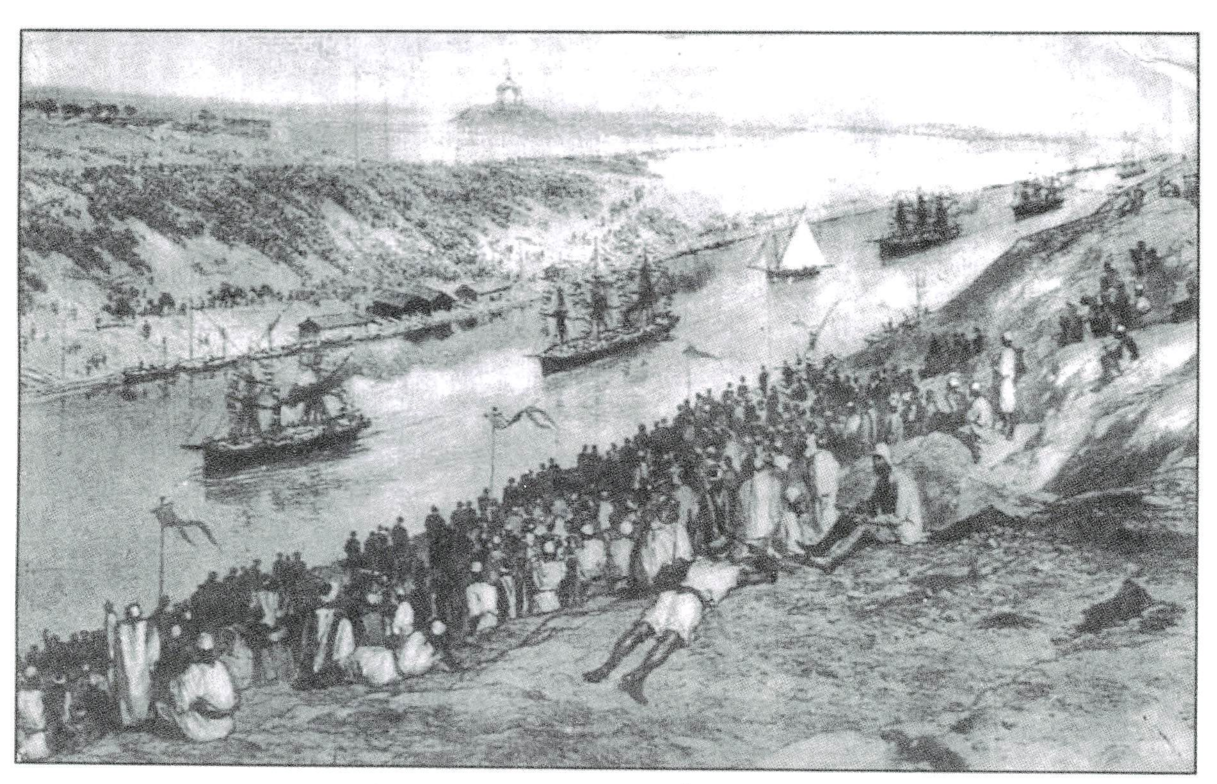
وفى يوم ٢٨ نوفمبر عاد اليخت إيجل لبورسعيد كذا عادت باقى الأساطيل للملوك والأمراء لبورسعيد استعداداً لعودة الملوك والأمراء لبلادهم



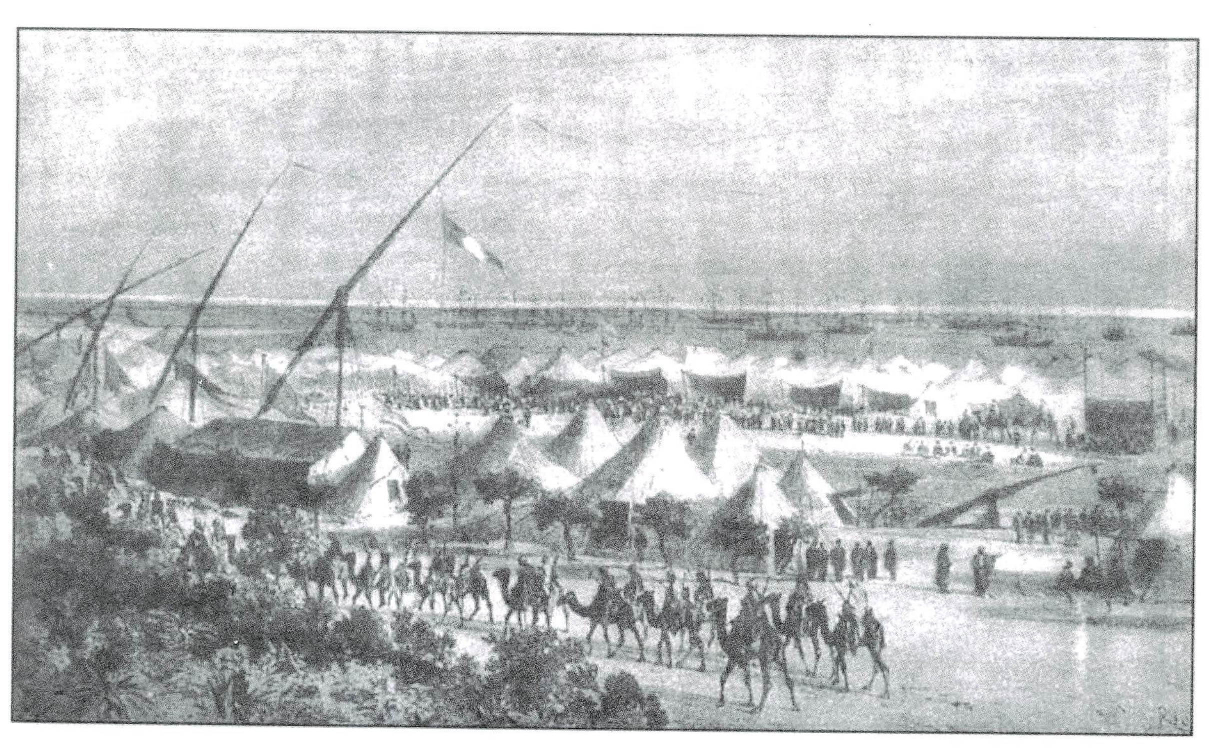
لوحة زيتية من خيال الفنان محمود سعيد تمثل الخديوى إسماعيل والإمبراطور فرانسوا جوزيف والإمبراطورة أوجينى وكبار الزوار متوجهين لسرادق الإحتفال



المنصة الرئيسية يتوسطها الخديوى إسماعيل وكبار زواره فى حفل الافتتاح ببورسعيد في ١٦ نوفمبر ١٨٦٩



وصول يخوت الملوك والأمراء إلى عتبة الجسر بالقرب من الإسماعيلية



مدينة الخيام التي أنشأها الخديوى إسماعيل فى الإسماعيلية لتسع الآف الزوار



نزهه أعدها الخديوى إسماعيل لكبار المدعوين فى الفيافى المحيطة بالإسماعيلية



رحلة صيد الغزلان التى أعدها الخديوى إسماعيل لأوچينى فى صحراء الإسماعيلية



ميناء بحيرة التمساح وعلى شاطئه أقيمت شاليهات لإستجمام كبار الضيوف





لقطتان للخديوى إسماعيل وكبار ضيوفه أثناء وليمة العشاء التي أعدها لهم

ودعا الخديوى إسماعيل ضيوفه لافتتاح الأوبرا - وكما سبق ذكره إن ڤردى لم يكن قد أنهى أوبرا عايدة فقد عرضت أوبرا « ريجلتو » أو مضحك الملوك مأخوذة من مسرحية لڤيكتور هوجو . لقد تحولت الأوبرا إلى كرنفال للأزياء الغالية والحلى النفيسة لقد أعجبت أوچينى بهذا العرض المسرحى الأوبرالى الذى لم يسبق له مثيل فقامت هى وباقى كبار المدعوين بتهنئة إسماعيل على هذا النجاح العظيم .

ولما عزمت الإمبراطورة أوچينى على العودة إلى بلادها رافقها الخديوى إسماعيل وكبار رجال حاشيتها إلى يختها بالإسكندرية لوداعها .

وقد أهدت الإمبراطورة أچينى الخديوى إسماعيل عديداً من الهدايا منها صينية عليها ٢٤ كأساً من الذهب الخالص المرصع بالماس والأحجار الكريمة والتى قدرت فى الآونة الأخيرة بأكثر من ١٥ مليون جنيه .. كما أهدته سريراً من الفضة الخالصة أما باقى الضيوف فقد ودعهم فى محطة القاهرة وترك بقية مراسم وداعهم بالإسكندرية لولى العهد محمد توفيق باشا وعندما ودع إسماعيل الإمبراطور فرانسوا جوزيف [1] فى محطة القاهرة تقدم له بالشكر والثناء قائلاً له اسمح لى ياصاحب السمو أن أبدى رأيى الخاص لحضرتكم « وهو أن مصر لو كانت فى حيازتى لوضعتها بين جفنى عينى وأحكمت إغلاقهما عليها حتى لا يراها أحد... » .

وبمناسبة حفلات افتتاح قنال السويس صكت عدة ميداليات تحيى تلك الذكرى النادرة وكان أهم تلك المداليات على أحد وجهيها إمرأتان إحداهما تقدم الكرة الأرضية للأخرى ومن خلفهما خريطة قنال السويس تمثلان إلهتين للأغريق إحداهما تمثل إلهة البحر المتوسط والأخرى تمثل إلهة البحر الأحمر . أما الوجه الآخر للميدالية فيمثل تاريخ افتتاح قنال السويس باللغة الفرنسية وميداليتين أخريتين والثلاث ميداليات أصدرتها مصر وفرنسا والنمسا ...

وقيل إن نفقات حفلات افتتاح قنال السويس ونفقات الستة آلاف مدعو وسفرهم براً وبحراً وإقامتهم فى ضيافة الخديوى إسماعيل بالفنادق ومأكلهم ومشربهم وما حملوه معهم من الهدايا بلغت مليونا وأربعمائة ألف جنيه فإذا إضيفت إليها المنشآت وغيرها يكون الإجمالى أربعة ملايين من الجنيهات .

وقيل أن الخديوى إسماعيل جابه تلك المصروفات الباهظة بالقرض الذى اقترضه قبل افتتاح قنال السويس سنة ١٨٦٨ وقدر بمبلغ ١١٨٩٠٠٠٠ جنيهاً من بنك أوبنهايم ....

وهكذا أثبت الخديو إسماعيل أن ليالى ألف ليلة وليلة ليست حلماً بل حقيقة حققها للملوك والأمراء وكل من حضر حفلات افتتاح قنال السويس وعاشها كالأحلام ..

وفى النهاية لقد قال إسماعيل فى وصف مصر خلال عصره كلمته المشهورة « إن بلادى قطعة من أوروبا » .. وسبقها قولته المشهورة « القناة لمصر وليست مصر للقناة » .



مدام دى لامال وكريمتها أجاث التى تزوجها دى ليسبس بعد إنتهاء حفلات إفتتاح القنال



تمثال واجهورن الذى أزاح دى ليسبس الستار عنه فى السويس بعد إنتهاء حفلات الإفتتاح

(١) ورد فى جريدة الوقائع المصرية العدد ٣٣٦ بتاريخ ٩ديسمبر ١٨٦٩ الخبر التالى :
أكرم الإمبراطور فرانسوا جوزيف حضرة الأمير محمد توفيق باشا بنيشان من الدرجة الأولى (جراند ڤوردون) من طريق (ليوبولد) وراشد حسنى باشا أحد القادة العسكريين بنيشان من الدرجة الثالثة (كوماندور) كما أنعم بعدة نياشين مختلفة الأنواع والدرجات على كل نظار النظارات والأمير حسين باشا نجل الخديوى .

الطرب والموسيقى خلال حفلات افتتاح قنال السويس

كان عصر إسماعيل من أزهى عصور الطرب والموسيقى وكان أشهر هؤلاء عبده الحامولى ومحمد عثمان وألمظ والوردانية .

لقد اشتهر عصر إسماعيل بعديد من الاحتفالات كان أهمها حفلات افتتاح قنال السويس والحفلة التى زف فيها ثلاثة من أنجاله وإحدى كريماته والتى اشتهرت فى التاريخ بحفلات أفراح الأنجال والتى دامت أربعين يوماً بلياليها .

وكان للموسيقى والموسيقيين الدور الهام خلال تلك الاحتفالات فظهر كثير من المارشات التى تعزفها فرق الموسيقى النحاسية بالإضافة الى فرق المزمار والطبل البلدى .

وكانت الأغانى عبارة عن مجموعة من الموشحات العربية والأندلسية ، وتبارى شعراء هذا العصر فى نظم الأدوار الغنائية ومن أشهر هؤلاء إسماعيل صبرى باشا ومحمود سامى البارودى باشا والشيخ على الليثى وقد أبدع عبده الحامولى ومحمد عثمان فى الغناء وأشهر هذه الأغانى :

مليك الحسن فى دولة جمالك — أفراح وصالك تدعى الناس

فى مجلس الأنس الهنـــــــى — جددى يا نفس حظــــــــك

اليوم صفا داعى الطـــــرب — سلطان زمانك شرفنـــــى

ملك الجمـال لك السعـــادة — بســـــتان جمالـــــــك

بل وأن المطرب محمد عثمان كان يغنى قطعة مشهورة كانت من تأليفه وتلحينه مطلعها :

بـــــدر الإمـــــارة لاح — والبـــدر يصـــدق وعوده

فــــــى طـــالع الأفـــراح — شــرف منـــازل سعـــوده

هـــو مليـــــك العـــــدل — هـــو مليــــك الفـــضل

هـــو كريـــم الأصـــــل — هـــو الأكابـــر جـدوده

أهتـــف بنـــا يا صـــاح — يـعيــــش أفـنـدينـــــا

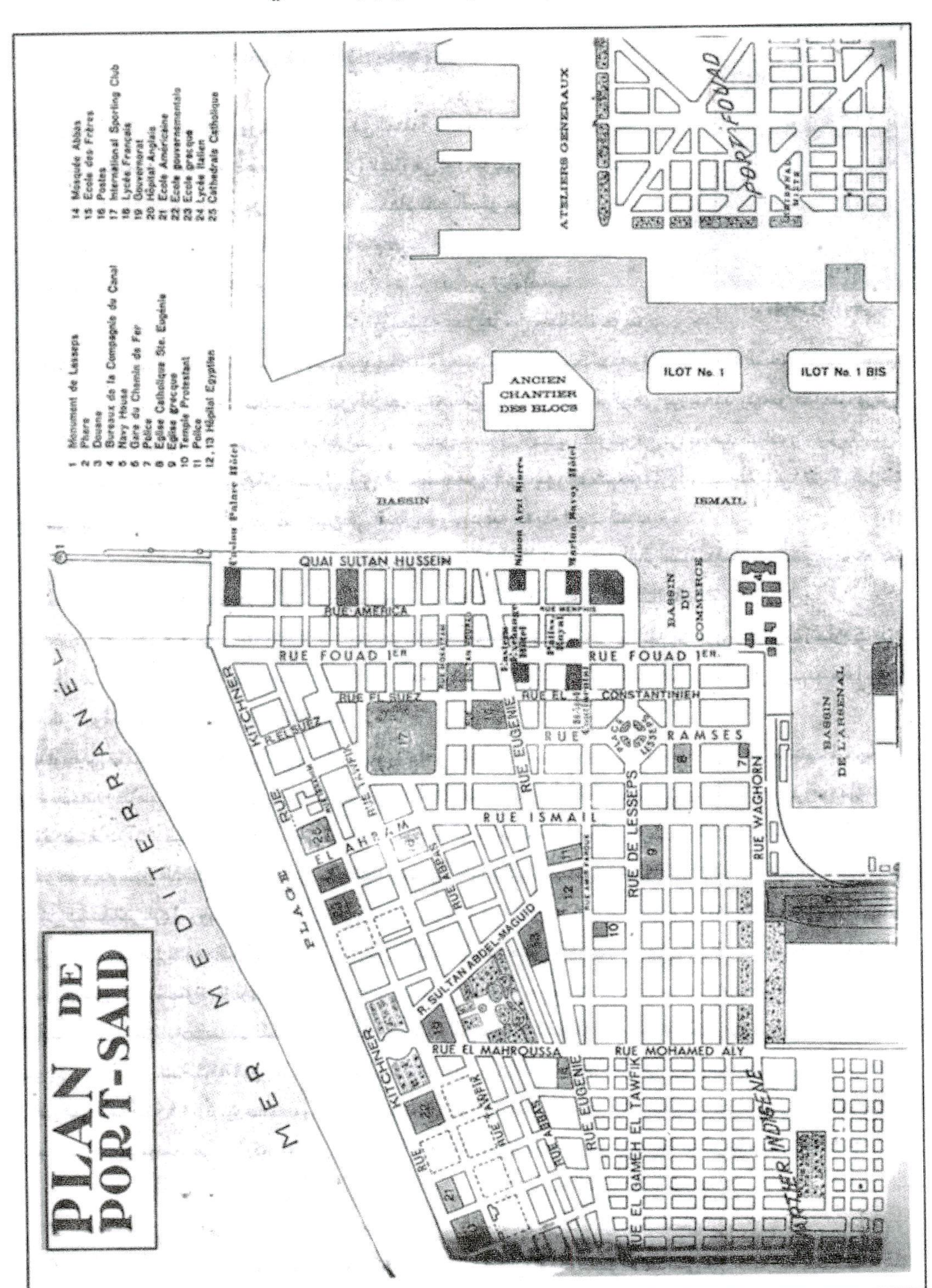
يـعيــــش ويسلـــم وجـــوده



L'inauguration du Canal le 17 Novembre 1869 a été l'occasion de la frappe de plusieurs médailles commémoratives émises notamment par l'Egypte, la France, l'Autriche et la Compagnie du Canal elle-même.

الميداليات التذكارية التى قامت بسكها كلا من مصر وفرنسا والنمسا وشركة قنال السويس سنة١٨٦٩ بمناسبة إفتتاح القنال

الباب السابع
جولة فى مدينة بورسعيد



خريطة بورسعيد وأهم معالمها فى الثلاثينات

الفصل الأول
رصيف أوچينى

يعتبر الرصيف الشمالى لمدينة بورسعيد أقدم بقعة فى المدينة .. فعندما حضر دى ليسبس أول مرة فى تلك المنطقة وقام بدق أول معول فى أرض القناة فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ أقام خيام العمال على امتداد هذا الرصيف وقام دى ليسبس باستخدام ناتج الحفر من رمال فى ردم أرض المدينة المرتقبة كما استخدم أيضاً تلك الرمال فأقام حاجزاً من الرمال على امتداد هذا الرصيف لصد الهجمات الشرسة لأمواج البحر وبلغ ارتفاع هذا الرديم متران ونصف .

الإمبراطورة أوچيني

وبتقدم أعمال الحفر استبدل دى ليسبس الخيام بأكواخ خشبية اشتراها من مخلفات حرب القرم واشتهرت هذه المنازل بدهانها بخطوط حمراء وبيضاء أضيفت لها ڤرندات خشبية واسعة شغلتها الشخصيات الأجنبية الكبيرة المشتركة فى أعمال الحفر فى بورسعيد مثل لاروس المهندس المسئول عن أعمال الحفر فى بورسعيد وديسو صاحب ورش الأحجار الصناعية المستخدمة فى إنشاء حاجزى الأمواج الشرقى والغربى ومنزل طبيب الشركة فى بورسعيد الدكتور روش ثم ورش شركة القناة **والكثير يتساءل أين كان منزل دى ليسبس فى بورسعيد ؟!** . يجيب على هذا التسأل المرجع اليونانى لچورچ سلطناكى ص ٩٩ : « أما سكن دى ليسبس فكان فى المكان الموجود فيه حديقة البيت الحديد » .

وعند بدء حفلات إفتتاح القناة ببورسعيد فى ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ أطلق على هذا الرصيف إسم أوچينى ،ثم تحولت تسميته من رصيف أوچينى إلى شارع أوچينى وكان الأجانب يطلقون عليه BOULEVARD EUGÉNIE.

فمن هى أوچينى ؟ هى Eugénie Maria De Montijo De Guzman إبنة دون سبريا دوجوزمان كونت مقاطعة Teba ولدت فى مدينة غرناطة الأسبانية عام ١٨٢٦ والدتها إبنة وليام كيركبا تريك القنصل الأمريكى فى مدينة ملقا وهو اسكتلندى الأصل واستوطن أمريكا وتجنس بالجنسية الأمريكية .

قضت أوچينى طفولتها فى أسبانيا ثم انتقلت مع أمها وأختها إلى فرنسا وهى فى الثامنة من عمرها فتلقت علومها فى المدارس الفرنسية وتعلمت اللغة الأسبانية (لغة أبيها) والإنجليزية (لغة أمها) والفرنسية (لغة البلد الذى استوطنته) ، وفى نوفمبر ١٨٥٢ أقامت مدينة فونتنبلو حفلاً دعيت إليه أوچينى وأمها وخلال هذا الحفل استعرضت مهارتها فى ركوب الخيل فلفتت أنظار الحاضرين وعلى رأسهم الإمبراطور نابليون الثالث الذى فتن بجمالها وأحبها حباً شديداً وتزوجها فى يناير ١٨٥٣ وتم زفافها فى كنيسة نوتردام ثم اصطحبها إلى قصر التويلرى . وكان هذا الزواج سبباً فى توطيد العلاقة بين فرنسا وانجلترا ، واشتهرت أوچينى بلباقتها وكياستها فاشتركت مع زوجها فى إدارة دفة الحكم الذى باشرته خلال غياب زوجها عن العاصمة وتوالت الهزائم على الإمبراطور نابليون الثالث خلال الحرب البروسية (المشهورة بالحرب السبعينية) وانتهى الأمر بأسره وحصار باريس سنة ١٨٧٠ وهربت أوچينى إلى إنجلترا بفضل سفير النمسا البرنس مترنيخ وأعدت لها الملكة ڤيكتوريا قصر تشرلهرست للإقامة فيه إلى أن لحق بها فيه زوجها نابليون الثالث وابنها لويس نابليون (الذى توفى سنة ١٨٧٩ فى معركة مع قبائل الزولو) وأقامت بعد ذلك فى ڤيلا شيدتها على شاطئ الريڤيرا فى كاب مارتن .. وفى نهاية سنة ١٩٠٤ زارت مصر ووصلت بورسعيد فى ٢٤ يناير سنة ١٩٠٥ واستقبلها البرنس دارنبرج الرئيس الأعلى لشركة القناة لتستعيد ذكرياتها ومجدها فى زيارتها الأولى عند افتتاح القناة ونظم فيها شاعر النيل حافظ ابراهيم القصيدة التالية :

أين يوم القناة يارية التا ... ج وياشمس ذلك المهرجان
أين مجرى القناة أين مميت ... المال أين العزيز ذو السلطان
أين ذا القصر بالجزيرة تجرى ... فيه أرزاقنا وتخبو الأمانى
فيه للنحس كوكب مسرع السير وللسعد كوكب متوان

كنت بالأمس جنة الحور ياقصر فأصبحت جنة الحيوان
خطر الليث فى فنائك ياقصر وقد كنت مسرحاً للحسان
إن أطافت بك الخطوب فهذى سنة الكون من قديم الزمان

رب بان نأى ورب بناء	أسلمته النوى إلى غير بان
تلك حال الإيوان ياربة	التاج فما حال صاحب الإيوان
قد طواه الردى ولوكان حياً	لمشى فى ركابك الثقلان
إن يكن غاب عن جبينك تاج	كان بالغرب أشرف التيجان
فلقد زانك المشيب بتاج	لا يدانيه فى الجلال مدان
كنت بالأمس ضيفة عند ملك	فانزلى اليوم ضيفة فى خان
واعذرينا على القصور كلانا	غيرته طوارئ الحدثان

وفى القاهرة استقبلها رئيس النظار بطرس غالى باشا عند زيارتها لمصر استقبالاً يليق بماضيها الكريم ، وكانت وفاة أوچينى سنة ١٩٢٠ .

ولما انحسر البحر شمالاً تاركاً أرضاً أطلق عليها أراضى طرح البحر تحول اسم هذا الشارع من رصيف أوچينى إلى شارع أوچينى وزرع هذا الشارع بالأشجار سنة ١٩٠٨ وكان من أوائل شوارع المدينة التى تم رصفها بعد أن كانت رملية تغوص فيها الأقدام .

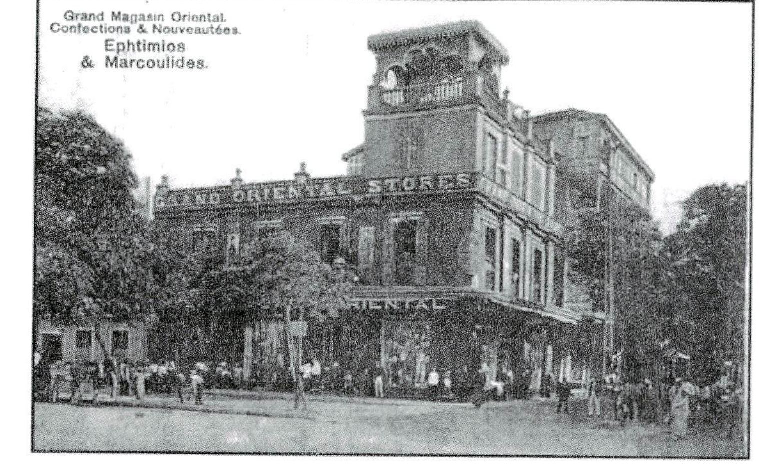
ويبدأ شارع أوچينى من رصيف الميناء عند باب الجمرك رقم ٨ وكان مقاماً على رصيف الميناء تمثال الملكة ڤيكتوريا المطل على شارع فرنسوا چوزيف وعلى ناصيته من اليسار أول منزل بنى بالحجارة فى بورسعيد وهو منزل ترنزيو مندوب شركة اللويدز النمساوية ثم انتقلت ملكيته لشركة التلغراف الإنجليزى .Eastern Tellegraph Co وقصفت هذه المنطقة بقنابل الطائرات المغيرة على بورسعيد أكثر من مرة . ففى الحرب العالمية الثانية قامت الطائرات المغيرة بضربه بالقنابل وهذا ماأوضحه محضر مجلس بلدى بورسعيد بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٤٢ حيث تقدمت شركة الإسترن تلجراف بالتماس التصريح بترميم الدور الارضى الذى أفسدته الغارات الجوية ، وكانت الإصابة الثانية ضربة مباشرة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ أدت إلى تهدمه بالكامل .

وكان يجاور التلغراف الإنجليزى منزل من دور أرضى تشغله وكالة Thomas Cook & Son وهى أقدم وكالة سياحية فى الشرق وأغلب مبانى هذا الشارع فى أول عهد المدينة كانت من الخشب بسقف من البلاط الأحمر المائل وفى الثلاثينات افتتح چينولا أول محل له (ثم نقل إلى شارع فؤاد) ثم حل محله مطعم لافورنى (النملة) الذى افتتحه المسيو رميس صاحب كباريه سيجال . وقبل أن نصل إلى شارع أمريكا أقيمت فى أوائل هذا القرن مغسلة للملابس كانت تتعاقد مع السفن المارة بالقناة على غسل بيضاتها وملابس ركابها ولم تسلم هذه المغسلة من الشكوى داخل المجلس البلدى ففى جلسة السبت ١٣ مايو ١٩١٦ ذكر العضو باقسفتش : « لاحظت أن غسال الملابس الكائن أمام البوستة الفرنساوية ينشر فى الطريق العمومى ملابس قذرة ويحتمل أن تكون بها جراثيم بعض الأمراض » .

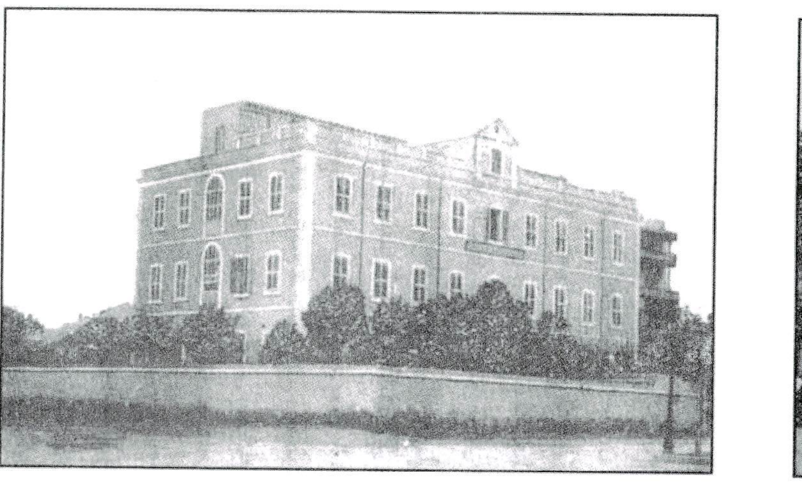
وقد لاحظ العضو الشيخ إسماعيل أيوب أن تلك الشكوى كيدية فطلب فى الجلسة التالية بالمجلس البلدى المنعقدة ٤ يونيو ١٩١٦ السماح لطائفة الصباغين بنشر الأقمشة فى الشوارع بجوار المنازل وبالقرب من تلك النقط أنشأ عميد عائلة القصيفى أول وأقدم زاوية للصلاة فى حى الإفرنج لتكون قريبة من الميناء ويصلى فيها عمال الميناء .

وعلى الناصية الأخرى اليمنى وقبل أن نصل إلى شارع أمريكا انشئ أول كباريه فى بورسعيد للسياح سنة ١٨٦٨ عرف Cabaret La Cigale (معناه الخنفسه) وحل محله مبنى البوسته الفرنسية ويذكر لنا المرجع اليونانى لخالدوبيس ص ١٧٤ تاريخ البريد فى مصر قائلاً : « فى سنة ١٩١٩ ألغى آخر مكتبين للبوستة الفرنسية فى مصر وهما فرعا الاسكندرية وبورسعيد أما فرع البوستة الفرنسية فى القاهرة فقد أغلق سنة ١٨٢٥ وكان للحكومة البريطانية مكتب بريد بالقاهرة بالإضافة إلى مكتبين فى الإسكندرية والسويس وألغيت جميع مكاتب البوستة الإنجليزية سنة ١٨٧٥ أما دول روسيا واليونان وإيطاليا والنمسا والمجر كان لكل منها مكتب فى الاسكندرية فألغى أولاً المكتب الروسى سنة ١٨٧٥ ثم ألغى المكتب اليونانى سنة ١٨٨٢ ثم الإيطالى سنة ١٨٨٤ وأخيراً مكتب النمسا والمجر سنة ١٨٨٩ .

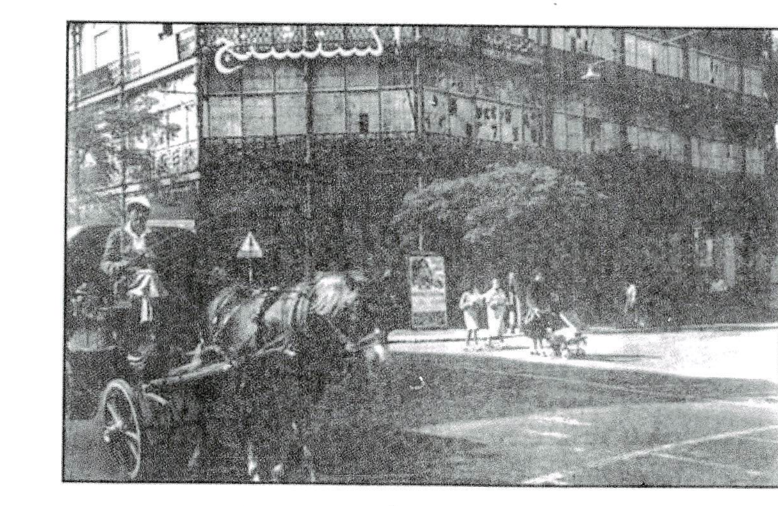
وسبب وجود تلك المكاتب فى مصر أن البريد كان يديره أفراد ولم تكن الحكومة المصرية أنشأت مكاتبها وأرادت الدول الأجنبية أن تؤمن بريدها ، وبإلغاء مكتبى البوستة الفرنسية فى بورسعيد والإسكندرية تم نقل العاملين فى هذين المكتبين إلى دول أخرى وبعض منهم انضم للعمل فى البوستة المصرية » .



محل أفتيميوس تقاطع شارعى السلطان عثمان وأوچينى



مدرسة الفرير فى أول عهدها

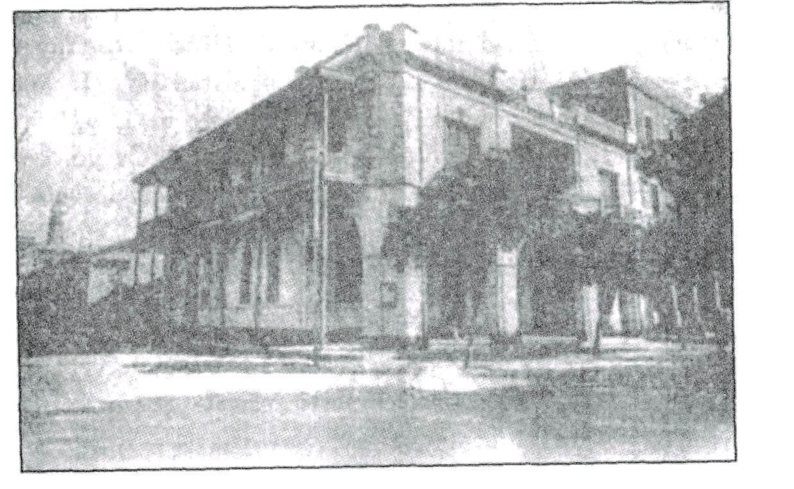


البيت الحديد فى نوفمبر ١٩٥٦ (أثناء العدوان الثلاثى)

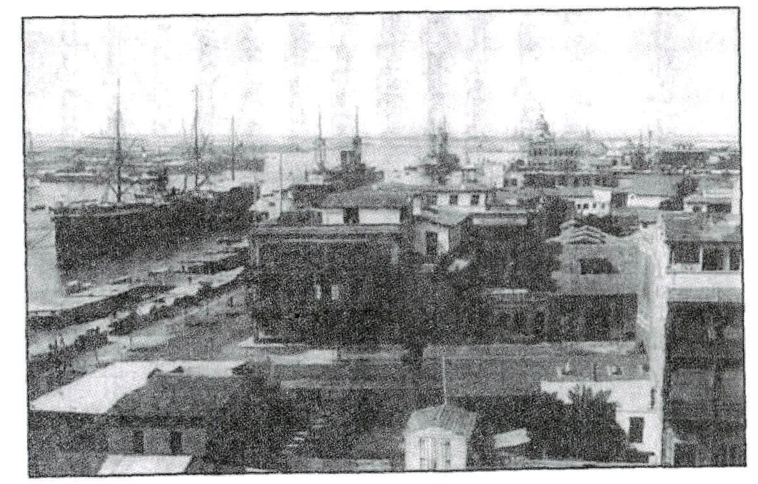
مبنى وكيل محافظة القنال والحكمدار



صورة مأخوذة من الميناء لشارع أوچينى ويظهر بها تمثال الملكة ڤيكتوريا



مبنى البوستة الفرنسية (كازينو سيجال فيما بعد)



منزل ترنزيو (أول مبنى بنى بالحجارة فى بورسعيد) وعرف فيما بعد بالإيسترن تليجراف



موقف عربات الحنطورالذى تحول لموقف للسيارات بشارع أوچينى

وآخر جهة شغلت هذا المبنى كانت شركة النصر للتليفزيون وفى الماضى كان يطلق على نقطة تقاطع شارع أوچينى بشارعى ممفيس وأمريكا «ميدان أوچينى».

وعلى الرصيف الأيمن سينما باتيه Pathé (اسم شركة للأفلام السينمائية) أنشأها الأخوان مانولى وينى تروڤوليديس وبعد ذلك أطلق عليها اسم ماچيستيك .

وكان يجاورها النادى المالطى Maltese Club كان أشهر نوادى الجاليات الأجنبية فى بورسعيد وفى يوم ١٥ أغسطس من كل عام كانت هذه المنطقة تضج بجمع غفير من أبناء الجالية المالطية بالإضافة إلى لفيف من أبناء الجاليات الأخرى الذين يحضرون للاحتفال بالعيد الوطنى المالطى وكان أشهر العائلات المالطية فى بورسعيد زارب وڤيلا وبونتشى وبودچى (مقاول أشغال كهرباء) وبوهجير (مقاول أدوات صحية) زاميت ، سابيد ، وكان الإحتفال بهذا العيد يبدأ فى صباح هذا اليوم فى كنيسة سانت أوچينى وكان الرجل الأول فى هذا الحفل القنصل الإنجليزى فى بورسعيد المستر Caruana وبعد العدوان الثلاثى أعطى هذا النادى لوزارة التربية والتعليم (نادى المعلمين) .

وأمام تلك النقطة وفى وسط الشارع أقيم موقف للحناطير وفى محضر مجلس بلدى بورسعيد فى ١٧ يوليو ١٩١٢ طلب العربجية عمل مظلة فى الموقع الجديد للموقف تقيهم الشمس إلا أن طلبهم رفض ، وبتقدم الزمن وبتطور الحياة تحول هذا المكان إلى موقف سيارات التاكسى ، وكان هذا الموقف يخدم السياح الواصلين للمدينة عن طريق باب ٨ الجمركى لأخذ جولة داخل المدينة .

وبجلسة مجلس بلدى ٢٧ مايو ١٩٤٤ عرض محمد صالح عبد العال إقامة كشك خشبى لوضع تليفون خاص بأعمال التاكسى .

وقبل تقاطع شارع أوچينى بشارع السلطان عثمان والنيل وفى الجهة الشمالية كانت هناك مساحة شبه مربعة تابعة لشركة دورى أقام عيسى أفتيميوس على الناصية مجمعاً تجارياً يكاد يماثل محلات الخمسين ألف صنف بميدان المنشية أو اورزدى باك بشارع دى ليسبس أوسيمون آرزت بشارع فرانسوا جوزيف وكان هذا المربع مبنى منشأ من الخشب ومن دور واحد ، وقد اشترى عبد الرحمن لطفى باشا شركة دورى وأملاكها فتهدم هذا المبنى وأعيد بناؤه وافتتحت أجزخانة الياديس يجاورها على الناصية البنك الأهلى للخصم الباريسى (محلها الآن شركة مصر للأسواق الحرة) وتجاورها محلات باسيلا وعرب .

وبعبور شارع أوچينى من جهة الشمال يقابلنا البيت الحديد وخلفه حديقة أقام فيها المسيو سلڤيو سيمونينى سينما (الايسترن الصيفى) والتى تتبع البيت الحديد وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد فى ١٣ يونيو ١٩٣٦ قرر المجلس البلدى فرض ضريبة ملاهى على جهاز السينما المقامة فى حديقة البيت الحديد (ضريبة بسيطة) لأنها لا تعمل إلا حفلة الماتينيه وليس بها ألواج .

وقبل أن تحول إدارة البيت الحديد هذا المكان إلى حديقة وسينما ملحقة بالبيت الحديد كانت عبارة عن صالة للمدرسة الإيطالية للدراما أما بيت فرديناند دى ليسبس فى زمن الحفرفكان مكان حديقة البيت .

وفى جلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى ٧ سبتمبر سنة ١٩١٨ عرض طلب ادارة لوكاندة البيت فى توصيل ماسورة هواء مضغوط لاستخدامه كوقود للطهى لما فيه من وفر واقتصاد عن الوقود المستخدم حيث أن الكمية التى ستستخدم كل ١٢ ساعة ١٠٠٠ قدم مكعب وقد ذكر مهندس المجلس البلدى أن كل ١٠٠٠ قدم مكعب من هذا الوقود تتكلف قرش صاغ واحد ... !!

وبتقاطع شارع أوچينى من جهة اليسار بشارع القسطنطينية يقابلنا مبنى من بواكى عبارة عن محلات المقاول المالطى بودچى (مقاول أعمال كهرباء) .. وبنى مكانه أولاد زكى اليسقى برج اليسقى وهو من أقدم تجار الموبيليا فى بورسعيد وكانت من أملاك الشيخ صديق لهيطة وبجواره نادى القنال الدولى . وذكر بجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى ١٣ أبريل سنة ١٩٣٧ » أنه تقرر صرف إعانة لهذا النادى بصفة إستثنائية لأنه النادى المصرى الوحيد فى المدينة الذى يجمع بين نخبة من المصريين والأجانب ولأنه ناد إجتماعى وثقافى ورياضى ولأن الفكرة من إنشائه هى توثيق الروابط بين المصريين والأجانب فى هذا العهد الجديد ، وقد اشتهر عند أهل بورسعيد بنادى القنال للأعيان .

وبتقاطع شارع أوچينى بشارع السويس تقابلنا مدرسة فرنسية ووقع فى يدى مجلة تتحدث عن حال التعليم فى أول عهد المدينة (بالطبع المقصود بالتعليم هنا الأجنبى لأن المصريين لم يكن لهم أية مدارس فى مقتبل عهد المدينة اللهم بعض الكتاتيب) ونلخص الموقف فى هذا البحث : « كانت نواة التعليم فى مدينة بورسعيد الكوزموبوليتان Cosmopolite (المتعددة الجنسيات) مدرستين هما مدرسة كنيسة سانت أوچينى الإيطالية ومدرسة عالمية مجهولة ، فلما زار مدير مدارس الفرير بورسعيد لم يجد فيها أية مدارس فرنسية للأطفال فأسرع بالدخول مع السلطات المحلية المصرية فى مفاوضات بتشجيع من قنصل فرنسا ببورسعيد المسيو Lucien Monge

ومدير عام شركة القنال الكونت De Rouville وأثمرت هذه المفاوضات الموافقة على استئجار قطعة أرض يملكها المسيو J. - B. Pierre والتى تقع على ناصية النادى الواقع على الشارع القديم (الرصيف الشمالى لمدينة بورسعيد) . وفى منتصف مارس افتتحت المدرسة ليؤمها ثمانية تلاميذ مقسمين على فصلين . وقبل انتهاء العام الدراسى وصل عدد الطلبة إلى ٤٦ بيانهم كالتالى : (١٢ فرنسى ، ١١ يونانى ، ١١ نمساوى ، ٤ إيطالى ، ٣ مالطى ، ٢ مصرى ، ٢ تركى ، ١ برتغالى) أما إذا وزعوا حسب الديانة : (٣٥ كاثوليكياً ، ٨ أورثوذكسى ، ٢ مسلمين ، ١ يهودى) .. ومنذ عام ١٨٨٨ بدأ الإهتمام بالمدرسة سواء من جانب الحكومتين الفرنسية والمصرية والجاليات الأجنبية ، وفى ٢٦ أبريل أقامت الجالية الفرنسية حفلاً خصص دخله للمدرسة وفى السابع من أغسطس ١٨٨٨ (قام صاحب السعادة إبراهيم توفيق باشا محافظ القنال بزيارة المدرسة) .

ويتقاطع شارع أوچينى مع شارعى السلطان محمود وشارع رمسيس وعلى ناصيته مبنى خشبى فى شبه مربع كانت فيه قنصلية يوغسلافيا وتهدم هذا المبنى منذ عام .

ويتقاطع شارع أوچينى مع شارعى صلاح الدين وفرعون أنشأ الحاج عوض فقوسة (من كبار تجار وأعيان مدينة بورسعيد ورئيس النادى المصرى فى الثلاثينات ووالد اللاعب الدولى السيد فقوسة وجد الأخوين مدحت اللاعب الدولى لكرة القدم وممدوح المدرب لهذه اللعبة) عمارة كبيرة كانت من أقدم المبانى التى بناها المصريون فى حى الأفرنج .

الحاج عوض فقوسة

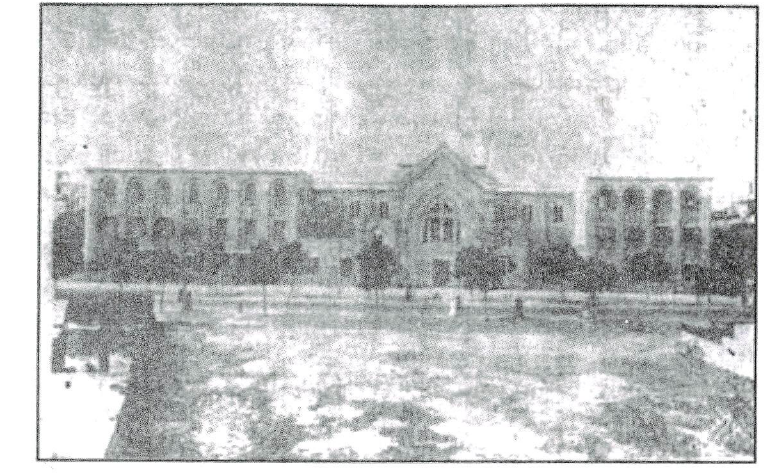
وفى الناصية المقابلة (تقاطع شارع أوچينى بفرعون) كانت أول وأقدم قنصلية فى بورسعيد هى قنصلية فرنسا فى بورسعيد وأمامها نصبت ثلاث منصات والتى ضمت ملوك وأمراء وكبار شخصيات دول العالم الذين حضروا حفلات افتتاح قناة السويس بدعوة من الخديوى إسماعيل والتى بدأت فى بورسعيد يوم ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ .

ويتقاطع هذا الشارع مع شارع الأهرام (جمال عبد الناصر) قام الملك فاروق بوضع حجر الأساس للمسجد الذى يحمل إسمه فى يوم الجمعة١٥ ربيع الأول ١٣٦٣هـ ١٠ مارس ١٩٤٤م . وفى يوم الجمعة الخامس من يناير ١٩٥١ افتتح جامع فاروق الأول للصلاة ونقل الصحفى الشاب كمال مردان مراسم هذا الإفتتاح فى جريدة البروجريه ايجبسيان : « وصل إلى بورسعيد نائباً عن جلالة الملك فاروق وزير الأوقاف إسماعيل رمزى باشا يصاحبه على زكى العرابى باشا رئيس مجلس الشيوخ وعمر الدمرداش بك وكيل وزارة الأوقاف وأعد سرادق لهذا الإحتفال وكان فى استقبالهم لجنة برئاسة محافظ القنال عبد الهادى غزالى بك وعضوية صالح سليم باشا ومحمد على سودان باشا وأحمد بك عطاالله عضو مجلس الشيوخ ونواب المدينة حامد بك الألفى وعبد الرحيم بك مكاوى وعبد المقصود بك حمزة بالإضافة لكبار شخصيات وأعيان بورسعيد وبوصول الضيوف إلى السرادق صدحت موسيقى البوليس السلام الملكى وأذيع هذا الحفل على الهواء من الإذاعة المصرية وقام بتلاوة القرآن الكريم الشيخ جاد المولى سليمان مفتش عام المساجد بوزارة الأوقاف ، وارتفاع مئذنة هذا المسجد ٣٣ متراً تعلو شامخة وسط المدينة وقبته مزدانة بزخارف من الزجاج الملون يتوسطها ثريا نحاسية كبيرة ذات طابع إسلامى وزينت حوائطه بآيات من القرآن الكريم كما غطت أرضياته ببسط وسجاجيد غاية فى الروعة والجمال وهى صناعة إيرانية وله مدخلان ولمساته وعمارته تصميم L'August Souverain» . وتبرع التاجرالكبيرصديق مؤمن بساعة أثرية كبيرة كما تبرع التاجرورجل البر الحاج عبده أبو الخير بمكبر صوت كان يعتبر أول جهاز فى نوعه فى مدينة بورسعيد . وبعد قيام الثورة أطلق على هذا الجامع « جامع الرحمة » .

وتقاطع شارع أوچينى مع شارع إسماعيل أوضحت لنا محاضر المجلس البلدى مدى أهمية تلك النقطة فى بداية هذا القرن ففى جلسة ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٨ « إقترح حكمدار بوليس القنال (جرانت بك وكان إنجليزياً) على المجلس البلدى وضع علامتين من الأحجار إحداهما فى ملتقى شارعى أوچينى وإسماعيل والثانية فى الشارع الموصل من شارع واجهورن إلى مخازن شركة الاستيداع وذلك لتنظيم حركة مرور العربات فى النقطتين المذكورتين » .

وعلى هذه الناصية فى أول عهد المدينة منزل وكيل المحافظ وحكمدار بوليس القنال وقد نقلت تلك الجهات إلى المبنى الخشبى لمحافظة عموم القنال والذى بنى سنة ١٩١٠ فى ميدان ابراهيم (ميدان المسلة) ويلى ذلك المبنى بشارع أوچينى ثكنات الجيش المصرى (مكان قوات فرق الأمن) وخلف هذا المكان كان أول سجن فى بورسعيد .

ويتقاطع شارع أوچينى بشارع سيزوستريس تقابلنا أقدم مستشفى هى المستشفى الأميرى وأترك المرجع اليونانى لجورج سلطناكى المطبوع سنة ١٩٢٢ ليحدثنا عن هذه المستشفى : « وقامت الحكومة ببناء هذه المستشفى سنة ١٨٨١ وبها ١٦٦ سريراً وبيانها كالآتى :



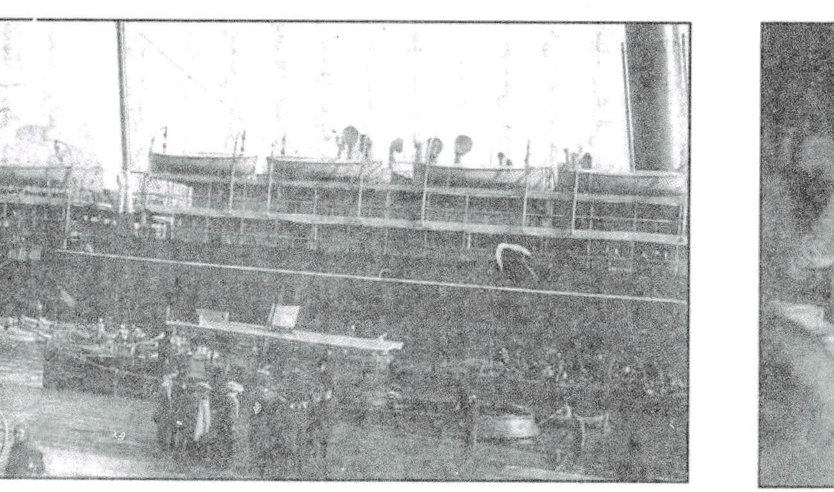
مبنى البون باستير الجديد



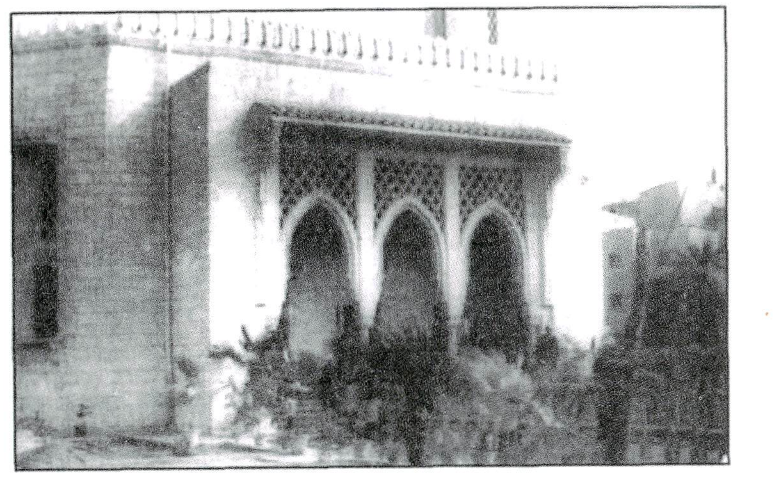
زيارة مطرب الملوك والأمراء الفنان محمد عبد الوهاب لمدينة بورسعيد فى الثلاثينات

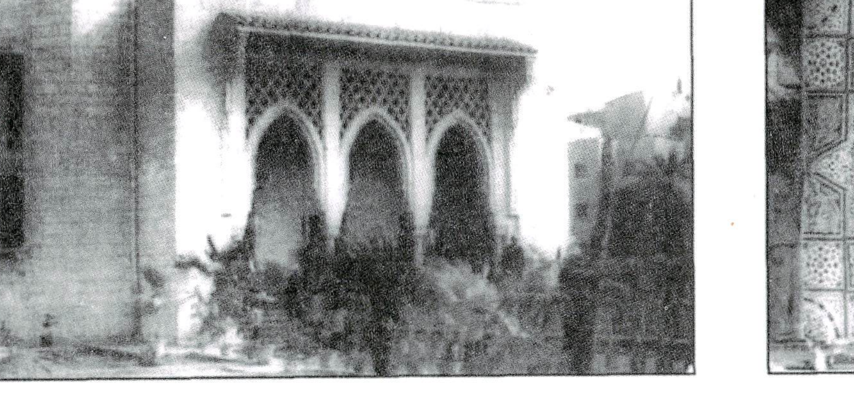


فريق نادى رمسيس للتمثيل كمال علام وعبد الحسيب الكيال وحامد الصافتى والأديب الشاعر على الألفى

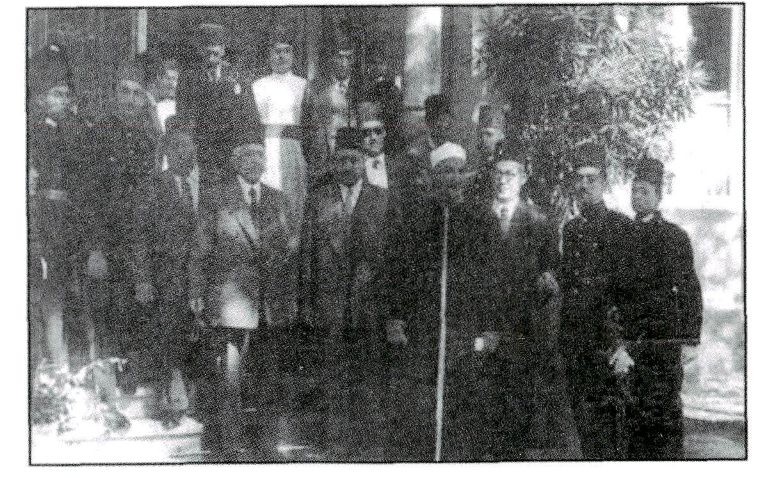


زيارة أوجينى (الأمبراطورة السابقة) لبورسعيد فى ٢٤ ينايرسنة ١٩٠٥





حفل إفتتاح جامع فاروق (مسجد الرحمة) فى يوم الجمعة ٥ يناير ١٩٥١



إسماعيل رمزى باشا وزير الأوقاف لحظة خروجه من مبنى محافظة القنال بعد إفتتاح جامع فاروق



صالح سليم باشا اثناء إنصرافه بعد إنتهاء الإحتفال بإفتتاح جامع فاروق

- ٤ سراير درجة أولى أجرة السرير فى اليوم ٤٠ قرشاً .
- ١٢ سريراً درجة ثانية أجرة السرير فى اليوم ٣٠ قرشاً
- ٢٠ سريراً درجة ثالثة أجرة السرير فى اليوم ١٥ قرشاً
- ٢٤ سريراً درجة رابعة اجرة السرير فى اليوم ٨ قروش
- ١٠٦ سريراً مجانى

ومدير هذه المستشفى الدكتور ستيڤن (إنجليزى) وبالإضافة إلى ذلك هناك طبيبان حديثا التخرج يقيم أحدهما إقامة دائمة بالمستشفى ، وتعمل بها ١٢ راهبة يشرفن على ٣٣ من الممرضين المصريين وهذه المستشفى كبيرة ومكونة من دورين وملحق بها صيدلية مديرها الصيدلى ينى سلطناكى (يونانى متخرج من جامعة بيروت بدرجة جيد جداً) وبجوار الصيدلية عيادة خارجية عبارة عن عنبر كبير يشرف عليه طبيبان يقومان بالكشف يومياً بالمجان على المرضى .

وفى عام ١٩٢١ عولج بها ٢٨٨٠ مريض تماثل للشفاء منهم ٢٣٦٠ أما الوفيات ١٤٠ حالة وذلك نتيجة لإصابتهم بحوادث وبالجهة الجنوبية للمستشفى عنبر للأمراض السرية .

إيرادات المستشفى خلال عام ١٩٢١

٢٧٢١ قرشاً (من مرضى المستشفى)

٢٩٣ قرشاً (من العيادة الخارجية)

٣٠١٤ قرشاً (إجمالى الدخل)

ومصروفات المستشفى خلال عام ١٩٢١

٤٧٨٤ قرشاً (مرتبات)

٦٥٩٤ قرشاً (طعام للمرضى)

١١٧٣٨ قرشاً (إجمالى المصروفات)

فيكون الفرق بينهما ٨٧٢٤ قرشاً تتكفل بدفعها الحكومة » .

ويجاور المستشفى الأميرى مبنى لمدرسة البونباستير Bon Pasteur الجديد .

وبتقاطع شارع أوچينى مع شارعى المشرق وشريين وتقاطع أوچينى مع شارع افريقيا تقابلنا مربعات لمنازل يمتلكها اليهود الشرقيين (حارة اليهود) وكانت تضم معبدين لليهود : القديم (بشارع النهضة) لليهود الأسبان والثانى بناه التاجر العدنى بنين سنة ١٩١١ (كان يتاجر فى الأقمشة الشعبية) وعرف هذا المعبد (بمعبد موشيه أوهيل) ويجاوره مدرسة الطائفة اليهودية ببورسعيد وفوقها منزل الناظر والحاخام ، وأشهر العائلات اليهودية الإسرائيلية ماكس موشلى (فلسطينى) ، شالوم منصور (جواهرجى) ، سليم مناجم ، نسيم باروخ (ايرانى) ، مناحم ميشا ، داڤيد راحمين. أما عميد الجالية اليهودية فى بورسعيد فهو لجبير ليڤى ، وعلى اليسار وقبل أن نصل لشارع محمد على يقابلنا منزل عثمان غندر (من كبار تجار الأخشاب فى أول عهد المدينة ومن أعيان بورسعيد) وهذا المنزل فيه بصمات للتعليم والثقافة فكانت به أحدى المدرستين الأوليتين فماذا تقول محاضر مجلس بلدى بورسعيد عنها : « بجلسة المجلس البلدى المنعقدة يوم ٣٠ يوليو سنة ١٩٢٧ تليت المذكرة التى تحيط المجلس علماً بأن إحدى المدرستين الأوليتين ببورسعيد والكائنة بالمنزل ملك ورثة المرحوم عثمان بك غندر الواقع على شارع أوچينى ليس بها إلا غرفتين صالحتين للتدريس ومرغوب نقلها لمحل آخر حيث سيكون عدد الفصول فى العام المقبل بالمدرسة ثلاثة بسبب نقل تلاميذ الفرقة الثانية الدراسية إلى الفرقة الثالثة وهى الفرقة التى ستزاد بالمدرسة تبعاً لسير الدراسة ولم يتسن للآن العثور الاعلى دور علوى أجرته الشهرية عشرة جنيهات فيه العدد الكافى من الغرف بمنزل ابراهيم شتا بشارعى الزقازيق وعبد الحميد . ويذكر لنا الأستاذ عبد الحسيب الكيال [1] مصدرنا فى التأريخ عن الحركة المسرحية فى بورسعيد : « كانت اللبنة الأولى لنادى رمسيس فى مجال فن التمثيل بالدور الأول من منزل عثمان بك غندر بشارع أوچينى بجوار قهوة البسفور المطلة على شارع محمد على سنة ١٩٢٧ وفى هذه الشقة كانت تقام بروڤات فرقة رمسيس للتمثيل أما العرض المسرحى للحفلات الكبرى فكانت تقام على مسرح سينما الألدرادو أما حفلات السمر فكانت تقام على مسرح فرقة الليرا بشارع بنما بالقرب من شارع فؤاد الأول » .

ثم نأتى لقهوة البسفور وهى أقدم المقاهى العربية فى بورسعيد . وكانت فى أوائل هذا القرن مبنية بالأخشاب وتقع عند ناصيتى محمد على وأوچينى . ولقد شهدت هذه المقهى أياماً لها تاريخ فى حياة بورسعيد فكان من روادها الرعيل الأول من جيل أدباء وشعراء بورسعيد وبقيام ثورة ١٩١٩ تجمع فيها خطباء الثورة فى بورسعيد أمثال الشيخ محمود حلبة والشيخ محمد عبد العظيم حجاب والشيخ محمد شاهين ومحمد محمود عسل والشيخ إبراهيم القاضى وعلى الألفى وغيرهم . وتوارث هذا المقهى جيل الأبناء من الآباء . وفى الثلاثينات اشتهرت مقهى البسفور بوجود الجرامفون ذى البوق (كان صاحبها فى ذلك الوقت إسماعيل الزغبى)وكان من عشاق الفنان محمد عبد الوهاب

(١) إبنة سيادته الأستاذة فاطمة الكيال (المدير العام بجوازات بورسعيد) زميلتى بالعمل وزميلة والدى وشقيقتى عصمت الزهراء وقد أسهمت فى مراجعة هذه الموسوعة لغوياً بلا مقابل وفاءاً منها لحبها لبلدها بورسعيد وزمالتها لنا ورفضت بشدة أن أذكر ذلك إلا أن الفضل يجب أن يرد لأصحابه . كما ساعدنى فى مراجعة هذه المادة أستاذى محمد محمد على وأشرف على مراجعتهما فضيلة الأستاذ الشيخ معوض عوض إبراهيم .

(مطرب الملوك والأمراء) وكان يدير هذا الجرامفون بروائع عبد الوهاب مثل ، ياجارة الوادى ، بلبل حيران ، مريت على بيت الحبايب ، أعجبت بى ، مين عذبك ، خايف أقول ، فى الليل لما خلى ، تلفتت ظبية الوادى ، الهوا والشباب .. وغيرها ، لدرجة أنها كانت تذاع مراراً وتكراراً لدرجة أن محمد عبد الوهاب لما زار بورسعيد فى الثلاثينات أصر على زيارة مقهى البسفور وكان له فيها صورة كبيرة.

وعلى الناصية المقابلة كان منزل خشبى للحاج السيد سرحان باعه ابنه محمد سرحان للصرف على حملته الإنتخابية لعضوية مجلس النواب واشتراه النشار وقام ببنائه وبه قهوة الفلاح . وفى نهاية الثلاثينات كان يجلس فيها الشباب أبناء العائلات المشهورة وكان وقتها يطلق عليها قهوة أبناء الذوات وسأقص عليكم واقعةقصها علىّ عمى الأكبر عبد الفتاح القاضى (رئيس حسابات مجلس بلدى بورسعيد) وقعت أحداثها فى نهاية الثلاثينات وكان من رواد قهوة الفلاح . فى ذات ليلة أثناء جلوسه مع أصدقائه المحببين إلى نفسه محمد رأفت جبر وطه رحمو وعبد الفتاح الدسوقى إذا به يجد بائع السمك الذى اعتاد أن يبيع لرواد القهوة أسماكه الطازجة عرض على عمى أن يشترى منه مشنة كبيرة مليئة بالسمك البربونى الطازج صيد مراكب النابولتان ، تصوروا ماذا دفع بأسعار أيامنا هذه هل دفع مائة جنيه ؟! قال لى إنه دفع فيها سبعة قروش على أن يتولى بائع السمك القيام بتنظيف هذا البربونى وأرسله لجدتى مع الجرسون لقليه لكى يتعشى به هو وأصحابه.

وعلى الناصية اليمنى تقاطع شارع أوچينى بشارع المحروسه مخازن الحاج السيد سرحان وقد تهدم هذا المبنى وبنى مكانه عمارة شامخة لأحد شبشندرية بورسعيد ، عمارة القطاوى ، شريك بشركة (دلرنيا ـ القطاوى ـ المناخلى).

ويليها على الناصية الأخرى مدرسة الواصفية والتى احتفل بوضع حجر أساسها فى ١٩ يونيو ١٩٠١ بحضور المحافظ حسين واصف باشا الذى نسبت إليه وتولت الجمعية الخيرية الإسلامية الصرف عليها وبابها الرئيسى يطل على شارع أدهم وفى نهاية العشرينات كان ناظرها الأستاذ عبد المجيد السباعى ومدرس اللغة الإنجليزية الأستاذ على عياد ومدرس اللغة العربية الشيخ محمد الصفتى. وفى أوائل الخمسينات كانت ناظرتى أبله هانم معيط والوكيلة أبله أمينة رمضان ، وتهدمت هذه المدرسة فى مارس ١٩٩٧ .

ويتقاطع شارع أوچينى بشارع شريف أنشأ المجلس البلدى مستوصفاً للأطفال ويرجع الفضل فيه للمحافظ محمد محمود بك الذى أسسه وتخليداً له وبجلسة المجلس البلدى المنعقدة الثالث من يناير ١٩١٤ وبمناسبة نقل المحافظ محمد محمود بك تقرر إطلاق إسمه على هذا المستشفى ، كما جاء بجلسة ٥ فبراير ١٩١٤ تأكدت تسمية هذا المستشفى باسم المستشفى المحمودى ، نسبة إلى محمد محمود ، .

وبجلسة ٩ مايو صرح رئيس المجلس المحافظ ، محمد بك حداية ، : ، بأن مستوصف علاج الأطفال ماهو إلا معهد للعناية بالأطفال فيجب أن نلجأ فى إدارته وملاحظته إلى خبرة الأمهات فاقترح ضم ثلاث سيدات من المدينة على شكل لجنة خصوصية لملاحظته ، .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة ٢٩ مارس ١٩١٩ تمت الموافقة على عرض رئيس المجلس البلدى ، المحافظ محمد بك حداية ، بشأن إنشاء مستشفى للرمد فى الدور العلوى لمستوصف البلدية حيث بدأت الفكرة بإنشاء مستشفى نقالى للرمد ثم عدلت لمستشفى ثابت.

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة ٣٠ أكتوبر ١٩٥٠ تقرر تأجير المستوصف والأجزاخانة العمومية لوزارة المعارف العمومية لإنشاء مدرسة أطلق عليها مدرسة البلدية وانتقلت أبله أمينة رمضان من مدرسة الوصفية لتكون ناظرة لها.

وفيما بعد شغلتها الإنارة . وعلى ناصيتها أنشأ المرحوم حامد الألفى صيدلية الإسعاف وكانت تبيع الدواء بمكسب طفيف لرفع المعاناة عن كاهل الفقراء وكان مديرها عباس الصياد الذى اشتهر بالدقة التامة فى عمله.

وأمام الإنارة كانت جمعية الإحسان النوبية وملحق بها مدرسة وبجوار الإنارة منزل وزاوية عبد الرحمن بشير ، مقاول أنفار بالميناء ،.

وعلى الناصية عند تقاطع شارع أوچينى بالغازى مختار منزل آل عاشور وسكن به فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم مفتش الوعظ بمنطقة القنال عندما حضر لبورسعيد أول مرة سنة سنة ١٩٤٨ فكان يقرع بابه كل من أراد الفتوى فى أمور الدين.

ويتقاطع هذا الشارع بشارع نوبار يقابلنا منزل الشيخ ابراهيم بك عطا الله وعرف ببيت الأمة عندما زار سعد زغلول بورسعيد فى سبتمبر ١٩٢١ واصطحب معه لبورسعيد مجموعة من أعضاء البرلمان البريطانى . وسنتعرض لمزيد من التفصيل عن بيت الأمة عند الحديث عن الشيخ إبراهيم بك عطا الله فى الجزء الثانى من الموسوعة.

وبعد ذلك يقابلنا الجامع التوفيقى أقدم أثر فى بورسعيد إلا أنه تهدم وأعيد بناؤه وسنتعرض له عند الحديث عن شارع سعد زغلول الذى كان يعرف بشارع الجامع التوفيقى.

ويقابلنا عند شارع رياض بلوكات السوارى ، قلم المرور فيما مضى ، ثم قراقول بوليس العرب.

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد فى التاسع من سبتمبر ١٩١٢ تقرر إقامة موقف لعربات الركوب الحنطور فى شارع أوچينى شرق قراقول بوليس العرب بطول ٥٠ متراً.

وعند شارع نوبار تقابلنا حديقة سعد زغلول وينتهى شارع أوچينى عند تلاقيه بشارع الجامع التوفيقى ، شارع سعد زغلول ، بنقطة على هيئة مثلث .

وفى جلسة مجلس بلدى بورسعيد فى الثانى من مارس ١٩١٩ ووفق على اقتراح العضو على أفندى لهيطة ، بك ، بإنشاً منتزه صغيرة على المثلث المكون من تلاقى شارع أوچينى بشارع الجامع التوفيقى ذاكراً ، أنها ستحسن من منظر هذه الجهة ، وتكاليف إنشاء هذه الحديقة أقل من تكلفة رصف هذا المكان بالمكادام ،.

وفى الستينات نقل إليها تمثال الفلاحة نسخة من أعمال المثال محمود مختار وهذا التمثال كان موضوعاً بشارع ٢٣ يوليو فى الرصيف الذى أنشىء أمام المتحف الحربى.

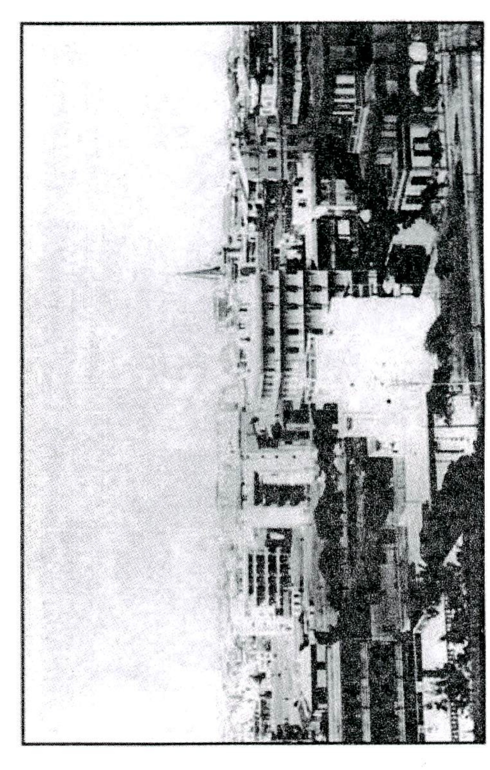
وبعد الثورة تم إطلاق اسم صفية زغلول حرم الزعيم سعد زغلول على شارع أوچينى.



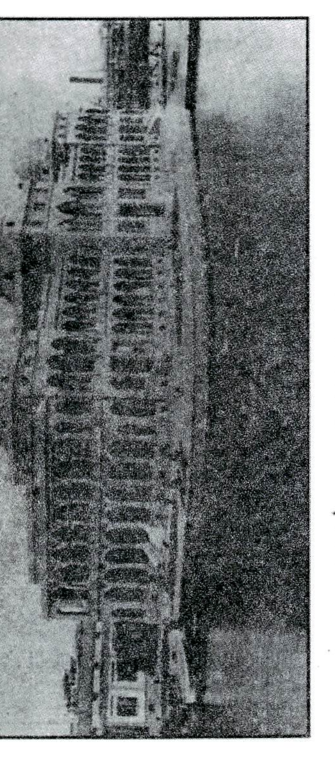
الواجه الرئيسية لمدرسة الواصفية



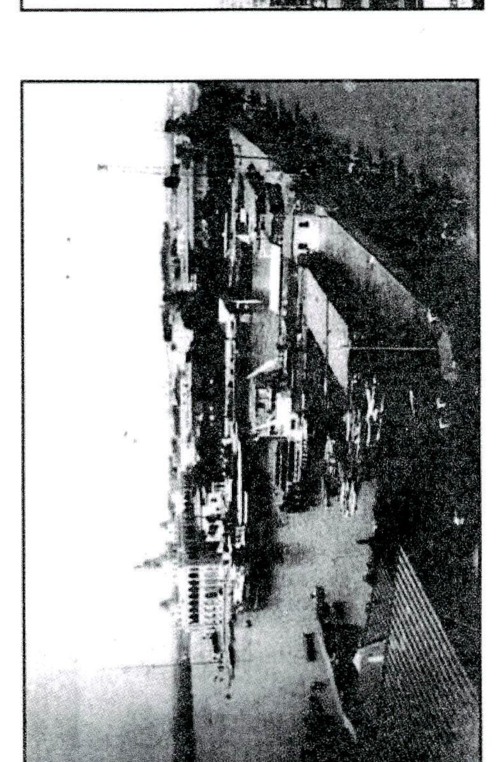
زيارة أحمد بك كامل محافظ القنال والدكتور على البحراوى عضو مجلس بلدى بورسعيد لمدرسة الواصفية فى ديسمبر سنة ١٩٣٠



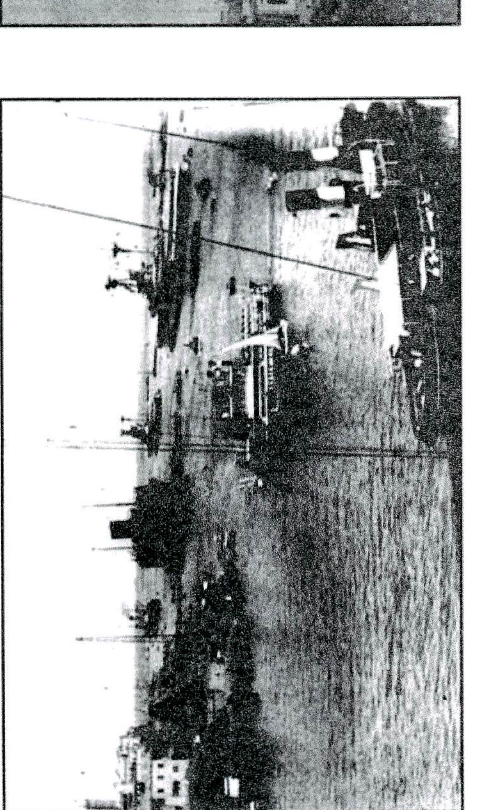
لقطة للجزء الجنوبي من شارع السلطان عثمان مأخوذة من الميناء



مبنى إدارة شركة قنال السويس عند أول إنشاءه



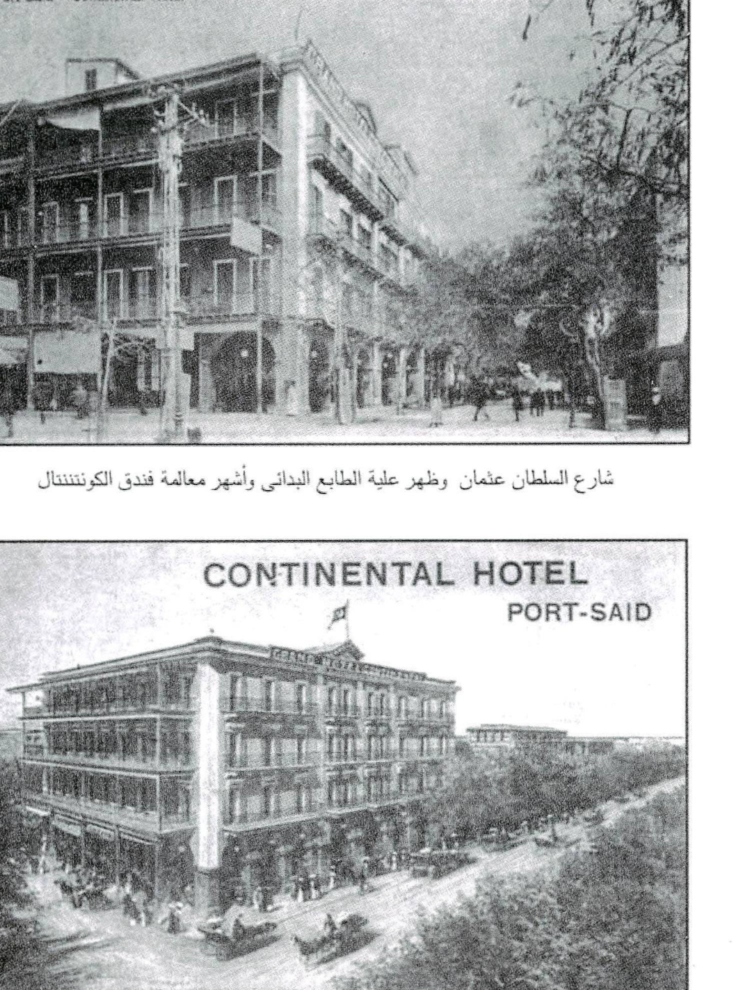
الجزء الجنوبي من شارع السلطان عثمان وباب ١٥ (باب الفحامة)



أول معدية بدورين في حوض التجارة



الفحـــامة



شارع السلطان عثمان وظهر علية الطابع البدائى وأشهر معالمة فندق الكونتننتال

فندق الكونتننتال



فندق أكرى فى الثلاثينات

الفصل الثاني

شارع السلطان عثمان والنيل

BOULEVARD FOUAD 1

شارع الملك فؤاد الأول



الملك فؤاد الأول

يعتبر شارع السلطان عثمان ثانى شوارع مدينة بورسعيد من حيث القدم. ففى بداية عهد المدينة كان هذا الشارع « الرملى » يبدأ شمالاً عند رصيف أوچينى فى النقطة التى بنى عليها البيت الحديد « فيما بعد » حيث كانت مياه البحر الأبيض المتوسط تلاطم هذا المكان.. وينتهى جنوباً عند البنك العثمانى « بنك مصر حالياً ».

وبتقدم الزمن وانحسار البحر شمالاً تاركاً أرضاً أطلق عليها أراضى طرح البحر امتد العمران شمالاً وأمتد معه الشارع الذى عرف بشارع النيل وكانت تلك مرحلة أولى للإمتداد شمالاً وزاد انحسار البحر شمالاً إلى أن وصلت نهايته إلى شاطىء البحر عند نادى الصيد حالياً.

وقبل أن نبدأ سيرنا فى هذا الشارع علينا أن نعرف بالسلطان عثمان ثم بالملك فؤاد . فى القرون الوسطى كانت هناك مجموعات من القبائل تعيش فى سهول آسيا الصغرى قست عليها الطبيعة وهجم عليها التتار فهربوا إلى سهول الأناضول وبمرور الزمن توحدت قيادتها تحت لواء عثمان أرطغرل الذى نادى بنفسه سلطاناً وأصبح رأس الدولة العثمانية.

أما فؤاد الأول (الذى استبدل اسم السلطان العثمانى فى هذا الشارع بإسمه) فهو ابن الخديوى إسماعيل عينه الإنجليز خلفاً لشقيقه السلطان حسين كامل سلطاناً على مصر بعد وفاة حسين كامل فى التاسع من أكتوبر ١٩١٧ وبعد إلغاء الإنجليز الحماية على مصر بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نادوا بفؤاد ملكاً على مصر ـ وتوفى فى ٢٨ أبريل ١٩٣٦ .

وعلى أثر تولى فؤاد الملك نادى أعضاء المجلس البلدى بإطلاق إسم الملك فؤاد الأول على الشارع بأكمله « السلطان عثمان والنيل » وأطلق عليه الأجانب بولڤارد فؤاد .. وبقيام ثورة يوليو المباركة أطلق على هذا الشارع « شارع الجمهورية ».

وإذا بدأنا سيرنا فى هذا الشارع من الناحية الجنوبية يقابلنا مبنى إدارة شركة قنال السويس وهو أشهر أثر فى بورسعيد (اعتبره المجلس الأعلى للآثار أثراً) ذو قباب خضراء من الفسيفساء ويذكر مرجع خالد وبيس ص ٨٤ الخبر التالى : « فى ١٨٩٣ وضع حجر الأساس للمبنى الجديد لإدارة شركة قنال السويس والذى يشمل مكاتب الخزينة ومكاتب الإدارة فى بورسعيد وبنى هذا المبنى بدماء كثير من البنائين الذين أصيبوا أثناء بنائه فجرح من جرح ومات من مات بسبب تساقط كثير من الأحجار أثناء بناء قبابه.. وفى يونيو ١٨٩٤ بلغ من مات من العمال فى هذا المبنى سبعة منهم الإيطالى ڤالنتينو وكان رب أسرة كبيرة وحزن عليه زملاؤه ».

وألحق بمبنى إدارة شركة القنال استراحة لكبار الزوار فحل بها الملك چورج الخامس سنة ١٩١١ والخديوى عباس حلمى الثانى الذى حضر خصيصاً لاستقباله « كانت زيارة الملك چورج عابرة نظراً لأنه كان متوجهاً لزيارة الهند درة التاج البريطانى » ، وهذا المبنى اتخذه استكويل « قائد الحملة البربرية فى زمن العدوان الثلاثى مقراً له .. وفى يوم الخميس ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦ تسلمت قوات الأمم المتحدة هذا المبنى وأنزل العلمان البريطانى والفرنسى من فوقه إلى الأبد وانسحب استكويل إلى ظهر باخرة حربية. كما تأثر هذا المبنى من القصف الجوى على مدينة بورسعيد خلال معارك أكتوبر ١٩٧٣ وأعيد ترميمه .

كما يطل هذا المبنى من الناحية الشمالية على حوض التجارة ويطل فى ناحيته الجنوبية على حوض الترسانة وحوض شريف ، ويطل الباب الرئيسى لهذا المبنى على شارع واجهورن « مصطفى كامل حالياً » الملاصق لسور المنطقة الجمركية.

وعلى ناصية شارع واجهورن قامت قوات الاحتلال البريطانية ببناء استراحة للبحارة والجنود الإنجليز الذين ضج بهم هذا المبنى فى زمن الحرب العالمية الثانية ويحكى لنا محمد السمطى « باشجاويش بوليس » خواطره وذكرياته عن هذا المكان : « فى زمن الحرب العالمية الثانية كانت وزارة الحرب البريطانية ترسل لميناء بورسعيد السفن من ناقلات الجنود حاملة الآلاف منهم توطئة لترحليهم بالقطارات إلى

جبهات القتال فى الصحراء الغربية وكانت تلك القوات تجوب شوارع المدينة ، لحين ترحيلها ، وترتاد الملاهى والكباريهات ويخرجون منها سكارى فيقومون بكسر زجاج المحال ويطلقون طلقات مسدساتهم وبنادقهم فى الهواء ولحفظ النظام فى المدينة أثناء تواجد هذه القوات بها .. أمر حكمدار بوليس القنال أبلت بك (كان إنجليزياً) بتعيين ثلاث عربات جيب من البوليس الحربى البريطانى P.M وكان يطلق عليهم البيكت وتتكون كل عربة من كونستابل إنجليزى وجنديين بريطانيين على أن يرافق كل عربة صف ضابط مصرى يجيد الإنجليزية وتم اختيارى وزملائى الباشجاويشين محمود عوض الزينى وأحمد الزينى وكنا نجوب المدينة من شرقها لغربها حفاظاً على النظام وكانت منطقة استراحة الجنود البريطانيين أكثر النقاط التى تأخذ منا المجهود الأكبر فكان يلحق بها الجنود الإنجليز المتخلفين عن الترحيل لأسباب خارجة عن إرادتهم ».

وتقابلنا أقدم ورشة لصنع البلاط الموزايكو وسلالم المبانى ، موليه وشركاه Moulet ويذكر لنا خالدوبيس فى مرجعه ص ٣٧ « كان يوجد مكتب لتموين السفن الأسبانية (قبل إنشاء ورشة البلاط) وكان أمامه ميزان كبير لوزن الأبقار الحية والتى تباع للسفن لتذبح فوق ظهرها لعدم وجود ثلاجات بها وبالرغم من أن المكاسب كانت كثيرة فى هذه الأيام والفلوس زى الأرز إلا أنه كان هناك تجار عديمو الضمير كانوا يعطون للأبقار أكل ومياه كثيرة ليزداد وزنها » . كما ذكر هذا المرجع أنه فى هذا المكان أيضاً كان أشهر ترزى فى بورسعيد متخصصاً فى حياكة بدل التشريفة والرسمى والموشاة بالقصب الفضى والذهبى ، للقناصل والضباط والأعيان ، وهو اليونانى بتريديس (Petrids) .

ويتقاطع هذا الشارع بشارع الطور يقابلنا منزل خشبى من الطراز الذى كانت تشتهر به بورسعيد فى الماضى كانت تشغله شركة ورمس وبجوارها قنصلية هولندا والشركة الملكية الهولندية للطيران.

ويتقاطع هذا الشارع بشارع الإسكندر الأكبر ، أحمد ماهر ، يوجد عنبر خشبى كبير عبارة عن مخازن وجراج شركة ورمس.

ويتقاطع هذا الشارع بشارع قوله ، أحمد شوقى ، كان يوجد مبنى خشبى بجمالون مائل بالدور الأرضى منه مخازن بوليس القنال وأعلاه مبنى بوليس الميناء وأول مدير له هو المسيو دى لبونو ، إيطالى برتبة ضابط تابع لنظارة الداخلية المصرية . وكان يمتلك المنزل الموجود به السجل التجارى بشارع توفيق أو عرابى حالياً .. وأمام هذا المبنى باب جمرك رقم ١٦ وهو مدخل أول مرسى لمعدية بورفؤاد عند افتتاحها فى ٢١ ديسمبر ١٩٢٦ وكانت هذه المعدية بدورين.

وعلى ناصية شارع دى ليسبس ، سعد زغلول ، مبنى البنك العثمانى الذى افتتح ١٨٨٢ وهو مبنى خشبى من دورين الدور العلوى كان يشغله المدير السورى خليل قاسم وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح مديره إنجليزياً وتهدم هذا المبنى وبنى محله مبنى جديد يشغله بنك مصر حالياً.

وعند هذه النقطة باب المنطقة الجمركية باب ١٥ ، وفى أول عهد المدينة كان باب خروج الفحامة ، وعنهم تذكر محاضر المجلس البلدى الكثير ، ففى جلسة السبت ١٣ نوفمبر ١٩٢٦ تليت عريضة مقدمة من عدة تجار هذا نصها : « حضرة صاحب السعادة محافظ عموم القنال ، اسماعيل رمزى بك ، مقدمه يعرضون لسعادتكم أن باب الجمرك نمرة ١٥ الواقع فى أحسن شارع من شوارع المدينة حيث يكثر السياح وتكثر الحركة خصص هذا الباب لخروج الفحامين فيخرجون بملابسهم القذرة وينتشرون بين المارة فيتطاير الغبار من ملابسهم ولم يقتصر الأمر على ذلك بل يقضون أمام وجهات محلاتنا بملابسهم الملوثة بالفحم ليتفرجوا على المعروضات التى فى الوجهات وبذا يقفون حائلاً أمام المارة من رؤية معروضاتنا ولا يخفى ما يصيبنا من الضرر من إبقاء خروج الفحامين من هذا الباب.. علاوة على ما تقدم فإن الباب الذى يخرجون منه محاطاً بباعة المأكولات القذرة وبائعى القهوة والجوزة فيجتمعون حول هذه المحلات (النقالة) الغوغاء ويعاكسون المارة بألفاظ قبيحة علاوة على أن السياح عند مرورهم بهذه الجهة يأخذون صور هذا المنظر القبيح ويشوهون به سمعة المصريين وعليه فقد جئنا لسعادتكم بهذا راجين إصدار أوامركم بخروج الفحامين من أى باب آخر يكون بعيداً عن الشوارع الآهلة بالمحلات التجارية الكبيرة التى يقصدها السياح ويكثر فيها المرور...» .

فوافق المجلس البلدى على خروجهم من باب آخر بعيداً عن الأحياء المخصصة للسكن أو التجارة . ولنا مع الفحامة وقائع كثيرة أهمها ثورتهم ضد استغلال أصحاب شركات الفحم لهم وسوف نتعرض لها فى مواقف عديدة من الموسوعة.

وفى الناصية المقابلة مبنى خشبى كبير من دور واحد هو Malta House كانت الجالية تجتمع فيه وتقيم حفلاتها وأعيادها به وهو خلاف Matese Club الموجود بشارع أوجينى .. إذ كانت الجالية المالطية ببورسعيد كبيرة العدد وهم طبقات حسب مركزهم الإجتماعى.

وفى أول نقطة يتقاطع فيها هذا الشارع مع شارع دى ليسبس ، مكان شركة المحاريث الهندسية الحالية ، ذكر خالدوبيس : أنه فى سنة ١٨٦٩ أقام ماڤريودس ولويزيديس أكبر محل بقالة فى بورسعيد وبعدها تحولت إلى محلات أوسوناكى التى شغلتها محلات Orosdi Bach (عمر أفندى) ، .

ويتقاطع شارع السلطان عثمان بشارع حمدى (نسبة إلى أول محافظ لعموم القنال إسماعيل حمدى بك) وأمام تلك النقطة وضعت شركة الترامواى عربة كمحطة انتظار مما جعل عضو المجلس البلدى المسيو بردو بجلسة ١٣ فبراير ١٩١٥ يطلب إزالتها وإنها معطلة للمرور فقاطعه عضو المجلس الشيخ عبد الفتاح الجمل مطالباً الإبقاء عليها كمظلة انتظار للركاب.

وكان هذا الترام تجره البغال وأحد خطوطه يبدأ من نقطة فى شارع فرانسوا جوزيف (الميناء) ويتجه إلى شارع التجارة ثم يلتف يساراً بشارع السلطان عثمان ثم ينعطف يميناً فى شارع دى ليسبس وينتهى فى ميدان دى ليسبس (المنشية).

ثم يتاقطع هذا الشارع بشارع دجلة وفى شبه مربع أنشأ أحد اليونانيين فندق أكرى.

ويتقاطع هذا الشارع بشارع التجارة ، تعتبر تلك النقطة أهم المواقع فى مدينة بورسعيد ، وفى سنة ١٨٨١ افتتح بنك الكريدى ليونيه Credit Lyonnais ، ثانى بنك من حيث القدم فرعاً له فى بورسعيد ، وأنشىء بعد ذلك الأنجلو ايجيبشن بانك ، باكليز ، Barclays Bank الذى افتتح فى بورسعيد سنة ١٨٨٢ .. ويذكر لنا خالدوبيس ص ٧١ : ، افتتح بنك الكريدى ليونيه أول فرع له فى بورسعيد بشارع التجارة وأول مدير له المسيو Escoffier وأوقف نشاطه لفترة وجيزة ثم أعيد افتتاحه سنة ١٨٩١ وكان رئيسه الجديد Elie Cohen ونقل إلى مقره الجديد فى شارع التجارة فى المكان الموجود به أجزخانة دلمار أعلى البنك النادى الدولى International Club والذى تحول إلى مطعم وبار سبلندد ومديره جوزيف فونتاكس ، .

وبمناسبة ذكر الاسبلندد (كان به قاعة كبيرة تستخدم فى الإجتماعات والاحتفالات) وكانت أشهر هذه الإجتماعات التى شاهدتها القاعة اجتماع مجموعة من المعارضين لإنشاء المجلس البلدى ، أول جلسة فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١١ ، وهذا الإجتماع ذكر بمحضر المجلس البلدى جلسة ١٨ مارس ١٩١١ حيث أوضح العضو الدكتور Stepanovich بأن مجموعة من سكان بورسعيد (على ما يبدوا لنا أنهم من الأجانب) اجتمعوا فى الاسبلندد بار ينادون بعدم التعاون مع المجلس البلدى وأنهم يرفضون سداد الرسوم البلدية وأنهم فى طريقهم لإنشاء نقابة تحمى مصالحهم التجارية ، .

وكانت تلك النقطة مليئة بالقهاوى والبارات ، فى أول عهد المدينة ، أشهرها نيو بار وماجيستيك بار وكافيه بار وبراديس وتريانون ... وكانت كلها متقاربة وأمام كل منها فرقة موسيقية تقوم بعزف أشهر المقطوعات الموسيقية وكان هناك نظام للعزف فيتم التناوب فيما بينهم وكان كل بار يحضر مغنياً أو مغنية من الخارج أو من الإسكندرية .. وكانت تلك النقطة تتحول إلى خلية نحل إذا وصلت إحدى سفن الركاب فكنت تسمع نداءات أصحاب المحال بكافة لغات العالم وكانت المدينة تسهر حتى الصباح وتنشط الحركة التجارية.

وعلى الناصية الأخرى فندق الكونتنتال وبأسفله تراس وقهوة وبار تلاصقه قنصلية تركيا ثم فندق رويال وأمامه حلوانى رويال وأعلاه أنشأت الجالية اليونانية جمعية للمحاربين القدماء من اليونانين ، رئيسها المسيو Parlis ، وفيه يحتفل اليونانيون بيوم ٢٨ أكتوبر من كل عام حيث أعلنت إيطاليا الحرب على اليونان التى رفضت الإنذار الموجه إليها من إيطاليا الفاشستية والتى هزمت من اليونان بعد ذلك .

وكان بها صالة للإجتماعات وكثيراً ما استضافت الجالية اليونانية بعض الشباب المصرى المثقف لإلقاء المحاضرات منهم الشاب كمال مردان ، أول عضو لمجلس الأمة بعد الثورة ، والذى ألقاها بالفرنسية فى أبريل ١٩٥١ عن طه حسين تحت إشراف القنصل اليونانى أڤريميديس ونشرها فى جريدة البروجريه إيجبسيان لدرجة أن الدكتور طه حسين ، وزير المعارف فى ذلك الوقت ، علم بنبأ هذه المحاضرة فأرسل له خطاباً يشكره ودعاه لمقابلته .. ويذكر مرجع خالدوبيس ص ٣٧ : ، كان غالبية مشاهير بورسعيد يتوجهون للتسلية لقهوة Yoreis Pantels ، مكان محلات الدالى ، على ناصية شارع بابل وفى سنة ١٨٩٥ تنتهى الليلة بمشاجرة بالسكاكين ، . مما يدل على الفوضى التى كان يحدثها الأجانب وعدم خشيتهم رجال الإدارة .

ثم يتقاطع هذا الشارع بشارع بابل ، ولنا عنه حديث مستقل فى الجزء الثانى ، ومحاضر المجلس البلدى فى أول عهده مليئة بالكثير من رواسب أنشأها الاستعمار الإنجليزى فى مصر وكان المحافظ محمد محمود بك أول من أمسك بمعاول الهدم لتلك الرواسب.

وعلى شارع الجمهورية مربع أنشأ دى ليسبس فوقه مستودعاً للدقيق الذى كان يأتى من الخارج بواسطة المراكب وإقطع الجزء المطل على شارع السلطان عثمان و بنيت أول كنيسة لليونانين ثم بنى مبنى محافظة القنال وألحق به أول مكتب للبريد وحلت محله

أجزاخانة نورمال وبعد ذلك قام ويلز ، قنصل بريطانيا فى بورسعيد ١٨٨٢ ، بإنشاء ثلاجة كانت تستخدم لتخزين اللحم الاسترالى كما أنشأ مشينا لصناعة الثلج.

أما الرصيف المقابل للماشينا فكان به مجموعة من المحال التجارية ينى للملبوسات وإيزاك باروخ للصور وأدوات التصوير ويزدى للسجاد العجمى ومرزانس للسجائر والطباق .

ويتقاطع هذا الشارع بشارع سعيد ، حافظ لبراهيم ، كان هناك مبنى خشبى من دورين اشتراها محمد محمد المغربى باشا ، أول تاجر مصرى نافس التجار الأجانب فى العشرينات ، وقام بهدم هذا المبنى وبنى مكانه عمارة كبيرة وافتتح أسفلها مجمعاً تجارياً كبيراً تحت اسم الدمياطى وكان عضواً بمجلس بلدى بورسعيد وعضو لجنة السياحة والتصييف التى أنشأها المحافظ ابراهيم بك راتب سنة ١٩٣٥ وكان رجل بر وتقوى فمنحه الملك فاروق رتبة الباشوية لمساهماته فى أعمال الخير وكان آخرها تأسيسه مسجد بإسمه بميدان السكة الحديد.

ويتقاطع هذا الشارع بشارع دمياط يساراً يقع أشهر مبنى فى تاريخ بورسعيد أنه Eastern Exchange Hotel ومشهور عند أهل بورسعيد بالبيت الحديد لأنه بنى سنة ١٨٨٤ من الكمرات والأعمدة الحديدية وتحدث عنه خالدوبيس ص ٧٤ : ، عندما أنشىء البيت الحديد أهالى بورسعيد أشاعوا وقتها أنه بنى لأغراض عسكرية ، ووقتها لم يكن لهذه الاشاعة أى مجال من الصحة إلا أنها تأكدت فيما بعد فى زمن الحرب العالمية الأولى عندما قامت القوات البريطانية بالإستيلاء عليه بعد إغارة الطائرات الألمانية على بورسعيد وأقاموا على أسطحه مدافع مضادة للطائرات التى أثبتت فاعليتها ضد هذه الطائرات كما أقاموا محطة راديو اللاسلكى أعلاه أما الآن (سنة ١٩٣٩ وقت صدور هذا المرجع) قام باستئجاره المسيو سيمونينى ، عميد أعمال الفندقة فى بورسعيد ، وأدخل عليه عدة تعديلات ليصبح لوكاندة للنوم وبالدور الأرضى مطعم فخم وتعاون معه أولاده فى إدارة هذا الفندق ومديره المسيو Daromont وأنشأوا باراً وقاعة استقبال وكباريه استقراطى . وهذا المبنى مثيل للفندق والكازينو بالاس المطل على البحر مباشرة ، . وحل بالبيت الحديد شخصيات عالمية وعظماء العالم وكان من أشهر هؤلاء الفيلدمارشال مونتجمرى بعد انتصار الحلفاء على المحور فى معركة العلمين حيث وضعت الحرب أوزارها فى يوم الاثنين ٧ مايو ١٩٤٥ لتحية وتهنئة القوات الحليفة بالنصر فنظم حكمدار بوليس القنال ، أبلت بك ، حفلاً حضره من العاصمة اللواء فرينز باتريك باشا (حكمدار القنال السابق) وكانت صالة الشاى Cosy Tea Room بالبيت الحديد يقام فيها المعارض والندوات. وفى الخمسينات كان المحافظ الأستاذ محمد رياض ووكيل المحافظة الأستاذ على صادق والحكمدار اللواء محمود طلعت يحتلون الترابيزة الموجودة على ناصية تراس البيت الحديد. وأمام البيت الحديد كان چيانولا أشهر حلوانى فى بورسعيد Gianola وهو سويسرى ومكانه القديم بشارع أوچينى أمام البوستة الفرنسية ، وكان چيانولا مقراً لعلية القوم من المصريين فكانت الترابيزة الموجودة على ناصيته محجوزة لعبد الرحمن لطفى باشا ومحمد سرحان وأعلى چيانولا فندق أبو سمبل.

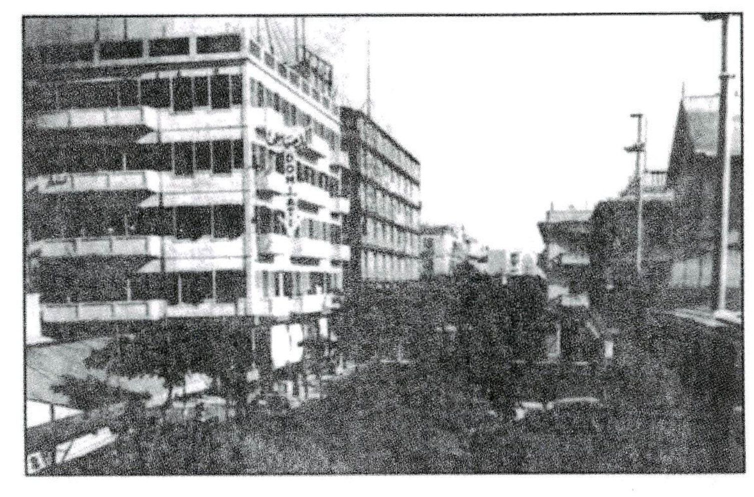
وكان يجاور چيانولا صيدلية سالمونا ومحلات عيسى أفتيميوس . ولما قامت شركة دورى بهدم هذه المحال الخشبية قامت ببنائه بناء حديثاً فاستأجر بسيلا وعرب المحل الملاصق لچيانولا . وعلى الناصية البنك الأهلى للخصم الباريسى وبجواره ، على أوچينى ، صيدلية الياديس.

وإلى هنا ينتهى شارع السلطان عثمان ليبتدىء شارع النيل وكان شمال تلك النقطة يعتبر الحد الشمالى للمدينة حيث البحر مباشرة.

ويعتبر شارع النيل الجزء الهادىء فى المدينة والامتداد الشمالى ، الأول ، للمدينة لذلك كان محل اهتمام أعضاء المجلس البلدى. ففى جلسة أول فبراير سنة ١٩١٣ تقدم العضو المسيو دى روجمونت يطلب رصف شارع النيل بكامل عرضه وبحجر أبو زعبل وبالوابور الهراس ، كان رملياً ، وتنقل الأشجار فى وسطه لتكون على جانبيه.

وأول مبنى يقابلنا على ناصيته اليمنى ، فى الأربعينات ، نادى الرابطة الفرنسية L'Alliance Franaçaise وكان عميد الجالية الفرنسية طبيب الأسنان Dr. Gautier وكان لها نشاط ثقافى راق فكانت تنظم المحاضرات وتقيم المعارض وعلى سبيل المثال فى ٢٠ مارس ١٩٥١ افتتح عبد الهادى غزالى بك ، محافظ القنال ، المعرض الخاص بالرسامين الفرنسيين العالميين خلال القرن التاسع عشر .. وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥٢ ألقى البروفسور Ziogien أستاذ محاضر بجامعة الإسكندرية محاضرة عن فلسفة الكاتب چان بول سارتر. وأسفل هذا المبنى أشهر محال الملبوسات الباريسية Printemps De Paris (ربيع باريس) وإدارته مازالت موجودة بباريس حتى الآن وبعد أن أغلق هذا الفرع تحول إلى صيدلية دلمار ومكتبة ريڤيس.

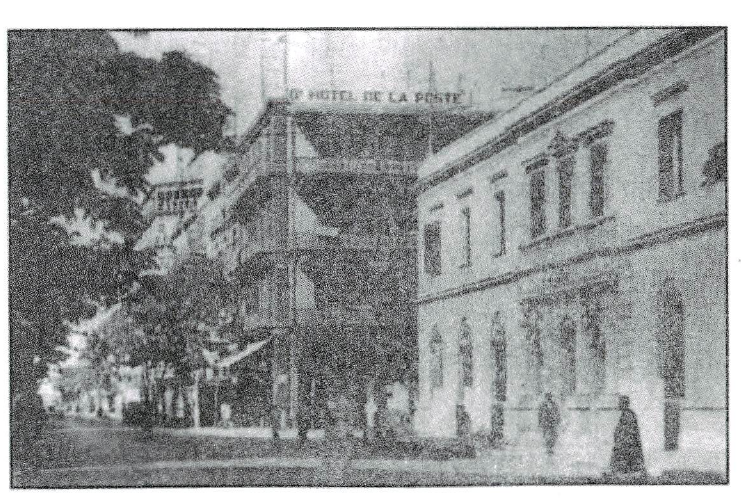
وفى الناحية الأخرى لهذا التقاطع الهام كان مقهى وبار ريش والذى تحول إلى العصفور الأزرق Blue Bird الذى كان



منزل ومحلات محمد محمد المغربى باشا (الدمياطى)



حلوانى چيانولا



فندق دى لابوست والبوستة



مبنى البوستة عند افتتاحها

على ناصية تمثال ضخم لعصفور أزرق ويليها مبنى شركة دى كاسترو وهذا المربع ملك دى كاسترو وبعدها فندق البوستة الكبرى (Le Grand Hôtel De La Poste) لصاحبها المسيو Albrand ويتقاطع هذا الشارع مع شارع السلطان مراد ، بنما ثم محمد موسى ، يقابلنا مبنى البوسته المصرية التى احتفل بوضع حجر أساسها فى الثانى من يناير سنة ١٩٠٢ بحضور محافظ القنال حسين واصف باشا ، وكان من أقدم رؤسائها أحمد بك الجعلى وزكى بك مندور و محمود عياد.

وعلى الناصية الأخرى من شارع مراد مبنى نادى الليرا الإيطالى . وفى سنة ١٩٤٠ قدم بعض أعضاء نادى رمسيس استقالاتهم وكونوا ما يعرف بنادى المسرح الذى بدأ نشاطه فى مكان نادى الليرا ، الذى تم تصفيته أثناء الحرب العالمية الثانية ضمن أملاك الإيطاليين فى بورسعيد ، وأشتهر بنادى الجمارك لأن غالبية أعضائه من موظفى الجمارك وعلى الناصية الأخرى ، المطلة على شارع المقطم ، محل الجندول للأدوات الرياضية لصاحبه يوسف علام وهو أول مصرى ينافس الأجانب فى تجارة الأدوات الرياضية وأعلاه طبيب الأسنان المشهور محمد راغب المغربل وقنصليتا البرازيل والبرتغال.

وقد تأثرت هذه المنطقة من شارع الجمهورية المحصورة بين شارع صفية زغلول و شارع محمد محمود من جراء القصف الجوى الإسرائيلى فى أكتوبر ١٩٧٣ .

ويتقاطع هذا الشارع ، يميناً ، بشارع المقطم ، محمد محمود ، مبنى الكتاب المقدس Bible الإنجليزى الذى بنى سنة ١٩١٠ بقطع من الرخام الأبيض والأسود وبزخارف نباتية بارزة . وبمحضر ٧ سبتمبر ١٩١٢ لمجلس بلدى بورسعيد تقدمت جمعية التوراة يطلب رد مبلغ ٣,٨٠٠ جنيه قيمة عوايد بملكها شارع النيل حصلت منها دون وجه حق.

أما على الناصية ، اليسرى ، بنك الكريدى ليونيه ، مبنى نقابة التجاريين الحالى ، فشركة ملاحات بورسعيد.

ويتقاطع شارع النيل بشارع طنطا ، يميناً ، يقع مبنى شركة انجلش كولنج ليمتد وشركة بنسيولار آند أورينتال P&O وشركة البوستة الخديوية.

أما تقاطع هذا الشارع بشارع طنطا ، يساراً ، فيقع مبنى نادى رمسيس الذى أرخ لنا عنه الأستاذ عبد الحسيب الكيال : ، انتقل نادى رمسيس إلى مقره هذا ، بين مبنى التلغراف وشارع الجمهورية ، سنة ١٩٣١ ويرجع الفضل فى تأسيس هذا النادى إلى الأستاذ محمد مصطفى علام ، رئيس المستخدمين بمحافظة القنال ، وفى هذا المكان قدمت جماعة التمثيل بنادى رمسيس أهم روائع أمير الشعراء أحمد شوقى (مجنون ليلى) وقامت بأدوار البطولة لهذا الأوبريت الفنانه زوزو حمدى الحكيم ، بلا أجر ، مع الفنان البورسعيدى القدير حامد الصفتى واشترك الأستاذ عبد الحسيب فيها وقد حضرها فؤاد سراج الدين وزير الداخلية فى ذلك الوقت كما يضيف أنه أشترك فى مسرحية رصاصة فى القلب للكاتب الكبير توفيق الحكيم واشترك الأستاذ عبد الحسيب فيها فى دور سامى ولعب دور البطولة الفنان الهاوى حامد الصفتى واشترك معه كمال علام وجمال خفاجه والسيد البنا وعبد الفتاح الامام وكان يتولى الإخراج لفرقة رمسيس أحمد جاد أما تصويبات اللغة العربية فكانت لشاعر بورسعيد الأستاذ على الألفى.

وقبل أن نصل لشارع الفرات يوجد مبنى شغله بنك أثينا فى ١٩ يناير سنة ١٩٣١ . وانتقلت القنصلية اليونانية لتشغل الدور الأول منه اعتباراً من نهاية فبراير سنة ١٩٣١ ، كانت بشارع ابراهيم والسويس ملك ابراهيم وفا الحالى ،.

ويتقاطع هذا الشارع مع شارع الفرات ، يساراً ، يقابلنا مبنى شركة قنال المنزلة ثم بنك باركليز Barklays أو Anglo Egyption Bank وهو أقدم بنك فى بورسعيد.

وفى الرصيف الأيمن المتقاطع مع شارع الفرات مبنى البنك الأهلى المصرى ، مكان البنك المركزى المصرى الحالى ، وأعلاه النادى الإنجليزى Union ، ملحق به مكتبة كبيرة ، وهو النادى الخاص بالجالية البريطانية فى بورسعيد وكان يحل به كبار زوار المدينة من البريطانيين فعند وداع السير رولند كامبل سفير بريطانيا فى مصر عائداً لبلاده فى مايو ١٩٥٠ حل فى هذا النادى واحتفلت به الجالية البريطانية والقنصل البريطانى المستر Tomlin .

ويتقاطع هذا الشارع بشارع الجبرتى بنيت عمارة كبيرة لكبير تجار أبناء مالطا المستر زاميت.

وفى الرصيف الأيسر المتقاطع بشارع الجبرتى صالة الفرقة الموسيقية مارجريتا تحولت إلى سينما ريو ثم النادى اليونانى الذى كان يديره أنطوان دى ليانى وتساعده زوجته هلين وولداه ينى ويورغو.

ويتقاطع شارع النيل يميناً بشارع الطائف ثم شارع توفيق ، يساراً ، تقع مدرسة الفرنسيسكان ، كانت فى أول عهدها للبنات ،.

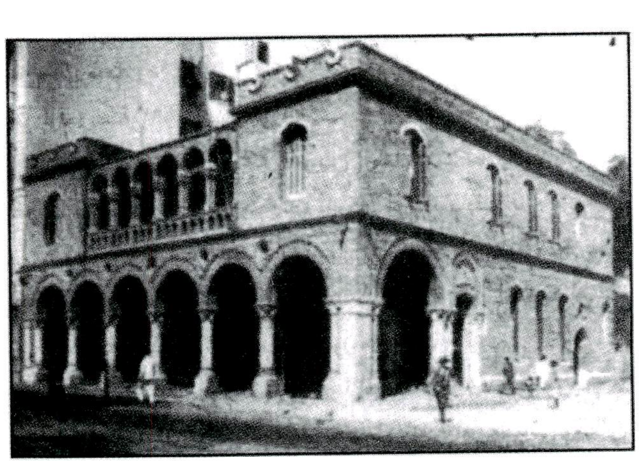
ويتقاطع يميناً بشارع النصر فشارع السلام حيث بيت سرحان ، خلفه مبنى خفر السواحل ونادى الأطباء . وفى الأربعينات كان رئيسه الكتور محمد مكين ، مدير المستشفى الأميرى فى ذلك الوقت ، والسكرتير الدكتور محمود حجاج ، طبيب الأسنان بالصحة المدرسية ، والأعضاء المؤسسين الدكتور يوسف خليل ، طبيب نساء وولادة ، والدكتور السيد السيد الصواف ، طبيب أطفال ، .

ويتقاطع هذا الشارع ، يساراً ، مع شارع ابراهيم ، عبد السلام عارف ، ثم شارع عبد المنعم تقابلنا عمارة المهندس البارع لويس كولوڤتش وهى من أضخم عمارات بورسعيد التى بنيت فى أوائل هذا القرن وأمامها ، شارع المأمون ، حيث ثكنات الطوبجية ، مدفعجية طابية السلام ، . وكان الحد الشمالى لشارع النيل شارع كتشنر ، أو منطقة البلاج ، ثم امتد العمران شمالاً حيث بطارية السلام التى كانت تطلق مدافعها ٢١ طلقة عند مرور أية سفينة حربية . وفى ١٩٥٦ وعند جلاء القوات المعتدية رفعت هذه القوات العلمين البريطانى والفرنسى أعلى سارى الطابية ثم قامت بطلائه بشحم سميك لكى لا يتسلقه أحد إلا أن إصرار أبناء بورسعيد استطاعوا بعد محاولات كثيرة تسلق هذا الصارى وانتزاع العلمين.

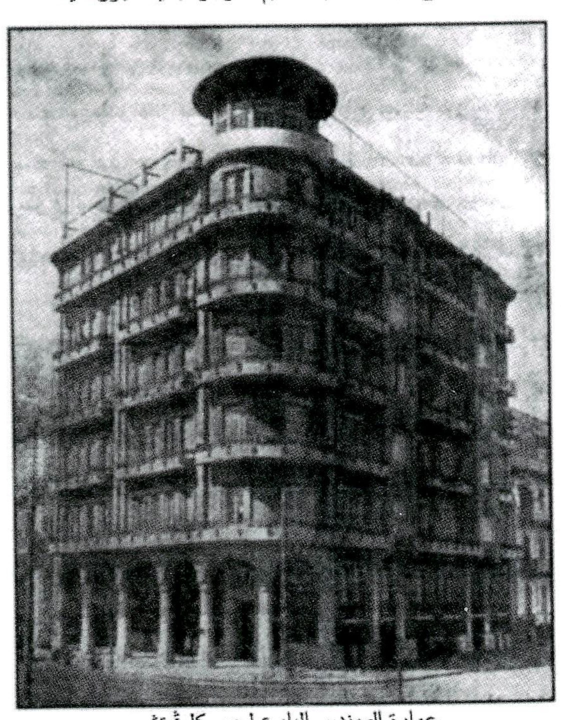
وفى الجهة اليمنى أقيمت سينما صيفى لخدمة المصطافين ، ففى جلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى ٤ مايو ١٩٤٠ عرضت رغبة السيد محمد عثمان وأولاده فى إقامة سينما صيفى فى الهواء الطلق تقام بأرض البلاج عند مدخل شارع فؤاد .. وفى جلسة ٢٧ مايو ١٩٤٤ ووفق على طلب ابراهيم أفندى عثمان على إقامة كازينو على شاطىء بورسعيد أمام شارع فؤاد .. وبعد ذلك تحولت تلك المنطقة إلى مخازن للكوكاكولا.

وبنى كامل حمزة بك ، من الأعيان ، عمارة ضخمة كانت أول عمارة تبنى على أراضى البلاج وعن كامل بك حمزة يحدثنا المهندس عبد الحميد أبو بكر فى كتابه ، عشت وشاركت فى أيام هزت الدنيا ، : دعا أخوان لامبرت كامل حمزة إلى المساهمة معهما فى ١٠ ٪ من قيمة أسهم الشركة .. وكان كامل حمزة يعمل فى مقاولات الأنفار وكان نشاطه يمتد على طول القناة.

وينتهى شارع الجمهورية بميناء الصيد الذى أنشىء فى عهد المحافظ عبد الهادى غزالى بك بناء على إحدى مواد إتفاقية ٧ مارس ١٩٤٩ المبرمة بين الحكومة المصرية وشركة قنال السويس العالمية التى تعهدت فى نطاق البرنامج السابع للأعمال الكبرى بمنطقة القنال إنشاء حوض خاص لرسو مراكب الصيد بمساحة ٤٤٠ متراً طولاً و ١٧٥ متراً عرضاً وهو مقسم إلى أربعة أحواض ثلاثة لرسو المراكب والرابع لإصلاح المراكب .. واعتبر ميناء الصيد من التحسينات التى أدخلت على ميناء الصيد وألغى ميناء الصيد القديم الموجود بميناء بورسعيد .



مبنى بنك باركليز



عمارة المهندس البارع لويس كلوڤيتش

الفصل الثالث
شارع فرانسوا جوزيف
(شارع فلسطين حالياً)



الإمبراطور فرانسوا جوزيف

السلطان حسين كامل

يعتبر رصيف فرانسوا جوزيف (شارع الميناء) ثالث شارع في مدينة بورسعيد من ناحية القدم وسبق أن قرأنا فى الباب الخامس وفى نفس عام الحفر (١٨٥٩) أنه تم التخطيط للمدينة المرتقبة بحيث يكون حدها الشمالى رصيفاً يطل على شاطئ البحر مباشرة عرف فيما بعد برصيف أوجينى وليكون حدها الشرقى رصيف الترسانة رصيف فرانسوا جوزيف فيما بعد ....

فمن هو فرانسوا جوزيف الأول ؟ .

هو إمبراطور النمسا وملك المجر ولد فى فيينا سنة ١٨٣٠ وتوج ١٨٤٨ وفى عهده خاضت بلاده عديداً من الحروب ولبى دعوة الخديو إسماعيل فى حضور حفلات افتتاح قناة السويس والتى إبتدأت فى بورسعيد فى ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ لذلك أطلق إسمه على شارع من شوارع مدينة بورسعيد وكانت وفاته سنة ١٩١٦ . كانت النمسا هى السبب فى إشعال الفتيل الأول للحرب العالمية الأولى بعد اغتيال ولى عهدها فرانسوا فرديناند فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ . فاتجهت أنظار أعضاء مجلس بلدى بورسعيد وفى مقدمتهم رئيسه محافظ القنال (محمد بك حداية) الذى تقدم فى الجلسة المنعقدة ١٩ يونيو سنة ١٩١٥ باقتراح بإطلاق إسم السلطان حسين كامل على شارع فرانسوا جوزيف وتمت موافقة جميع أعضاء المجلس .

فمن هو السلطان حسين كامل ؟ .

هو الابن الثانى للخديوى إسماعيل بعد الشقيق الأكبر الخديوى محمد توفيق . ولما عزلت إنجلترا الخديوى عباس حلمى الثانى فى ديسمبر ١٩١٤ أثناء إستشفائه فى تركيا عينت ابن أخيه حسين كامل سلطاناً على مصر فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ وظل سلطاناً عليها إلى أن وافته المنية فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ .

ويعتبر هذا الشارع من أهم شوارع مدينة بورسعيد منذ نشأتها نظراً لأنه يطل على الميناء مباشرة وفى أول عهدها كان يبدأ عند رصيف أوجينى إذ كان حاجز الأمواج الغربى الذى بدأ العمل فيه فى نهاية سنة ١٨٥٩ وبنمو المدينة أكتسبت أراضى عرفت بأراضى طرح البحر فامتد العمران شمالاً حتى رصيف دى ليسبس ولنا معه مقال مستقل .

وفى جنوب هذا الشارع مبنى أول جمرك لبورسعيد والذى أنشئ فى آواخر سنة ١٨٦٣ وبنى من الخشب .

وفى يونيو ١٩٣٢ تم نقل مكاتب الجمرك إلى مكانها الحالى (كانت تشغلها ورش شركة قنال السويس) مما أحدث شعوراً سيئاً لدى تجار بورسعيد فى ذلك الوقت لبعده عن محالهم لكن الأيام أثبتت لهم عكس ذلك ولم يؤثر النقل فى تجارتهم بل كان الرواج حليفهم .

أما سور المنطقة الجمركية فقد مر بعدة مراحل . ففى أول عهد المدينة لم يكن للميناء أية أسوار بمعنى أنه كان ميناءً مفتوحاً ثم تطور الأمر وأنشئ سورخشبى بدون أبواب أما بالنسبة للسياج الحديدى فيذكر المرجع اليونانى لخالدوبيس صـ ٧١ : « لا أستطيع أن أجزم أن الخبر التالى من الأشياء السارة أم غير السارة بالنسبة لبورسعيد .. ففى يناير ١٨٩١ تم بناء سور من السياج الحديدى حول ميناء بورسعيد إبتداء من شاطئ البحر حتى مكاتب إدارة شركة قنال السويس وقد تكلف إنشاء هذا السور ٢٢ ألف جنية استرلينى وأصبحت المدينة وكأنك تحميها من اللصوص » ، وتم هدم المبنى الخشبى للجمرك القديم وبنى مكانه مبنى حديث لإدارة أمن الموانى وجوازات ميناء بورسعيد .

وبمناسبة الحديث عن الميناء فى أبريل سنة ١٩٢٧ قامت شركة قنال السويس بإحداث طفرة فى طريقة نزول ركاب السفن إلى البر فقامت بتشغيل كبارى عائمة لعبور السواح عليها إلا أن تلك الطفرة أثرت فى أرزاق أصحاب مهنة الفلايكية .

ومن ضمن التحسينات التى أحدثتها شركة قنال السويس على رصيف الميناء قامت فى منتصف سنة١٩٥٢ بإنشاء مظلة بطول

رصيف هذا الشارع إبتداء من باب الجمرك رقم ١ المواجه لكازينو بالاس حتى باب ١٠ المجاور لمرسى معدية بورفؤاد وأعطى ذلك منظراً جميلاً للرصيف وحمى القازقات والمراكب واللنشات من المطر والعواصف الرملية .

وأول شارع يتقاطع مع شارع فرانسوا جوزيف هو شارع التجارة (النهضة) ويبدأ بمنزل خشبى (مبنى المساجرية) Compagnie De Transport Oceanique C. T. O. (شركة النقل عبر المحيطات) وهى الشركة التى كانت تملك العقار واستأجرت شركة المساجرية فيه مكتباً فاشتهرت عند أهل بورسعيد بالمساجرية ، وفيه بلكونات خشبية وأسقفها مغطاة بالبلاط الأحمر (القرميد) الذى يسهل من جريان مياه الأمطار وقد ثبتت على كل شرفةلوحات كبيرة للإعلان عن الشركات الملاحية أو أكبر الفنادق فى القاهرة شبرد وجراند كونتيننتال .

وأول مبنى يقابلنا على ناصية شارع التجارة هو فندقا مارينا بالاس هوتيل وسافوى هوتيل التابعان لشركة المساجريه مارتيم وحل فيهما كثير من الشخصيات الهامة . ففى سافوى هوتيل حل فى الثانى من ديسمبر ١٨٩٣ الخديو عباس حلمى الثانى عندما حضر إلى بورسعيد لافتتاح أول محطة سكة حديد فى بورسعيد . وفى ٢٤ يناير سنة ١٩٠٥ حلت فيه الإمبراطورة أوجينى كمواطنة عادية عندما زارت مصر حيث توجهت إلى بورسعيد لتستعيد فيه ذكرياتها عندما زارت بورسعيد أول مرة فى ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩ كما حل فيه الملك جورج الخامس سنة ١٩١١ عند مروره بالقناة متوجهاً لزيارة الهند (أمتلك مجموعةمن شرائح البروجكتور النادرة توضح تفاصيل تلك الزيارتين كما أن زيارة الملك جورج الخامس لها تفاصيل كثيرة توضحها محاضر المجلس البلدى سوف أتعرض لها فى الجزء الثانى) وكانت شركة سكة حديد فلسطين تستأجر مكتباً فى المبنى القديم للمساجرية وفى نهاية الأربعينيات تم هدم المبنى المساجيرى وأعيد بناؤه وكان نادى شركة قنال السويس يحتل طابقاً أعلى بنك مصر . ويتقاطع هذا الشارع بشارع سعيد (حافظ ابراهيم حالياً) وعلى الناصية الأخرى فندق وندسور ثم قنصليتا رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ومكتبة Colonial Book وهى من أقدم المكتبات فى بورسعيد والتى كانت تلى مكتبة هورن (صاحب جريدة الفريته) والتى كانت بشارع التجارة ثم مبنى سيمون آرزت Simion Arzt الذى افتتح سنة ١٨٦٩ وكان صاحباه موشلى وبندرلى (وهما من أغنياء يهود مصر) ويعتبر أكبر مجمع تجارى فى بورسعيد فى ذلك الوقت وكان السائح يجد فيه كل شئ يحتاجه ليس فقط بالنسبة للبضائع والحلى والتحف بل كان فى داخله أقساماً تقدم كافة الخدمات للسائح فكان فيه صالون حلاقة وقسم لتصليح الساعات وقسم لأدوات التصوير وتحميض الأفلام وقسم لمسح الأحذية وبعد التأميم تعين أحمد بك الجعلى (مدير البوستة بعد إحالته للمعاش مديراً لسيمون آرزت وكان مكان سيمون (فى أول عهد المدينة) حوضاً كبيراً توزع منه المياه على حى الافرنج وبقى هذا الحوض حتى سنة ١٨٨٠ وبعدها وفى نفس مكان سيمون فتح بنك Anglo Egeption Bank المعروف Barklays وكان هذا البنك يقوم بتخزين البضائع فى مخازن خلف البنك فى مقابل سلف للتجار لعدم ظهور البوندد وكان يجاور سيمون مبنى شركة توماس كوك أقدم شركات السياحة فى مصر .

ويلى توماس مبنى شركة التلغراف الانجليزى Eastern Telegraf وكانت من قبل مبنى المسيو Trinzio مندوب شركة اللويدز النمساوية وهو أول منزل بنى بالحجارة فى بورسعيد .

ويقابلنا شارع أوجينى وكانت نقطة إلتقاء هذين الشارعين هى الحد الشمالى الشرقى للمدينة فى أول عهدها .

وأمام تلك النقطة وعلى رصيف الميناء وأمام باب الجمرك رقم ٨ إحتفلت قوات جيش الإحتلال البريطانى سنة ١٨٩٧ بإزاحة الستار عن تمثال فيكتوريا [1] بمناسبة الإحتفال بالعيد الستينى لجلوسها على العرش وقام بتنظيم هذا الحفل اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر ومعه قنصل بريطانيا فى بورسعيد . وقد قاطع هذا الحفل الخديوى عباس حلمى الذى كان يناصب العداء لبريطانيا عامة وللورد كرومر خاصة .

وهذا التمثال عبارة عن قاعدة فى شكل أربعة أسود تصب مياهاً من أفواهها لتسقط بالحوض . كان يشرب منها المارة حتى عرفت عند أهل بورسعيد القدامى بسبيل فيكتوريا . وعلى نفس العمود وأعلى الأسود ذكر مناسبة هذا التمثال وسنة إزاحة الستار ويعلو هذا العامود تمثال كامل للملكة فيكتوريا .

---

(١) ولدت سنة ١٨١٩ وجلست على العرش ١٨٣٩ وتوفيت ١٩٠١

وأمام هذا التمثال مبنى تشغله كل من شركة الفحومات البريطانية (مثل فيه أحد الأفلام للسينما المصرية فى أوائل الخمسينيات) ووكالة رويتر العالمية للأنباء وشركة شل وشركة مصر للسياحةوشركة كوكس آند كنج ليمتد .

ثم يتقاطع هذا الشارع بشارع مراد (بنما حالياً) فيقابلنا أشهر مبنى عرفت به صور بورسعيد المأخوذة من الميناء أنه مبنى شركة هل بلايث وشركة فحومات بورسعيد والسويس وهذا المبنى كان مدهوناً بخطوط عرضية بنية وبيضاء (مبنى توكيل دمنهور للملاحة بعد التأميم وقد أمضيت فيه التدريب العملى فى نهاية سنة ١٩٦٦ قبل حصولى على بكالوريوس التجارة فى يونيو ١٩٦٧ وقد رشحنى الأستاذ منير حمزة ، ابن عمة والدى ، والذى كان يشغل مدير قسم السياحة بهذا التوكيل فى ذلك الوقت) . وفى فترة التهجير شغلت هذا المبنى مديرية أمن بورسعيد وكان مدير الأمن اللواء محمد البشبيشى وتهدم هذا المبنى وبنى مكانه مجمع للتوكيلات الملاحية ومكان حديقة كول كامبنى كان كازينو راقى (الخديوية) . ويتقاطع هذا الشارع بشارع المقطم يقابلنا منزل برود نيت وكان له مدخلان وهذا المبنى دخل التاريخ ١٩٥٦ ففى يوم الثلاثاء السادس من نوفمبر عام ٥٦ تخفى رجال المقاومة الشعبية فى زى رجال الإسعاف وركبوا عربة اسعاف وحملوا نقالات الإسعاف وغطوا فوقها الأسلحة والذخيرة وأدخلوها من أحد أبواب هذا المنزل وخرجوا من الباب الآخر وهم حاملوا أسلحتهم وأمطروا القوات البريطانية بوابل من نيران أسلحتهم وأحدثوا بهم خسائر جسيمة وانسحبوا دون أدنى خسائر . ثم عمارة جيمس سلافيك.

ويتقاطع هذا الشارع مع شارع طنطا تقابلنا أضخم عمارة فى هذا الشارع فلها مدخلان وسلمان وتقع على ثلاثة شوارع وهى عمارة محمد حسنين لهيطة بك وهو جد والدى ووالدتى لأمهما وأول من منح لقب بك فى بورسعيد حيث منحه الخديوى عباس تلك الرتبة باعتباره من كبار تجار الفحومات فى بورسعيد ومن أعيانها وقام بتزيين وإضاءة شارع فرانسوا جوزيف على نفقته عند زيارة الخديوى عباس حلمى لبورسعيد عند افتتاحه أول محطة سكة حديد فى بورسعيد فى الثانى من ديسمبر سنة١٨٩٣ ، وكانت بها عدة مكاتب ملاحية أهمها مكاتب شركة مخازن الفحومات الألمانية والقنصلية الألمانية .

ويتقاطع هذا الشارع مع شارع أنطون (شارع الفرات) يوجد مبنى مجلس الصحة البحرية والكورنتينات المصرية وخلفهما كانت قنصلية اليابان .

ويتقاطعه مع شارع الجبرتى يوجد فنار بورسعيد ومصلحة الموانى والمنائر ... وأول فنار بنى فى بورسعيد كان من الخشب فى يوليو سنة ١٨٥٩ وموقعه الحالى الرسوة ... إلا أن مصلحة الفنارات أوصت شركة قنال السويس ببناء فنار آخر يساير السفن المارة فى القناة بعد افتتاحها . وفى سنة ١٨٦٨ تم بناء الفنار ذو البرج الحجرى الذى نعرفه الآن وبالفعل بدأ تشغيله فى عام افتتاح القناة ١٨٦٩ وهو عبارة عن برج حجرى له ثمانية أوجه إرتفاعه حوالى ٥٦ متراً وأعلاه غرفه زجاجية تحتوى على المصباح والعدسات التى تساعد على تكبير الأشعة وإرسالها لمسافات بعيدة وكان يعمل بالكهرباء ثم استبدلت بالغاز سنة ١٩١٥ نظراً لكثرة إنقطاع التيار الكهربائى وطليت أوجهه باللونين الأبيض والأسود لإمكان الاستدلال على موقعه بالنهار وكان بأعلى الفنار كرة سوداء كانت تستخدم لتعيين الوقت فكانت تسقط فى الساعة الثامنة صباحاً وعند تمام الظهر ومرة ثالثة الساعة الرابعة بعد الظهر وهى متصلة إتصالاً كهربائياً بمرصد حلوان ، وعندما افتتحت القناة كان هذا الفنار على قاعدة محاطة بالأحجار الكبيرة التى تصد عنه الأمواج من كل الجهات .

ويتقابل هذا الشارع بشارع الطائف وتحتل القنصلية الأمريكية المربع المطل على الميناء . وفى الماضى دأبت القنصلية الأمريكية على إقامة حفل استقبال لكبار شخصيات بورسعيد فى حديقة القنصلية فى الرابع من يونيو من كل عام (عيد الإستقلال) وقد كان أهم هذه الاحتفالات فى ٤ يوليو ١٩٥٠ وذلك بمناسبة مرور١٧٥عاما على الإستقلال وكان القنصل المستر M . JOHNSON أما فى شهر مارس فكان احتفالها بذكرى ميلاد جورج واشنطون .

ويقابلنا شارع النصر وعلى ناصيته منزل رزق الله وهذا المنزل مرتبطاً بإنشاء أول متحف فى تاريخ بورسعيد ولنقلب محاضر مجلس بلد ى بورسعيد بشأن هذا المتحف .

وبجلسة ٢٠ مايو ١٩٢٢عرض رئيس المجلس البلدى (المحافظ محمود صدقى بك) رغبة مصلحة الآثار المصرية فى مد المجلس البلدى بالأنتيكات اللازمة للمتحف المزمع انشاؤه فى الدور الأرضى من منزل الخواجة رزق الله .

وبجلسة ٨ يوليو سنة ١٩٢٢ وافق أعضاء المجلس البلدى على طبع دليل باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .

وبجلسة ٥ مايو ١٩٢٣ المنعقدة برئاسة المحافظ حسن مظلوم بك (وعلى إثر إفتتاح المتحف) تم تعيين لجنة لإدارة هذا المتحف

برئاسة رئيس المجلس (سعادة المحافظ حسن مظلوم بك) وعضوية باشمهندس مصلحة الآثار وأعضاء المجلس البلدى المسيو سيمونينى ، الدكتور سكوفيلو ، إبراهيم أفندى لهيطة والدكتور على أفندى البحراوى .

وبجلسة ٨ سبتمبر ١٩٢٣ تليت المذكرة التالية : « ان كثيراً من السياح يجدون أن أجرة دخول المتحف وهى خمسة قروش كبيرة جداً فلا يدخلونه ومن جهة أخرى فإن التراجمة يهملون عمداً إرشاد السياح إلى المتحف لأنهم يفضلون الذهاب بهم إلى المحلات التى تعطى التراجمة عمولة ، فقرر القومسيون أن يخفض أجرة الدخول إلى قرشين ونصف أو ستة بنسات وأن تعط للتراجمة مكافأة » .

هذا ولم يستمر المتحف طويلاً فى منزل رزق الله إذ نقل فى أول شارع (النهضة) بمبنى الغرفة التجارية .

ثم يقابلنا شارع السلام (نسبة لطابية السلام) الواقعة أمامه على شاطئ البحر ، يقابلنا مربع بنى فوقه مبنى خشبى كبير هو سلخانة بورسعيد التى بنيت سنة ١٨٨٥ وكانت تأتى إليها الأغنام والأبقار فى الشام من سفن شراعية كبيرة ترسو أمامها وتذبح لإمداد السفن العابرة باللحوم الطازجة . ولم تستمر طويلاً إذ نقلت إلى الجنوب الغربى للمدينة سنة ١٩٠٠ وخططت لأن تقسم إلى جزئين الجنوبى حديقة والشمالى كازينو .

فبالنسبة للحديقة عرفت فى أول الأمر بحديقة واصف نسبة للمحافظ حسين واصف باشا الذى أنشأها وكان يتوسطها كشك موسيقى وخصصت للسيدات والأطفال .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة ٢٨ مايو ١٩١٤ عرض العضو المسيو باقتفتش إنشاء تياترو ومعرض للأسماك فى الجهة الغربية فى حديقة واصف .

إلا أنه بجلسة ٤ يوليو تقدم ٤٥٠ شخص من كافة جنسيات المدينة بعريضة لرئيس المجلس البلدى (محمد حداية بك) يحتجون على إقامة معرض الأسماك والتياترو بحديقة واصف ويطلبون أن تكون فى مكان آخر .

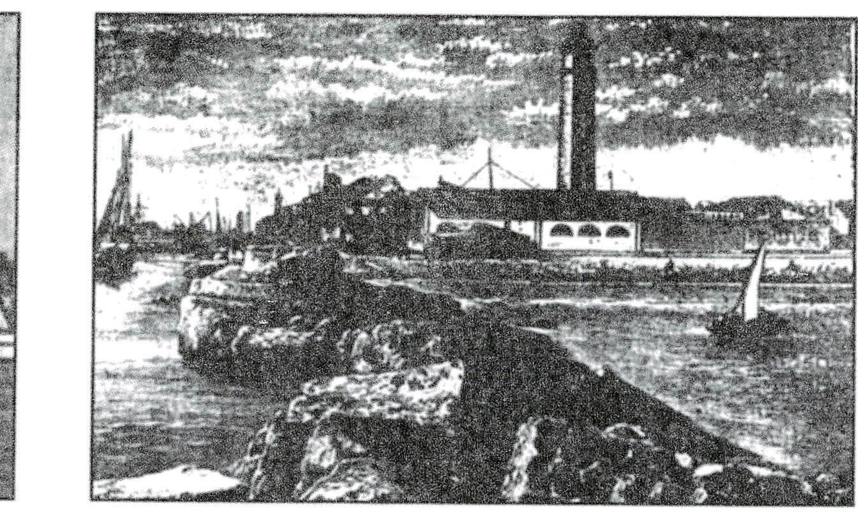
وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة ١٧ يوليو ١٩٢٣ وافق المجلس على اقتراح رئيس المجلس (المحافظ حسن مظلوم بك) بإنشاء ملعباً للتزحلق بحديقة واصف وتولى المسيو سيمونينى (عضو المجلس وصاحب كازينو بالاس) تنفيذ تلك الفكرة على قطعة أرض مسطحها ١٢×٣٠ متراً فى الجهة المطلة على شارع أمريكا .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى ٤ أغسطس ١٩١٧ برئاسة المحافظ (محمد حداية بك) تلى خطاب وزارة الداخلية (المجالس البلدية كانت تتبعها) الموضح به أن الماجور هدسون (من الجيش الأسترالى) يقدم رغبة هذا الجيش فى إقامة تمثال يخلد جنود هذا الجيش الذين ماتوا أثناء الدفاع عن القنال وشبه جزيرة سيناء وهذا الأثر عبارة عن تمثال يمثل جندياً من الخيالة الخفيفة ومعه جواد وسيصنع من الرخام الأسترالى الصلب بمعرفة حفار ماهر من ذوى الشهرة العالمية وستبلغ قيمة تكاليفه آلاف الجنيهات وسيكون هذا التمثال عملاً فنياً جليلاً من شأنه أن يزيد المدينة بهاء ....» .

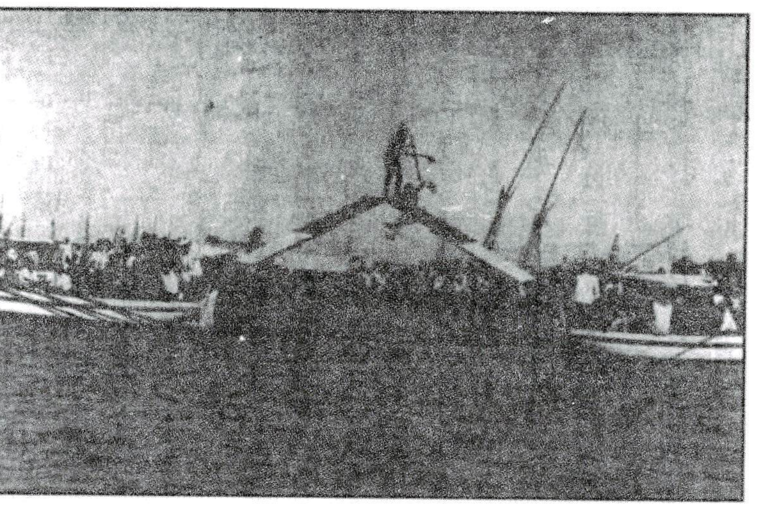
وبالفعل وافق المجلس البلدى على أن يقتطع جزءاً من حديقة واصف المطلة على الميناء . أما تفاصيل حفل إزاحة الستار فنتركه لديمتريوس خالدوبيس فى كتابه صـ ٢٢٧ قائلاً : « فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ رفع الستار عن تمثال الجنود الأستراليين والنيوزيلنديين المشتركين فى الحرب العالمية الأولى ما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ وأقيم بجوار حديقة الكازينو بالاس الذى يملكه المسيو سيمونينى وكانت نفقات إقامة هذا التمثال من تبرعات جنود هاتين الدولتين تخليداً لذكرى زملائهم الذين ماتوا فى الحرب ما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ . وحضر هذا الحفل بالإضافة للمندوب السامى البريطانى : السير برسى لورين رئيس الوزراء الأسترالى السابق المستر Hiouz ورئيس الجيش البريطانى فى مصر ورئيس الوزراء المصرى إسماعيل صدقى باشا وسعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء موفوداً من قبل الملك فؤاد وقناصل الدول وكثير من سكان مدينة بورسعيد » .

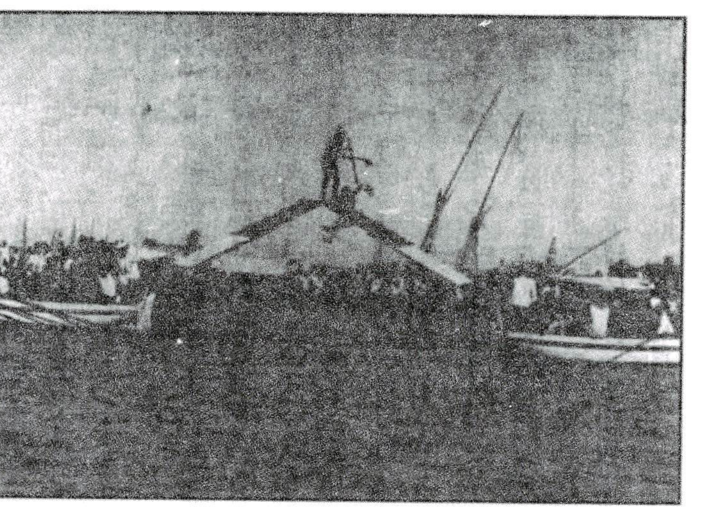
ولم يدم هذا التمثال طويلاً بل قام أبناء بورسعيد بهدمه بعد أن قاموا بهدم تمثال دى ليسبس فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦ . وفى الشارع الصغير الذى كان يفصل بين هذه الحديقة والكازينو بالاس وضع حجر كبير محفور عليه أسماء كثير من الشهداء الذين سقطوا فى ساحة الشرف والجهاد سنة ١٩٥٦ حيث استخدمت هذه الحديقة فى دفن جثث كثير من الشهداء وبعد إنتهاء المعركة تم نقلهم إلى مقابر الشهداء.

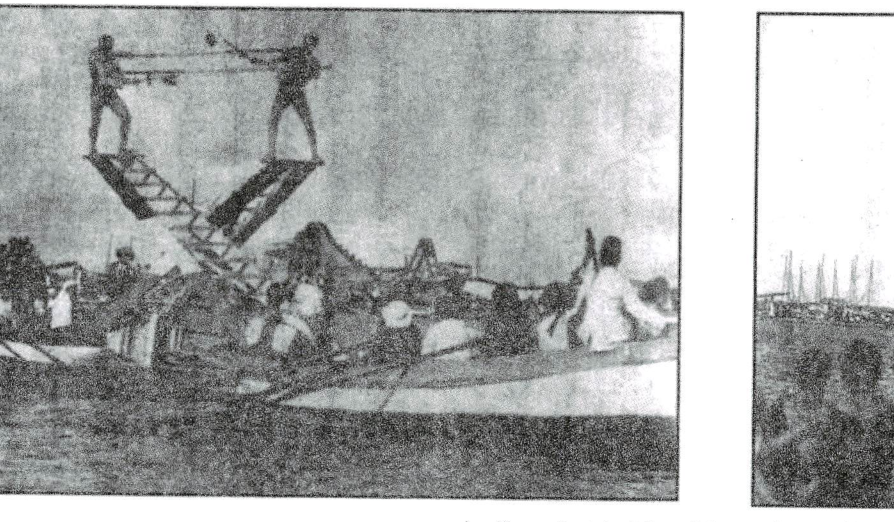
أما فندق ، كازينو بالاس فقد أجر أرضه المسيو سيمونينى وبنى عليه هذا الفندق ليطل على شاطئ البحر مباشرة فى أوائل هذا القرن وهذا الفندق مرتبط بالأحداث التاريخية التى مرت بها بورسعيد كما حل به عديد من الشخصيات الكبيرة . فبعد إندلاع ثورة ١٩١٩ قام الإنجليز بنفى سعد زغلول وصحبه (إسماعيل صدقى وحمد الباسل ومحمد محمود) إلى مالطة فى ٩ مارس ١٩١٩ وبالجهه الشمالية



صورة مأخوذة للسلخانة من حاجز الأمواج الغربى قبل إنشاء رصيف ديليسبس



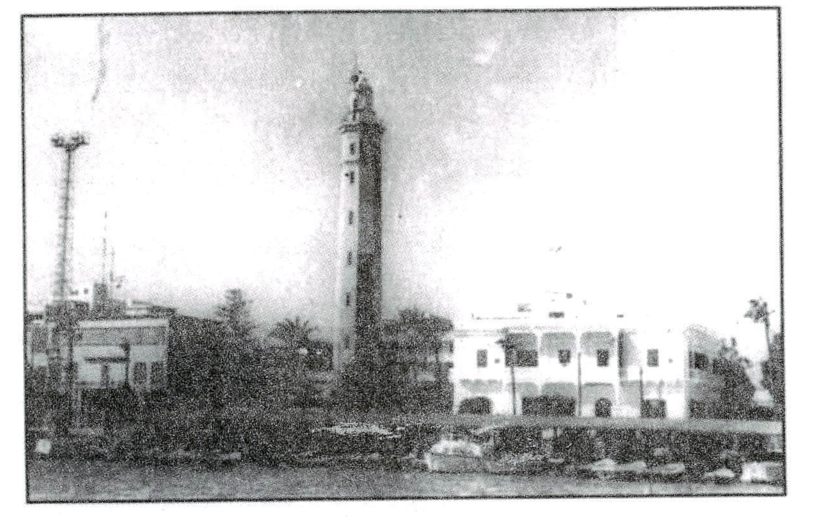




ثلاث صور لإحتفالات الروبيليك ، عيد الجمهورية الفرنسية فى ١٤ يوليو من كل عام

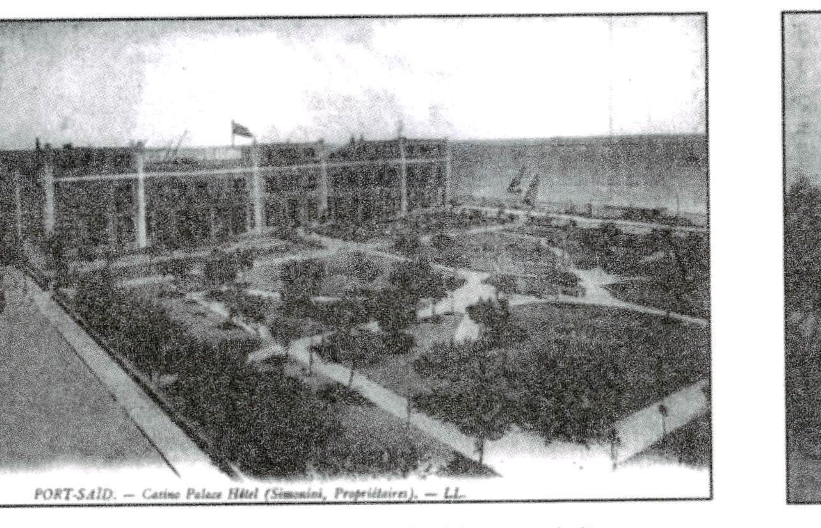


تمثال الملكة ڤيكتوريا الذى ازيح الستارعنه سنة ١٨٩٧ عند باب « ٨ »



فنار بورسعيد ومبنى القنصلية الأمريكية

تمثال الجنود الاستراليين والنيوزلنديين الذين إشتركو فى صد العدوان التركى على قنال السويس



حديقة واصف يتوسطها كشك للموسيقى وفى شمالها مبنى الكازينو بالاس

للكازينو تراس تقام فيه الحفلات الموسيقية أيام الآحاد والأعياد . وفى سنة ١٩٥٦اتخذه استكويل قائد الحملة البربرية على بورسعهيد مقراً لقيادته وقامت القوات المعتدية بهدم سور الميناء المطل على الكازينو بالاس وأنزلت قواتها من تلك النقطة لتحتل المدينة .

وقبل أن ننهى حديثنا عن شارع فرانسوا جوزيف (الميناء) لا يفوتنا أن نذكر أنه فى الماضى كانت فرنسا تحتفل بذكرى إعلان الجمهورية الفرنسية ، قامت الثورة الفرنسية فى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ، وهدم الباستيل . وفى ١٤ يوليو من كل عام تقام المسابقات البحرية من عوم وغطس وسباق زوارق شراعية وتجديف وتسلق عمود شحم مثبت على مركب وكان هذا العيد يسمى عند أهل بورسعيد بعيد الريوبليك وكانت شوارع بورسعيد تعج بأهل وبأقوام أتوا لها من المدن المحيطة ببورسعيد وتزين الشوارع بفوانيس من الورق وتطلق الألعاب النارية .

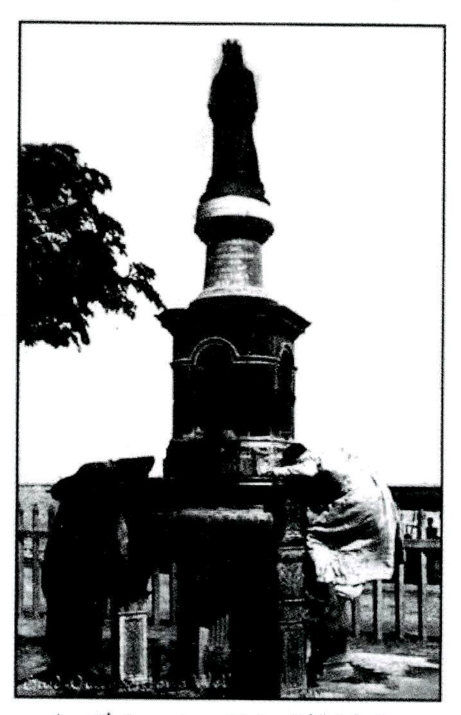
وكان شارع الميناء يمثل نبض بورسعيد ومصر فكان ملوك مصر وأمرائها وكبار رجالاتها يفضلون السفر من ميناء بورسعيد عن السفر عن طريق ميناء الأسكندرية فكانت أول زيارة رسمية للملك الشاب فاروق الأول لبورسعيد فى ٢٧ مارس ١٩٣٧ عندما توجه إلى أوربا ترافقه والدته الملكة نازلى وشقيقاته الأميرات حيث زار إيطاليا وفرنسا وسويسرا . وفى مدينة سان موريتز قام بالتزحلق على الجليد وكان فى استقباله فى بورسعيد محافظ القنال محمد السيد شاهين بك وأعيان بورسعيد .

كما كانت الشركات الملاحية تهتم بالمرور الأول لإحدى السفن التابعة لها فكانت تقيم الحفلات والزينات بتلك المناسبة وكان أهل بورسعيد يصطفون على طول شارع الميناء لمشاهدة المرور الأول للبواخر .

فمثلاً شركة P&O تحتفل بالمرور الأول لسفينة الركاب العملاقة ، الهيملايا ، والتى أبحرت من إنجلترا فى السادس من أكتوبر ٤٩ متجهه إلى أستراليا فى رحلة مدتها ٢٨ يوماً . وشركة المساجيرى مارتيم تحتفل بمرور الباخرة ، فرديناند دى ليسبس ، من قناة السويس فى الثامن من أكتوبر ١٩٥٢ .

أما إذا مرت باخرة حربية من ميناء بورسعيد فتطلق مدافع طابية السلام ٢١ طلقة تحية لمرور هذه القطعة البحرية على طابية السلام . ففى يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ مرت الباخرة جان دارك (مدرسة حربية بحرية فرنسية) وكانت الباخرة الحربية ترد عليها بإطلاق ٢١ طلقة وقد استقبلها فى ميناء بورسعيد سفير فرنسا فى القاهرة مسيو كوف دى مورڤيل .

وبعد قيام الثورة أطلق على هذا الشارع تسميتان : شكرى القوتلى نسبة إلى رئيس الجمهورية السورية الذى حقق الوحدة مع مصر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ ، وعرف بعد ذلك بشارع فلسطين .



تمثال الملكة ڤيكتوريا وكان يعرف بسبيل ڤيكتوريا

الفصل الرابع
رصيف دى ليسبس

لم يكن لرصيف دى ليسبس بشكله الذى نعرفه أى وجود قبل ١٧ نوفمبر سنة ١٨٩٩ وهو تاريخ احتفال شركة قنال السويس بالعيد الثلاثينى لافتتاح القنال وأزاحة الستار عن تمثال دى ليسبس .

لقد كان هذا الرصيف من قبل عبارة عن حاجز الأمواج الغربى(١) لقناة السويس وكان الغرض من إنشاء هذا الحاجز هو حماية قناة السويس من طمى النيل والرمال التى كانت تجرفها التيارات البحرية عبر البحر الأبيض المتوسط وقد تم التفكير فى إنشاء هذا الحاجز فى العام الأول للحفر سنة ١٨٥٩ (أنظر الباب الخامس) .

وأراد المسئولون بشركة قنال السويس تجميل مدخل مدينة بورسعيد وتحويل هذا الحاجز الحجرى غير المنتظم إلى رصيف بحرى جميل يطل على الميناء وقناة السويس والبحر المتوسط وذلك لتشجيع محبى الرياضة والتنزه والاستمتاع بالهواء النقى وفى نفس الوقت أرادت شركة قنال السويس أن تخلد دى ليسبس صاحب إمتياز قناة السويس فتنشئ له تمثالاً كبيراً على هذا الرصيف يطل على المدخل الشمالى لقناة السويس وأسندت عملية تنفيذ هذا التمثال للمثال الفرنسى (٢) Emmanuel Fremiet وهوتمثال كامل لدى ليسبس وهويرتدى عباءة ورافعاً يده اليمنى مرحباً بمرور السفن ممسكاً بيده الأخرى خريطة مشروع قنال السويس .

وقد أسندت شركة قنال السويس عملية تجميل هذا الرصيف للمقاول الإيطالى البرتى Alaebtti فاستعان بعمال مصريين وتم عمل فتحات أسفل هذا الرصيف كما تم إنشاء سورين قصيرين من الحجر ليتمكن المتنزهون من الجلوس فوقهما وفى الماضى كانوا يعتبرون أن هذا الرصيف إمتداداً لشارع رصيف دى ليسبس لأن هذا الأخير كان فى مستوى الشارع .

ومن المراجع التى لدى ثلاثة وصفوا لنا هذا الاحتفال بصفتهم حضور له أولهم ديمتريوس خالدوبيس صـ ٩٨ تحت عنوان (إزاحة الستار عن تمثال ديليسبس) قائلاً : « فى نهاية سنة ١٨٩٩ مدينتنا بورسعيد احتفلت بإزاحة الستار عن التمثال البرونزى الضخم لدى ليسبس والذى يبلغ وزنه ١٧٠٠٠ كج والذى وصل لميناء بورسعيد فى الأول من أكتوبر١٨٩٩ مفككاً داخل تسعة صناديق على ظهر الباخرة « دوق اوف باكنجهام » Duc Of Bucingham .

وفى ١٢ أكتوبر ١٨٩٩ وصل من فرنسا الكونت دى سريون نائباً عن مجلس إدارة شركة القنال للترتيب لإعداد حفل إزاحة الستار عن التمثال والتى قدر لها ثلاثة أيام إعتباراً من ١٧ نوفمبر إلى ٢٠ نوفمبر ١٨٩٩ وانتظرته الباخرتان « الهند » و « ملبورن » التابعتان لشركة المساجرى مارتيم وأعدتا لنقل الضيوف لهذا الحفل . صمم هذا التمثال المثال « فرميه » .

وكل ما أتذكره عن هذا الحفل ما ذكر فى الجورنال اليونانى سيندزموس الذى واكب صدوره إقامة هذا الحفل لقد تكفلت شركة قنال السويس بكافة مصاريف ونفقات إقامة هذا التمثال (الذى كان مسار إعجاب كافة سكان مدينة بورسعيد) لقد وجهت شركة القنال الدعوة لثلاثة آلاف مدعو من داخل مصر ومن العالم أجمع باعتبار أن دى ليسبس فجر أعظم حدث فى القرن التاسع عشر .

وقد وصل إرتفاع هذا التمثال من سطح البحر حتى نهاية قمته ١٩,٥ متراً محسوبة كالآتى :

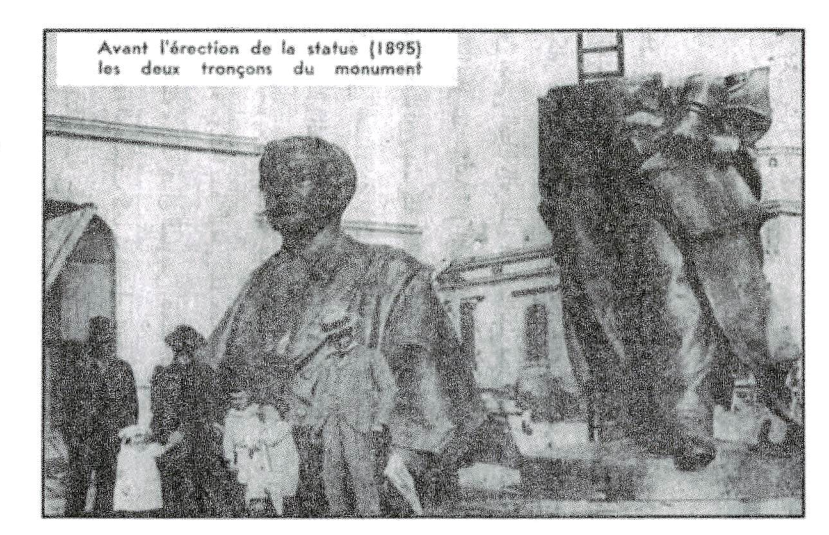
- القاعدة البحرية إبتداء من سطح البحر ٢,٦٢ متراً
- الجزء الأسفل من التمثال ٤,٣٠ متراً
- القاعدة الحجرية الموضوع عليها التمثال ٩,٤٠ متراً
- الجزء الأعلى من التمثال (حتى الرأس) ٢,٨٠ متراً
- قاعدة التمثال البرونزية ٤٠سم
- فيكون إجمالى طوله بالضبط ١٩,٣٥ متراً .

أما وجه دى ليسبس فيطل ناحية الجنوب الشرقى للميناء ويمد يده مرحباً بالسفن لدخول الميناء ، وعلى قاعدة التمثال الحجرية وضعت لوحة برونزية كتب عليها باللاتينية Aperire Terram Gentibus ومعناها نفتح الأرض لجميع الدول . وقد تحدد يوم ١٧

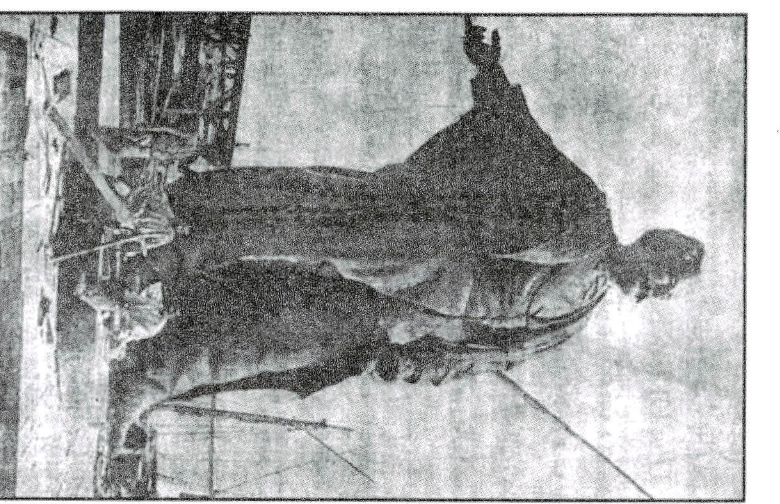
---

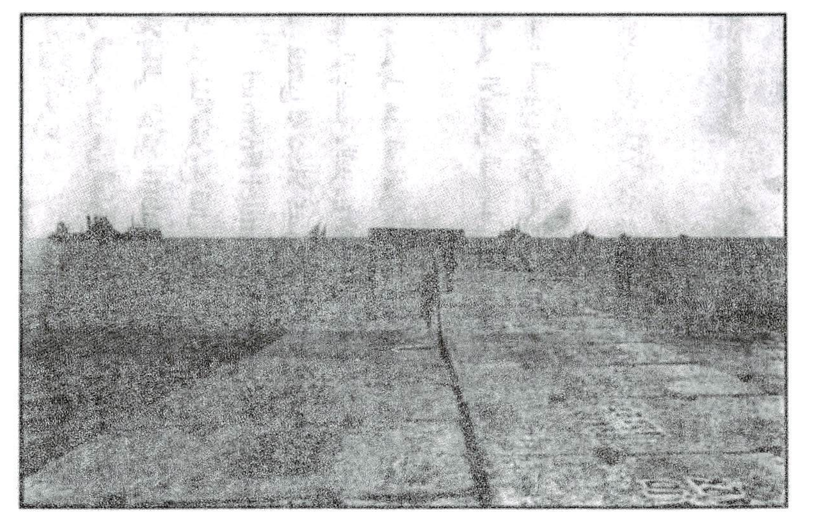
(١) صنعت ورشة ديسو مائتين وخمسين الف متر مكعب من الصخور الصناعية بالوسائل العلمية زنة البلك الواحد ٢٠ طناً وبدء فى إلقاء تلك الصخور كحاجز غربى للأمواج فى أغسطس ١٨٦٥ حيث بدء من النقطة الواقعة فى شمال الجزيرة الصناعية والمرسى المؤقت (انظر صـ ٦٩) وتم الإنتهاء منهذا الحاجز فى أوائل سنة ١٨٦٩ فى حفل كبير وكان طول الحاجز الغربى ٢٥٠ متراً وبا رتفاع مترين .

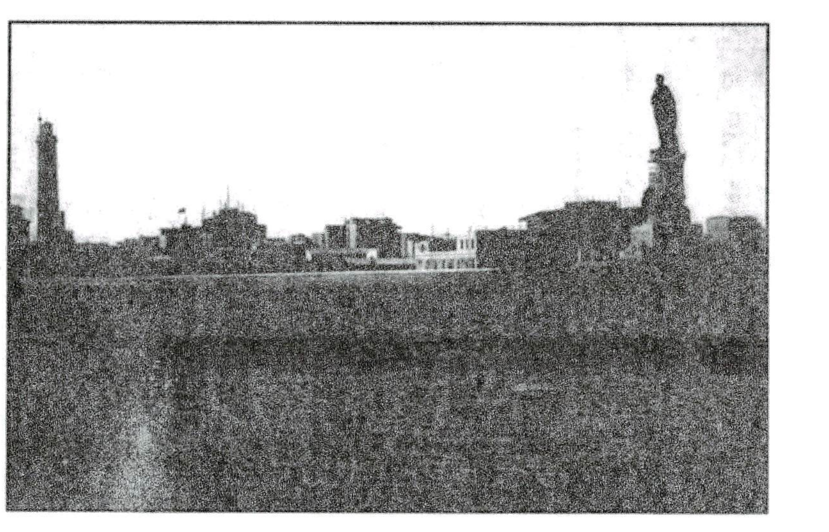
(٢) ولد فى باريس ١٨٢٤ وتوفى ١٩١٠ وسبق له أن صمم تمثال جان دارك بميدان الاهرامات بباريس وتتلمذ على يد الفنان الفرنسى Rude.

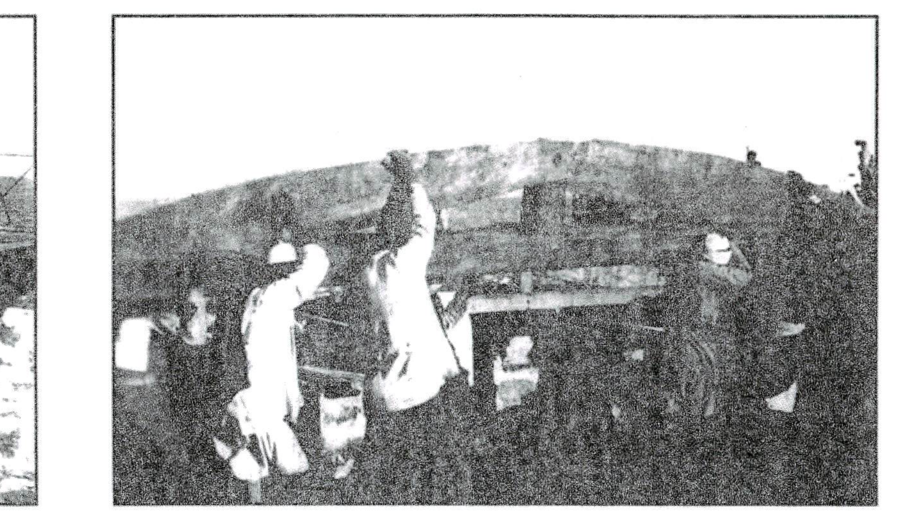


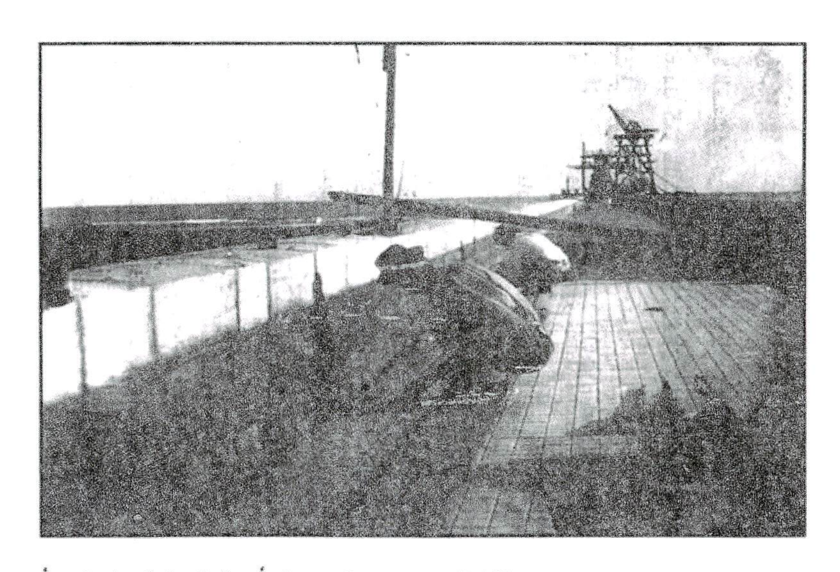
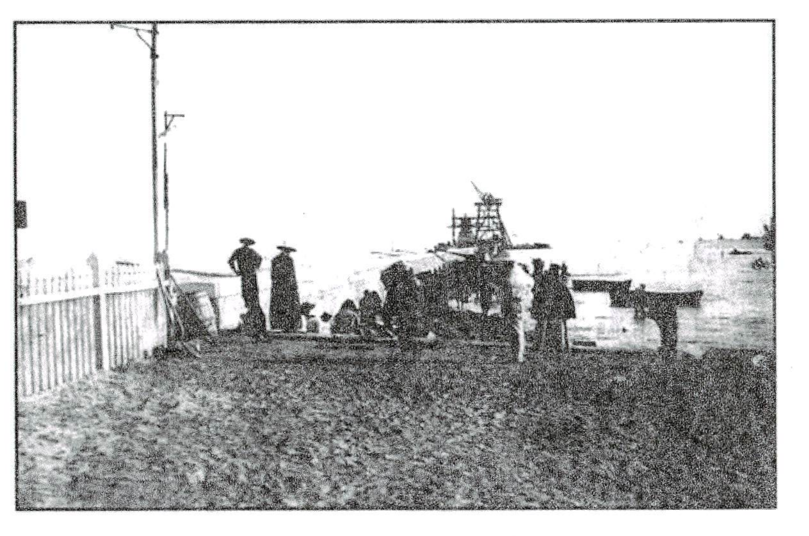
التمثال المفكك عند وصوله لميناء بورسعيد


تمثال دى ليسبس بعد تجميعه وقبل رفعه على قاعدتة الحجرية


الكتل الحجرية التى كانت تصنعها ورشة ديسو وكانت ترص مرقمة بجوار بعضها


رصيف دى ليسبس بعد إزاحة الستار عن التمثال وقد ظهرت الفتحات الموصلة بين البحر والقنال



عملية إنشاء رصيف دى ليسبس وابتدأت بالبواكى او الفتحات التى بأسفل رصيف دى ليسبس والموصلة بين البحر المتوسط وقنال السويس والتى تم سدها فيما بعد

نوفمبر موعداً لإزاحة الستار عن التمثال وكان أول المدعوين لهذا الاحتفال خديو مصر ليعطى إشارة بدء الاحتفال وقد طلب الخديوى من الشركة أن لاتعامله بصفته الرسمية بل أنه سيحضر الحفل كأى مواطن عادى .

وقد استعدت الجالية اليونانية فى بورسعيد إستعداداً عظيماً لزيارة الخديوى فرفعت الأعلام على جميع المبانى التى يمتلكها اليونانيون كذا مدارسها وكنيستها ومحلاتها ولم ترض بأن يكون استقباله عادياً كما طلب .. وهذا الاستعداد الجميل من الجالية اليونانية أجبر باقى الجاليات الأجنبية فى بورسعيد بأن تقيم الزينات وظهرت بورسعيد فى أبهى حللها .

وكان وصول الخديوى عباس حلمى لبورسعيد قادماً من الإسماعيلية فى ليلة ١٦ نوفمبر على ظهر القاطرة البحرية « تيتان » التابعة لشركة القنال . أما اليخت المحروسة فكان قد وصل قبلها بيومين إلى ميناء بورسعيد قادماً من الإسكندرية وألقى الأنكور بجوار مبنى الجمرك .. وبات الخديوى ليلته باليخت .

وأخذ الاحتفال فى شكله الطابع المصرى الرسمى وقد مثل فى هذا الحفل مندوبين عن الدول الأوربية وكان أول من وصل لهذا الحفل « البرنس دارنبرج » رئيس مجلس إدارة شركة القنال السابق وحرمه ثم G. Pzeit رئيس شركة اللويدز واللورد كرومر المعتمد البريطانى فى القطر المصرى ورجاله من السلك الدبلوماسى وجميع قناصل الدول الأجنبية فى بورسعيد وجميع أساقفة كنائس مصر ومحافظ عموم القنال (حسين واصف بك) وغالبية محافظى مصر ومندوبى الصحافة المصرية والأجنبية وكبار ضباط الجيش المصرى والبريطانى وحضر من الإسكندرية صديقى الصحفى اليونانى سوتر رئيس تحرير جريدة Meta Zythmisis واحتل مكاناً مرموقاً بين زملائه فى الصدارة بين الرسميين فى المنصة التى أعدت فى المياه أمام التمثال .

وفى الساعة التاسعة من صباح ٧ نوفمبر بدأ الاحتفال بخطبة قصيرة من الخديوى عباس حلمى ومن بعده ألقى البرنس دارنبرج كلمة ثم Vogé الذى سرد تاريخ حياة المشروع أما آخر المتحدثين فكان شارل بن دى ليسبس الذى شكر جميع الحاضرين نيابة عن عائلة دى ليسبس التى حضرت جميعها حفل إزاحة الستار وقامت جميع الفرق الموسيقية فى بورسعيد فى إحياء هذا الحفل فرق الليرا والإنترناسونال (الإيطالية) وإفترا (اليونانية) بالإضافة للموسيقات العسكرية المصرية التى عزفت المارشات العسكرية وأعقب ذلك عزف السلام الخديوى والملكى البريطانى والجمهورى الفرنسى .

وقد استغرق هذا الاحتفال ساعتين بعدها غادر الخديوى عباس مكان الاحتفال وسط التصفيق والهتافات واصطحب معه البرنس دارنبرج والوزراء لمأدبة غذاء على ظهر اليخت المحروسة ومكثوا فى ضيافته يومى ١٧ ، ١٨ نوفمبر .

أما باقى الرسميين من المدعوين فوجهت لهم الدعوة للغذاء ولحفلات راقصة على ظهر الباخرة « الهند » أما عمال شركة القنال فنظمت لهم الشركةمأدبة غذاء كبيرةفى مخازن ورش شركة القنال التى تحولت إلى صالونات وحضر لهم البرنس دارنبرج وبصحبته شارل دى ليسبس وكبار المسئولين فى الشركة وألقى فيهم خطبة أما شارل دى ليسبس فلم يستطع أن يلقى كلمة لأنه أجهش بالبكاء عندما تذكر والده وقام باحتضان أقرب عامل له وقبله وقال له إن تلك القبلة لجميع عمال الشركة القدامى والجدد (كان العمال يطلقون على دى ليسبس الأب الكبير) وانسحب شارل من صالة الاجتماع متأثراً من تلك الحفاوة بوالده . وقد أعد الغذاء الفخم للعمال أثنين من أكبر مطاعم بورسعيد فى ذلك الوقت أشهرهم مطعم لامبريس وهو يونانى كان يشغل وظيفة ريس عمال بشركة القنال وبإحالته للمعاش افتتح هذا المطعم .

وقبل أن أنهى حديثى تذكرت أنه أثناء حفل إزاحة الستار انتهز أحد العمال تلك الفرصة وقدم مظلمة يطلب فيها تعويضاً أو معاشاً عن فقد يده التى أقعدته عن العمل وحرمته من الكسب فتم قبول تلك الشكوى وصرف له تعويضاً قدره ٣٠٠٠٠ فرنك (الفرنك كان فى ذلك الوقت قيمته عالية جداً) . إلى هنا انتهى حديث خالدوبيس فى وصف هذا الاحتفال .

أماجورج سلطانكى فذكر تفاصيل هذا الحفل فى كتابه تاريخ مدن القنال صـ ٧٩ بعنوان « العيد الثلاثينى لافتتاح قنال السويس » وتكاد تكون تفاصيل هذا الاحتفال تماثل ما كتبه زميله خالدوبيس إلا أنه أضاف الآتى : كان ضمن الضيوف الأمير « فالدڤار » ولى عهد الدنمارك كما أضاف أنه كان من ضمن الحاضرين العالم فونجيه الذى حضر مندوباً عن الأكاديمية الفرنسية فى باريس . كما أضاف بأن مدفعية طابيةالسلام أطلقت مدافعها إيذاناً ببدء الاحتفال كما أضاف بأن الذى أزاح الستار عن تمثال دى ليسبس أثنان من أقدم عمال شركة القنال من اليونانيين الذين اشتركوا فى حفر القناة أحدهما من جزيرة كاسوس والثانى من جزيرة ساموس . كما أضاف أنه عندما أتى المساء أضيئت أغلب المبانى الخاصة والعامة وأطلقت الألعاب النارية وكان أغرب تلك الألعاب التى كتبت فى السماء تاريخ الافتتاح ١٨٦٩ وتاريخ الإحتفال ١٨٩٩ .

أما أحمد شفيق باشا رئيس ديوان الخديوى عباس حلمى فقد وصف هذا الاحتفال في كتابه « مذكراتى فى نصف قرن » الجزء الثانى صـ ٣١٤ بعنوان « رفع الستار عن تمثال دولسبس ببورسعيد » بطريقة أخرى ذاكراً الآتى :

« كانت قد وصلت إلى سمو الخديو وهو فى أوربا دعوة من اللجنة التى ألفت للاحتفال برفع الستار عن تمثال فردينان دولسبس صاحب مشروع قناة السويس فى مصر ليكون الاحتفال بتشريف سموه وحضوره فرد جنابه بالقبول . وكان قد تعين يوم ١٧ نوفمبر لإجراء هذا الاحتفال . ففى يوم ١٦ منه سافر سموه ومعه رجال المعية والنظار من الإسكندرية إلى بورسعيد وعند وصولنا الإسماعيلية ركبنا باخرة أعدتها الشركة لنقل الخديوى وحاشيته وركب معنا المحافظ ورئيس الشركة ووفد من أعضائها وكانوا فى الانتظار فوصلنا إلى بورسعيد مساء وهناك انتقلنا للمحروسة التى كانت فى انتظارنا .

وفى صباح اليوم الثانى كانت اللجنة قد أعدت مكان الاحتفال بأن صفت بعضها بجانب بعض ووضعت فوقها ألواح أفقية من الخشب فى مساحة سعتها مائتين ٢٠٠ x ٥٠ متراً ووضعت منصة للخطابة بالقرب من التمثال الذى أقيم على قاعدة وسط الماء ومدت إلى الشاطئ بحاجز لتخفيف الأمواج وصفت المقاعد على هذا السطح على هيئة مدرج .

وشهد الاحتفال من أسرة دولسبس قرينته الكونتيسة دولسبس وولده شارل دولسبس وقرينته وعدداً آخر من أولاد دولسبس وبناته. وقد شرف سموه الاحتفال فى الساعة التاسعة وكان قد سبقه إليه الغازى مختار باشا والبرنسات عمر طوسون وعزيز بك حسن والنظار (رئيس النظار مصطفى فهمى باشا وحسين فخرى وبطرس غالى وأحمد مظلوم ومحمد عبانى وإبراهيم فؤاد) وبعد مراسيم الاستقبال إستأذن رئيس مجلس إدارة الشركة البرنس دارنبرج من سمو الخديو برفع الستار عن التمثال فأذن له وعند ئذ صدحت الموسيقى وعلا التصفيق من كل جانب ووقف الخديو فألقى الكلمة الآتية :

« أيها السادة ، إنكم تعلمون جمعياً تاريخ حفر ترعة السويس البحرية والمنافع الجمة التى عادت منها على العالم بأسره . وقد مضى اليوم ثلاثون عاماً على اليوم الذى تمكن فيه فردينان دولسبس بقوة ذكائه وعالى همته من تحقيق أمنية طالما تعلقت بها الآمال قبله وهى وصل البحرين الأبيض والأحمر ولذلك هنأه العالم المتمدين وشكره فى مهرجان بهاؤه وأبهته حاضرين فى الأذهان فكان ذلك خير تمجيد لعمل عظيم مثل هذا إلا أنه كان من الواجب أيضاً بعد وفاته تخليد ذكراه بنقل صورته إلى الخلف .

ويسرنى أن أرى شركة الترعة قد قامت بهذا الواجب وأشكر مجلس إدارتها على دعوتى لهذا الاحتفال فإنه ساعدنى على اتباع سنة أبائى الفخام نحو هذا الرجل العظيم بأن أحضر بنفسى وأشاركم فى تعظيم قدره بإقامة هذا التمثال » .

ولما أتم سموه إلقاء خطبته صافح الجميع وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى ومثل بين يديه رئيس مجلس إدارة الشركة فألقى خطبة جاء فيها :

« إن وجود سموكم فى هذا الاحتفال وما نطقتم به من العبارات يبعث ألسنتنا بالشكر والثناء الجميل .

إنكم يا مولاى أقتفيتم آثار أجدادكم وسلكتم سبيلهم فأتيتم بما يدل على اهتمامكم السامى بالعمل العظيم والأثر المخلد الذى تم فى عهد ساكنى الجنان المغفور لهما سعيد باشا وإسماعيل باشا بواسطة فردينان دولسبس .

إن هذا العمل العظيم ينمو ويتسع نطاقه كل يوم وتزداد أهميته شيئاً فشيئاً لربط أحوال العالم بأسره فكأن ساكنى الجنان محمد سعيد باشا قد قرأصحيفة المستقبل حينما طلب أن تكون شركة قناة السويس شركة عمومية ونحن نجتهد فى أن تكون هذه صبغتها على الدوام لما يترتب على ذلك من الفائدة للعالم بأسره .

ولقد قلتم يا مولاى ذات يوم : (ان مصر الحارسة الطبيعية لقنال السويس) وأنه ليبدو لى من خلال هذه الكلمات اثر اتجاه رغائبكم الشريفة إلى إبقاء ما كان عليه أجدادكم من أن يكون القنال صلة ما بين الشرق والغرب وكفالة للسلم وللحرب لجميع الشعوب » .

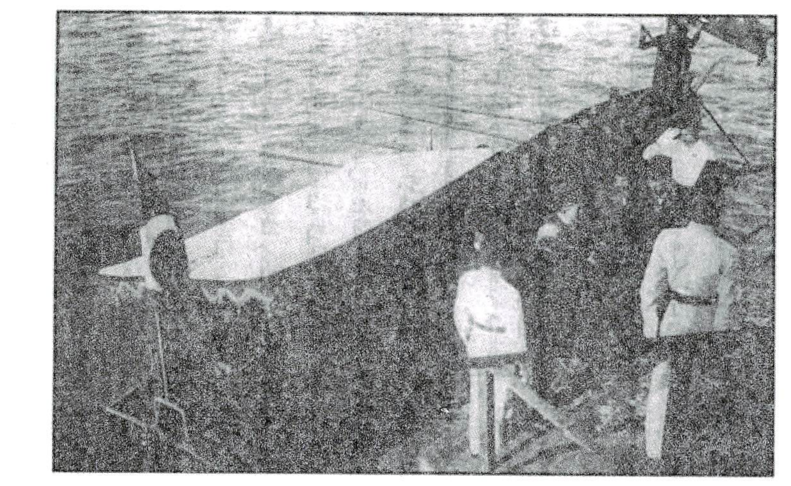
ثم نوه بحسن رعاية سموه وعنايته وشكره على التفضل بالحضور وذكرت عبارات الإخلاص ، وبعد ذلك ألقى المسيو « دوفوجيه » خطبة فى تاريخ القناة وأعقبه دولسبس نجل صاحب التمثال شاكراً . ثم انفض الاحتفال وعدنا إلى اليخت .

وفى المساء كانت الشركة قد زينت إدارتها بالميناء بالأنوار والأعلام وتمت دعوة نحو ثلاثمائة إلى حفلة تقام على أحد وابورات الشركة .

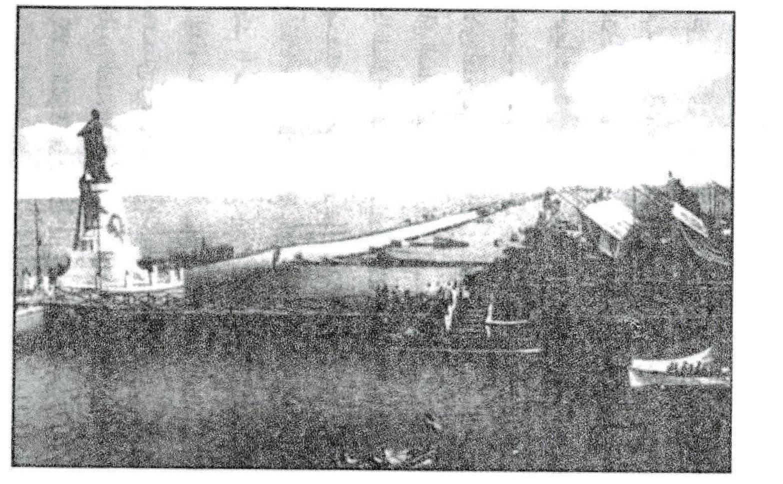
وعند الساعة العاشرة ذهبنا مع الخديو إلى الحفلة فبقينا إلى منتصف الليل وفى الصباح غادرنا بورسعيد إلى القاهرة .

وفى ١٩ نوفمبر قلد عباس بيده النيشان المجيدى فى الدرجة الأولى البرنس دارنبرج .

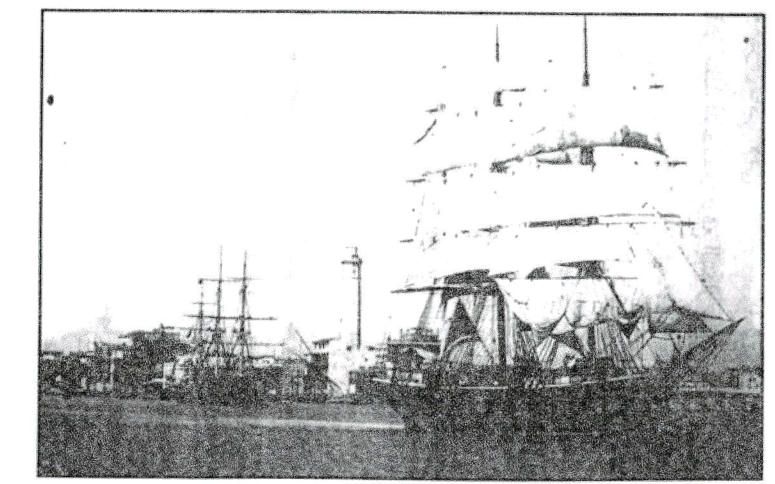
وفى يوم ٤ ديسمبر دعا الخديو أفراد عائلة دولسبس لتناول الغذاء بسراى القبة وقد انتهزت هذه الفرصة ودعوت شارل دولسبس وقرينته



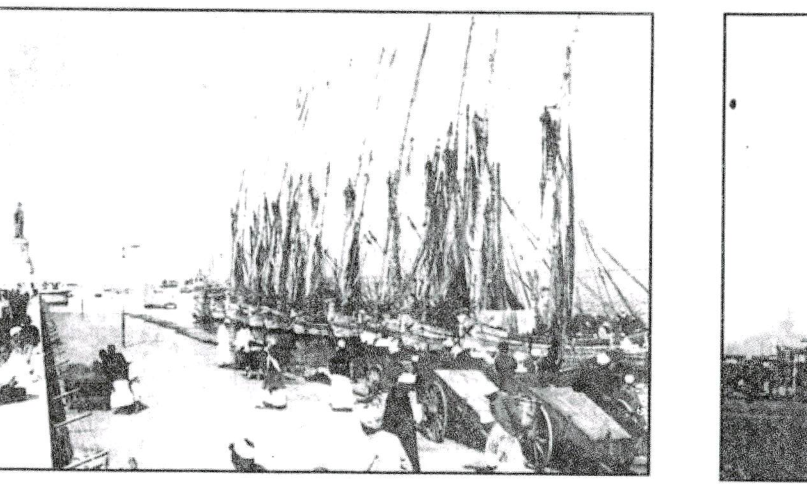
وصول الخديوى عباس حلمى الثانى إلى سرادق حفل إزاحة الستار عن تمثال دى ليسبس



منصة الإحتفال بإزاحة الستار عن تمثال دى ليسبس



احدى المراكب الشراعية التى كانت ترد محملة بالبضائع من الشام أمام سلخانة بورسعيد وحاجز الأمواج الغربى



ميناء الصيد قبل نقلة إلى مكانة الحالى

لتناول الغذاء وتحادثنا معا فى شئون مصر السياسية فأدهشنى أن أسمع منه أنه خير لمصر أن تهادن الانجليز وألا تسعى فى مناوأتهم .

وأصبح رصيف دى ليسبس متنزهاً للعائلات ولمحبى الرياضة باعتباره ناصية مدينة بورسعيد والتقاء أهم شارعين فى بورسعيد فى ذلك الوقت شارعى فرنسوا جوزيف وشارع كتشنر .

وفى أوائل سنة ١٩٢٣ تم سد الفتحات التى أسفل رصيف دى ليسبس نظراً لانتقال طمى النيل عبر البحر الأبيض ليلقى فى القناة فكانت شركة القنال تتكلف الكثير من أجل تطهير هذا المكان من القناة بواسطة الكراكات .

إلا أن إغلاق هذه الفتحات سببت مضار أخرى وهذا ما أوضحته محاضر مجلس بلدى بورسعيد ، ففى جلسة مجلس بلدى بورسعيد فى ٧ يوليو سنة ١٩٢٣ تليت المذكرة التالية : « لوحظ أنه على أثر قفل فتحات رصيف دى ليسبس قد تكاثرت الرمال غرب رصيف دى ليسبس والهواء يقذف به فوق هذا الرصيف وذلك يضايق المتريضين » .

وفى اليوم التالى لجلاء القوات البريطانية الفرنسية عن أرض بورسعيد (٢٤ يوليو ١٩٥٦) قام الفدائيون بنسف تمثال دى ليسبس وهناك آراء كثيرة حول وضع قاعدة دى ليسبس :

رأى يرى أن يعاد تمثال دى ليسبس لمكانه الأصلى وحجة أصحابه أن هذا التمثال جزء من التاريخ ولهم حجة أخرى أن كثيراً من الدول التى كانت فى الماضى تحت نظام الحكم الملكى وتحولت إلى جمهوريات تبقى آثار ملوكها فى أماكنها فمثلاً فى فرنسا ما زالت تماثيل أسرة البربون فى مكانها وأهمها تمثال لويس السادس عشر .

والرأى الآخر يرفض بشدة عودة تمثال دى ليسبس إلى مكانه الأصلى باعتباره إمتص دم الشعب المصرى واستخدم السخرة فى حفر القناة، وأن هدم التمثال كان بإرادة الشعب البورسعيدى فلا يمكن لأحد أن يقف أمام إرادة الشعب وهذا الرأى ينادى بوضع تمثال للفلاح المصرى رمز مصر .

أما رأيى فوسط بينهما فمكان هذا التمثال هو حديقة المتحف تثبت بجواره لوحة تكتب فيها كيف استغل دى ليسبس الشعب المصرى وخيانته له فى تمكين القوات البريطانية من خرق حياد القناة واحتلال مصر .

فكرة إنشاء تمثال الحرية عند مدخل القناة

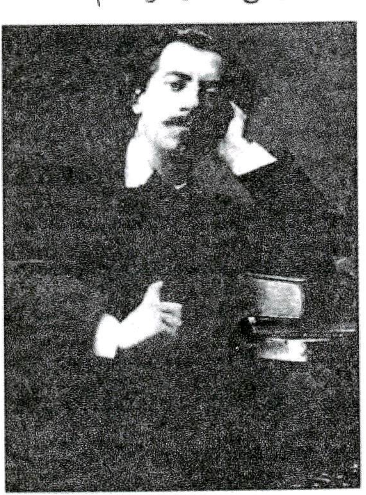
لما عادت الإمبراطورة أوجينى لبلادها بعد إنتهاء حفلات افتتاح قناة السويس أوصت المثال الفرنسى (الإيطالى الأصل) بارتولدى Bartholdi بصنع تمثال ليوضع فى مدخل قنال السويس فى الطرف الشمالى وانتهى المثال من صنع التمثال الذى يبلغ إرتفاعه ٤٦ متراً وهو يمثل سيدة ترمز للحرية تحمل فى يدها شعلة .

وقبل تنفيذ إقامة هذا التمثال قامت الحرب السبعينية بين فرنسا وبروسيا وتوالت الأحداث بسرعة وانتهت بهزيمة فرنسا ودخلت القوات البروسية باريس بقيادة الجنرال ڤون مولتكه وأسرت الإمبراطور نابليون الثالث وهربت أوچينى ونجلها لويس نابليون إلى انجلترا .

وبقى التمثال إلى أن قامت الرابطة الفرنسية الأمريكية بإهدائه للولايات المتحدة الأمريكية تقديراً وتعبيراً منها لحرية الشعوب فوضع على قاعدة إرتفاعها ٤٥ متراً عند مدخل نيويورك ليطل على المحيط الأطلنطى بارتفاع ٩١ متراً

وفى يوليو ١٨٨٦ (العيد القومى الأمريكى) أزيح الستار عن هذا التمثال فى احتفال هز العالم كله .





صورتان من ارشيف مكتبة الكونجرس الأمريكى لماكيت تمثال الحرية كان معروضاً فى أحد الميادين والمثال بارتولدى

الفصل الخامس

شارع محمد على والمحروسة

شارع الشهداء

يعتبر شارع محمد على هو الحد الفاصل بين نوعين من المدنيات المدنية الشرقية بعاداتها وتقاليدها الأصيلة متمثلة فى قرية العرب ، والمدنية الغربية ببريقها ولمعانها الزائفين المتمثل في حي الإفرنج .

ويعتبر شارع محمد على بحق شارع النضال على مر التاريخ البورسعيدى (كما سنرى فى الباب الثامن) وسوف نلاحظ أن شارع محمد على كان لهِ دوره سنة ١٨٨٢ عندما احتلت إنجلترا القناة ثم مصر .. وفى الحرب العالمية الأولى وبالتحديد فى صباح أول سبتمبر ١٩١٦ قصفت الطائرات الألمانية والتركية بورسعيد وكانت أكبر الخسائر فى شارع محمد على بالقرب من قهوة البسفور وفى ثورة ١٩١٩ وبالتحديد فى يوم الجمعة ٢١ مارس ١٩١٩ روت دماء الشهداء والجرحى تراب هذا الشارع ، وأثناء حكم اسماعيل صدقى الجائر وبالتحديد ٢١ يوليو ١٩٣٠ تصدت قوات البوليس الإنجليزى برئاسة الحكمدار الإنجليزى Henn للمتظاهرين واستمرت المظاهرات حتى ٢٣ يوليو ١٩٣٠ وسقط ٨ شهداء وجرح ١٢٠ ولم تهدأ الحالة إلا بوصول بارجتين حربيتين بريطانيتين لميناء بورسعيد وخلال معارك القناة التى بدأت ١٣ أكتوبر ١٩٥١ وانتهت ٢٥ يناير ١٩٥٢ سقط عشرات الشهداء وجرح المئات وكان يوم ١٦ أكتوبر يوماً مريراً وكان أصغر شهداء هذا اليوم هو الشهيد البطل نبيل منصور والذى سقط شهيدا وهو يحرق معسكر الجولف كامب .. وخلال معركة بورسعيد سنة ١٩٥٦ سقط المئات من الشهداء وجرح الآلاف وخلال حرب أكتوبر ٧٣ كانت الصواريخ المحملة على ظهر العربات تنطلق من شارع محمد على لتسقط الطائرات الإسرائيلية المغيرة .



الشهيد نبيل منصور

وهذا الشارع يبدأ من جنوب المدينة عند الرسوة وينتهى عند شارع أوچينى ثم يبدأ شارع المحروسة من شارع أوچينى وينتهى شمالاً .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٢٧ تم إطلاق إسم الوالى محمد على على شارع المحروسة لأنه إمتداد لشارع محمد على ليكون الشارع من شماله إلى جنوبه يطلق عليه شارع محمد على . وبعد العدوان الثلاثى أطلق على هذا الشارع إسم شارع الشهداء .

ولما نشأت نواة المدينة (حى الإفرنج) فى سنة ١٨٥٩ إمتد العمران غرباً فظهرت قرية العرب (حى العرب) سنة ١٨٦٢ كان يفصل بينهما قطعة أرض فضاء كانت المياه تغمرها فى أغلب أوقات السنة وكان الاتصال بين الحيين يتم بواسطة فلايك . وفى سنة ١٨٨٥ أصبحت تلك المنطقة جافة تماماً وقامت شركة القنال ببيع أراضى تلك المنطقة بعشرين فرنكاً فرنسياً للمتر الواحد (بما يوازى ٨٠ قرشاً) وقسط ثمن هذه الأرض على ١٥ سنة وعرف هذا الفاصل فيما بعد بشارع محمد على وقام دى ليسبس بتجميع أبناء جزيرة كاسوس فى منطقة واحدة عرفت بحارة الكاشوتيه فى جزء من شرق هذا الشارع .

ويبدأ هذا الشارع من جهة الجنوب عند الرسوة وفى أول عهد المدينة كانت هذه البقعة ترسو عندها السفن (حوض الملاحة للقنال الداخلى) لذلك أطلق عليها الرسوة وكانت بها ورش لإصلاح وصيانة السفن الصغيرة والمراكب وكانت هناك قناة موصلة من حوض القنال الداخلى إلى قناة السويس لذلك وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى ١٢ ديسمبر ١٩٢٧ أرسل وكيل عام شركة قنال السويس للمجلس يحيطه علماً ، بعزم شركة القنال إنشاء كوبرى عوام فوق القنال الداخلى لمرور من سيسيرون فى طريق بورسعيد الإسماعيلية

وسيتم تركيبه خلال خمسة أو ستة أسابيع فى نفس الموقع الكائن فيه المعدية التى ستستخدم أرصفتها كأرصفة للكوبرى المزمع إنشائه » .

وفى يوليو سنة ١٨٥٩ أنشأ دى ليسبس أول فنار خشبى ليساعد السفن المحملة بأدوات الحفر بمكان الميناء المرتقب وكان مكان هذا الفنار فى منطقة الرسوة التى لم تكن بعيدة عن شا طئ البحر فى ذلك الوقت وظل هذا الفنار قائماً لفترة طويلة حتى الثلاثينات .

ومنطقة الرسوة بها محطة تنقية المياه . وفى سنة ١٨٩٤ قامت شركة قنال السويس ببناء خزانات للمياه العذبة لإمكان توزيع مياه الترعة الحلوة على مساكن المدينة طبقاً لنظرية الأوانى المستطرقة وقام بتنفيذ هذه الخزانات المهندس Kastelnous وأكمل هذا المشروع من بعده المهندس فراخليس .

وجنوب الرسوة أنشئ طريق المعاهدة (نسبة لمعاهدة ١٩٣٦) لربط مدن القناة . ومنطقة الرسوة دخلت التاريخ فى الخامس من نوفمبر ١٩٥٦ حيث أسقطت كتيبة مظلات فرنسية قوامها ٦٠٠ ضابط وجندى بقيادة النقيب « فورمينية » فاحتلت وابور المياه وتصدت لها قواتنا المتمركزة فى الرسوة بقيادة الملازم أول إحتياط السيد محمد أبو عاشور .

وفى تلك النقطة ظهرت بطولات كثيرة أهمها بطولة الصاغ مهندس أحمد شوقى خلاف (كان من ضمن فريق التأميم فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦) كما سقط فيها البطل الطالب الشهيد على رزق سكرانه .

وبعد أن استغنت البواخر العابرة للقناة عن الفحم وحل البترول محله فى أوائل هذا القرن ، أنشأت شركات البترول العالمية (شل واسو وسكونى فاكوم ...) خزانات البترول فى منطقة الرسوة وكانت أول مصرية تعمل فى مجال البترول أمينة لهيطة أبنة محمد بك لهيطة لتكمل مشوار والدها وكان الحد الشرقى لتلك المنطقة حوضاً بالميناء عرف بحوض المواد الملتهبة بل كانت شركة ورموس تورد البترول الخام للمجلس البلدى كما أوضحه محضر ٢٢ديسمبر ١٩١٧ وعلى الأرض الواقعة غرب هذا الشارع أقيمت عدة أندية أولها نادى بوليس القنال وأسرد ما قصه علىّ والدى المرحوم الحاج حسن حسن القاضى (وكيل قسم جوازات بورسعيد) الذى لعب مساعداً أيسراً لهذا النادى قائلاً : « كان النادى المصرى هو النادى الوحيد فى بورسعيد الذى يحمل الجنسية المصرية إذ كان منافسوه فىَ بورسعيد نواد أجنبية نادى إسبريا اليونانى ونادى ڤرتوس الإيطالى ونادى الإشكربية الفرنسى ونادى إيبيس المالطى وفريق الجيش البريطانى ونادى كيكلوبس يونانى درجة ثالثة . لذلك فكر القائمون على الرياضة فى بورسعيد وعلى رأسهم محافظ القنال حسن فهمى بك رفعت مشجع كرة القدم « وكيل إتحاد كرة القدم » على تكوين نادى مصرى شقيق للنادى المصرى إلا أن تلك الفكرة لم تنفذ إلا فى عهد محافظ القنال عباس سيد أحمد بك وكانت محافظة القنال تتبعها حكمدارية القنال أكبر المصالح الحكومية فى ذلك الوقت وتتبعان وزارة الداخلية فشكل النادى الوليد من موظفى تلك الجهتين واللتان تتبعان مباشرة محافظ القنال وحكمدار بوليس القنال وأطلق على هذا النادى الوليد « نادى بوليس القنال » وتشكل من العاملين فى تلك الجهتين من موظفين مدنيين وضباط بوليس وصف ضباط ولعب هذا النادى أول مبارياته فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ واختيرت له قطعة أرض قريبة من نادى ڤرتوس وسبريا وشكل الفريق من على الأبيض ومن بعده محمد رشدى (حارس مرمى) والأخوان مسعد ومحمد المناخلى وحسن القاضى وعلى عمر والسيد أبو عبده وعوض عبد الرحمن ومحمد السمطى وعلى العفنى وعلى الشناوى وعهد البنا وانضم للفريق من الضباط حسن رشدى إبراهيم وجمال عزب وبهاء الشربينى وجابه هذا الفريق النادى الأهلى ونادى فاروق (الزمالك) والترسانة والأولمبى السكندرى » . أما نادى ڤرتوس الإيطالى الذى حصل على الكأس السلطانى فى موسم ٣٥ / ١٩٣٦ وأشهر لاعبيه أوڤا، لوكتى، چورچ أزياردى موسكاتلى وكان رئيس نادى ڤرتوس الدكتور Guido De Castro ينظم سنوياً حفلاً چيمخانة (عرض للسيارات) تعرض فيه الجالية الإيطالية ببورسعيد أحدث السيارات التى تنتجها مصانع السيارات الإيطالية .

وكان الصحفى الشاب كمال مردان يصف تلك الحفلات بجرنال البروجريه إيجبسيان فذكر أ ن : « أول حفل چيمخانه نظمته الجالية الإيطالية بعد الحرب العالمية الثانية فى ٢٧ مايو ٥٠ بحضور المحافظ عبد الهادى غزالى وتحت إشراف قنصل إيطاليا المسيو Franzi وحضره لفيف من مواطنى بورسعيد » .

ويجاور هذا النادى نادى هسبريا اليونانى أشهر لاعبيه بيترو سيڤلوس ، سيليديس ، بابادوبلو وكانت أندية منطقة بورسعيد جميعها تمثل في فريق واحد « فريق منتخب القنال » وكانت فرق مناطق المملكة المصرية تتبارى فيما بينها للفوز بكأس الملك فؤاد وفاز فريق منتخب منطقة القنال بكأس الملك فؤاد مرتين فى موسم ٣٥ / ١٩٣٦ وموسم ٣٧ / ١٩٣٨وخلف نادى ڤرتوس وهسبريا سجن بورسعيد ويلى هذه الأندية الثلاثة مجموعة من الورش الخاصة بالقوات البريطانية البرية والبحرية بالإضافة لمجموعة من المعامل والورش الخاصة بأفراد أو شركات منها مستودع الهواء المضغوط وشركة المطاحن المصرية وشركة اللحام بالأكسوجين وشركة التبريدات النيلية ومعمل



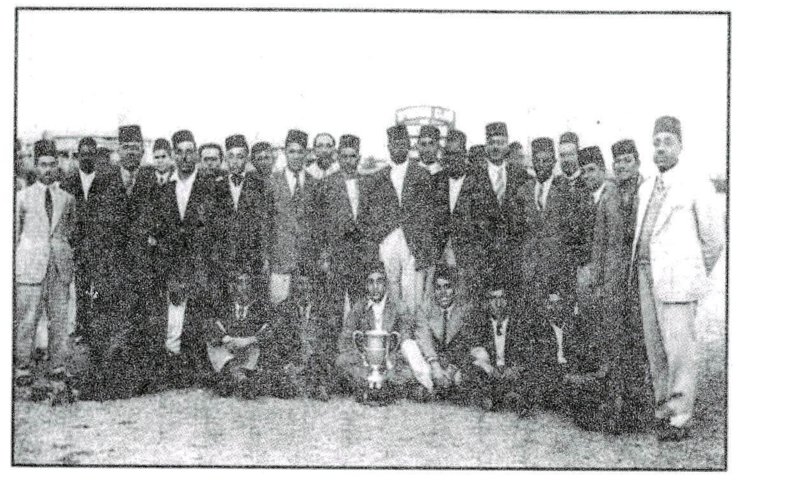
فريق النادى المصرى الذى فاز بالكأس السلطانى موسم ٣٢ / ١٩٣٣



فريق النادى المصرى الذى فاز بالكأس السلطانى موسم ٣٣/١٩٣٤



حلمى مصطفى ، كابتن النادى المصرى ، يتسلم الكأس السلطانى من الملك فاروق فى موسم ٣٦ / ١٩٣٧



فريق منتخب القنال الذى فاز بكأس الملك فؤاد فى موسم ٣٥ / ١٩٣٦



مبنى النيفى هاوس

حارة العيد القديمةبشارع محمد على



فريق نادى بوليس القنال وفى الصورة الثانية إشترك اللاعبان الدوليان السيد الضظوى ومحمد لهيطة فى هذا الفريق

الثلج وشركة الغاز والنور الكهربائى وكان خلف هذه المجموعة زرابى فرز البصل والبطاطس لتصديرها للخارج .

وفى جلسة مجلس بلدى بورسعيد ٨ سبتمبر سنة ١٩١٧، تقدم الخواجة مكاريا وشركاه أصحاب معمل الثلج يتضررون من عدم توصيل معملهم بالمجارى ويستأذنون المجلس فى السماح لهم بعمل خزانات بدون قاع لاستعماله فى تفريغ مياه الفبريكا ولحين توصيل ماسورة المجارى ، .

وكانت شوارع ومنازل بورسعيد تستخدم غاز الإستصباح فى أول عهد المدينة فى الإضاءة والتدفئة وكان وكيل شركة الغاز فى بورسعيد المسيو متشل كوتس .

ولما بدأ مجلس بلدى مدينة بورسعيد نشاطه فى فبراير سنة ١٩١١ أوكل عملية إضاءة شوارع بورسعيد لشركة ليبون (وابور النور شارع محمد على) وكثيراً ما كان يدب الخلاف بين الشركة والمجلس البلدى لنقدها الإتفاق بالنسبة لعدد اللمبات الكهربائية التى تضاء فى الشوارع الهامة للمدينة وهذا ما سجله محضر مجلس بلدى بورسعيد فى السادس فى يناير سنة ١٩١٢ ، لدرجة أن رئيس المجلس البلدى فى ذلك الوقت (محمد محمود بك) اقترح على أهالى حى العرب باستخدام لمبات تنار بالبترول فى الشوارع حتى لا يضطر مجلس بلدى بورسعيد إلى قبول الشروط المجحفة لشركة الإنارة . وهذا ما أوضحه مجلس بلدى بورسعيد فى ٣ فبراير ١٩١٢ وتكرر ذلك الوضع عندما طالب عضو المجلس البلدى محمود أفندى صبحى بجلسة ٧ ديسمبر ١٩١٢ باستخدام لمبات تضاء بالجاز لحين الإتفاق مع شركة الكهرباء لزيادة الإنارة العمومية بالمدينة .. مما حدى بالمجلس البلدى أن أستسمح شركة قنال السويس بالمساهمة فى زيادة إضاءة الشوارع القريبة من الميناء كشارعى فرانسوا جوزيف وأمريكا وهذا ما أوضحه مجلس بلدى بورسعيد فى أول فبراير ١٩١٣ ، ولم تنته مشكلة الكهرباء فى بورسعيد إلا بعد أن فكر المجلس البلدى شراء عملية الإضاءة والكهرباء بالمدينة من شركة ليبون وهذا ما أوضحه محضر مجلس بلدى بورسعيد فى ٣ أكتوبر ١٩٣٦ .. وبالفعل تم توقيع عقد شراء عملية الإنارة بالكهرباء والغاز بين مجلس بلدى بورسعيد وشركة ليبون فى ١٤ مارس سنة ١٩٣٩ .

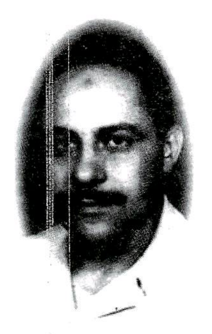
وأمام هذه الشركات كانت تقع معسكرات الجيش البريطانى وأهمها معسكر الجولف كامب ومعسكرات مخازن النافى N. A. F. I. (مخازن ومستودعات الجيش الإنجليزى) .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة السبت ١٦ ديسمبر ١٩٥٠ برئاسة المحافظ عبد الهادى غزالى تمت الموافقة على طلب الغرفة التجارية بشأن إنشاء سوق للجملة لتجارة الخضر والفاكهة لمدينة بورسعيد وكانت تلك الأرض تستخدم كأول حارة للعيد فى بورسعيد .

وفى الماضى كان العمران فى شارع محمد على يبدأ عند شارع ١٠٠ فشارع ٩٩ ويسجل لنا محضر مجلس بلدى بورسعيد فى ٨ يوليو سنة ١٩١٩ : ، أحاط رئيس المجلس (المحافظ محمد بك حداية) المجلس علماً بأن شركة القنال ستبنى فى الحال مساكن لعمالها وهى عبارة عن مساكن بسيطة مكونة من دور واحد بها أحواش أو حدائق صغيرة وسوف تبنى بدون بواكى ، .

أتذكر كنت فى أحد الأيام راكباً سيارة تاكسى وسائقها رجل مسن وكنا قد تبادلنا الحديث فعلم بأنى مهتم بتاريخ مدينتنا بورسعيد فلما وصلنا لتقاطع شارعى محمد على و٩٩ قال لى إن تلك البقعة كان لها تاريخ نضالى مجيد ووجدته يقول هناك أبطال كثيرون لم تسطر بطولاتهم ومازالوا مجهولين فبادرت بسؤاله على الفور مثل من ؟! فرد قائلاً هناك عم التابعى حمام ووقتها لم تسنح لى الفرصة فى معرفة تفاصيل هذا البطل .. وكدت أن أنتهى من التأريخ لشارع محمد على وفجأة تذكرت عم التابعى حمام وقررت على الفور البحث عن شخص أعرفه ويكون محل ثقتى فى استقاء المعلومة التاريخية الصحيحة عن هذا الموضوع الذى شغل بالى وإذا بالصدفة الجميلة أن يحضر لى البطل محمد حمد الله (من مجموعة إختطاف الضابط البريطانى مورهاوس) لاستلام نسخته من أطلس بطولات شعب بورسعيد ١٩٥٦ والذى اعددت مادته سألته عن مكان ولادته فاندهشت عندما قال لى أنه مواليد شارع ٩٩ المتفرع من شارع محمد على بالمنزل رقم ٥ فسألته هل تعرف شيئاً عن بطل يدعى عم التابعى حمام فعلى الفور أجابنى بصحة ذلك وطلب منى مهلة ليكتب لى ذكرياته عن تلك البقعة وفى اليوم التالى قدم لى ذكرياته التالية ، كان شارع ١٠٠ يعتبر الحدود الجنوبية لمدينة بورسعيد وكان على ناصية تقاطع هذا الشارع مع شارع محمد على مثبت عليها يافطة سوداء كتب عليها بالإنجليزية تحذير للقوات البريطانية بأن هذا هو حى العرب وهو خارج حدود تحرك القوات البريطانية Arab Town Out Of Bounds وبالفعل لم يكن لهم الحق فى التحرك داخل المنطقة غرب شارع محمد على عشت طفولتى وأحداث الحرب العالمية الثانية قائمة (ولد فى ٢٢ فبراير ١٩٣٦) كان أمام منزلنا رقم ٥ ساتر من الرمال وأسفله خندق كنا نأوى إليه مع أهل المنطقة من الجيران عند سماع صفارة الإنذار ولن أنسى استعدادات القوات البريطانية وقوافل العربات البريطانية التى كانت

مجهزة بماكينة لإحداث سحب كثيفة من الدخان حول المعسكرات البريطانية لإخفائها عن الطائرات الألمانية والإيطالية وكان سائقو هذه العربات من الهنود أو أبناء جزيرة مالطا .. وكانت القوات البريطانية تثبت في الأرض بإحكام حول المعسكرات المناطيد والبالونات السوداء والفضية المرتفعة في الهواء لتكون حزام أمان وكعائق جوى ضد الطائرات الألمانية المغيرة وفي صباح كل يوم كنا نرى أجسام هذه الطائرات متفجرة بعد إصطدامها بهذه المناطيد وكنا نجمع أشلاءها ونحن صغار كنوع من التذكار .. وكانت منطقتنا والمناطق المجاورة لا تسلم من هجوم الجنود الإنجليز حتى زاوية الحاجة بمبة المجاورة لمنزلنا لم تسلم من هجمات هؤلاء السكارى .. وفي الدور الأرضي لمنزلنا كان يسكن رجل طيب يدعى عم التابعي حمام وكان يعمل سائقاً للجنرال الإنجليزي البحري وبحكم وظيفته كان يدخل المعسكرات الإنجليزية كالنيفي هاوس والجولف كامب وكان بحكم وظيفته يعلم أسرار وتفاصيل هذه المعسكرات وكان يقوم بدور وطني وهو إرشاد الفدائيين بكافة أماكن هذه المعسكرات وتخرج من حارة القوبانية المجاورة لمنزلنا (كانت هذه الحارة عبارة عن ٦ بلوكات أرضية كل بلوك ١٠ تكنات لعمال شركة القنال تجاور مخازن وورش متروفيتش) كثير من الفدائيين وكانت سنة أولى فدائية بالنسبة لنا ونحن صغار تسلق العربات الإنجليزية من خلفها أثناء إتجاهها للمعسكرات بشارع محمد على ونلقى بجزء من حمولتها في الطريق ويتلقفها زملاء بالشارع ويفرون داخل الحي العربي

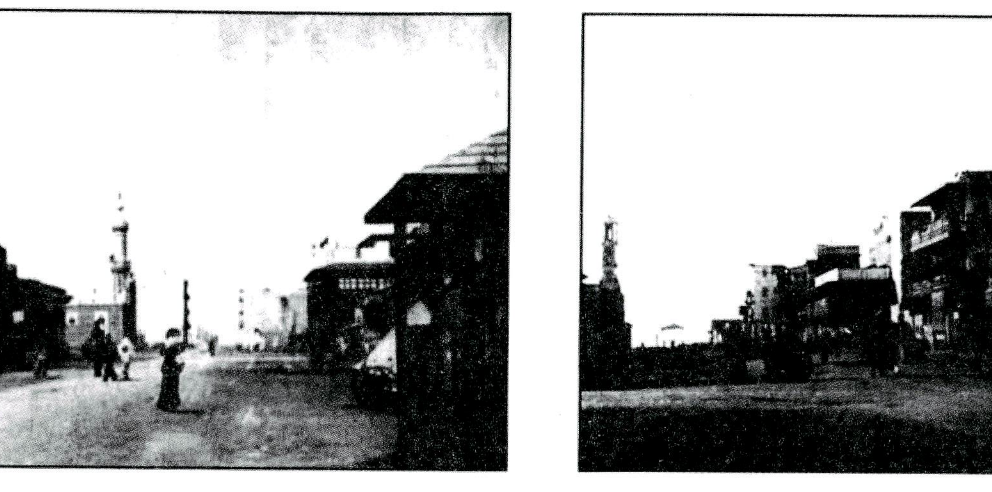

الكابتن محمد حمد الله

وكانت تلك العمليات تحدث بلبلة لدى القوات البريطانية ولم يقصد بها السرقة وتطور الأمر بنا إلى قذفهم بالحجارة حتى أن أطفال بورسعيد قاموا بانتفاضة الحجارة قبل أن يعرفها أطفال الأراضي المحتلة الفلسطينية وكانت هناك مجموعة متخصصة في ربط أسلاك شديدة بين عمودي النور عند تلك النقطة فإذا شوهد أحد من راكبي الموتسيكلات قادماً بسرعة نشد هذا السلك فيصطدم به فنقوم بخطف سلاحه وكانت هناك مجموعة متخصصة في الهجوم على الدوريات وسرقة أسلحتها فصدرت للجنود الإنجليز الأوامر بربط أسلحتهم بأيديهم .. كنا رفاق للشهيد البطل نبيل منصور الذي أحرق معسكرات الجولف وإن كان يصغرني بسنة أو إثنين . وإلى هنا أترك البطل حمد الله لفرصة أخرى ويلي هذه المنطقة ماعرف في أول عهد المدينة بأول جبانة أنشئت في بورسعيد وتم نقلها هذه غرب المدينة والمرجع اليوناني لخالدوبيس في ص ٣٨ يوضح لنا حال تلك النقطة : « قبل سنة ١٩١٤ في المكان التي كانت موجودة فيه الجبانات القديمة والتي كانت من الرمال لذلك اعتبر هذا المكان غير صحي فأقيمت فيه أفران من الطوب حرقت فيها جثث الموتى حتى لا تتفشى الأمراض واستمر هذا العمل من أربع إلى خمس سنوات إلا أن الأغنياء من أصحاب هذه الجبانات قاموا ببناء جبانات جديدة غرب المدينة ونقلوا فيها جثث ذويهم من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٥ » .

وبعد إخلاء تلك الجبانات تحولت الأرض كملعب لأول نادٍ مصري في بورسعيد ونادي موظفي ومستخدمي الحكومة نواة النادي المصري وهذا ما توضحه لنا محاضر مجلس بلدي بورسعيد في جلسة السبت ٢١ إبريل سنة ١٩١٧ وافق أعضاء المجلس برئاسة المحافظ محمد بك حداية على منح قطعة أرض جنوب شركة النيل للتبريد لنادي الألعاب الرياضية لموظفي ومستخدمي الحكومة ببورسعيد بإيجار ٥٠ قرشاً في السنة وذلك بناء على طلب رئيس هذا النادي أحمد غاربو (وصل مديراً للجمارك) . وعلى هذه الأرض شب الرعيل الأول لأبطال النادي المصري فيما بعد أمثال عبد الرحمن فوزي، محمد حسن ، حسن الديب، محمد تعلب، محمود زين العابدين، حلمي مصطفى، حسن الشامي، عبده عبدون، عبود الجمل، إبراهيم بكير، حسن ألماظ، عبد العزيز « زوزو » المقدم وعلى مبروك وغيرهم وهؤلاء حققوا الإنتصار لبورسعيد وللنادي المصري وحصلوا على الكأس السلطاني ثلاث مرات في موسم « ٣٢ / ١٩٣٣ » بعد فوزه على الأهلي على أرض السكة الحديد وموسم « ٣٣ / ١٩٣٤ » بعد فوزه على الأولمبي السكندري على أرض الإشكاربيه (نادي بورفؤاد) وموسم « ٣٦ / ١٩٣٧ » وتسلم هذا الكأس كابتن الفريق حلمي مصطفى من الملك فاروق .

وكان منح هذا النادي قطعة أرض شجع نادي آخر بطلب قطعة أرض أخرى قريبة منها بالميدان الحسيني (جزء من ميدان السكة الحديد) وهذا مايوضحه محضر المجلس البلدي في ١٢ مايو ١٩١٧ حيث تمت الموافقة على منح جمعية الرياضة البدنية المؤسسة حديثاً والتي يرأسها محمد بك غندر نصف الميدان المسمى بالميدان الحسيني لكي تقيم عليه الجمعية ألعاب الرياضة المختلفة وذلك بإيجار إسمي ٥٠ قرشاً في السنة .

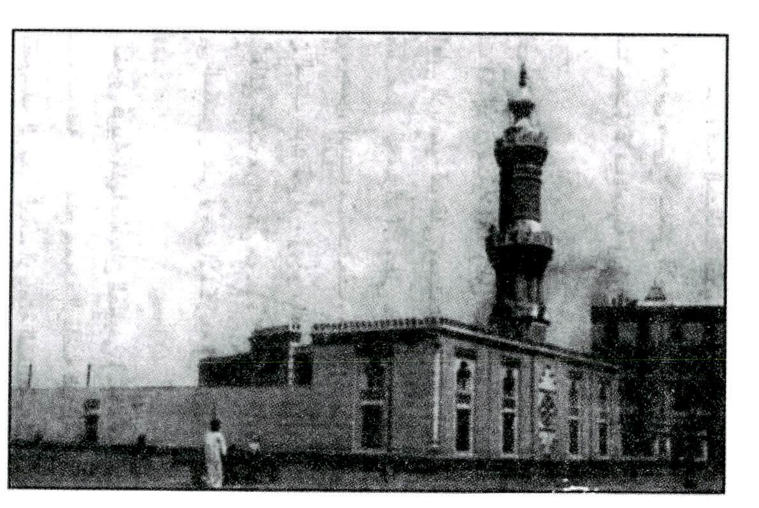
إلا أن محمد بك غندر تقدم بطلب آخر للمجلس البلدي وضح فيه ماللرياضة من نفع في تنشئة الشباب طالباً الجزء الآخر من الميدان وبجلسة المجلس المنعقد ١٦ يوليو ١٩١٧ ووفق على منحه الميدان بالكامل .



صورتان لشارع محمد على بمبانيه الخشبية ويبتدأ فى الشمال بالمسجد العباسى وفى الجنوب بكنيسة العذراء مريم



قهوة البسفور قهـوة الأجداد وأمامها السقا بقربته



الجامع العباسى فى أول عهده

إلا أن المجلس البلدى أراد أن ينشئ ورشاً له فأخلى النادى المصرى من القطعة السابق تأجيرها له ونقل فى أول سنة ١٩٢٠ للأرض الموجودة شمال حديقة سعد وهذا ما أوضحته جلسة المجلس المنعقدة فى ٢٠ مارس سنة ١٩٢٠ وفيها ، تقرر إخلاء الأرض السابق تأجيرها للنادى المصرى للرياضة البدنية فى أرض الجبانات القديمة ونظراً لأن هذا النادى قد أقام عليها سوراً من البناء وأماكن من الخشب تساوى ٧٧,٦٠٠ جنيهاً فتخفيفاً على الخسارة من نقل هذا النادى من مكانه فيطلب شراء هذه الأدوات منه كما طلب منحه مبلغ ٣٠٠ جنيهاً تعويضاً ليساعده فى العمل على منفعة الأعضاء المنتمين إليه .

وفى جزء من ميدان السكة الحديد المطل على شارع محمد على أقام المجلس البلدى منتزه وبها مشتل فى تلك المنطقة وقد رأى أعضاء هذا المجلس تجميل تلك النقطة فأنشأوا فيها حوضاً للسباحة .

وبجلسة المجلس المنعقدة فى ٢٧ مايو ١٩٤٤ تمت الموافقة على توصيل حوض السباحة الذى تم إنشاؤه بمنتزه البلدية بميدان السكة الحديد بشبكة المجارى .

وشارع محمد على بعد تقاطعه بشارع ٩٩ يتقاطع من جهة اليسار بشوارع وحارات الجبانة وروس وعباس الثانى والزاوية فشارع كسرى ثم الشرقية وعلى ناصيته منزل عرف عند أهل بورسعيد القدامى بمنزل المسيو وهى شهرة ناظر مدارس الأقباط الكبرى الأستاذ روفائيل سليم والتى تأسست سنة ١٨٩٣ (روضة وابتدائى) وكانت ملحقة بكنيسة العذراء مريم وتخرج من هذه المدرسة أجيال كثيرة مسلمين وأقباط وكان أشهر مدرسيها الأستاذ جبرة فهمى إشتهر بجبرة أفندى .

وباستمرار سيرنا تجاه الشمال يقابلنا شوارع وحارات أبو الفتح والسلطان عبد الحميد (الحميدى) وكانت تلك النقطة تمركز أبناء الصومال وأشهرهم سمنطر ، فحارة العدل فشارع عبد العزيز (التجارى) فحارة البوصيرى فشارع سعد زغلول فهارون الرشيد فالمنير إلى أن نصل لشارع أوجينى ويبدأ بشارع المحروسة ثم نجد مبنى مدرسة الواصفية وجاء ذكرها فى مرجع خالدوبيس : « أقيم فى مدينة بورسعيد حفل حضره أهالى بورسعيد بمناسبة الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدرسة الواصفية المصرية فى ١٦ يونيو ١٩٠١ وتكفلت الجمعية الخيرية الإسلامية بمصاريف بناء هذه المدرسة وكان رئيس هذه الجمعية فى بورسعيد محافظ القنال حسين واصف باشا ، ومدرسة الواصفية نسبة للمحافظ حسين واصف باشا وبابها الرئيسى بل الوحيد على شارع أدهم وقد تم هدمها فى أول مارس سنة ١٩٩٧فالمسجد العباسى الذى وضع حجر أساسه الخديوى عباس حلمى الثانى فى أول سنة ١٣٢٢ هـ مارس سنة ١٩٠٤ م والذى اختار له الشيخ عبد الفتاح الجمل كأول إمام لهذا المسجد لعلمه وسعة اطلاعه فسبق للخديوى عباس أن زار الأزهر وأعجب بتدريس الشيخ عبد الفتاح الجمل الذى عين بالجمعية التشريعية وعين أول عضو بالمجلس البلدى عند إنشائه ومنحه الخديوى عباس رتبة البكوية . وفى أحد أجزاء الموسوعة القادمة سوف أفرد له فصلاً فى باب الشخصيات البورسعيدية التى أثرت فى تاريخ بورسعيد وسأقدم أعماله ومنها صورة طبق الأصل من خطبته التى ألقاها فى افتتاح المسجد العباسى .


الشيخ عبد الفتاح الجمل

ويقابلنا شارع عباس حيث منزل قبطان والسنبارى ثم شارع عبادى بعده مربع يحتله منزل الأستاذ وهو يمتلكه أحد أفراد أسرة الميرغنى بالسودان الذى يحتل زعامة إحدى الطوائف الدينية بالسودان وجاء فرع منها إلى بورسعيد فى أوائل هذا القرن واستوطنوها وقاموا ببناء هذا البيت الذى تهدم كما تهدمت مبانى شوارع عباس وعبادى وتوفيق فى السادس من نوفمبر ١٩٥٦ .

ثم يمتد هذا الشارع إلى شارع توفيق (عرابى حالياً) حيث نادى المعارف ومبنى تفتيش صحة القنال الذى تهدم سنة ١٩٥٦ فشارع إبراهيم ثم كتشنر .

وإذا عدنا لشارع محمد على وسرنا منه يميناً بعد حديقة البلدية والمشتل وحوض السباحة (السابق الحديث عنهم) يقابلنا شارع واجهورن (مصطفى كامل حالياً) وتقابلنا كنيسة مارجرجس وهى على مساحة ١١٧٣ متراً مربعاً تم شراء هذا الارض من مصلحة الأملاك المشتركة سنة ١٩٣٥ دفع وقتها ربع ثمن الأرض وقدره ٩٦١,٨٦٠ جنيهاً وتم الاحتفال بوضع حجر أساسها فى ٢١ يوليو ١٩٤٣ وافتتحت للصلاة فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ وتطل واجهتها البحرية على شارع الطور فمساكن شركة القنال وخلفها حارة الكاشوتيه (ولنا عنها حديث مستقل فى الجزء الثانى) ثم شارع الإسكندر الأكبر ومنازل لشركة القنال فشارع رشيد حيث شيدت كنيسة العذراء مريم سنة ١٨٨٥ على مساحة صغيرة منحها دى ليسبس هبة لطائفة الأقباط الأرثوذكس وكان بها دور أول عبارة عن فرندات نظام المشربيات

تستخدم للنساء وكان تعداد الأقباط فى ذلك الوقت ١١٢٠ ذكوراً ٥٥٥ إناثاً يقطن منهم بحى العرب ١٣٩٧ وبالافرنج ٢٧٨ نسمة . وفى ١٨٩٣ ألحق بها مدرسة الأقباط وتم توسيع هذه الكنيسة ١٩١٢ أما مبنى المطرانية الملاصق للكنيسة فتم شراؤه من عبد الرحمن لطفى باشا . وأثناء مظاهرات ثورة ١٩١٩ خرج الأقباط منها يتقدمهم راعى الكنيسة القمص ديمتريوس يوسف ليتعانق الهلال مع الصليب مع جموع متظاهرين المسلمين يتصدرهم الشيخ عبد الفتاح الجمل إمام الجامع العباسى والشيخ يوسف أبو العيلة .

ومثال آخر على الوحدة الوطنية فى بورسعيد قصها علىّ العالم الفاضل الجليل الشيخ معوض عوض ابراهيم (مفتش الوعظ والإرشاد بمنطقة القنال الأسبق) بعد أن فرغ من صلاة العشاء بالمسجد العباسى وبعد إلقائه الدرس فى الوعظ والإرشاد تقدم له أحد المصلين يطلب منه الوساطة فى موضوع بينه وبين مالك العقار الذى يقطنه (وكان من أقباط بورسعيد) ووصل هذا النزاع للقضاء وكاد هذا الساكن المسلم يطرد من منزله بحكم قضائى ويشرد هو وعائلته فتوجه الشيخ معوض إلى صديقه القمص بطرس عوض راعى كنيسة العذراء مريم منذ سنة ١٩٣٤ ولمدة ٣٤ سنة فلما قص عليه الشيخ معوض القصة رد عليه قائلاً طالما حضر لى صديقى الشيخ معوض فلن أرد له طلباً مهما كان وأمر القمص بطرس عوض صاحب العقار بعدم حضور الجلسات بالمحكمة فشطبت القضية وسوى الموضوع ودياً وعاش الجميع فى حب ووئام .

وبعد ذلك يقابلنا شارع دى ليسبس وكان فى تلك المنطقة مطعم وبار عباس وعند مكتبة بدرة قاد الطالب حسن سليمان حمودة مظاهرة فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ مرحباً بوصول قوات الطوارئ الدولية وأخذ يهتف بسقوط الإستعمار فتصدت له دورية فرنسية أطلق قائدها الرصاص عليه بعد رفضه فض المظاهرة وقبل أن نصل إلى شارع التجارة (فاروق أو النهضة) بنيت سينما فريال الصيفى فى منتصف الأربعينات وبالإضافة لكونها سينما كانت تستخدم للإجتماعات والإحتفالات وهذا الخبر نشره الصحفى الشاب كمال مردان فى جريدة البروجريه « أقامت الهيئة السعدية فى بورسعيد برئاسة عبد الرحمن لطفى باشا احتفالاً فى سينما فريال فى مساء ٢٢ أغسطس ١٩٤٩ بمناسبة افتتاح مبرة محمد على ووصول وزير الصحة الدكتور نجيب إسكندر لبورسعيد حضر هذا الحفل المحافظ عبد الهادى غزالى بك وأحمد شكرى بك وكيل المحافظ واللواء الصاوى الطاهر حكمدار بوليس القنال وعبده نجيم باشا من الأعيان وقنصل أمريكا ولبنان ونائب بورسعيد (السعدى) محمد سرحان » .

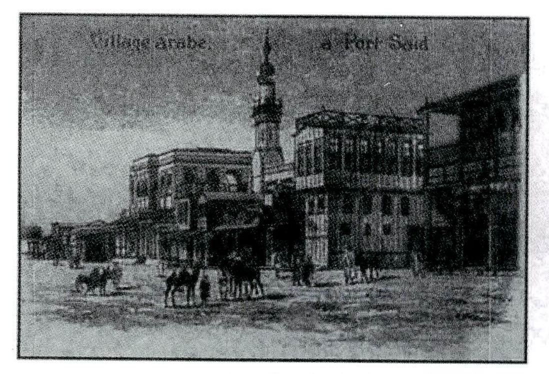
وقبل أن نصل إلى شارع أوجينى تقابلنا قهوة البسفور أقدم مقهى فى بورسعيد وكانت فى مبنى خشبى .

وبعبورنا شارع أوجينى كان يوجد مخازن وعربخانة السيد سرحان من كبار تجار وأعيان بورسعيد (جد المحافظ الأسبق المرحوم السيد سرحان) وتهدمت وبنى مكانها عمارة شامخة لأحد الشبشندرية المصريين وكون شركة لتموين السفن باسم خلفاء بكير (دلرنيا والقطاوى والمناخلى) .

ويقابلنا بشارع مراد عيادة الدكتور محمود المغربل عميد طب الأسنان ببورسعيد من المصريين وكان رحمه الله له هواية جميلة هى تربية عصافير الكناريا وكان يصنع بنفسه فى ورشة الأسنان الصناعية الخاصة دبل ذهبية عليها إسمه يركبها فى أرجل عصافيره .

وبعد ذلك شارع الوكيل حيث تقابلنا حديقة الباشا وقد اختفى الفدائيون سنة ١٩٥٦ فوق أشجارها وقاموا باصطياد القوات البريطانية المتقدمة تجاه المدينة فشارع توفيق (عرابى) فسراى محافظة القنال والتى تهدمت من جراء القصف الجوى فى الخامس من نوفمبر سنة ١٩٥٦ .





صورتان تمثلان إلتقاء شارعى محمد على والجامع التوفيقى بقرية العرب ذات المساكن الخشبية



الفصل السادس

شارع دى ليسبس والجامع التوفيقى
شارع سعد زغلول



أنشئ هذا الشارع سنة ١٨٧٥ ويعتبر ثانى شارع طولى فى مدينة بورسعيد بعد رصيف أوجينى والذى يبدأ من شرق المدينة حتى غربها وفى نهاية القرن الماضى كان هذا الشارع مقسماً إلى جزئين جزء يمر بحى الإفرنج وهو يبدأ من شرق المدينة حتى شارع محمد على وكان يطلق عليه شارع دى ليسبس والجزء الآخر يبدأ من شارع محمد على وينتهى غرب المدينة وكان يطلق عليه شارع الجامع التوفيقى واشتهر هذا الشارع عند أهل بورسعيد بشارع الثلاثينى نظراً لأن عرضه ثلاثين متراً أما بقية شوارع بورسعيد فكان عرضها خمسة عشر متراً .

فمن هو دى ليسبس Ferdinand De Lesseps ؟

كان والد فرديناند دى ليسبس ويدعى ماثيو دى ليسبس يعمل بالسلك الدبلوماسى الفرنسى وكان والده وقتها يعمل قائماً بأعمال السفارة الفرنسية فى مصر فتوطدت علاقته بمحمد على باشا والى مصر وكان ذلك سبباً فى نجاحه فى عمله مما دعى نابليون الأول إلى منح ماثيو لقب Vicomte De L'Empire كما منح نابليون إبنه فرديناند منحة دراسية بمدرسة نابليون فأنهى فيها دراسته القانونية وبعدها سافر إلى عمه بارتلمى الذى كان يعمل قنصلاً عاماً لفرنسا فى لشبونة ليعد نفسه للعمل فى السلك الدبلوماسى فعين بالقسم التجارى لوزارة الخارجية الفرنسية فعين نائباً للقنصل العام الفرنسى بتونس وكان والده وقتها يشغل منصب قنصل عام فرنسا بالإسكندرية وانتقل بعدها الإبن فرديناند إلى مصر ليشغل منصب قنصل وعند وصوله للإسكندرية انتظرت سفينته خارج الميناء كتعليمات الحجر الصحى أربعة أسابيع فأهدى له السفير الفرنسى مجموعة كتب ليشغل بها وقته وكان من ضمنها تقارير ودراسات مبدئية عن مشروع برزخ السويس فأعجب بالأفكار التى تنادى بشق قناة تربط بين البحرين المتوسط بالأحمر وأثناء عمل فرديناند قنصلاً توطدت علاقته بالأمير محمد سعيد بن محمد على والى مصر وظل ملازماً له إلى أن انتهت فترة عمله بمصر سنة ١٨٣٧ وانتقل بعدها لعدةمناصب دبلوماسية فى روتردام وبرشلونة ومدريد ولم يمض طويلاً بالعمل الدبلوماسى واستقال من وظائفه بالخارجية الفرنسية حيث اختمرت فكرة ربط البحرين فى رأسه فلجأ إلى صديقه القديم الوالى محمد سعيد وغنم بامتياز ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ وفرمان ٢٠ يوليو ١٨٥٦ وما فيهما من شروط مجحفة فى حق مصر .

ويبدأ شارع دى ليسبس شرقاً من ميناء بورسعيد فمن جهة اليمين حوض التجارة ومن اليسار يبدأ بمبنى خشبى قديم هو مبنى الجمرك القديم قبل نقله لمكانه الحالى المطل على حوض الترسانة ، وتم هدمه فى الثلاثينات وبنى مبنى شغله بوليس الميناء ومكتب جوازات الميناء وفى أعلاه برج لمراقبة دخول البواخر للميناء ، ويلاصق الجمرك ورش شركة القنال القديمة تهدمت وبنى مكانها سجن الأجانب (مبنى سكن مدير الأمن) وأول مبنى للبنك العثمانى (قبل نقله على ناصية شارع السلطان عثمان) وقام ببنائه المهندس Bassins وهو مهندس بلاشهادات ويجاوره من ممفيس مخازن متروقتش للأخشاب ويذكر لنا خالدوبيس فى ص ٣٥ وصف تقاطع هذا الشارع بشارع ممفيس : « كان هناك شارع صغير فى أول عهد المدينة يطل على حوضين لتفريغ البضائع من السفن الأول يخص شركة Savon والثانى يخص مصلحة الجمارك ويعلو الحوضين كوبرى من الحديد كانت الأهالى والعربات تمر فوقه وتم بناؤه مابين سنة ٧٠ ـ ١٨٨٠ وبعد عدة سنين هدم نهائياً الكوبرى ثم ردم أحد الحوضين بالرمال » .

وبتقاطع هذا الشارع مع شارع السلطان عثمان (الجمهورية) فى جهة اليسار باب الجمرك نمرة ١٥ واشتهر بباب الفحامة لأنه خصص منذ أوائل هذا القرن لدخول وخروج الفحامة منه ويقابله على الناصية الأخرى المبنى الخشبى للبنك العثمانى الذى افتتح سنة ١٨٨٢ (بنك مصر الحالى) .

أما تقاطع هذا الشارع بشارع السلطان عثمان من جهة (اليمين) فقد افتتح ماڤريوس ولويزيدس أكبر محل للبقالة (مكان شركة المحاريث والهندسة) وتجاوره أشهر المقاهى الشعبية اليونانيةAga Memnon وكانت تقام فيه الاحتفالات الشعبية للجالية اليونانية التى أصدرت أوراق يناصيب سنة ١٩٠٧ لبناء مدرسة يونانية سحبت فى هذا المقهى ثم محل بوسوناكى الذى شغلته محلات اوزردى باك (عمر أفندى) .

وبتقاطع هذا الشارع مع شارع القسطنطينية يذكر لنا خالدوبيس ص ٤٤ تلك النقطة : « تم بناء أول مكتب بريد حكومى أمام محلات Orisdy Back (عمر أفندى) سنة ١٨٦٥ عند شارع القسطنطينية أمام صيدلية Pharmacie Canal De Suez لصاحبها Azsenes وبعد تلك النقطة بقليل تكوين أول فرقة مطافئ تطوعية فى نقطة تجاور فندق سميراميس » (بنى فى سنة ١٩٣٧) أما أرض محلات عمر أفندى الحالية كان يمتلكها عيسى افتميوس ثم باعها لديب حنينه (تاجر الدخان المشهور) وباعها لعمر أفندى .

ونأتى إلى أقدم ميدان فى بورسعيد إنه ميدان دى ليسبس أو كما يعرف عند أهل بورسعيد بميدان المنشية وهو من أقدم النقط فى تاريخ بورسعيد . وعند نشأة بورسعيد كانت تلك النقطة تمثل منطقة المقابر بالنسبة لبورسعيد وهذا ما أوضحه لنا ديمتريوس خالدوبيس فى كتابه ص ٣٩ : « من عدة سنوات كانت هناك أعمال حفر فى ميدان المنشية من أجل توسيع الشوارع المحيطة لهذا الميدان فتم العثور على عظام بها جماجم آدمية وفى الغالب إنها من أول سنين الحفر منذ سنة ١٨٥٩ أو قد تكون نتيجة لعدة عمليات قتل خلال تلك الأيام أو قد تكون دفنت فى هذا المكان لعدم وجود مقابر منشأة فى تلك الأيام فدفنت فى ميدان المنشية الحالى » .

ويذكر الدكتور زين العابدين نجم فى كتابه بورسعيد ص ٣٤ « كانت شركة القناة تتولى وحدها دون مشاركة الإدارة فى تسميات شوارع وميادين بورسعيد وفى ٢٥ أبريل ١٨٧٢ (تاريخ إنشاء بورسعيد) أقام دى ليسبس إحتفالاً لتسمية بعض الشوارع والطرق ... ورفض الخديوإطلاق إسمه على ميدان دى ليسبس - كرغبة دى ليسبس نفسه - وأمر باستمرار إسم الميدان على ما كان عليه ..... » .

وكان بميدان المنشية مجموعة من المكاتب والتوكيلات الملاحية وشركات الفحومات وفى سنة ١٨٦٢ وصل اليهودى النمساوى Al-bert Cohen من تريستا إلى ميناء بورسعيد وعين كقنصل للنمسا وفتح شركة اللويدز النمساوية Peninsular وفى أول إنشائها بدأت عملها بميدان المنشية وأول مدير لشركة اللويدز المسيو ترنزسو وبعده جاء المسيو متروڤتش والد أكبر تجار الأخشاب ببورسعيد ثم الضابط الإنجليزى المستر George Roile[١]

وفى١١ مايو سنة ١٩٠٢ أقامت الجالية اليونانية فى ميدان المنشية حفل سحب أوراق ياناصيب أصدرتها الجمعية اليونانية من أجل بناء الكنيسة اليونانية .

وكان بميدان المنشية أكبر صيدلية فى بورسعيد وكان صاحبها الدكتور اليادس محل ثقة وتقدير أهل بورسعيد وكان له صيدلية بشارع أوجينى والسلطان عثمان (صيدلية Pezzain) .

وكان من أهم محال هذا الميدان محل خمسين ألف صنف (مكان محطة البنزين الحالية) وكان يحتل نقطة هامة من هذا الميدان .. ففى جلسة ٦ أكتوبر ١٩١٧ عرض عضو المجلس البلدى المسيو جرانجيوتى موضوع وجود كشك لبيع الزهور على رصيف محل الخمسين ألف صنف وهذا الكشك يضايق المارة ويتضررمنه صاحب محل خمسين ألف صنف ... فطلب المحافظ محمد حداية (رئيس المجلس البلدى) تقريراً مفصلاً عن هذا الموضوع .

ومن بعده محلات ملا كسوس للأجهزة الكهربائية والموسيقية وكان صاحبه (ألباملاكسوس) عضو المجموعة اليونانية فى معركة ١٩٥٦ وكان يمد الفدائيين بأخبار القوات المعتدية .

وبالقرب من ميدان المنشية أعيد بناء كنيسة سانت أوجينى بعد أن كانت خشبية وتم افتتاحها فى ١٩ مارس١٨٩٠ ، وفى شمالها وعلى الميدان مباشرة كانت لوكاندة جراند بريتين والتى بنى مكانها ملجأ الأزيل Couvreux والذى افتتح فى أول ديسمبر ١٨٩٤ وقامت ببنائه أرملة كوفرو بغرض إيواء اليتيمات والعجائز من كافة الجنسيات ، وكان من ضمن معالم هذا الميدان الترام الذى تجره البغال .

وفى وسط ميدان دى ليسبس كانت حديقة من الأشجار الكثيفة أقيم فى طرفها الشمالى تمثال نصفى لدى ليسبس ويقص لنا خالدوبيس تفاصيل إقامة هذا التمثال ص ٨٧ : « فى ١٦ يونيو ١٨٩٥ جمع غفير من أهالى بورسعيد حضروا الحفل الكبير الذى أقيم فى

---

(١) ذكرعنه الدكتور يونان لبيب رزق أنه كان قنصلاً لإنجلترا فى بورسعيد فى نهاية القرن الماضى وذلك فى إحدى مقالاته « الأهرام ديوان الحياة المعاصرة» . ولنا معه فصل كامل فى الجزء الثانى من الموسوعة حيث أدلى رويل بحديث يصف فيه بورسعيد وأهلها (الفحامة) فى المجلة الأنجليزية Great Tohghts الصادرة ١٧ سبتمبر ١٨٩٨ وهو حديث شيق وممتع عن بورسعيد .

ميدان دى ليسبس لإزاحة الستار عن التمثال النصفى لدى ليسبس وقد تكونت جمعية برئاسة المسيو Pacho مدير جريدة Phar Port Said - وقامت هذه الجمعية بجمع الأموال بغرض إقامة هذا التمثال الذى صممه المثال Mantovani وفى يوم إزاحة الستار تجمع أهالى بورسعيد لمشاهدة هذا الحدث وحضرت ثلاث فرق موسيقية وهى اليونانية والدولية والليرا وقد حضر هذا الحفل جميع الشخصيات الرسمية بالمدينة منها قنصلا اليونان وإيطاليا . إلا أن شخصيات شركة القنال لم تحضر تلك الحفلة كذا قنصل فرنسا (كانت هذه المقاطعة مسار حديث أهل بورسعيد)ويرجع السبب لتلك المقاطعة أن شركة القنال كان فى نيتها إقامة تمثال ضخم لدى ليسبس والذى أقيم١٨٩٩ ، .

وفى أوائل هذا القرن كان هذا الميدان يعتبر من الأماكن السياحية وأماكن اللهو فى مدينة بورسعيد ففى جلسة مجلس بلدى بورسعيد بتاريخ ١٣ مايو ١٩١٦ تقدم المسيو مانولاكس بطلب إستئجار حديقة المنشية لإقامة قهوة بها ولمدة خمس سنوات بإيجار سنوى ٣٦ جنيهاً .

وكان هذا الميدان محل اهتمام المسؤلين فى المدينة وبجلسة المجلس البلدى المنعقدة ٢٨ ديسمبر ١٩١٨ يعرض باشمهندس المجلس البلدى المستر فتزجيبون تحويل حديقة ميدان دى ليسبس إلى حديقة مستديرة قطرها ٦٠ متراً مقسمة إلى أربعة أقسام بطريقين متقاطعين رأسياً ويرحل فى وسطها تمثال دى ليسبس (النصفى) بدلاً من كشك الموسيقى الخشبى المستدير (الذى نقل إلى حديقة الباشا) وكان هذا الكشك تعزف فيه الفرق الموسيقية الليرا والانترناسيونال وإفترا والموسيقى العسكرية المصرية المارشات والكونشرتات أيام الآحاد والأعياد .

وبتقاطع شارع دى ليسبس بشارع فرعون تقابلنا قهوة اللوفر وأعلاها نادى الجالية الفرنسية الذى كان له نشاط فى الإحتفالات والندوات والمحاضرات فنظمت محاضر لأمين متحف اللوفر الأب دوبورجيه Pére Du Bourget عن التاريخ المصرى القديم بصفة عامة والفن المصرى القديم بصفة خاصة والنسيج فى العصر القبطى (القباطى) وتخلله عرض بالشرائح الزجاجية الملونة عن روائع الفن المصرى القديم بمتحف اللوفر .



الشيخ محمود حلبة

وبتقاطع هذا الشارع بشارع إسماعيل (جمال عبد الناصر) كان محل الحاج سليمان شادوفة وهو منتدى لأهل الفكر والدين ويضم كوكبة من العلماء والشعراء مثل الشيخ محمود حلبة الرجل الموسوعى وعميد الصحافة البورسعيدية والشيخ معوض عوض إبراهيم (كبير مفتشى الوعظ والإرشاد بمنطقة القنال) والأستاذ على الألفى (شاعر القنال) والحاج عبده أبو الخير (من كبار تجار الخضر والفاكهة بورسعيد) كانوا يلتقون كل يوم لقراءة ومناقشة كتاب من كتب الدين والآداب .

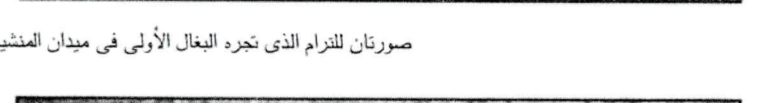
الشاعر والأديب على الألفى

وعلى الناصية المقابلة منح دى ليسبس قطعة أرض للجالية اليونانية كهبة لبناء كنيسة لهم حيث وضع حجر الأساس لها فى ١٣أبريل ١٨٨٨ إلاأنه نظراً لقلة الموارد المالية للجمعية اليونانية فقد تعطل بناؤها فترة إلى أن جاءت سنة ١٨٩٧ فأعطيت عملية تنفيذها للمهندس الفرنسى Troum المتخصص فى الفن البيظنطى . وفى سنة ١٩٠٠ اقترضت الجمعية اليونانية ٦٠٠٠٠ فرنك ذهب من البنك العثمانى بضمان من كبار التجار اليونانيين ببورسعيد (قامت بسداد هذا القرض بإصدار أوراق يانصيب وكان السحب يجرى فى ميدان المنشية أو قهوة أجاممنون كما سبق أن أوضحنا) . وفى يوم الأحد الأول من نوفمبر ١٩٠٣ افتتحت هذه الكنيسة للصلاة وألحق بها مدرسة للبنين ثم مدرسة للبنات وجمعية للكشافة اليونانية . وكان لليونانيين عادات نقلوها معهم من بلادهم منها عادة حرق الجودس وهى أساس عادةحرق اللنبى عند أهل بورسعيد (ولنا عنها فصل كامل فى الجزء الثانى من الموسوعة) .

وبتقاطع هذا الشارع بشارع المشرق قام المحامى المشهور جورج مشبهانى بالالتزام بمصاريف بناء كنيسة القديس نيقولاوس للروم الأرثوذكس والتى افتتحت فى نهاية سنة ١٩٢٦ .

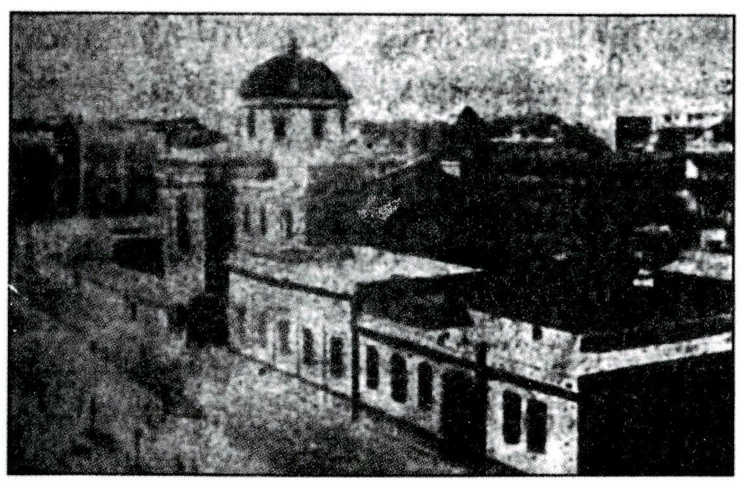
وبتقاطع هذا الشارع بشارع أفريقيا كانت هناك كنيسة خشبية للموارنة (كنيسة القديس يوسف) وقد تهدمت وبنى مكانها سينما الحرية ، ويلاحظ أن تلك الكنيستين تقعان فى منطقة تجمع أبناء الشام (حارة الشوام) .

وتقابلنا سينما عباس ، وفى محضر مجلس بلدى ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٠ طلب صاحبها محمد أفندى عثمان التصريح له ببناء غرفة تحت البواكى لوضع ماكينة السينماتوغراف وعرفت بعد ذلك بسينما ومسرح الكوزموغراف المصرى والتى ظلت تذكرة الدخول لها إلى ما قبل هدمها تقل عن القرش صاغ بمليم واحد (حتى لا تخضع للضرائب) وكان الكثير يدخلونها مجاناً أو بلغة أهل بورسعيد سلاموني . وفى أول عهدها كانت تستضيف فرق القاهرة (سلامة حجازى وجورج أبيض ونجيب الريحانى ، كشكش بيه ، وعلى الكسار وأمين صدقى) .





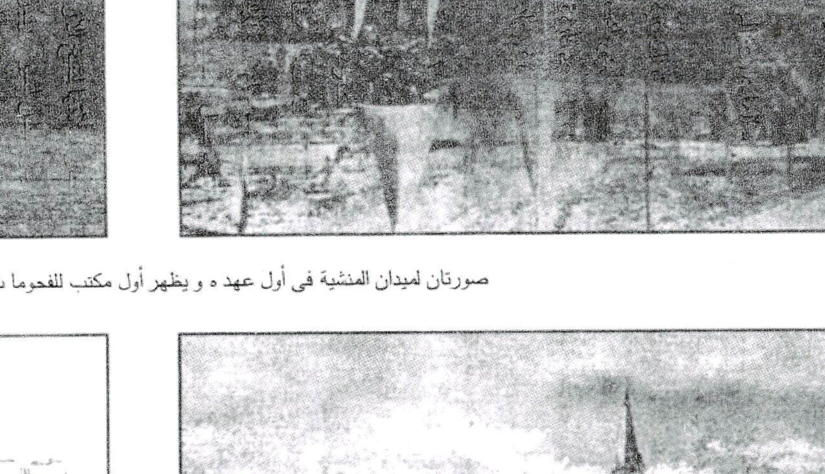
صورتان للترام الذى تجره البغال الأولى فى ميدان المنشية وظهر محل ٥٠الف صنف والثانية بقرية العرب بشارع الجامع التوفيقى



الكنيسة اليونانى فى أول عهدها



نهاية شارع الجامع التوفيقى عند زاوية الإسكندرانية وأمامها سوق قرية العرب





صورتان لميدان المنشية فى أول عهده و يظهر أول مكتب للفحوما ت وكنيسة سانت أوچينى الخشبية



صورتان لميدان دى ليسبس فى أوائل هذا القرن وظهر بهما كشك الموسيقى الخشبى المستدير الذى نقل فيما بعد لحديقة الباشا

وعلى ناصية هذا الشارع وقبل تقاطعه بشارع محمد على يقابلنا قهوة ومطعم عباس أشهر مطاعم حى العرب (كان يعمل به مجموعة من الطهاة الشوام) .

وأمام هذه النقطة افتتح مركز هيئة التحرير فى بورسعيد وعين الأستاذ أمين العصفورى سكرتيراً عاماً لهيئة التحرير بمحافظة القنال حيث زار مدينة بورسعيد الصاغ عبد الله طعيمة (أحد شخصيتين من رجال الثورة كلفا بالإشراف على هيئة التحرير التى أنشأتها الثورة ـ فكان مسئولاً عن التجمعات العمالية ويشاركه الصاغ إبراهيم الطحاوى المسئول عن تجمعات النقابات المهنية) . وكان افتتاح هذا المركز فى يوليو ١٩٥٤ . كما افتتح نادٍ للعمال فى ٥ مارس ١٩٥٦ رئيسه المهندس محمد النبع ، ومن هذا النادى أصدر أبو بكر الصديق أحمد عبد الحق فى أغسطس ١٩٥٧ مجلة النهضة وهى مجلة عمالية ثقافية إجتماعية (لنا معها وقفة فى باب تاريخ الصحافة فى بورسعيد) .

وبتقاطع هذا الشارع بشارع محمد على يبدأ الجزء المعروف بشارع الجامع التوفيقى .

وفى يوم الثلاثاء ٢٣ أغسطس ١٩٢٧امتدت يد المنون فاختطفت من أحضان الأمة إبنها وزعيمها البار سعد باشا زغلول .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى العاشر من سبتمبر ١٩٢٧ قام رئيس المجلس (المحافظ إسماعيل باشا رمزى) وألقى خطاب تأبين طويل وتم وقف الجلسة ٤/١ ساعة حداداً على الفقيد . وبعدها استأنفت الجلسة واقترح الأعضاء المصريون تخليد هذا الزعيم بإقامة تمثال له فى بورسعيد وإطلاق اسمه على شارع الجامع التوفيقى .

ولم تمتد يد العناية والرعاية لهذا الجزء من الشارع فلم يكن مرصوفاً وكانت إضاءته بالفوانيس على عكس نظيره بحى الافرنج .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة ١٦ ديسمبر ١٩٥٠ برئاسة المحافظ عبد الهادى غزالى تمت الموافقة على إنارة شارع سعد زغلول بالكهرباء .

وبتقاطع هذا الشارع بشارع الوفائية اثبت محضر مجلس بلدى بورسعيد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٥ إنتقل أعضاء المجلس لمقر السينما الذى رخص لمحمد أحمد الدسوقى بإقامته بشارع الوفا ئية » .

وأطلق اسم الشهيد نبيل منصور على شارع الوفائية لأنه كان يقطن فيه . وملحمة هذا البطل ذكرها مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الرافعى فى كتابه مقدمات ثورة ٢٣ يوليو « كان الشهيد نبيل منصور أصغر شهداء ذلك اليوم (١٦ أكتوبر ١٩٥١) الذى لم يتجاوز الحادى عشرة من عمره فى السنة الثالثة الإبتدائية وحين رأى الانجليز يصوبون رصاص بنادقهم إلى صدور أهل بلده العزل من السلاح أراد أن ينتقم لهم فتسلل فى جنح الظلام إلى أحد معسكرات الجولف الإنجليزية جنوب بورسعيد وقام بحرق عدد كبير من خيام هذا المعسكر عن طريق إلقاء كرات من القماش مبللة بالبترول ألقاها وهى مشتعلة وأثناء عودته عبر الأسلاك الشائكة للمعسكر لمحه الانجليز فأطلقوا النار عليه وسقط شهيداً وهو يروى بدمائه الطاهرة تراب أرض بورسعيد » .

الأستاذ حسن القاضى

وبتقاطع هذا الشارع بشارع دمنهور وفى منزل الصواف ولد والدى فى الثانى من ديسمبر ١٩١٦ .

وبتقاطع هذا الشارع مع شارع أبو الحسن أنشأ كامل محمود فرج فى فبراير ١٩٣٠ استديو لأول إذاعة أهلية فى بورسعيد تحت إسم محطة أمير الصعيد والتى بلغ تكاليف إنشائها ٢٠٠ جنيهاً ببورصة ذلك الوقت وهى محطة لها موجة ترددية على الهواء مباشرة وعلى موجة متوسطة طولها ٩٠ كيلو سيكل وكان يعتمد فى تمويلها على الإعلانات التجارية لمختلف الأنشطة للأفراد والشركات وأيضاً للمناسبات والحفلات للمصريين وكان سعر إذاعة الإعلان قرشين لمرة واحدة ولمدة دقيقة وخمسة قروش للإعلان ثلاث مرات منها مرتان خلال فترة المساء والسهرة وكان الاشتراك فى تلك الإذاعة بمبلغ عشرة قروش شهرياً ويمكن للمشترك الاستماع لاسطوانة واحدة يومياً لأحد مشاهير الطرب والغناء فى ذلك العصر أمثال محمد عبد الوهاب وصالح عبد الحى ومنيرة المهدية والآنسة أم كلثوم وهناك عضوية ممتازة تخول لصاحبها الاستماع لأغنيتين فى اليوم الواحد .

المهندس كامل فرج

وكانت البرامج اليومية دينية ثقافية أدبية رياضية ويبدأ إرسال الفترة الصباحية فى السادسة صباحاً بتلاوة آيات من الذكر الحكيم يليه رأى الدين لأحد العلماء (الشيخ محمود جمعة حلبة ، الشيخ رزق عرب ، الشيخ الأباصيرى الريس ..) وتستمر الفترة الصباحية حتى الثانية بعد الظهر أما الفترة المسائية فتبدأ فى الخامسة وتنتهى عند منتصف الليل وتختتم بالسلام الملكى .

وكانت هذه الإذاعة تبث إرسالها لمدن القنال الثلاث بالإضافة إلى دمياط . وكانت المذيعة حياة عارف تتولى إذاعة الفترة الصباحية أما المذيع خليل جويد فيتولى إذاعة الفترة المسائية .

وفوجئت جميع محطات الإذاعة الأهلية بالقطر المصرى بإنذار من وزارة المواصلات بأن توقف جميع هذه الإذاعات إرسالها فى يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٣٤ لتبدأ الإذاعة الحكومية المصرية أول إرسال لها فى يوم الخميس ٣١ مايو ١٩٣٤ واستمع سكان القطر المصرى فى صباح ذلك اليوم للنداء العذب لكروان الإذاعة الأستاذ محمد فتحى وهو يقول ألو ... ألو ... هنا القاهرة .

علام أفندى

وقبل أن نصل إلى شارع المقدس نجد المنزل الذى أنشئ فيه أول مسرح فى بورسعيد ويذكر لنا مؤرخنا للمسرح فى بورسعيد الأستاذ عبد الحسيب الكيال فيقول : « ترجع صلتى بفن التمثيل إلى عهد كان فيه نخبة من الهواة أمثال توفيق الطيب وحامد السفطى وطلبة رضوان فأسسوا سنة ١٩٢٧ فرقة رمسيس تيمناً بفرقة رمسيس للفنان الكبير يوسف بك وهبى وكان الفن يومئذ مدرسة للتثقيف والترفيه على السواء .. ونعود للوراء لنقص تاريخ نادى رمسيس .. أنشئ نادى رمسيس سنة ١٩٢٣ وكان يسمى بالنادى الأهلى وهو نادى إجتماعى ثقافى خيرى غالبية أعضائه من الموظفين وكان مقره بالدور الأول بالمنزل الكائن بشارعى الثلاثينى والمقدس أعلى محل أبو ذكرى للأسماك ويرجع الفضل لإنشائه للأستاذ محمد مصطفى علام رئيس المستخدمين بمحافظة القنال وبدأ نشاطه فى التمثيل سنة ١٩٢٧ بمنزل غندر بشارع أوجينى ... » .

ويتقاطع هذا الشارع مع شارع الروضة (نسبة إلى مديرية روضة البحرين التى كانت تشمل المحافظات الحالية الغربية والمنوفية وكفر الشيخ لأن أغلب قاطنيه فى نهاية القرن الماضى من أبناء تلك المناطق) يقابلنا أقدم أثر تاريخى إسلامى فى بورسعيد إنه الجامع التوفيقى الذى احتفل بوضع حجر الأساس له فى السابع من ديسمبر سنة ١٨٨٢ فى احتفال دينى عظيم إذ سار موكب ضخم فى أنحاء بورسعيد برئاسة الشيخ عبد الرحمن أبو الحسن شيخ علماء بورسعيد وافتتح للصلاة فى مايو سنة ١٨٨٥ وهو نسبة للخديوى توفيق وكان الجامع الرسمى لمدينة بورسعيد وانتقلت صفتة الرسمية إلى الجامع العباسى بعد افتتاحه . ومن الغريب أن الجامع التوفيقى كان يطل مباشرة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط عند حده الشمالى وكان أساسه مجهزاً بمصدات للأمواج كانت موجودة حتى الثلاثينات وكانت هناك آراء تنادى بعدم هدم الجامع التوفيقى باعتباره أقدم أثر فى بورسعيد ويتم ترميمه إلا أن الرأى الآخر وكان الغالب الذى نادى بهدمه وإعادة بنائه فى شكل أقوى .

ويتقاطع هذا الشارع مع شارع الهلالية افتتح محمد افندى شحاتة قهوة الإتحاد (نسبة إلى شعار حزب الوفد الذى ينادى بوحدة عنصرى الأمة من مسلمين وأقباط) وقد توسعت تلك القهوة وأنتقلت إلى الناحية التى أمامها لدرجة أن الشارع الجانبى الملاصق لها عرف بشارع الإتحاد بل وانتشرت تسمية الإتحاد إلى المخبز والصالون والمطعم الموجودة بتلك المنطقة . وكان صالون الإتحاد لصاحبه محمد عبد المولى يجيد عزف العود ويعزف أدوار ومواويل سيد درويش ومحمد عبد الوهاب وكان مثار إعجاب رواد هذا المقهى العريق أما إبنه حسن عبد المولى فكان يهتم بتربية عصافير الكناريا والتنبوئات فى الرياضة والأحداث السياسية فى العالم حتى عرف بحسن جالوب نسبة إلى معهد جالوب الأمريكى للإحصاء .

نعود إلى مقهى الإتحاد التى ثبت صاحبها فى مدخلها صورة كبيرة للزعيم الخالد سعد زغلول نظراً لأن أغلب روادها من مؤسسى حزب الوفد وعلى رأسهم على بك لهيطة والثلاثى الذى لا يفترق عبد الوهاب ندا ومحمد أبو العينين ومصطفى عبد الفتاح . كماكان من رواد هذا المقهى كبار رجال الأعمال فى بورسعيد أمثال أحمد بك أبو الريش (مقاول بحرى) وأحمد أبوعلى (مقاول) وحسن حمزة (مقاول) بالإضافة إلى رجال الفكر والأدب البورسعيدى كشاعر القنال على الألفى ومحمد شردى (مراسل جريدة المصرى) والأديب عبد الهادى الحديدى . كما كانت مقراً لرؤساء النادى المصرى وعلى رأسهم الحاج عوض فقوسة ثم محمد أفندى موسى .

وفى أقصى الغرب من هذا الشارع جامع فؤاد الأول الذى احتفل بوضع حجر الأساس له فى ٣ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ الخامس من فبراير ١٩٤٦ وكان من ضمن مآثر المقاول البحرى صالح سليم بك والتى كانت سبباً فى منح الملك فاروق رتبة الباشوية له . وبعد قيام الثورة نسب هذا الجامع لمؤسسه صالح سليم باشا الذى كان يحرص على أن يصلى فيه وبالأخص فى أيام الجمع وكان رحمه الله يمر بعربة الحنطور الخاصة بمساكن رجال الوعظ والإرشاد أصحاب الفضيلة الشيخ فاضل وعابد ومعوض عوض إبراهيم والأباصيرى الريس

ليصطحبهم إلى مسجده كل يوم جمعة أما الشيخ رزق عبده عرب فكان يتولى الإمامه فيه.

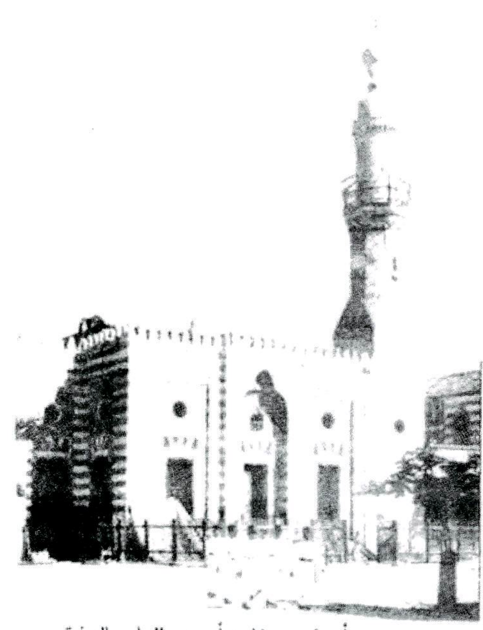
وفى نهاية هذا الشارع جبانات بورسعيد وبمحضر مجلس بلدى بورسعيد المؤرخ فى ٢٢ أبريل ١٩٢٢ تمت الموافقة على الترخيص لصالح سليم بك بأن يبدل السبيل الخشبى (المحتوى على أزيار الذى أقامه من بضع سنوات بشارع الجبانة) إلى آخر من المبانى تصرف منه المياه مجاناً بواسطة حنفيات .



صورة مأخوذة من شارع الثلاثينى للجامع التوفيقى



تمثال دى ليسبس النصفى



صورة مأخوذة من شارع أوجينى للجامع التوفيقى



الباب السابع

شارع عباس

إنه لشئ جميل أن تكتب وتؤرخ عن بلدك وبلد آبائك وأجدادك أما الأكثر جمالاً أن تخص بالذكر الشارع الذى ولدت فيه ، فقد ولدت فى يوم السبت ٢١ رمضان سنة ١٣٦٣ هـ الموافق التاسع من سبتمبر ١٩٤٤ بالمنزل رقم ١٦ شارع عباس وعرفات بحى الأفرنج بمنزل اليونانى نيقولا سيتيناس (قبطان بشركة قنال السويس ويمتلك بواخر وشركات ملاحية ومن بعده أولاده) .

وهذا الشارع يقع على الأرض المكتسبة للمدينة من أراضى طرح البحر بمعنى أنه لم يكن له وجود قبل نشأة المدينة التى كان حدها الشمالى رصيف أوچينى .

وتسمية هذا الشارع نسبة للخديوى عباس حلمى الثانى الذى تولى حكم مصر خلفاً لوالده الخديوى محمد توفيق باشا فى الثامن من يناير ١٨٩٢ فأيد الحركة الوطنية فى مهدها وشجع زعيمها مصطفى كامل وحزبه (الحزب الوطنى) وناصب العداء للإنجليز وعلى رأسهم اللورد كرومر فضمروا له الشر، فانتهزت انجلترا سفره لتركيا للاستشفاء فقامت بعزله فى ديسمبر ١٩١٤ . وفى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمايتها على مصر وبذلك انطوت صفحة عباس إلى الأبد ، وظل هذا الشارع يحمل إسمه إلى أن تغيرت تسميته إلى محفوظ حسين العجرودى « محاسب » وهو أحد أعضاء مجلس بلدى بورسعيد سنة ١٩٤٦ ... ولهذا المجلس قصة فى تاريخ بورسعيد ! .

أجريت إنتخابات مجلس بلدى بورسعيد فى أوائل سنة ١٩٤٦ أثناء حكومة « محمود فهمى النقراشى التى كانت مؤلفة من حزب الكتلة السعدية » وكان التنافس على أشده بين المرشحين الوفديين وعلى رأسهم المرحوم حامد الألفى والمرشحين السعديين وعلى رأسهم المرحوم محمد السيد سرحان الذى لم يرشح نفسه للمجلس البلدى لشغله منصب عضو مجلس النواب عن بورسعيد وأدار الأستاذ محمد سرحان بنفسه المعركة الإنتخابية بعد أن انضم له بعض المستقلين وانتهت المعركة الإنتخابية بفوز التآلف السعدى والمستقلين وطعن الوفديون فى نزاهة هذه الإنتخابات وعرض هذا الطعن على القضاء الإدارى (مجلس الدولة) وقضى بعدم حجية الطعن وكان رئيس المجلس البلدى (بحكم القانون) محافظ القنال فؤاد شرين باشا والأعضاء المنتخبون على بك دحروج (وكيل المجلس - مقاول أشغال بحرية) ، أحمد بك الجعلى (مدير البريد ثم مدير سيمون آرزت) ، محمود حلمى الزيدى (مقاول أشغال بحرية) ، أحمد عبد الرحمن الإتربى (تاجر زيوت ومواد تموينية) ، أحمد بك هدية (شيب شندر) ، على البحراوى (محام) ، الدكتور أنور محمد أبو الخير (صيدلى) ، محمد بك علوان (مقاول) ، أحمد على المصرى (مقاول) ، المهندس على السيد سرحان (مدير مرفق قنال المنزلة) ، محمد محمد عثمان (محام) ، حامد مصطفى جودة (تاجر) ، محمد موسى (مدير مساعد انجلش كولنج) ، محمد حسن الصياد (تاجر) ، فهمى أبو النور البحراوى (تاجر) ، محمد خليل خلف (تاجر) ، محمد حسين الشافعى (من الأعيان) ، محمود أحمد سرحان (تاجر أسلحة) .

ويعتبر هذا المجلس أول مجلس مصرى مائة فى المائة ولا يمثل فيه أعضاء أجانب .

وهذا الشارع يبدأ من ناحية الشرق بالأسبورتنج كلوب (حديقة فريال) وكان مكانها أول سلخانة بورسعيد . وقرر مجلس بلدى بورسعيد بجلسة ٩ مايو ١٩١٤ إلغاء نظام البواكى فى هذا الشارع توسيعاً لنطاق منطقة الفيلات (أطلق على أراضى طرح البحر منطقة الڤيلات) .


الكابتن موسكاتيللى

ويبدأ بشارع صلاح الدين ثم شارع رشدى ثم شارع الأهرام (الملكة فريدة) جمال عبد الناصر حالياً وهو شارع مزدوج والذى يعتبر الشارع الوحيد فى بورسعيد المزدوج وبوسطه حديقة ، فمدرسة الليسيه فرنسيه والتى افتتحت سنة ١٩١٠ وأمامها فى نفس الشارع ڤيلا تابعة لشركة القنال ثم شارع قيتباى حيث مبانى كبار موظفى وقباطنة شركة قنال السويس من الهولنديين والنرويجيين والفرنسيين وكانت تصدح فيها الموسيقى أيام الآحاد وأمامها ستوديو موسكاتيللى حارس مرمى النادى المصرى فى الأربعينات وهو مصور


الأستاذ مصطفى شردى

بارع زود محله بأحدث أدوات التصوير التى أحضرها من إيطاليا واستغل كونه مصوراً أجنبياً وقام بتصوير كافة تفاصيل معركة بورسعيد سنة ١٩٥٦ بل سمح له بدخول معسكرات القوات المعتدية فسجل أدق أمور الحياة فيها فصور كيف كانت تعامل القوات المعتدية الأسرى المصريين من أبناء بورسعيد . وقد استخدمت القيادة المصرية هذه المجموعة فى فضح بشاعة وفظائع الأعمال البربرية للقوات المعتدية على المستوى العالمى وفى المحافل الدولية وكان يساعده المصور إبراهيم شليل وبتلك المناسبة نشيد بجهود الصحفى الكبير المرحوم مصطفى شردى فى تصوير أحداث معركة ١٩٥٦ والتى سلمها للأخوين مصطفى وعلى أمين وتم نشرها فى مجلة آخر ساعة يضاف يوميات المعركة التى سطرها يوما بيوم أظهر فيها الأستاذ مصطفى شردى بطولات شعب بورسعيد رحمه الله رحمة واسعة وله منا فصل كامل فى تاريخ الصحافة البورسعيدية فى الباب الثانى.

وبعده مبنى خشبى من الطرز الفريدة التى كانت تشتهر بها مدينة بورسعيد كانت وتقطنه أسرة الكاتبة الكبيرة سكينة فؤاد وقضت فيه ذكريات الطفولة الجميلة مع جيرانها تانت إﭬيلين وولديها سيرج وأنتى . ويليه منزل الدكتور Stépanovic Lous (يوغسلافى) عضو أول مجلس بلدى بورسعيد سنة ١٩١١ عديل التاجر بسارولا .

وبتقاطع شارع عباس بشارع الظاهر تقع ﭬيلا الدكتور روو Roux كبير أطباء شركة القنال وقد دخلت هذه الفيلا التاريخ أكثر من مرة فقد اتخذها المحافظ محمد رياض مقراً للمحافظة بعد أن قصف مبنى المحافظة بقنابل الطائرات البريطانية والفرنسية فى الخامس من نوفمبر ١٩٥٦ وقص علىّ المرحوم اللواء حسن حسنى على سليمان (مدير مكتب الحاكم العسكرى - محمد رياض - إبان العدوان الثلاثى) أن بتلك الفيلا جربين (سرداب) كانت تقارير يوميات المعركة تبلغ من داخلها كما وضعت بها آلة لطباعة الأوامر العسكرية التى يصدرها المحافظ محمد رياض باعتباره حاكماً عسكرياً للمدينة . وقد اتخذ مقراً للاتحاد الإشتراكى العربى فمقراً لحزب مصر وهى حالياً مقر للحزب الوطنى الديمقراطى . وتجاورها مبنى ﭬيلا الدكتور تاجر نائب كبير أطباء شركة القنال وهو لبنانى الجنسية وألحقت بحديقة هذه الفيلا وسائل التسلية وأدوات الرياضة لأولاد هذا الطبيب .

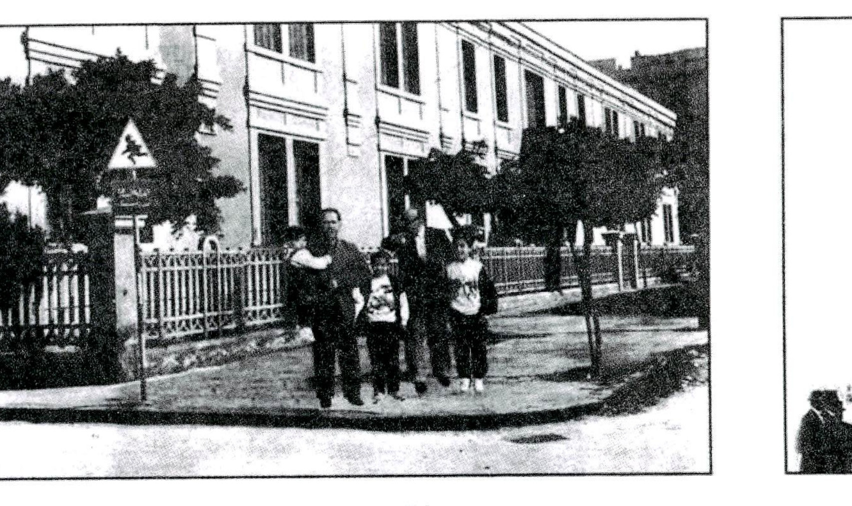
ثم يتقاطع شارع عباس بشارع عرفات حيث مسقط رأسى بعمارة سيتيناس وهى عمارة شاهقة كان يسكنها الأجانب وكنا وسكان الشقة التى تعلونا المصريين الوحيدين . وقدر لهذا المنزل أن يدخل التاريخ سنة ١٩٥٦ ليس لكونه مخبأ ضد الغارات الجوية مجهزاً بسقفين بحيث إذا تهدم العقار لايؤثر على الأشخاص الموجودين داخل المخبأ ، بل كان يقطن فيه الرائد مصطفى كمال الصياد قائد المقاومة الشعبية فى بورسعيد وكان يخبئ الأسلحة والذخيرة فى شقته كما كان يضع خطط الهجوم على الأعداء داخلها ، وأمام منزلى الذى ولدت فيه منزل الشيخ صديق لهيطة وهو من أعيان بورسعيد ومن رجال المال والاقتصاد فى بورسعيد ومنطقة القنال فى أوائل هذا القرن ، ومحاضر مجلس بلدى بورسعيد تحوى كثيراً عن نشاطاته التجارية (ابن عم جدتى) ويلى منزله مبنى من دور واحد هو منزل الوحدة العلاجية التابع لوزارة المعارف فى الأربعينيات والتى كان يقطنها من قبل الدكتور محمود شكرى المحامى والذى رشح نفسه لمجلس النواب عن حزب الوفد فى إبريل سنة ١٩٣٨ أخفق أمام منافسه عبد الملك حمزة .

ويلاصق هذا المبنى عمارة شامخة للمحامى الشهير عباس حلمى الذى يعتبر من الرعيل الأول لجيل محاميي بورسعيد وكان مشهوراً باللباقة والأستاذية وبالأناقة لدرجة أنه إذا ارتدى بدلة زيتى كانت حبات سبحته لونها زيتى وإذا ارتدى بدلة بنية اللون تكون سبحته من الكهرمان الأحمر بحباتها الكبيرة ، وقد أنجب مستشاراً وأستاذة فاضلة فى مجال التعليم هى الأستاذة معزز عباس حلمى وكان مدخله يطل على مستشفى الدليڤراند من شارع عبادى .

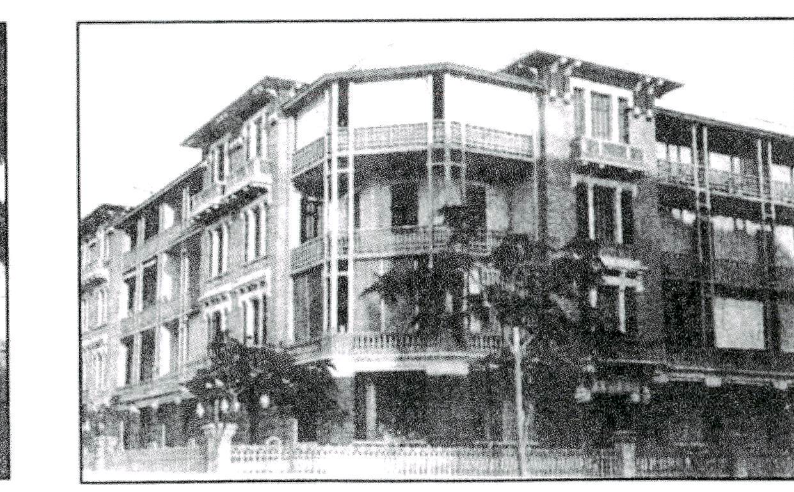
وأمام هذا المنزل منزل الحاج عبده طه أبو الخير من كبار تجار بورسعيد كان رجل بر وتقوى وخير كان يحيى ليالى رمضان بمقرأته الشهيرة وبجوار منزله منزل كانت به عيادتى أشهر الأطباء روشن يزدى (باطنى) وبشاى للعيون . ويلتقى بشارع عبد المجيد (عبد الهادى غزالى) وهذا الجزء من شارع عباس قصف بقنابل الطائرات الإسرائيلية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ويمتد شارع عباس بين حى العرب وحى الافرنج وبينهما حديقة التربية التى أنشأها المحافظ محمد محمود باشا سنة ١٩١٠ وبعد

مدرسة الليسيه من شارع توفيق عند الاحتفال بإفتتاحها



مدرسة الليسيه من شارع عباس



منازل قباطنة وربابنة شركة قنال السويس



مستشفى الدليفراند

نقله سنة ١٩١٤ عرفت عند أهل بورسعيد بحديقة الباشا .

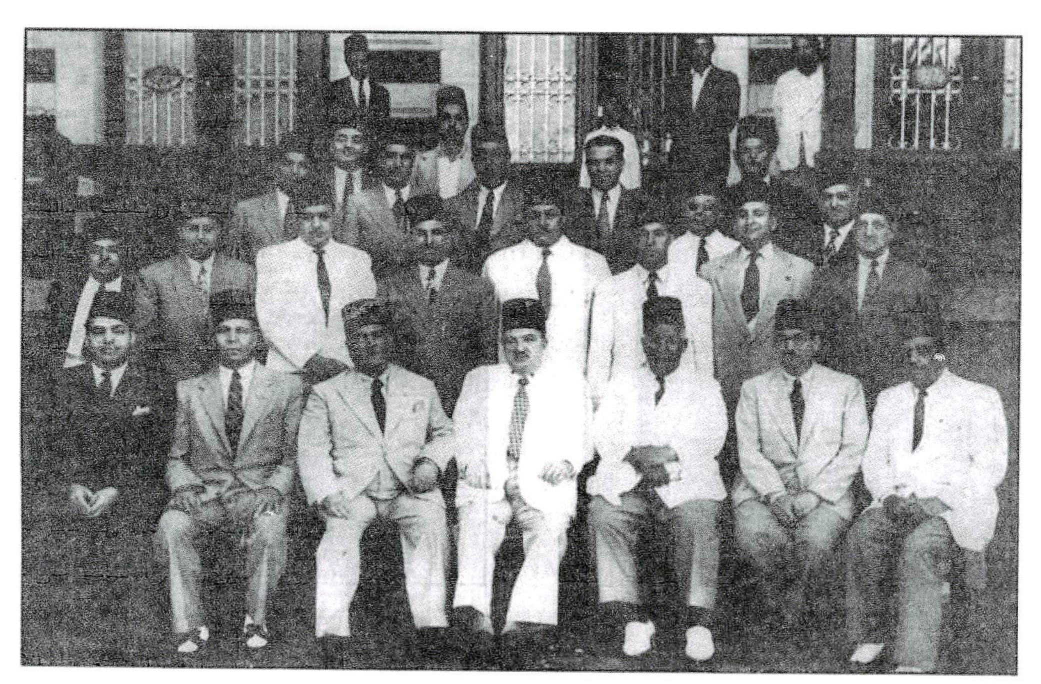
ويبتدىء شارع عباس من اتجاه حى العرب بشارع المحروسة (محمد على) بالمسجد العباسى نسبة للخديوى عباس حلمى الثانى والذى عين له الشيخ عبد الفتاح الجمل كأول إمام له لسعة وغزارة علمه وأصبح هذا الجامع المسجد الرسمى للمدينة وأمام هذا المسجد عمارة قبطان (شبشندر للمقاولات البحرية ومن أعيان بورسعيد) .

ويتقاطع مع شارع شريف الذى عرف بشارع المكتبات (العباسى ومجاهد والعدنى) لقربه من المدارس وعلى ناصيته منزل عائلة الصياد ثم شارع الغازى مختار ثم شارع الإسكندرية وتنتشر فيه المكتبات (أقدمها مكتبة دحروج وأحمد سلامة) وبه محلات بن بدران التى تأسست سنة ١٨٩٢ وبها أقدم ساعة أثرية فى بورسعيد .

أما إذا تقاطع شارع عباس مع شارع رياض (حالياً محمد العيسوى) فيقابلنا منزل آل عطا الله (الشيخ ابراهيم عطا الله)عضو المجلس البلدى وله دور فعال فى ثورة ١٩١٩ ومن مؤيدى سعد زغلول ومن مؤسسى حزب الوفد فى بورسعيد وبعد ذلك أصبح أول عضو لمجلس الشيوخ عن دائرة القنال . وعندما زار سعد زغلول بورسعيد فى سبتمبر سنة ١٩٢٠ مصطحباً معه مجموعة من أعضاء البرلمان البريطانى حلوا بكازينوبالاس وفيه اجتمعوا بأعيان بورسعيد وفى المساء أقام الشيخ إبراهيم عطا الله سرادقاً أمام منزله خطب فيه سعد زغلول خطبة حماسية فمنذ ذلك التاريخ أطلق عليه أهل بورسعيد بيت الأمة نسبة إلى دار سعد زغلول بالعاصمة ، وأمامه قراقول بوليس العرب وبلغة أهل بورسعيد كراكون وخلفه قسم السوارى أو بوليس الخيالة ووظيفة بوليس الخيالة بالإضافة إلى حفظ الأمن (كتقليد جميل مورث) تتصدر المواكب فى الماضى التشريفة الكبرى والصغرى . ومنذ نشأة النادى المصرى تحافظ على منع التجمهر فى المباريات الحاسمة وكانت تصطف كحرس شرف فى المناسبات الرسمية .

وينتهى شارع عباس بمنزل سودان باشا حيث المحكمة الشرعية وسوف نتحدث عن أشهر قضاياها فى الجزء الثانى (عادات وتقاليد أهل بورسعيد) وحديقة سعد زغلول هى نهاية المطاف بهذا الشارع .

وشارع عباس الجزء الواقع بحى العرب يعبر عن نضال شعب بورسعيد فجرت على أرضه بطولات كثيرة وسقط فى ساحته شهداء . وتأثر بالقصف الجوى والمدفعى لطائرات وأساطيل إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٥٦ وتهدمت واحترقت كثير من المنازل وأعيد بناؤها وتعميرها بفضل جهود وزارة شئون بورسعيد التى كان يرأسها عضو مجلس قيادة الثورة عبد اللطيف البغدادى وكان يمثلها فى بورسعيد المهندس عبد الرازق بقشيش.



أعضاء مجلس بلدى سنة ١٩٤٦ يتوسطهم المحافظ فؤاد شيرين باشا

الباب الثامن

إفتتاح مدينة بورفؤاد

فى الشاطىء الأسيوى (أو البر التانى) بلغة أجدادنا من أهل بورسعيد لم يكن هناك أى وجود لأية حياة على هذا الشاطئ الأسيوى .. ولما عدت لأحد الصور القديمة التى فى حوزتى عن هذا الشاطىء والمأخوذة فى نهاية القرن الماضى وجدت مجموعة للورش التى كانت تستخدمها شركة قنال السويس فى صيانة وإصلاح معداتها أو إصلاح وصيانة السفن العابرة لقنال السويس ومن ضمن ما وجدت بهذه الصور مجموعة من الكبائن الخشبية كالتى كانت موجودة على شاطىء بورسعيدوالتى تهدمت وأحرقت فى زمن العدوان الثلاثى على بورسعيد ١٩٥٦ مما يدل على أن كبار موظفى شركة قنال السويس كانوا يستخدمونها للتصييف قبل إنشاء مصيف شاطىء بورسعيد ومما يؤكد ذلك : الخبر التالى الذى ورد بالمرجع اليونانى لخالد وبيس ص ٣٣ : « فى سنة ١٨٨٥ كانت أجمل فسحة فى مدينة بورسعيد على الميناء مكان السور الخشبى الذى أصبح الأن حديدى والذى يحد المنطقة الجمركية التى لم يكن لها من قبل أية أسوار وحتى مبنى السلخانة القديم حيث كان ميناء بورسعيد من الموانى المفتوحة وكان فى الإمكان بصولدى واحد « مليمان » تؤجر فلوكة توصلك للبر التانى الذى كان يطلق عليه الشواطىء الخالدة Bousquet وهذا الشاطىء كان موجود مكان ورشة الكهرباء الخاصة بشركة القنال والتى أصبحت الآن بورفؤاد والتى كان يطلق عليها « البر التانى » .

وقبل إنشاء مدينة بورفؤاد لم يكن فى الضفة الشرقية من أبنية سوى المحجر الصحى الذى أنشىء سنة ١٩٠١ لعزل المصابين بأوبئة معدية من ركاب السفن المارة بالقناة وتقع هذه الكورنتينة فى جهة الجنوب على بعد خمسة كيلومترات .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وهدأت الحالة فى العالم فكر القائمون على شركة قنال السويس فى بناء مدينة عمالية للعاملين بورشها فى البر الأسيوى بحيث تشمل ٣٠٠ مسكن لأسر وعائلات هؤلاء العمال .. وأنعكست فكرة إنشاء هذه المدينة على أهم مرجعين نستند عليهما فى بحثنا هذا عن مدينة بورفؤاد وهما محاضر مجلس بلدى بورسعيد والمرجع اليونانى لديمتريوس خالدوبيس .

ففى جلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة يوم الأحد ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ تحدث رئيس المجلس (وكيل المحافظ محمد ضيا بك نيابة عن المحافظ محمد حداية بك الذى نقل محافظاً للإسكندرية فى أول نوفمبر ١٩٢٠ وحل محله محمود بك صدقى) قائلاً : « تعلمون حضراتكم أن مدينة جديدة تنشأ الآن على ضفة الميناء الأسيوية أمام بورسعيد ونظراً لأن هذه المدينة الجديدة ستكون بينها وبين مدينتنا رابطة شديدة إذ أن ساكنيها سيكونون من أهل مدينتنا فأظن أنه يمكننا أن نقترح على الحكومة الإسم الذى سيطلق عليها » .

وبعد المداولة قرر المجلس أن يعطى للمدينة الجديدة إسم (بورفؤاد) وكان رجاؤهم أن يعرض هذا الإسم على صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد للموافقة .

وتبودلت المذكرات بين شركة القنال والحكومة المصرية تطلب فيها الشركة موافقة الحكومة فأمر رئيس الوزراء توفيق نسيم باشا « ووزير الداخلية فى نفس الوقت » بتشكيل لجنة من وزارة الداخلية لدراسة ما جاء بهذا المشروع من الوجهة الفنية والإدارية واستمر عملها حتى سنة ١٩٢٢ حيث قدمت تقريرها لرئيس الوزارة عبد الخالق ثروت أوضحت فيه المزايا الناجمة عن إنشاء مثل هذه المدينة ... وفى ٨ مايو ١٩٢٣ قدمت الشركة للحكومة مذكرة ثانية تفيد بأنه تم تطوير الفكرة الواردة بالمذكرة الأولى لتصبح انشاء مدينة صغيرة .

ويعلق المرجع اليونانى لخلدوبيس فى ص ١٨٨ على هذه المحادثات بالآتى : « فى أول يونيو ١٩٢٣ أكملت شركة قنال السويس محادثاتها مع الحكومة المصرية والتى بدأت سنة ١٩٢٠ بشأن إنشاء مدينة جديدة - المعروفة الآن بورفؤاد - على الضفة الشرقية للقنال وكان سيطلق عليها « بورسعيد الشرقية » ولتنفيذ إقامة هذه المدينة أقرضت شركة قنال السويس إدارة الأملاك المشتركة مبلغ عشرة ملايين فرنك بدون فائدة تستردها شركة القنال بعد بيع وتقسيم أراضى هذه المدينة الجديدة ، ومنذ ذلك التاريخ قامت شركة القنال بنقل جميع الورش الخاصة بها والموجودة فى بورسعيد إلى الضفة الشرقية يضاف أنها قامت ببناء مساكن لموظفيها وعمالها . وتبلغ مساحة المدينة الجديدة مليون ومئتا ألف متر مربع يخص شركة القنال منها سبعمائة وواحد وأربعون ألف متر مربع ويخص مصلحة الأملاك المشتركة أربعمائة وتسعة وخمسون ألف متر مربع ستقوم ببيعها للأهالى » .

كلفت الحكومة المصرية محمد محب باشا وزير المالية بإنشاء لجنة من وزارة المالية لدراسة مشروع إنشاء هذه المدينة .. وفى ٤ يونيو ١٩٢٣ أصدر محب باشا قراراً بتشكيل لجنة برئاسة صادق حنين باشا وكيل وزارة المالية وعضوية حضرات محمد رفعت بك محافظ عموم القنال والشيخ ابراهيم يوسف عطا الله وعلى أفندى لهيطه - عضوى الشيوخ والنواب عن دائرة القنال فيما بعد - والمستر باكستر السكرتير المالى بالوزارة وحنين جرجس بك مندوب الحكومة فى مصلحة الأملاك المشتركة وشريف صبرى بك ، شقيق الملكة نازلى ، مدير قسم البلديات والدكتور مصطفى صفوت البقلى بك مندوباً عن مصلحة الصحة ومحمد وجيه بك سكرتير اللجنة .. وقامت اللجنة بفحص ودراسة المشروع بأكمله واستعانت ببعض المستشارين الأجانب.

وخلال دراسة لجنة محب باشا للمشروع كانت هناك آراء مؤيدة وآراء معارضة لإنشاء هذه المدينة ، وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة السبت ٧ يوليو ١٩٢٣ تحدث عضو المجلس إبراهيم أفندى لهيطة موجهاً كلامه لسعادة الرئيس ، محمد رفعت بك محافظ القنال ، هل يمكن معرفة ما تم عليه الاتفاق بخصوص شرط إنشاء مدينة جديدة تسمى بورسعيد الشرقية .. فرد الرئيس ، أظن أنه لم يتقرر شيء إلى الآن ، .. فعاد العضو إبراهيم لهيطةللحديث قائلاً : ، أقترح أن الوفد الذى سيتشرف بمقابلة صاحب الدولة وزير الداخلية وصاحب المعالى وزير المالية يتكلم كذلك مع الحكومة فى شأن المضار التى يمكن أن تلحق بورسعيد من إنشاء هذه المدينة ،.

وكانت جلسة المجلس البلدى المنعقدة السبت ٤ أغسطس ١٩٢٣ خصصت بالكامل للحديث عن إنشاء مدينة بورفؤاد وكانت برئاسة المحافظ حسن باشا مظلوم وأنقل لكم هذا المحضر بالكامل :

محضر

جلسة القومسيون الإعتيادية المنعقدة فى يوم السبت

٤ أغسطس سنة ١٩٢٣

فتحت الجلسة فى الساعة الخامسة افرنكى مساء تحت رئاسة حضرة صاحب السعادة حسن باشا مظلوم محافظ القنال.

سعادة الرئيس - جناب البارون دى بنوا حضر اليوم خصيصاً لكى يعطى القومسيون إيضاحاً عن مشروع إنشاء البلد الجديدة بالبر الشرقى وهو الموضوع الذى تكلم فيه القومسيون فى جلسته الأخيرة ..

جناب المسيو دى بنوا - إنى آسف لأنى لم أكن حاضراً بجلسة الشهر الماضى وحيث أنى رأيت فى محضر الجلسة ما يستدل منه مسئولية المجلس من جهة إنشاء بلد جديد بالبر الشرقى بدرجة أنه قد قرر أن يتكلم مع الحكومة فى هذا الطلب لذلك فقد حضرت اليوم لأعطى للمجلس جميع البيانات. ليس هناك ما يدعو لمسئولية المجلس المطلقة لأن مدينة سوف لاينالها أقل ضرر بسبب إنشاء المدينة الجديدة . إن المخابرات جارية الآن مع الحكومة فى موضوعها ولم تنته بعد ولم يتقرر شيء مطلقاً ويمكننى أن أؤكد لكم أن بورسعيد سوف لا ينالها أقل ضرر من هذه الوجهة . وربما أن البلدية لما رأت أن الشركة مهتمة بإنشاء البلد الجديدة ظنت أن عناية الشركة لبورسعيد واهتمامها بأمورها سيوجهان فى المستقبل إلى البلد الجديدة فإذا كان صحيحاً فإنى أؤكد أن هذا الظن ليس هناك ما يؤيده وأن الشركة سوف لا تحرم بورسعيد تعضيدها ومساعدتها على الإطلاق وإلا إذا أراد أحد حضراتكم أن يستفهم عن شيء فأنى أوضحه له.

حضرة محمد بك غندر - إذا اراد أحد من حضراتكم أن يشترى أرضاً فى البلد الجديدة هل الشركة تبيعه إياها.

حضرة المسيو دى بنوا - ستبيع الشركة أراضى للأفراد بمجرد ما ينتهى الاتفاق على ذلك مع الحكومة.

حضرة محمد بك غندر - هذا هو سبب مسئوليتنا.

حضرة على أفندى لهيطة - عند ذاك يترك كثير من الناس بورسعيد للإقامة بالبلد الجديدة فيبدأ انحطاط بورسعيد وعلى الأخص من الوجهة التجارية.

جناب المسيو دى بنوا - لا أرى أى خطر على تجارة بورسعيد ومع ذلك يجب التمييز بين طبقات الناس ومقدرة كل طبقة على الشراء . فطالما أنه ستعرض فى البر الشرقى أراضى ثمنها منخفض كذلك سيكون هناك أراضى ثمنها مرتفع وأن الأشخاص الذين سيشترون أراضى فى البر الشرقى سيكونون من طبقة العمال حيث أن الأراضى لهذه الطبقة فى بورسعيد أصبحت غير موجودة ومن المؤكد من جهة أخرى أنه إذا وجدت قطعتان متساويتان فى الثمن أحدهما بالبر الشرقى والأخرى فى بورسعيد فإن طالب الشراء لا يتردد فى إختيار قطعة بورسعيد .

حضرة على أفندى لهيطة - سمعت أن الثمن المحدد لأراضى البر الشرقى هو ٥٠ قرشاً للمتر المسطح .

جناب المسيو دى بنوا - لم يتقرر شيء من ذلك الآن.

الدكتور سكوفريولو - يوجد فى بورسعيد أراضى فضاء كثيرة وأظن أن الأفضل الإنتظار حتى تملأ هذه الأراضى بالمساكن لكى يتسنى إذ

ذاك بيع أراضى البر الشرقى.

جناب المسيو دى بنوا - توجد فى الواقع أراضى غير مبنية ببورسعيد فى الأحياء غالية الثمن ولكن فى الأحياء الفقيرة لا توجد أرض فضاء ، والفقراء هم الذين سيذهبون للبلد الشرقى إن أرادوا ولكن تركهم بورسعيد لا يؤثر عليها مطلقاً.

الدكتور سكوفريولو - إلا أن إيرادات البلدية ستنقص كثيراً بسبب رحيلهم.

جناب المسيو دى بنوا - لا توجد أراضى مطلقاً ببورسعيد لسكن الفقراء.

حضرة على لهيطة - مصلحة الأراضى المشتركة يمكنها أن تنشىء أراضى بالردم فى بحيرة المنزلة كما فعلت منذ عامين.

جناب المسيو دى بنوا - ليس هناك متسع لذلك فالشركة ستنشىء قبلى حدود المبانى الحالية أحواضاً للملاحة.

حضرة إبراهيم أفندى لهيطة - المفروض هو أن الشركة انشأت مدينة بالبر الشرقى لعمالها ولما رأت أن الأراضى هناك أكثر من حاجتها أرادت أن تتخلص منها بالبيع ولكن ذلك فيه ضرر لبورسعيد.

حضرة على أفندى لهيطة- إذا كانت الشركة غير مستعدة لأن تنشىء فى البحيرة أراضى جديدة فالحكومة يمكنها أن تبيع أراضى المناخين لإقامة مساكن للعمال عليها لأنى أرى وجود الانتفاع فى بورسعيد أولا بكل الأراضى الفضاء بها.

حضرة على أفندى البحراوى - ولكن الظاهر أن الشركة تفضل بيع أراضى البر الشرقى.

حضرة على أفندى لهيطة - إذا لم ترد مصلحة الأملاك المشتركة إنشاء أراضى بالردم فى بحيرة المنزلة فالبلدية تقوم بهذه العملية.

جناب المسيو دى بنوا - قلت أن ذلك غير ممكن لأننا سننشىء أحواضاً للملاحة الداخلية هناك.

حضرة ابراهيم أفندى لهيطة - ما دام أن الشركة ليس لها أرض ببورسعيد فأنها ترغب أن تبيع للناس من جهة أخرى وبناء على ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نتخاطب مع الحكومة فى الموضوع.

جناب المسيو دى بنوا - ولكن لماذا تخشون أن يكون البر الشرقى مسكوناً.

حضرة على أفندى لهيطة - للدفاع عن تجارة بورسعيد.

جناب المسيو دى بنوا - ليس هناك أقل تأثير على تجارة بورسعيد هذا فضلاً عن أنها خالية من الأراضى الفضاء أما فيما يختص بالمناخ فإنه قذر.

حضرة على أفندى لهيطة - نحن مستعدون الأن لإصلاحه حتى يمكن بيع أراضيه بشروط مخصصة.

جناب المسيو دى بنوا - أؤكد لكم أن بورسعيد سوف لا ينالها ضرر من جراء إنشاء المدينة الجديدة.

حضرة إبراهيم أفندى لهيطة - بورسعيد لا تخشى مطلقاً من المشروع إذا كان قاصراً على منازل لعمال الشركة. لكن بخلاف ذلك يكون ضار للمدينة والحكومة.

حضرة على أفندى لهيطة - إن الأمر كذلك لأن الأراضى ستكون فى البر الشرقى أقل ثمناً منها فى بورسعيد فيبنها أهل بورسعيد ويرحلون من هنا.

حضرة محمد بك غندر - هل حددت أثمان الأراضى.

فأجاب سعادة الرئيس بالنفى.

حضرة محمد بك غندر - من المحتمل أن تحددوا أثمان مخفضة بدرجة أن كثيراً من الناس يفضلون الشراء والبناء هناك إذ ذاك يتكرر ما حصل بالقنطرة سابقاً ولكن هذه الدفعة تكون مبدأ انحطاط بورسعيد.

سعادة الرئيس - ستحدد أثمان باتفاق الحكومة والشركة أو بمعرفة مصلحة الأراضى المشتركة التى أنا أمثل الحكومة فيها بصفة نائبها الأول.

حضرة على أفندى لهيطة - من المحتمل أن يقع الإتفاق على قاعدة تحديد أثمان بخسة فى الأول لجلب المشترين ثم زيادتها تدريجياً بعد ذلك وهذا ما حصل فى بورسعيد نفسها.

جناب المسيو دى بنوا - ولكن المبانى ستكون كبيرة النفقات هناك وهل تظن أن مالكاً ما يبيع منزله هنا ليبنى غيره هناك.

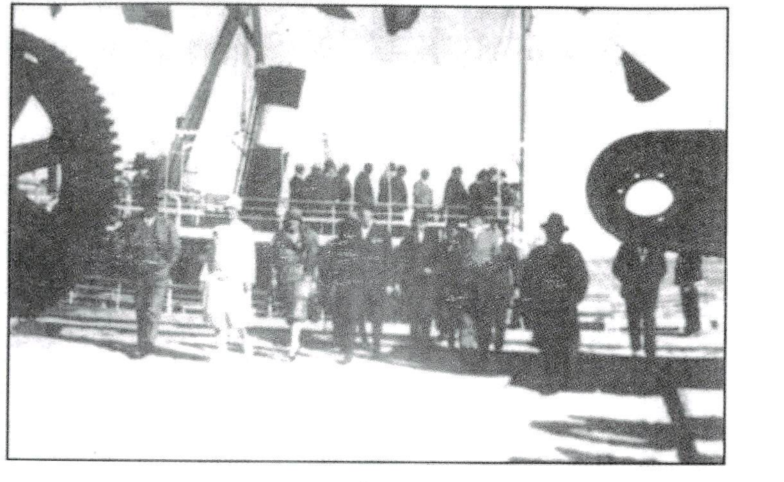
حضرة على أفندى لهيطة - من المحتمل أن تشكل إذ ذاك شركات لتبنى مساكن بالتقسيط من نوع شركة عين شمس.

جناب المسيو دى بنوا - أظن أنه كان يجب عليكم أن تسروا من رؤية بلد جديد يقام أمام بورسعيد إذا كنتم تنظرون للموضوع من جهة المنفعة العامة التى تعود وليس من وجهة نظر المنفعة التى يتوخاها صاحب الملك.

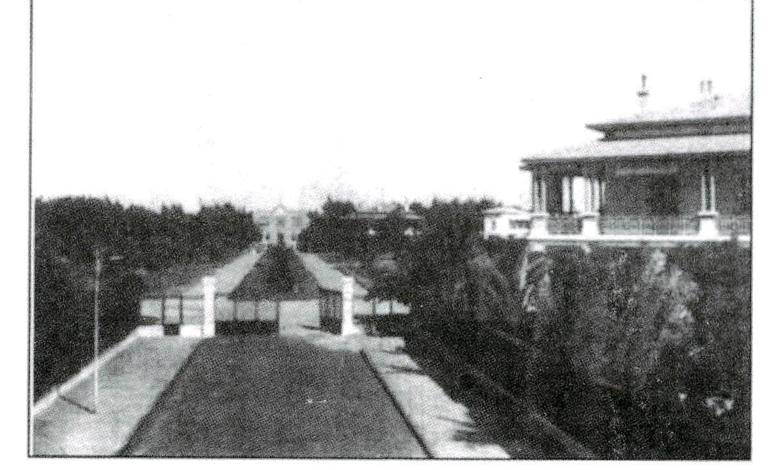
حضرة الدكتور على أفندى البحراوى - أرى من الوجهة الصحيحة أنه يحسن وضع رسومات للمدينة بحيث تبنى فيها المجارى كذلك الخدمات العامة.



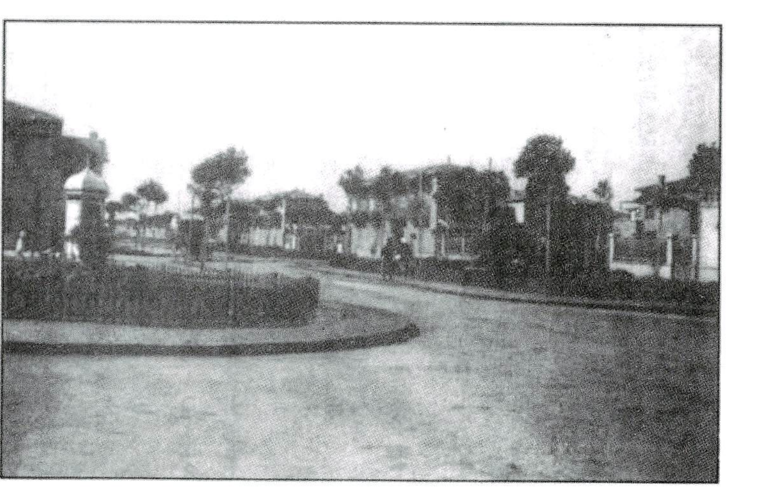
وصول الملك فؤاد وبصحبته المندوب السامى البريطانى والبارون دى بنوّاه وعدلى يكن رئيس الوزارة لمدينة بورفؤاد يوم الإفتتاح



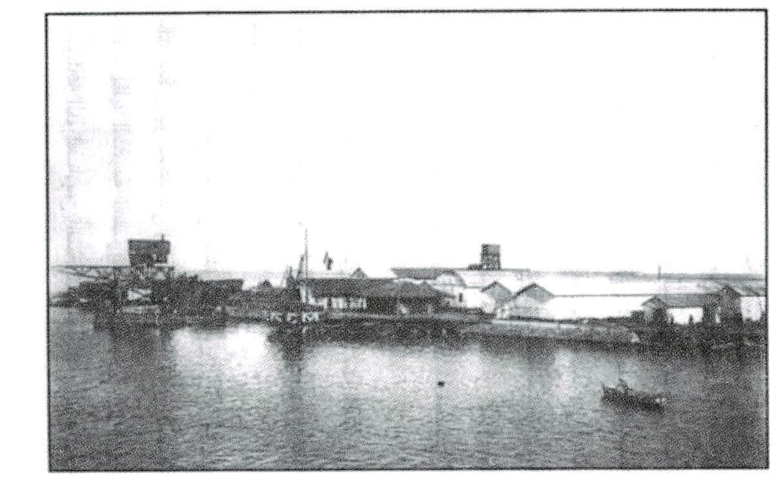
كبار الزوار من الأجانب يتوسطهم الأمير فاروق (الملك) يوم الإفتتاح

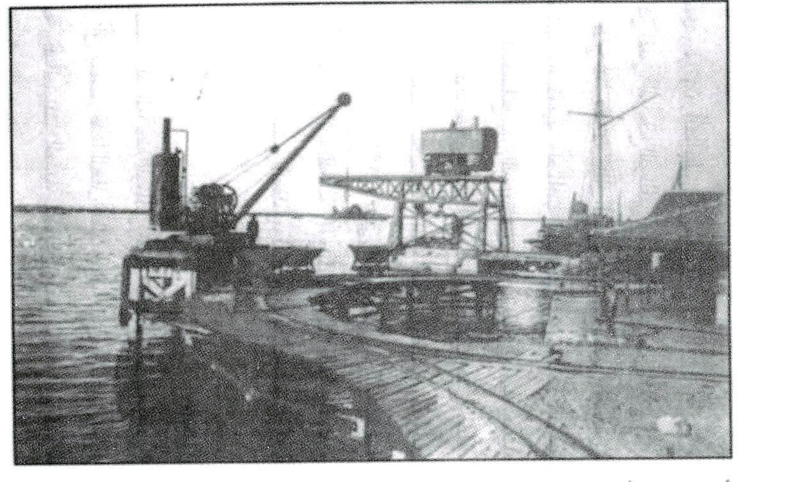


أحد الشوارع الرئيسية بمدينة بورفؤاد يخترق الحديقة ويؤدى إلى ورش شركة القنال



الميدان الرئيسى لمدينة بورفؤاد يوم الإفتتاح





ورش شركة القنال فى الشاطئ الأسيوى قبل نشأة بورفؤاد

عملية إنشاء ورشة شركة القنال (الترسانة البحرية) سنة ١٩١٣

المرور الأول لمعدية بورفؤاد يوم الافتتاح ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٦

جناب المسيو دى بنوا ـ كل ذلك بحث فيه وتقرر.
حضرة إبراهيم أفندى لهيطة ـ صرح جناب المسيو دى بنوا أن الشركة لا تملك أراضى فضاء ببورسعيد فاستنتج من ذلك أنها بمشروعها هذا إنما تبحث عن منفعتها الخاصة ومن جهتى فإنى مصمم على رأيى وهو أن تحقيق المشروع كما ترغب الشركة ينشأ منه ضرر للمدينة والحكومة فأقترح بناء على ذلك أن نطلب من الحكومة عدم موافقتها على بيع أراضى للأفراد بالبر الشرقى.
وأيد هذا الاقتراح كل من حضرات على أفندى لهيطة ومحمد بك غندر والدكتور على أفندى البحراوى.
حضرة على أفندى لهيطة ـ نحن لا نعارض مطلقاً فى إنشاء البلد الجديدة طالما أنها تكون قاصرة على مساكن الشركة وقد كنا قد قررنا فى جلستنا السابقة أن نتعاون فى المشروع « الموضوع مع أصحاب الدولة والمعالى الوزراء المختصين » وقد حضر جناب المسيو دى بنوا يعطى إيضاحاً فنحن نشكره عليها ولكنى متأسف أن أقول بأنه لا يمكننا العدول عن رأينا الخاص بمحادثتنا مع الحكومة .
حضرة ابراهيم أفندى لهيطة ـ يجب تقديم مذكرة تفصيلية لأصحاب الدولة والمعالى الوزراء المختصين بمعرفة اللجنة المخصصة التى ستتشرف بمقابلتهم.

سعادة الرئيس يقرر أمر تأجيل ذلك عندما نناقش فى المادة الرابعة من جدول الأعمال المختصه مع إعادة تشكيل الوفد المكلف لعرض أمانى المجلس على أصحاب الدولة والمعالى الوزراء المختصين حيث أن بعض الأعضاء الأجانب سافروا للخارج » . . .إلى هنا إنتهى محضر المجلس البلدى.

نعود إلى المرجع اليونانى لخلدوبيس ص ١٩٣ الذى يصور ما أصاب أهل بورسعيد من فزع من جراء إنشاء هذه المدينة قائلاً : « عندما تأكد سكان بورسعيد فى آواخر يوليو ١٩٢٤ أن شركة القنال قد قررت بكل تأكيد إنشاء المدينة الجديدة بورفؤاد .. انتظروا اللجنة التى سوف ترسلها الحكومة المصرية وكان سكان بورسعيد فى غاية من الخوف والاضطراب وقاموا بتشكيل جمعية مؤسسة من كافة الجنسيات وكافة الطوائف ومن أصحاب العقارات والتجار وجميع الحرفيين دفاعاً عن مستقبل بورسعيد الذى سيتأثر من جراء إنشاء هذه المدينة وجميع الصحف المحلية حاربت فكرة مشروع إنشاء تلك المدينة الجديدة والتى نادت بأنها ستقضى على بورسعيد فى الحاضر والمستقبل بل حاربت الجمعية التى أنشأتها شركة القنال لبيع أراضى هذه المدينة إلا أن جهود هذه اللجنة باءت بالفشل وظهرت بورفؤاد إلى الوجود ولم تؤثر أبداً على بورسعيد » .

وفى نفس المرجع اليونانى الخبر التالى ص ١٩٧ : « نشر فى الجريدة الرسمية فى عددها الصادر أول مايو ١٩٢٥ موافقة الحكومة المصرية على قيام شركة قنال السويس بوضع حجر الأساس لمدينة بورفؤاد وبناء على ذلك قامت شركة القنال ببناء كثير من الڤيلات التى بنتها لعمالها وموظفيها وأضافت إليها كثير من مظاهر التجميل سواء بزرع كثير من الأشجار وإقامة حديقة عامة ومواصلات لنقل الركاب والعربات والبضائع بين المدينتين وكان مقرر إقامة وسيلة اتصال كهربائية أعلى القنال إلا أنها لم تنفذ . ومن مايو ١٩٢٥ حتى الآن (سنة ١٩٣٩ وعند صدور هذا المرجع) والمعدية هى وسيلة الاتصال بين المدينتين » .

نعود إلى لجنة محب باشا التى انتهت بتقديم مشروعها مصحوباً بمشروع الاتفاق الذى إنتهى مجلس الوزراء (وزارة أحمد زيور) بقبوله فى ١٠ أكتوبر ١٩٢٥ . وفى اليوم التالى تم التوقيع على هذا الإتفاق ومثل الحكومة يحيى إبراهيم باشا (وزيرالمالية) ومحمد زكى الإبراشى (وكيل وزارة المالية) ومثل شركة القنال البارون لوى دى بنوا (الوكيل الأعلى لشركة قنال السويس) .. وقامت الحكومة المصرية بتسليم الأراضى المطلوبة للجنة الأملاك المشتركة التى كانت مهمتها تخطيط تلك المدينة وتنظيمها وإخراجها للوجود .

حفل افتتاح بورفؤاد

ويصور لنا المرجع اليونانى حفل الإفتتاح فى صفحة ٢٠٥ « أقامت شركة قنال السويس حفلاً بمناسبة افتتاح المدينة الجديدة بورفؤاد وقد تقرر أن يحضر هذا الحفل الملك فؤاد الأول والذى وصل ميناء بورسعيد فى السابعة من مساء يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٢٦ على ظهر اليخت المحروسة وقد أضيئت المدينة بالأنوار وكان الجميع يهتف للمليك .

وفى اليوم التالى للزيارة ٢١ ديسمبر ١٩٢٦ وصلت البارجة الحربية البريطانية Concord إلى ميناء بورسعيد قادمة من الإسكندرية وعلى ظهرها المندوب السامى البريطانى (لورد لويد) لحضور حفلات الافتتاح التى بدأت فى الساعة الثالثة والنصف فى السرادق الضخم الذى أقيم فيه حفل شاى حضره كثير من الشخصيات والتى ألقت نخبة منهم كلمات تاريخية انتهت بالترحيب بالزوار .

وفى الخامسة والنصف من مساء نفس اليوم عاد الملك فؤاد وأفراد حاشيته والوزراء لليخت المحروسة وفى نفس الوقت أطلقت الألعاب النارية فى سماء المدينة وقرأت عبارات الترحيب من خلال الصواريخ وكان أول صاروخ يطلق يحمل رسم للتاج الملكى وعبارة Vive Le Roi A.F. وتجمع سكان بورفؤاد على الضفة الشرقية للقناة كما امتلأت شرفات المنازل بجمهور غفير من المشاهدين وقد ساعد الجو الصحو فى إنجاح هذا الحفل .

كما أسعد هواة جمع طوابع البريد التذكارية صدور مجموعة طوابع تذكارية بمناسبة هذا الحدث العظيم فتوجه الآلاف منهم لشراء مجموعات منها وحدثت عدة مشدات تدخل لفضها البوليس بعد أن تزاحم على مكتب البريد .

لقد كان افتتاح مدينة بورفؤاد من الأحداث التاريخية التى لايمكن أن تنسى » .

أما حجر الأساس لافتتاح مدينة بورفؤاد فيعتبر أحد الوثائق التاريخية وحفر عليه الآتى :

افتتحت مدينة بورفؤاد فى ١٦ جمادى الآخر سنة ١٣٤٥ الموافق الثلاثاء ٢١ ديسمبر ١٩٢٦ بحضور صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول من السنة العاشرة من حكمه يرافقه صاحب العزة عدلى يكن باشا رئيس الوزراء والمسيو جونار مدير عام شركة قنال السويس كما حضرها جميع رجال الإدارة وأعضاء لجنة تأسيس مدينة بورفؤاد وهم اسماعيل (١) رمزى باشا ، أصلان يوسف قطاوى باشا (ممثلين عن الحكومة المصرية) والكونت دى سريون ، البارون لوى دى بنواه (ممثلين عن شركة قنال السويس) .

وخرجت مدينة بورفؤاد إلى الوجود بطابعها الأوروبى فقد وحدت شركة قنال السويس فى مبانيها وامتازت بميادينها وشوارعها الفسيحة المرصوفة والمظللة بالأشجار وزرعت النجيلة الخضراء وأقامت حديقة كبيرة بالقرب من ورشها واهتمت شركة القنال بالشاطئ الشمالى للبحر المتوسط المجاور لورشها وأقامت بلاجاً يفوق البلاجات العالمية جمالاً ، كما أنشأت عدة نوادى رياضية للسباحة والتجديف على شاطئ القنال (التجديف Rowing مديره المالطى مسيو كاروانا والنادى اليونانى ونادى شركة قنال السويس النوتيك) ودأبت هذه الأندية البحرية على إقامة حفلات راقصة فى مساء يوم السبت من كل أسبوع بالتناوب طوال فترة الصيف تنتهى بنهاية شهر سبتمبر وكانت هذه الأندية الثلاثة تتفق مع إحدى الفرق الأجنبية بالقاهرة أو الإسكندرية على إحياء هذه الحفلات وكان من ضمن النوادى الموجودة ببورفؤاد نادى شل وكانت تلقى فيه كثير من المحاضرات العلمية أهمها عن البترول وبافتتاح مدينة بورفؤاد زادت رقعت المصايف فى محافظة بورسعيد مما جعل كل محافظ يهتم بهذا المورد ونادوا بانشاء لجنة لتشجيع الإصطياف فى بورسعيد وبورفؤاد Comité D' Initiative De Port Said Et Port Fouad.

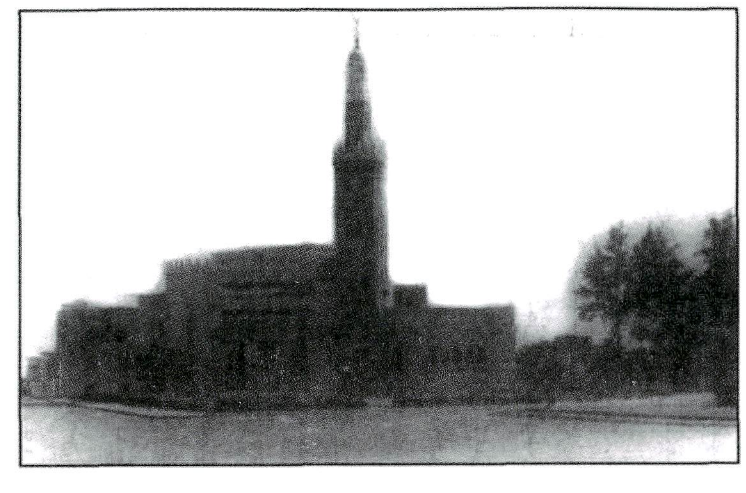

الشهيد جواد على حسنى

أما أهم أندية لعبة كرة القدم فهو نادى بورفؤاد الرياضى وخبر افتتاحه جاء بالمرجع اليونانى ص ٢٢٠ : « فى مارس ١٩٣١ تم إفتتاح نادى Scarabee وتحملت شركة قنال السويس بكافة نفقات إنشائه وروعى فى بنائه المقاييس الهندسية الرياضية ويمكن استيعاب ثلاثة آلاف متفرج فوق مدرجاته وثلاثة آلاف أخرى فى الأماكن الفضاء لهذا النادى » . وهذا النادى عرف عند أهل بورسعيد بالإشكاربيه ومعناه باللغة الفرنسية (الجعران) الذى كانت شركة قنال السويس تتخذه شعاراً لها .

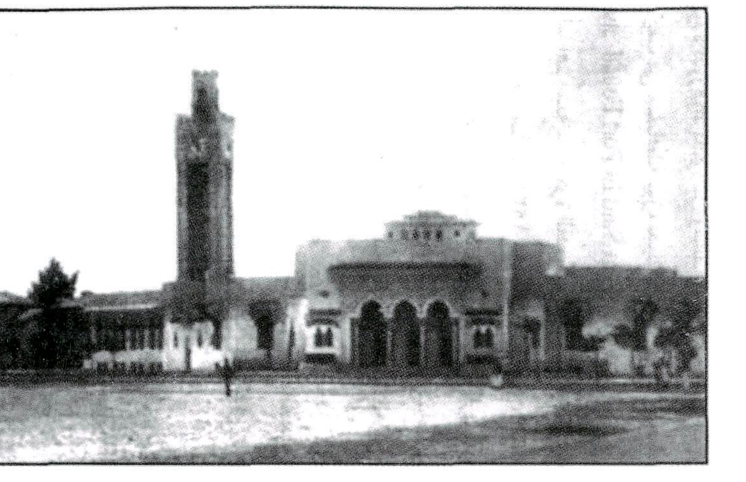
وهذا النادى دخل التاريخ سنة ١٩٥٦ فقد اتخذته القوات الفرنسية مكاناً لتجمع الأسرى المصريين وكان أشهر هؤلاء الفدائى طالب كلية الحقوق جواد على حسنى الذى أسره الفرنسيين يوم ١٦ نوفمبر ١٩٥٦ بعد أن تصدى لهم بمدفعه بمفرده وسجنوه فى غرفه صغيرة بهذا النادى وقام بكتابة قصته بدمائه على أحد حوائطها وتم تعذيبه حتى يعترف إلا أنه رفض الإدلاء بأية معلومات فأوحوا إليه بأنهم سيطلقون سراحه وأثناء سيره أطلقوا عليه النار فاستشهد فى الثانى من ديسمبر ١٩٥٦ .

وفى يوليو ١٩٣١ قامت شركة قنال السويس بإنشاء كازينو على شاطئ البحر وقامت بتأجيره للمسيو سيمونينى وأطلقت عليه Casino Balineaire De Port - Fouad ولم يكن للمصريين أية نوادى ببورفؤاد حتى سنة ١٩٥١ وإليكم الخبرين التاليين اللذين

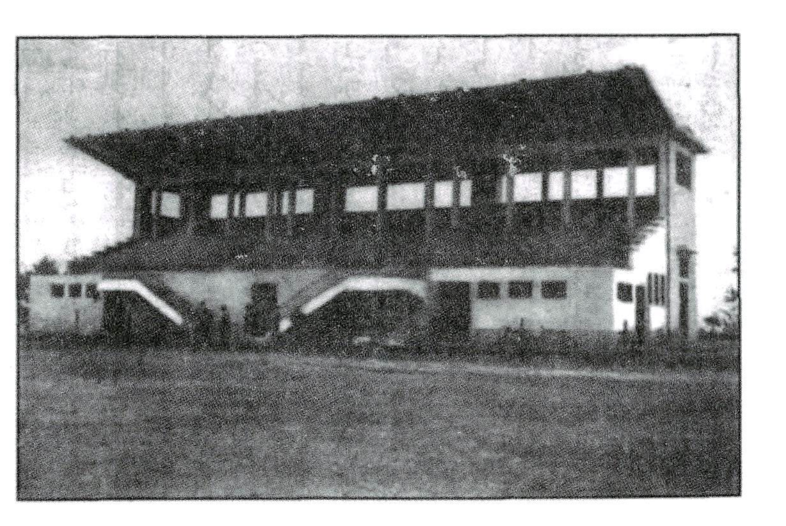
(١) فى يوم السبت ٤ فبراير سنة ١٩٢٨ أقيم لإسماعيل رمزى باشا حفل وداع فى الكازينو بالاس بمناسبة نقلة وتمر الأيام ويتولى منصب وزير الأوقاف وى أتى لبورسعيد في يوم ٥ يناير سنة ١٩٥١ ليفتتح جامع فاروق (نيابة عن الملك فاروق) .



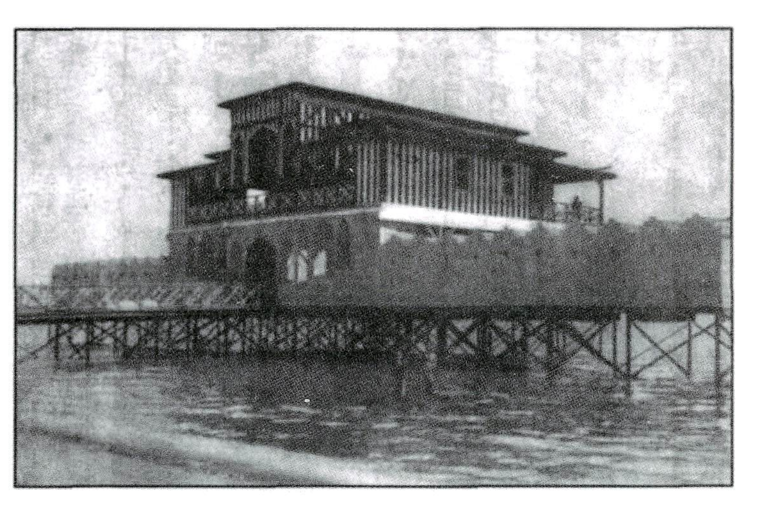
جامع فاروق (الجامع الكبير)



مبنى المحكمة المختلطة(محكمة الإستئناف)



استاد نادى الإشكاريه (نادى بورفؤاد)



كازينو البالينير على شاطئ بورفؤاد

قام بنشرهما الأستاذ كمال مردان بجريدة البروجريه إيجيبسيان ففى العدد الصادر ٢٥ أبريل سنة ١٩٥١ ، تم تكوين أول نادى بحرى مصرى فى بورفؤاد وهو حلم للشباب المصرى البورسعيدى ليقف جانباً إلى جنب مع النوادى البحرية الأجنبية وقد تبنى فكرة انشاء هذا النادى المحافظ عبد الهادى غزالى بك وعبد الرحمن لطفى باشا الذى أخذ على عاتقه أن يتولى النصيب الأكبر من مصاريف إنشاء هذا النادى الذى شكلت له لجنة تنفيذية مكونة من الأساتذة حامد البواب ، يوسف عاصم ، فوزى ياسين ، فهمى جودة ، عبد الجليل حسن ، عثمان قرشى ، يوسف خشة، عبد الخالق الزهيرى وكمال مردان ».

وفى يوليو ١٩٥١ احتفل بإنشاء هذا النادى فدعى رئيسه حامد البواب المحافظ عبد الهادى غزالى بك وكبار شخصيات المدينة كما دعى الأستاذ عبد الحميد الألفى رئيس نقابة عمال شركة القنال للحفل الذى أقيم بتلك المناسبة .

وكان للحركة الكشفية دورها فى مدينة بورفؤاد فأقيمت على أرضها كثير من المعسكرات الكشفية . وفى أول سبتمبر ١٩٥١ وصل إلى ميناء بورسعيد ٢٦ كشافاً سويسرياً بدعوة من الجمعية المصرية للكشافة وأعد لهم قادة الكشافة ببورسعيد التابعى الدسوقى ويحيى عياد معسكراً ببورفؤاد .

وفى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٣هـ ١٠ مارس سنة ١٩٤٤ وضع الملك فاروق حجر الأساس لمسجد فاروق ببورفؤاد « المسجد الكبير » .

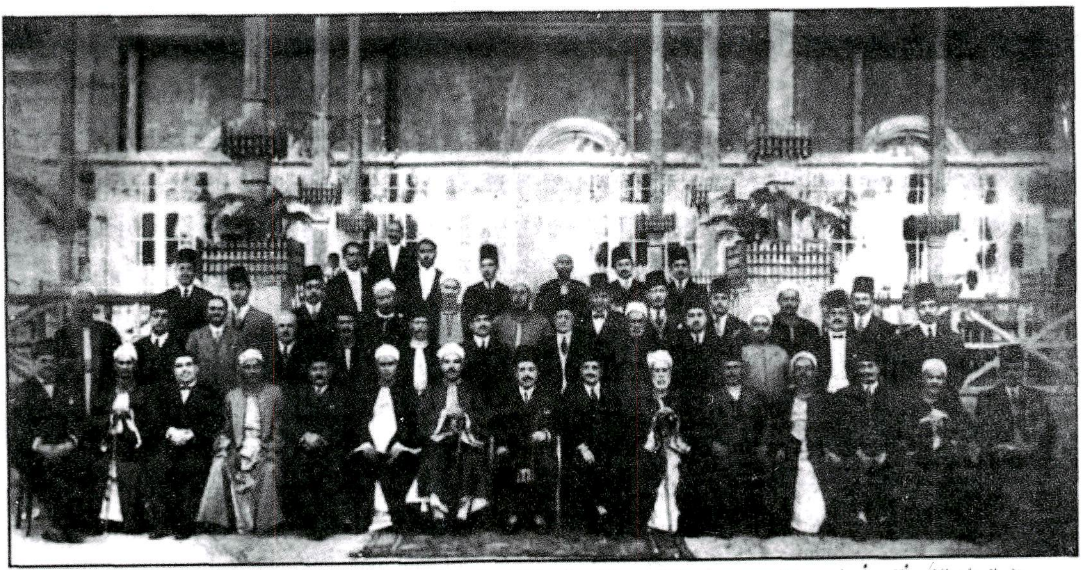
وصمم ميدان بورفؤاد ليكون مدخلاً لمدينة بورفؤاد حيث يحده غرباً مرسى المعدية والتى كانت فى بادئ تشغيلها بالمجان ثم حصل رسماً زهيداً قدره مليمان عن الشخص الواحد وقرشاً ونصف عن كل عربة أو سيارة ذهاباً وأياباً .

وقد أعلن فى الصحف أن الملك فاروق الأول سيزور بورسعيد فى الأول من نوفمبر ١٩٥١ حيث سيصلها على ظهر اليخت فخر البحار قادماً من الاسكندرية لإزاحة الستار عن تمثال والده الملك فؤاد الأول والذى تكفلت بمصاريف إقامته شركة قنال السويس وسط الميدان الرئيسى بالإضافة لقيام الملك فاروق بافتتاح قناة فاروق الأول (وهى قناة فرعية تم حفرها بين الكيلو ٥٠ ، ٦٢ بطول ١٢ كيلومتر تقريباً بهدف تسهيل عملية مرور السفن والتى تتقابل فى مجرى القناة الرئيسية) إلا أن إضرابات عمال ميناء بورسعيد ووقوع معارك القناة فى منتصف أكتوبر ١٩٥١ حتى ٢٥ يناير ١٩٥٢ ألغى مؤقتاً هذه الزيارة وألغيت فكرة إقامة هذا التمثال للأبد بقيام ثورة يوليو المباركة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وكان من أهم معالم هذا الميدان مبنى المحكمة المختلطه والتى أخذت فى شكلها شكل مساجد المغرب العربى والتى افتتحت فى مايو ١٩٣٤ حيث أقيم احتفال كبير أعدته شركة القنال بإشراف البارون دى بنو ودعى لهذا الحفل رئيس محكمة الإستئناف المختلط المستر Houson ورئيس محكمة المنصورة المستشار إيمان ودعى لهذا الحفل كثير من المحامين .

وكان لبورفؤاد فى الماضى عشاق من كبار الشخصيات فكانت شركة القنال تعد إحدى ڤيلاتها لشيخ الأزهر وعائلته يقيم فيها فترة الصيف (الشيخ عبدالمجيد سليم) وكما كان من عادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا الكاتب الكبير (رئيس مجلس الشيوخ ورئيس حزب الأحرار الدستوريين) أن يقضى الصيف على شاطئ بورفؤاد فى ڤيلا تعدها له شركة قنال السويس ولنا معه فصل مستقل فى الجزء الثانى برده بخط يده على أسئلة الصحفى الشاب كمال مردان .

هذا وقد تأثرت مبانى بورفؤاد بالقصف الجوى الإسرائيلى خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتهدم كثير من ڤيلاتها .



حفل الوداع الذى أقامه أعيان مدينة بورسعيد فى الكازينو بالاس للمحافظ إسماعيل رمزى باشا فى يوم السبت الرابع من فبراير سنة ١٩٢٨

الفصل التاسع
مطـــار الجميــل

يقع مطار الجميل فى الغرب من مدينة بورسعيد على بعد ١٠ كم من ميناء بورسعيد تقريباً ومساحته تقرب من ٣٥٠ فداناً . ووجود هذا المطار فى بورسعيد يعطيه أهمية يجعله متميزاً من حيث الموقع إذ يطل على ثلاث قارات كما أنه يقع على الطريق الجوى الذى يربط القاهرة بدول حوض البحر الأبيض المتوسط.

وبالرجوع لمرجع خالد وبيس أجد أن تاريخ المطارات والطيران فى بورسعيد ذكر فى أكثر من موضع .. ففى صفحة ٢٣٦ ذكر أن مطار بورسعيد « مطار الجميل » افتتح فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٤ كما ذكر أن شركة Misr Air Work قامت بافتتاح خط لها يربط بورسعيد بالقاهرة وقد افتتحت هذه الشركة فى مطار بورسعيد مدرسة للتدريب على الطيران وقام بالتدريب فيها مدرسون إنجليز ويونانيون.

وقد ذكر بهذا المرجع أن هذا الافتتاح استهل استهلالاً قاتماً اذ وقعت حادثة مروعة لإحدى الطائرات التى تعمل على هذا الخط الذى يربط بورسعيد بالقاهرة والتى أودت بحياة المستر Bray مدير البنك الأهلى المصرى وإصابة صديقه المسترCAROLL بإصابات خطيرة نقل على أثرها للمستشفى.

ويحكى لنا هذا المرجع فى صفحة ١٥٢ حادثتين سأذكرهما بما يدل على أن بورسعيد سبقت كثيراً من المدن المصرية فى مجال المطارات وأنه أنشىء فى بورسعيد مطار سنة ١٩١٤ خلف محطة السكة الحديد .

والحادثة الأولى ملخصها أنه فى التاسع من مايو سنة ١٩١٤ ، قبل اعلان الحرب العالمية الأولى ، وصلت إلى بورسعيد إحدى الطائرات التركية يقودها الطياران سالم بك ومكين بك الذين هبطا فى بورسعيد فى المطار الموجود خلف محطة السكة الحديد بغرض أخذ قسط راحة من طيرانهما الطويل ثم يكملان إقلاعهما إلى القاهرة . وما أن علم الشباب المصرى فى المدينة بوصول تلك الطائرة حتى أسرعوا إلى المطار الموجود خلف محطة السكة الحديد لمشاهدة تلك الطائرة . وبمناسبة الحرب التى كانت دائرة بين تركيا واليونان فى هذا الوقت فقد تعاطف الشعب المصرى البورسعيدى مع الأتراك وقاموا بمظاهرة ضد اليونانيين الموجودين ببورسعيد فتوجهوا للمدارس اليونانية كذا المحلات التى يملكها اليونانيون وقاموا بقذفها بالحجارة وقام القنصل اليونانى بتقديم احتجاج لمحافظ بورسعيد ، محمد بك حداية ، الذى أصدر أوامره بالقبض على زعماء المتظاهرين وعددهم عشرة وقام بتعويض اليونانيين الذين وقعت عليهم الاعتداءات والتلفيات ، وعندما أقلعت الطائرة التركية من بورسعيد أصابها النحس فتعطل محركها فنزلا بالتل الكبير وبعد اصلاح المحرك استقلا قطاراً متوجهاً للقاهرة لا مكان اللحاق بحفل استقبال اعد لهما بفندق الكونتنتال حيث كان فى انتظارهما ١٥٠ مدعواً من كبار شخصيات المجتمع المصرى وأرادا عند وصولهما القاهرة أن يحلقا بطائرتهما فى سماء القاهرة إلا أنهما ضلا الطريق فى صحراء الهرم مما أضطر المدعوين إلى العشاء دون الطيارين الذين طال انتظارهما.

والحادثة الثانية التى ذكرت فى نفس المرجع اليونانى وبنفس الصفحة ، فى آخر سنة ١٩١٤ كانت مدينة بورسعيد فى غاية من البهجة والسرور للاحتفال الذى أقامه المحافظ محمد بك حداية عندما وجه الدعوة للطيار الفرنسى بونيه وزميله ميكانيكى الطائرة برنيه للقيام باستعراض فى سماء بورسعيد . وهذا المحافظ كان قد أنشأ مطاراً خلف محطة السكة الحديد الذى توافد عليه مجموعة كبيرة من سكان بورسعيد وقد دعى الطيار بعض المدعوين لهذا الحفل للتحليق معه فى سماء بورسعيد وكان أغلبهم من الجاليات الأجنبية وكان أول من لبى دعوة بونيه مسيو كوت تويدى قنصل فرنسا ».

وبمناسبة زيارة بونيه وزميله مصر نظم الشاعر أحمد شوقى بك قصيدة من ٥٦ بيتاً بعنوان (آية العصر فى سماء مصر) مطلعها :

يا فرنسا نلـت أسـباب السـماء	وتملكـت مقـاليـد الجــــواء
غلـب النسـر علـى دولتــه	وتنحـى لك عن عـرش الهـواء
وأتتـك الريـح تمشـى أمـةً	لك يا بلقـيس مـن أوفى الاماء
روضـت بعـد جمـاح وجـرت	طـوع سـلطانين : علـم وذكـاء
لـك خـيل بجنـاح أشـبهت	خـيل جـبريل لنـصر الانبيـاء

وفى نهاية الأربعينات كانت شركة مصر للطيران تعلن عن رحلاتها من القاهرة إلى بورسعيد ومن بورسعيد إلى الاسكندرية وقبرص على طائرات البتيشكرافت وكانت الرحلة من بورسعيد إلى القاهرة تستغرق ٤٥ دقيقة وتنظم لها خمس رحلات أسبوعية.

مطار الجميل بعد قيام الثورة

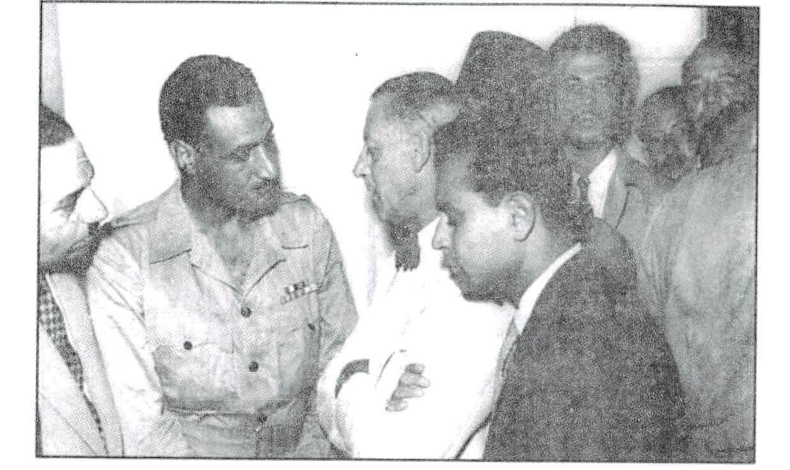
كانت شهرة مطار الجميل أكثر ظهوراً وازدهاراً بعد قيام ثورة يوليو المباركة وبمناسبة إعلان الرئيس محمد نجيب مولد هيئة التحريرفى يوم الجمعة ٢٣ يناير ١٩٥٣أوفد عدداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة لكافة محافظات ومديريات مصر وبتلك المناسبة وبمناسبة مرور سنة على قيام ثورة يوليو المباركة زارت مجموعة من رجال مجلس قيادة الثورة محافظة القنال فى أول أغسطس ١٩٥٣ فاستقل ركب أبطال الثورة المكون من البكباشى أ.ح جمال عبد الناصر ، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ، قائد الجناح جمال سالم ، وزير المواصلات ، وقائد الجناح عبد اللطيف البغدادى ، وزير الشئون البلدية والقروية ، والصاغ أ.ح. صلاح سالم ، وزير الارشاد القومى ، والصاغ أ.ح كمال الدين حسين ، وزير المعارف ، طائرة حربية فى أول زيارة لهم لبورسعيد حيث وصلوا مطار الجميل فى الصباح وقد شق موكب قادة الثورة طريقه من المطار إلى ديوان محافظة القنال فى ٤ ساعات بين الكتل البشرية المتراصة من أبناء بورسعيد المرحبين بقدومهم لمنطقة القنال التى كانت تعتبر ميدان القتال لمصر فى ذلك الوقت ضد القوات البريطانية الجاسمة على أرض مصر وكان فى استقبالهم الأستاذ محمد محمود رياض محافظ القنال وعقدوا مؤتمراً شعبياً فى ميدان المحافظة.

وبعد ثلاث سنوات من هذه الزيارة كان أهم حدث فى تاريخ مصر وهو جلاء آخر جندى عن أرض مصر فى ١٨ يونيه سنة ١٩٥٦ حيث غادر جزء من تلك القوات عن طريق ميناء بورسعيد والجزء الآخر تم انسحابه عن طريق مطار الجميل.

البطل محمد مهران عثمان

وتوالت الأحداث على مصر بعد ذلك فمنذ تأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ - وقيام انجلترا وفرنسا وإسرائيل بمؤامرة العدوان الثلاثى على مصر شهد مطار الجميل أشد المعارك ضراوة ففى يوم الأثنين الخامس من نوفمبر سنة ١٩٥٦ قامت القوات البريطانية بإسقاط قوات مظلية على تلك المنطقة تصدى لها الشعب والجيش والبوليس وأبيدت بالكامل وكان أشد المدافعين عن تلك المنطقة البطل محمد مهران الذى ضحى بعينيه فداء لمصر والذى كان من قوات الحرس الوطنى ، قائداً للسرية الثانية من الكتيبة الأولى ، المناط بها الدفاع عن تلك المنطقة ولن أنسى ما حييت عندما توجهت مع البطل مهران يصاحبنا الأديب الكاتب عبد الرحمن الابنودى إلى منطقة الجميل ، فى غرب المطار ، وقام البطل محمد مهران باسترجاع ملحمته وقام بأدائها أمام الأستاذ الأبنودى فى أغسطس ١٩٩٤ وكان وقتها يضع ملحمة عيون الوطن عن كفاح شعب بورسعيد على غرار ملحمته حراس الوطن عن كفاح شعب الإسماعيلية وإستبسال رجال الشرطة يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ ، لقد رأيت مهران فى أداء ملحمته بطلاً ثانياً وقد أكون أول من يقترح أن يطلق اسم مهران على مطار الجميل لأنه الأجدر به كابن بطل من أبناء بورسعيد وليصبح مطار محمد مهران .

وتنتصر بورسعيد وتعود الحياة الطبيعية للمدينة لتحتفل كل عام بعيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ليصبح هذا المطار هو المكان المفضل للرئيس الراحل جمال عبد الناصر بل يكون المكان المفضل للوصول لبورسعيد لكافة رؤساء الدول والحكومات وكبار الشخصيات التى تتوافد على بورسعيد لزياتها ومن أمثلة تلك الشخصيات الرئيس الغينى أحمد سيكوتورى الذى وصل بورسعيد عن طريق مطار الجميل يوم ١٠ مايو سنة ١٩٦١ والمؤرخ العالمى ، البريطانى ، أرنولد توينبى زار بورسعيد فى السابع من ديسمبر سنة ١٩٦١ وأعضاء مجلس قيادة الثورة الجزائرى ، أحمد بن بيلا ومحمد خضير وحسن آية أحمد ورابح بيطاط ، زاروا بورسعيد فى الثانى من أبريل سنة ١٩٦٢ . والرئيس السنغافورى لى كوان يو الذى زار بورسعيد فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٦٢ وامبراطور الحبشة هيلا سيلاسى الذى زار بورسعيد فى السادس من نوفمبر سنة ١٩٦٣ ورئيس وزراء الصين شوين لاى الذى زار بورسعيد فى ١٧ ديسمبر ١٩٦٣ والرئيس أحمدو اهيدجو فى صحبة الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٣ والرئيس نيكتيا خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى وعبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية يصاحبهما الرئيس جمال عبد الناصر فى زيارة لبورسعيد فى ١٩ مايو سنة ١٩٦٤ .. وخلال سنة ١٩٦٤ وبالتحديد فى



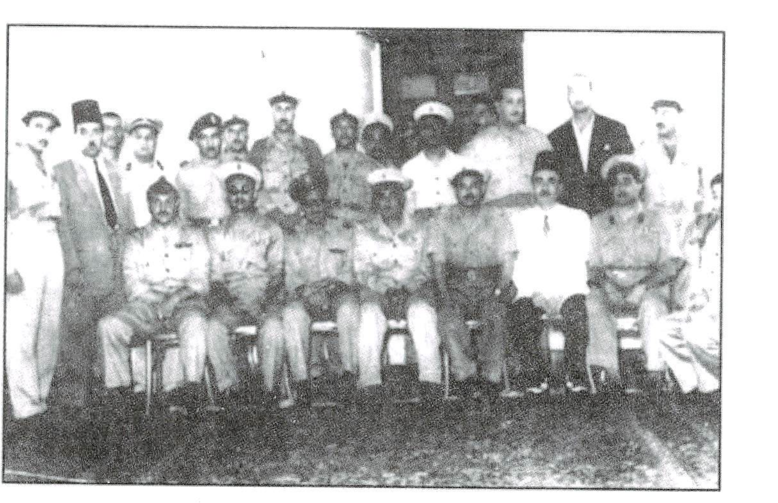
حوار بين رئيس الجالية الإنجليزية ببورسعيد مستر الكنجتون والبكباشى جمال عبد الناصر وبجوارهما كمال مردان (الصحفى) الذى كلف بمهمة الترجمة الفورية



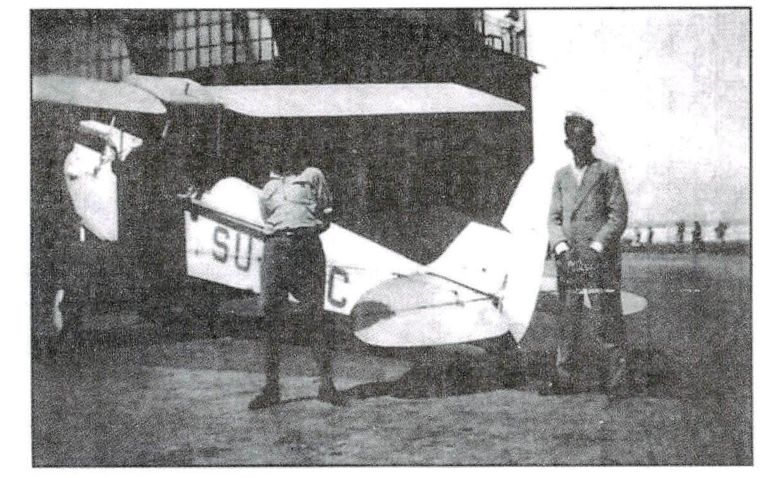
البكباشى جمال عبد الناصر يصافح محمد على سودان باشا أحد أعيان بورسعيد

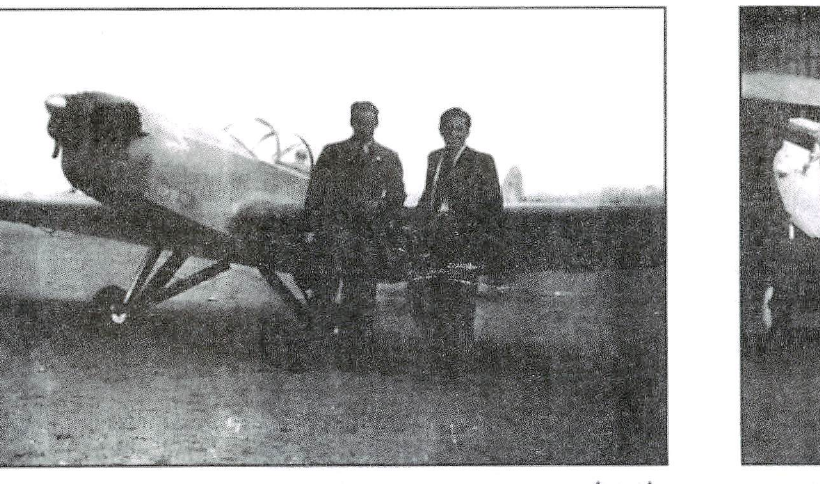


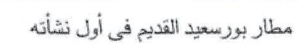
البكباشى ا ح جمال عبد الناصر يتحدث إلى محافظ القنال الأستاذ محمد رياض



إجتماع قيادات بورسعيد بأعضاء مجلس قيادة الثورة أثناء زيارتهم لبورسعيد







مطار بورسعيد القديم فى أول نشأته

مبنى مطار الجميل



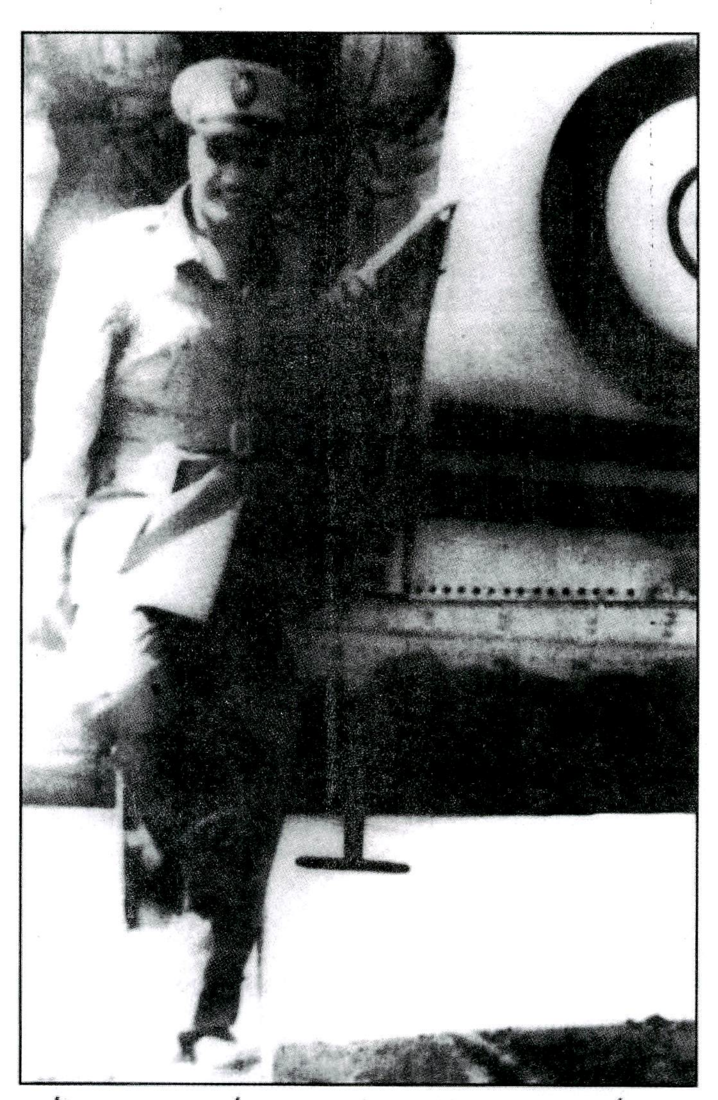
الشيخ عابد والشيخ فاضل والشيخ معوض والاب بطرس عوض والأستاذ محمد موسى والحاج صديق مؤمن والشيخ العجيمي فى إنتظار وصول طائرة أعضاء مجلس قيادة الثورة

فبراير وقع حادث يعتبر غريباً فى ذلك الوقت إذ هبط أحد الإسرائيليين فى مطار الجميل بطائرته الخاصة ويدعى بن ناتان يطلب مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر كرسول للسلام بين بلده إسرائيل ومصر إلا أنه رحل على الفور ومن الغريب أيضاً أن تتكرر محاولتة هذه سنة ١٩٧٤ فى عهد الرئيس السادات ورحل أيضاً .

وتتوالى الأحداث على مصر فى الستينات وتحل نكسة يونية ١٩٦٧ ويتأثر هذا المطار بالغارات الإسرائيلية على مطارات الجمهورية إلا أن آخر من قام باستخدامه قبل نكسة ١٩٦٧ هم قوات الطوارىء الدولية بعد انسحابهم فى يونيو ١٩٦٧ .

وإلى اللقاء فى الجزء الثانى من الموسوعة

لجولة أخرى فى مدينة بورسعيد



المرة الأولى التى تطئ فيها قدما جمال عبد الناصر أرض بورسعيد فى الأول من أغسطس ١٩٥٣

الباب الثامن
نضال شعب بورسعيد عبر التاريخ
الفصل الأول
الإحتلال البريطانى لقناة السويس ومدنها الثلاث سنة ١٨٨٢

نبدأ هذا الفصل بأبيات لشاعر النيل حافظ إبراهيم

فياويـــل القنـــاة إذا احتواهـــا
بنـــو التاميـــز وانحسـر اللـثام
لقد بقيـت مـن الدنيـا حطامـاً
بأيدينـا وقـد عجـــز الحطـــام
وقـــد كنـا جعلنـــاها زمامـــاً
فيـا لهفـــى إذا قطـــع الزمــــام

بعد افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية عادت لمصر مكانتها القديمة فى السيطرة على أهم طريق تجارى فى العالم ـ فاتجهت أنظار العالم الاستعمارى إلى مصر ، بل واشتد التنافس بين تلك الدول بأن تكون لإحداها نصيب الأسد ـ واتخذت إنجلترا من حادثة عارضة ذريعة لها باحتلال مصر قد وصف تلك الحادثة فرانسوا شارل رو F. Charles - Roux فى مؤلفه « تاريخ الأمة المصرية » Histoire De la Nation Egyptienne الذى طبع على نفقة الملك فؤاد سنة ١٩٢٦ الجزء السادس ص ٣٩٠ « فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ : على إثر مشاجرة [١] تافهة قامت بين مالطى وأحد الوطنيين إنقضت طغمة من العرب (كلمة عرب استخدمها هنا للتحقير من المصريين) مسلحين بالعصى والهراوات على الإجانب وقتلوا منهم خمسين وجرحوا ثمانين وسرقوا ونهبوا منازلهم ووقعت حوادث القتل والسرقة بتواطؤ من رئيس البوليس سيد قنديل وضباط حامية الإسكندرية » وأرادت إنجلترا أن تشرك معها كلاً من فرنسا وإيطاليا فى احتلال مصر إلا أنهما رفضتا تلك الفكرة فى آخر لحظة واعتبرا أن أى عمل عسكرى ضد مصر هو انتهاك لسيادتها على أراضيها . وطلبت إنجلترا من دى ليسبس مساعدتها فى احتلال قناة السويس ومدنها الثلاث إلا أنه نادى بحياد قناة السويس وفى نفس الوقت أرسل سيمور قائد الأسطول البريطانى المرابط أمام شواطئ مصر فى البحر الأبيض إلى ڤيكتور دى ليسبس ـ ابن دى ليسبس والوكيل الأعلى لشركة قنال السويس فى مصر ـ برقية يطلب فيها التصريح لسفينة حربية بريطانية تحمل مدفعاً واحداً أن تجوب القناة إلا أنه رفض طلب سيمور منادياً بحيدية القناة ... » .

من مذكرات أحمد عرابى

مذكرات أحمد عرابى باشا « سيرة حياته وأسباب الثورة » نقدم جزءاً من مذكراته هذه والخاصة بالاحتلال البريطانى لمصر كما سردها بقلمه : « وفى شهر مايو سنة ١٨٨٢ جاءت الأساطيل الحربية الإنجليزية والفرنساوية [٢] إلى ثغر الإسكندرية وتقدمت للحكومة المصرية لائحة مشتركة من دولتى فرنسا وإنجلترا مجحفة باستقلال الحكومة المصرية وحقوق الدولة العلية وتقدمت نسخة منها للخديوى فرفضها مجلس النظار وقبلها الخديوى فاستعفت النظارة من وظائفها .. وهاجت الأفكار العمومية وطاشت العقول الذكية واجتمع مجلس النواب وجميع قناصل الدول حولى كعرف الضبع يطلبون منى حفظ الأمن والراحة العمومية فقلت لهم لاقدرة لى على ذلك لأنى قد

---

(١) فى يوم الأحد ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ فى نحو الساعة الثانية بعد الظهر وقع شجار بين أحد المالطيين من رعايا الإنجليز وأحد الأهلين يدعى « السيد العجان » كان المالطى هو البادئ فيه بالعدوان فقد كان الوطنى صاحب حمار ركبه المالطى وأخذ يطوف به فى صبيحة النهار متنقلاً من قهوة إلى أخرى وانتهى طوافه إلى خمارة قريبة من مخفر اللبان بآخر شارع السبع بنات فطالبه الوطنى بأجرة ركوبه فلم يدفع سوى قرش صاغ واحد فجادله فى قلة المبلغ فما كان من المالطى إلا أن شهر سكيناً طعنه به عدة طعنات دامية مات على أثرها فهرع رفاق القتيل يريدون أن يمسكوا بالقاتل لكنه فر إلى أحد المنازل المجاورة وأخذ المالطيون واليونانيون القاطنون بالقرب من مكان الحادث يطلقون النار على الأهالى من الأبواب والنوافذ فسقط كثير منهم فثارت الجماهير تطلب الإنتقام فهجموا على الأوربيين عامة .

(٢) فى ليلة ١١ يوليو كانت البوارج الإنجليزية على أهبة القتال أما الأسطول الفرنسى فقد انسحب إلى بورسعيد تنفيذاً لتعليمات حكومته ولم يترك سوى سفينتين لم تعملا عملاً ما وترك الفرنسيون الإنجليز وحدهم ينفردون بالضرب والقتال .

استعفيت فذهب وفد مجلس النظار وطلب من الخديوى إعادتى إلى النظارة المذكورة ثم دعيت إلى الحضرة الخديوية فوجدت عنده جميع قناصل الدول ماعدا وكيل إنجلترا السياسى وبحضرته درويش باشا المندوب السلطانى فأخذ على تعهد بحفظ رعايا الدول الأجنبية وصار إعلان مصالح الحكومة بذلك .

وفى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ حدثت حادثة الإسكندرية المشئومة بتدبير ذوى الغايات لأجل تشويه أعمالى فى نظر أوروبا وخدش تعهدى بحفظ الأمن العمومى فأسرعت بإرسال العسكر إلى الإسكندرية حتى ملئت شوارعها بالعساكر وانتهت الفتنة التى ابتدأ بها أحد المالطية من التبعية الإنجليزية مع أحد حمارة الإسكندرية بإيعاز وتعليم ثم صار الشروع فى تحقيقها فى مجلس مختلط تحت رياسة ذو الفقار محافظ الثغر .. ومن الغريب العجيب أنه لم يبحث أصلاً فى الدماء التى سفكت بل كان البحث مقصوراً على معرفة مقدار البضائع التى انتهبها الرعاع ليس إلا . وبعد ذلك تشكلت الوزارة بمعرفة الخديوى تحت رياسة المرحوم الطيب الذكر راغب باشا وكنت من رجالها أيضا ثم انتقل الخديوى ودرويش باشا إلى الإسكندرية .. وفى يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت إفادة إلى قومندان عساكر الإسكندرية من طرف أميرال الأسطول الإنجليزى يقول فيها أنه جارى تهديد العمارة الإنجليزية بترميم القلاع والإستحكامات وأنه يطلب تخريب القلاع وهدمها بأيدى العساكر المصرية وإلا ضرب الإسكندرية وضرب المدينة ودمرها . فعقد لذلك مجلس تحت رياسة الخديوى حضرة درويش باشا المندوب السلطانى وقدرى بك من رجال المذكور وجميع النظار وكبار رجال الذوات المتقاعدين وبعد المذاكرة أجمعوا على رفض هذا الطلب والاستعداد للحرب ولكن لايبدأ بها إلا بعد إطلاق ثلاث قنابل من الأسطول الإنجليزى حتى لا نكون نحن البادئين بالحرب فأعطيت الأوامر بذلك . ومنذ إشراق يوم ١٢ يوليو بدأت مراكب الإنجليز بالضرب على مدينة الإسكندرية وجميع سواحلها وانتشب القتال بين مصر والحكومة الإنجليزية . أما الأسطول الفرنساوى فاعتزل جانباً كالمتفرج وضربت الطوابى حتى تهدمت استحكاماتها .. وفى أثناء الحرب خرج سكان المدينة مهاجرين منها خوفاً وهلعاً . وفى اليوم الثانى إنهزمت العساكر فرجعت إلى كفر الدوار واتخذت خطاً دفاعياً وتراجع المنهزمون ... ، هذا جزء من مذكرات أحمد عرابى باشا الشاهد الأول على هذه الأحداث .

ضرب الإسكندرية

استيقظت الإسكندرية من نومها صباح الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ على طلقات مدافع الأسطول البريطانى المرابط أمام المدينة بقيادة الأميرال سيمور والذى أخذ يضرب طوابى الإسكندرية . وكانت أول طلقة أطلقت من البارجة الكسندرا على طابية الإسبتالية فى رأس التين مما اضطر جميع الطوابى أن ترد على هذا العدوان وهبت الإسكندرية عن بكرة أبيها رجالاً وشيوخاً ونساءً للدفاع عن مدينتهم وانخرطوا فى صفوف جنود الطوبجية المنتشرين على امتداد شاطئ الإسكندرية يمدون لهم يد المساعدة والمعاونة بل إن بعض الأهالى صاروا يعمرون المدافع بالذخيرة ويطلقونها على قطع الأسطول المنتشرة أمام الشاطئ . وقتل من المصريين خلال هذه الفظائع نحو ألفين ولم تزد خسائر الإنجليز على خمسة من القتلى وتسعة عشر جريحاً .

وصوب الأسطول الإنجليزى مدافعه نحو الطوابى المنتشرة على الشاطئ وهدم أغلبها وأسكت مدفعيتها ووصلت القذائف إلى مبانى المدينة فتهدم الكثير منها وأنزلت الأساطيل القوارب المحملة بالجنود الإنجليز وقاموا باحتلال الإسكندرية وانسحب العرابيون من الإسكندرية واستعدوا للمقاومة فى داخل البلاد فعسكر عرابى بجيشه فى كفر الدوار وأقام بها الإستحكامات المنيعة .

عين عرابى محمود باشا فهمى رئيساً لأركان حرب الجيش المصرى عقب ضرب الإسكندرية فوضع خطة سديدة للدفاع عن البلاد لو اتبعت لصدت تقدم الإنجليز وقد أشار بسد قناة السويس لمنع الإنجليز من اتخاذها قاعدة عسكرية .

إحتلال مدينة السويس

وصلت إلى ميناء السويس فى ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٢ أربع سفن حربية بقيادة الأدميرال هويت Hewett وقد طلب من محافظ السويس أن يعلن ولاءه للخديوى توفيق فرفض المحافظ وضغط عليه القائد البريطانى يومين كاملين وأصر المحافظ على موقفه وآثر مغادرة المدينة وانضم للعرابيين بالقاهرة .

وفى ٢ أغسطس سنة ١٨٨٢ احتل الجنود البريطانيون مدينة السويس بقوة السلاح بعد مقاومة شديدة من أهالى المدينة وقام الإنجليز برفع الأعلام البريطانية ونشروا إعلاناً موجهاً إلى أهالى المدينة قرروا فيه أنهم احتلوا المدينة باسم الخديوى توفيق تأييداً لسلطته وقد أثار

احتلال السويس لهيب الشعب المصرى فتم عقد اجتماع بالجامع الأزهر ضم العلماء وأرباب الحرف والأعيان وأعلنوا ولاءهم لعرابى وطالبوا بخلع الخديوى توفيق . ووصلت إلى السويس قوات هندية ضخمة للاشتراك فى تلك الحملة المخطط لها مسبقاً .

ماقبل احتلال بورسعيد

بعد أن تسلم القنصل البريطانى ويلز [١] Wallis الأوامر فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ بضرورة رحيل رعاياه من بورسعيد شاركه فى الرحيل رعايا فرنسا وإيطاليا واليونان وألمانيا والنمسا المقيمين ببورسعيد خوفاً من أن يصيبهم أذى من المصريين ببورسعيد وانتقلوا إلى ظهور البواخر التى أعدتها لهم دولهم ولم يعودوا إلى أرض بورسعيد إلا بعد أن طمأنهم محافظ بورسعيد بأنهم لن يصابوا بأى أذى وهو ضامن لأرواحهم .

احتلال بورسعيد

ظلت القوات البريطانية مرابطة بمدينة الإسكندرية لم تتحرك صوب وجهتها الأصلية وهى قناة السويس وذلك لأن القائد العام للحملة ـ الجنرال ولسلى ـ لم يكن قد وصل بعد وما أن وصل إلى مالطة فى ١٢ أغسطس حتى بعث أوامره لهذه القوات بألا تتحرك على الإطلاق أو أن يبدو منها مايوحى بأنها على وشك التحرك وأن تظل باقية عند مدينة الإسكندرية وذلك حتى يصل هو إليها .

وفى ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٢ وصل ولسلى إلى الإسكندرية فتقرر على الفور ـ وفى طى الكتمان ـ التقدم بالحملة نحو الخطة المرسومة لها منذ وقت طويل أى إلى طريق القناة ولقد كان نجاح الحملة البريطانية على مصر يقتضى سرعة السيطرة على قناة السويس لضمان سلامة المرور بها .

لقد أعطى الجنرال ولسلى أوامره للأميرال هوب كنس Hopkins بالإشراف العام على عملية المرور بالقناة والذى غادر الإسكندرية لهذا الغرض فى مساء السادس عشر من أغسطس مزوداً بتعليمات من القائد العام ولسلى بضرورة الإتصال بالأميرال الإنجليزى هويت المرابط فى السويس للتنسيق فيما بينهما لاحتلال القناة .

فتتابعت السفن الحربية البريطانية على ميناء بورسعيد وشاطئ البحر الأبيض المتوسط فى مواجهة المدينة قادمة من الإسكندرية فوصلت سفينة القيادة بنيلوب Penelope بقيادة الأميرال هوسكنس تتبعها السفينة فالكون Falcon التى رست على الشاطئ بين بورسعيد والجميل لمراقبة ثورة عمال الفحم بحى العرب ومن أجل تهديد القوة المرابطة فى طابية الجميل . والسفينة أجنكورت-Agin-court وأشيلس Achilles والسفينة الضخمة نورثمبرلأبد Northamberland والسفينة المدرعة تورمالين Tourmaline وكاريفورت Carysfort والسفن الحربية العادية ريدى Ready وبيكن Beacon ومونارخ Monargh وإريس Iris وسفن تحمل مدفعية وهى دون Don ، دى Dee وبلغ إجمالى عدد السفن الحربية وقت الهجوم على القناة من اتجاه بورسعيد ٣٢ سفينة منها ثمانى مدرعات وثمانية عشرة باخرة نقل وتم تنفيذ الخطة المرسومة لاحتلال بورسعيد والقنال فمنذ الساعات الأولى من يوم الأحد ٢٠ أغسطس ١٨٨٢ قامت قوات السفينة فالكون بالسيطرة على شاطئ بورسعيد حتى الجميل إلا أنها لم تجرؤ من الاقتراب من قلعة الجميل ذات التسليح والتحصينات القوية لما عرف عن قائدها البكباشى بيادة (مشاة) محمد نجم من جسارة وولاء للعرابيين .

ولما كان من المتوقع تمسك مرشدى شركة قنال السويس بمبدأ حياد القنال فقد تقرر أن يعين لكل سفينة حربية ضابط بحرى إنجليزى له خبرة بعملية الإرشاد وكلف الكابتن فشرد بالإشراف العام على عملية المرور بالقناة . وكلف الكابتن سيمور قائد ايريس بتأمين مكاتب شركة القنال والتى كانت تحمل فوق ظهرها سرية من القوات البريطانية . أما الكابتن فير فاكس فكلف هو وقواته باحتلال مدينة بورسعيد بحيث يلتف حول القوات المصرية ليمنعها من أى مقاومة أو إحداث حرائق فى معدات شركة قنال السويس . وكلف اللفتنانت كوك والكابتن كوفى قائد مجموعة المدفعية الملكية بأن يتعاون مع الكابتن سيمور قائد ايريس . وابتدأت الخطة باحتلال الشاطئ بعدها تقدمت بعض القوات إلى قطعة الأرض الفضاء التى تفصل بين حى الإفرنج وحى العرب (شارع محمد على فيما بعد) ثم التفت عن الطريق الموصل من البحر إلى قلب المدينة (ميدان المنشية) وبذلك تمت السيطرة على الجزء الأكبر من المدينة . أما باقى أجزاء المدينة فأسندت مهمة السيطرة عليها للقائد Hammill متعاوناً مع القوات البحرية للسفينة مورناخ من جنوب المدينة حيث يتقدمون عن طريق الحد الفاصل بين حى العرب

---

(١) أقام ثلاجة بالقرب من الميناء لحفظ اللحوم لكى يمد بها البواخر العابرة للقناة وعرفت عند أهل بورسعيد بماشينة ويلز .


197,629

COMPAGNIE UNIVERSELLE

CANAL MARITIME DE SUEZ

CAPITAL : DEUX CENTS MILLIONS DE FRANCS

Action de Cinq Cents Francs au Porteur

EXTRAITS DES STATUTS

LE ADMINISTRATEUR

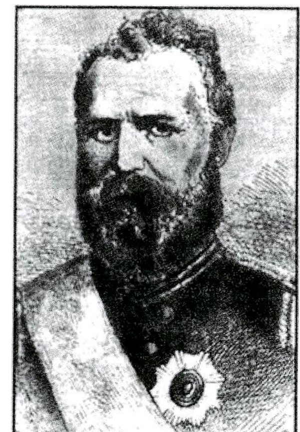
سهم من صفقة أسهم قنال السويس التى اشترتها إنجلترا وكانت سبباً فى إحتلال مصر



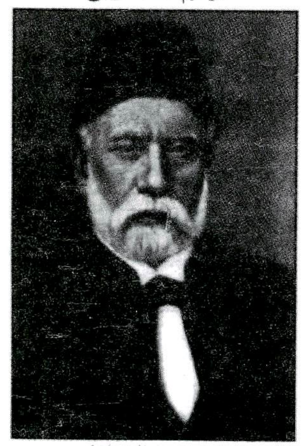
الخديوى محمد توفيق



الزعيم أحمد عرابى



الجنرال سيمور



محمد سلطان باشا

وحى الإفرنج (شارع محمد على) تجاه غرب المدينة (حى العرب) حتى بحيرة المنزلة . وقد انتشرت القوات البريطانية من شرق المدينة حتى غربها ومن شمالها حتى جنوبها وقد خصص للقنصلية البريطانية نصف سرية لحمايتها وحماية قنصلها ويلز Wllis كما خصصت سرية كاملة لحماية وسط المدينة (ميدان المنشية) بقيادة الكابتن إيدنIden أما الثكنات العسكرية (الواقعة على رصيف أوجينى بجوار مبنى محافظة القنال فى مكان فرق الأمن الحالية) فخصصت لها سرية بقيادة شارلس وندهام Charles Windham . وتم تنفيذ خطة احتلال بورسعيد فى الثالثة صباحاً من يوم الأحد ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ وقد أمكن استخدام صندل ولنش على شكل كوبرى عائم كى تعبر عليه القوات الغازية إلى البر ولكنها لم تستطع أن تحتل طابية الجميل برئاسة قائدها محمد نجم كما أن القوات المصرية بالمدينة برئاسة البكباشى محمد أبو العطا صمدت ولم تستسلم لدرجة أن الخديوى توفيق رصد مكافأة مالية كبيرة لمن يقبض على البطل البكباشى محمد ابو العطا لرفضه التسليم وتصميمه على الصمود ومناوشته الأسطول البريطانى الراسى على شاطئ البحر المتوسط والذى ناصر العرابيين وأصر على أن يتلقى أوامره من أحمد عرابى نفسه . أما الفريق راشد باشا حسنى قومندان خط الشرق فقد وصلته برقية متأخرة من عرابى تأمره بسد القناة فلم يستطع الإقدام على شئ نظراً لوصول البوارج البريطانية إلى بورسعيد .

احتلال مدينة الإسماعيلية

ما إن علم حكمدار نفيشة بالإسماعيلية من احتلال بورسعيد فألهب الشعور لدى أهالى الإسماعيلية بالثبات فى أماكنهم بالمدينة للدفاع عنها إلا أن ياور بك وكيل المحافظة اتفق سراً مع يوزباشى المستحفظين على تسليم المدينة للقوات الإنجليزية دون أى مقاومة وحاولوا إشراك مأمور سرابيوم فى خيانتهم إلا أن شهامته أبت عليه الاشتراك فى تلك المؤامرة وأبرق لوكيل الجهادية يخطره بتلك المؤامرة فأمر على الفور بعزل وكيل المحافظة وعين محله أحد معاونى ضبطية الإسكندرية وبعد أن أحتل هوسكنس Hoskins مدينة بورسعيد فى ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ أصدر أوامره بالبدء فى احتلال المدن الممتدة على طول القناة فعهد إلى الكابتن فتزروى Fitzroy باحتلال الإسماعيلية أما القنطرة فعهد بإحتلالها إلى الكوماندور إدوارد الذى قطع الاتصال السلكى بين مصر وسوريا أما الأميرال هويت Hewett الذى احتل السويس من قبل فى ٢٩ يوليو فأمره بأن يطرد العرابيين من الشلوفة ويحتل مدينة سرابيوم . وفى يوم ٢١ أغسطس ١٨٨٢ تقدمت القوات البريطانية عبر القناة صوب الإسماعيلية وقامت القوات البريطانية بإحتلال المنشآت الهامة بالإسماعيلية وبلغ مجموع القوات البريطانية المتجمعة حول محطة سكة حديد الإسماعيلية خمسة آلاف جندى إنجليزى وفى نفس الوقت تمكنت القوات البريطانية من السيطرة على جميع المدن الواقعة على قناة السويس إبتداء من بورسعيد شمالاً حتى السويس جنوباً وفى نفس اليوم وصل السير جارنت وليسلى مدينة الإسماعيلية ليعلن احتلال إنجلترا لقناة السويس وقام بغلق القناة لمدة يومين حيث احتج دى ليسبس على هذا الإجراء فحاول اللورد جرانفيل - رئيس الوزارة البريطانية - تفادى الاشتباكات الدولية فأمر بفتح القناة مرة أخرى وأمر بحرية المرور عبر القناة وتقدم الجيش البريطانى نحو التل الكبير ودارت عدة معارك غير متكافئة بين الإنجليز وجيش العرابيين دخلت بعدها ا لقوات البريطانية القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ وامتد احتلال إنجلترا لمصر ٧٤ عاماً .

وصف حالة بورسعيد فى زمن الثورة العرابية سنة ١٨٨٢
كما عاشها وقصها علينا أحد اليونانيين المقيمين فيها

أقدم هنا للقارئ ترجمة حرفية لما جاء بالمرجع اليونانى « حقائق وذكريات عن بورسعيد » لكاتبه ديمتريوس خالدوبيس ص ٢٢ ، ٢٣ :

« فى أحد الأيام تعطلت الدراسة من ٤ إلى ٥ أيام وحدث ذلك فى يوم الأثنين من شهر يونيو سنة ١٨٨٢ بعد أن وصل إلى بورسعيد تلغراف من الإسكندرية يخطرنا بأن عرابى باشا قام بذبح الأجانب فى الإسكندرية - لقد ثبت فيما بعد كذب تلك الشائعة - أما صراف الجمعية اليونانية Nicola Tsistinias لم يغادر داره خوفاً على أموال الجمعية التى فى حوذته. الجمعية اليونانية ببورسعيد أصدرت عدة تعليمات للرعايا اليونانيين أهمها عدم مغادرتهم منازلهم إلا للضرورة وبالأخص الأطفال وغلق أبواب المحال التجارية والسماح فقط بفتح باب المحل الصغير - كان أغلب المحال فى بورسعيد يمتلكها يونانيون - وتفقد مدير الجمعية اليونانية ومدير المدرسة اليونانية المنازل اليونانية المنتشرة فى منطقة (الخرافة) - حارة الكاشوتية - والتى تقع قبل شارع محمد على بشارعين بالقرب من حى العرب . وكان

شارع محمد على فى هذا الوقت عبارة عن قطعة أرض فضاء تفصل بين حى الإفرنج وحى العرب عند المكان الواقع بين كنيسة الأقباط وقهوة وبار عباس .. ولى كلمة أذكرها للتاريخ سكان حى العرب من المصريين كانوا أناساً طيبى القلب وكان تعدادهم يتراوح من ٢٠ إلى ٢٥ ألف نسمة غالبيتهم كانوا عمالاً بالميناء وفحامة .. وعلى إثر هذه الحوادث فوجلوا بنفاذ تموينهم لأن تجارة الدقيق والبقالة والدخان كانت فى يد التجار اليونانيين .. القنصل اليونانى خلال تلك الأحداث Aristidi Panarctos والذى كان يتميز بغلظة القلب أمر رعاياه بعد اجتماعه بباقى قناصل [1] الدول الأوربية فى المدينة أن يحملوا أسلحة نارية من باب الدفاع عن النفس .. الحزن أصاب المصريين عدة أيام وليالى لأنهم كانوا أصدقاء للأروبيين وبالأخص اليونانيين حيث شكلوا وفداً منهم لمقابلة أصحاب المحال يرجونهم فتح محالهم المغلقة وأخبروهم أنهم على استعداد لترك أولادهم طرفهم لإثبات حسن نواياهم تجاههم . محافظ بورسعيد فى ذلك الوقت - فى الغالب كان إسماعيل حمدى باشا - وكان رجلاً طيباً وكبيراً فى السن توجه بنفسه للتجار ورجاهم فتح محالهم وهو ضامن لهم الأمن والسلام .. وبالفعل فتحت المحال أبوابها ولم تحدث أية حوادث .. بعدها وصلت البارجة الحربية البريطانية Aga Memnon إلى ميناء بورسعيد وقامت القوات البريطانية باعتقال المحافظ ورجال الإدارة ونقلتهم إلى ظهر تلك البارجة والجالية اليونانية حزنت حزناً شديداً على اعتقال المحافظ الطيب القلب والمدينة امتلأت بالبوليس الحربى البريطانى الذى حل محل البوليس المصرى .. وكان التدخل البريطانى فى مصر نتيجة لعدم استقرار الحالة السياسية فى مصر فى تلك الآونة » .

وفى موضع آخر من المرجع اليونانى السابق ص ٥٦ تحدث كاتبه عن أحداث الثورة العرابية فى بورسعيد ذاكراً : « لقد وقعت فى عهد هذا القنصل حوادث عرابى باشا حيث وصل تلغراف من الإسكندرية يفيد أن عرابى يسفك دماء الأجانب وعقد اجتماعاً مع قناصل الدول الأجنبية فى بورسعيد بشأن الإجراءات التى ستتخذ لحماية رعاياهم وانتهى هذا الإجتماع بضرورة أن يتسلح الأجانب بأسلحة نارية وأتذكر أن جميع المساكن والمحال الأوربية فى بورسعيد تحصن أصحابها داخلها واستمر هذا الوضع إلى أن وصلت البوارج الحربية البريطانية لميناء بورسعيد .. وبعد شهر من بدء تلك الحوادث أرسلت الحكومة اليونانية المركب الحربى Bouboulina لميناء بورسعيد بناء على طلب القنصل اليونانى وذلك لنقل الأسر اليونانية المقيمة فى بورسعيد إلى وطنهم اليونان .. وعند وصول القطعة الحربية بوبولينا إلى الميناء كانت ترفع فى مقدمتها علم يونانى كبير فقامت الفرقاطة المصرية « الصاعقة » الراسية فى الميناء بإطلاق صفاراتها تحية للباخرة بوبولينا التى بادلتها التحية وكان قائد الفرقاطة الصاعقة يدعى الأدميرال Provelegios باشا وهو فى الأصل من دالماتيا بتركيا وكان يحب اليونانيين كثيراً ويتحدث اليونانية بطلاقة .. وما أن علم يونانيو بورسعيد بوصول بوبولينا للميناء حتى هرعوا بالآلاف لاستقبالها وكانت أول سفينة حربية يونانية تصل إلى ميناء بورسعيد منذ إفتتاحه وقامت بنقل الأسر اليونانية إلى الميناء اليونانى بيريه على نفقة الحكومة اليونانية بعد أن مكثت فى بورسعيد مدة يومين وتكدست الأسر اليونانية فوق ظهرها .. وخلاف القطعة الحربية اليونانية بوبولينا وصل لميناء بورسعيد عدة سفن حربية لعدة دول أوروبية [2] فالباخرة الإيطالية Douilio اجتظت برعايا إيطاليا لدرجة أنهم تكدسوا داخلها وفوق ظهرها وهذا ماحدث لباقى أسر رعايا الدول الأجنبية الأخرى التى أرسلت بالتالى سفنا لرعاياها الموجودين على أرض بورسعيد » .

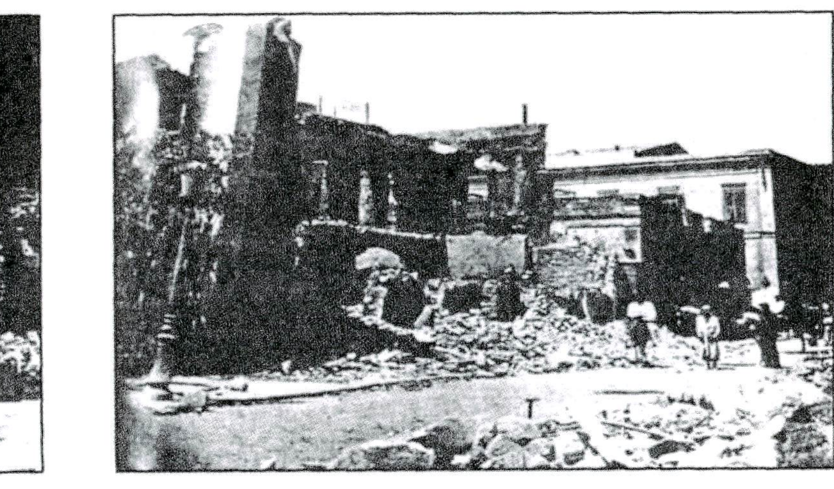
فى نفس المرجع ص ٥٩ ذكر : « بعد وصول القوات البريطانية إلى أرض بورسعيد لحفظ النظام ضد العرابيين عقد القنصل اليونانى Fontauz اجتماعاً بأعضاء الجمعية اليونانية ببورسعيد قرروا فى النهاية إرسال برقيات شكر لقائد البارجة الحربية البريطانية Rice على جهوده المبذولة فى حفظ النظام ببورسعيد على أن تكون البرقية باسم الكنيسة اليونانية والقنصل اليونانى والجالية اليونانية والجمعية اليونانية والمدارس اليونانية » .

الحياة فى بورسعيد فى زمن الثورة العرابية والاحتلال البريطانى

نقلت كيف كانت الحياة فى بورسعيد فى زمن الثورة العرابية كما قصها علينا أحد اليونانيين المقيمين ببورسعيد وهنا أقدم نفس

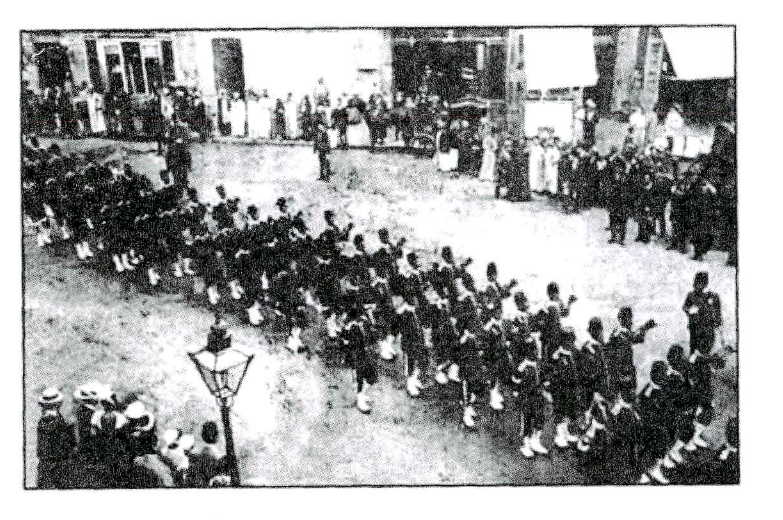
---

(١) قناصل فرنسا وانجلترا والنمسا والمانيا وروسيا وإيطاليا واليونان .
(٢) كانت الأنباء يتناقلها الأجانب مجمعة على أن الحرب آتية لا جدال فيها فكانوا لا يأمنون على أنفسهم خوفاً من إنتقام الأهالى ففكر الأجانب نزوحهم عن مصر فأخذ القاطنون منهم فى بورسعيد أن يهاجروا منها بحراً أما الأجانب فى القاهرة والأقاليم بدأو يتوافدون على بورسعيد للإقلاع منها إلى بلادهم وبدأ رحيل الأجانب فى اليوم التالى لمذبحة الإسكندرية وإمتلأت البواخر والسفن الشراعية ولم تعارض إدارة الجوازات ولا الجمارك نزولهم للبحر حيث حملوا أموالهم وأمتعتهم وأعدت كل دولة سفناً لنقل رعاياها فهرع الفقراء والمعوزين إليها وأخذ الموسرين منهم أماكنهم فى البواخر المعتادة .





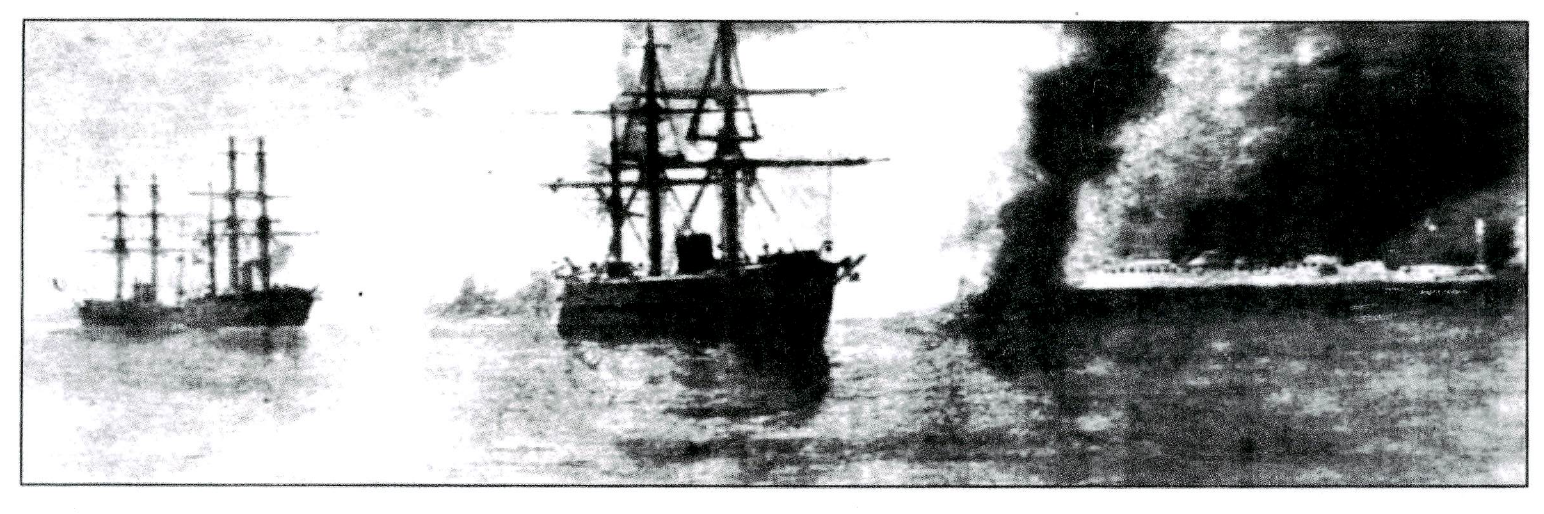
تهدم مبانى الإسكندرية من قصف الإسطل الإنجليزى



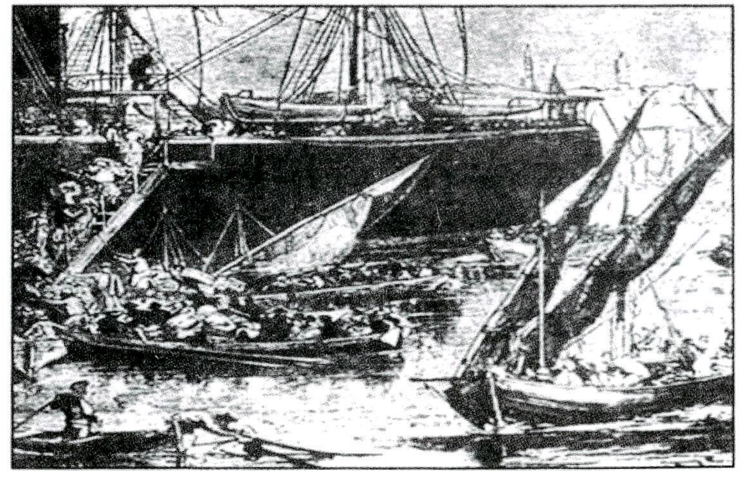
القوات العرابية بعد الهزيمة تسير فى شوارع القاهرة بناء على أوامر الخديوى توفيق



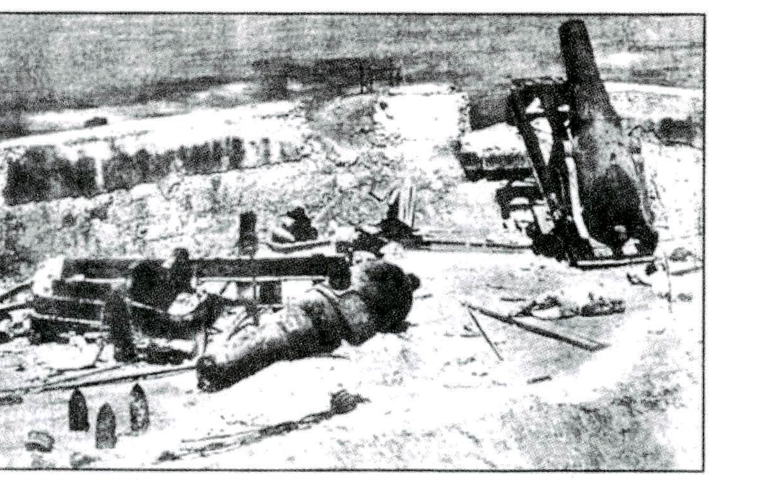
دخول القوات البريطانية للعاصمة



الإسطول البريطانى يضرب الإسكندرية



هروب الأجانب إلى البواخرالراسية فى الميناء



مدافع الطوابى بعد دكها بقذائف الإسطول

الموضوع كما جاء بإحدى رسائل الدكتوراة والتى نال عنها الأستاذ زين العابدين شمس الدين نجم درجة الدكتوراة وأخرجها للمكتبة فى كتاب قيم أفدت منه أكثر من غيره من المراجع تحت عنوان « بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٢ » :

« قام حمالو الفحم المصريون ببورسعيد بالإضراب عن العمل فى شهر أبريل سنة ١٨٨٢ وكيف واجه وكلاء الشركات البريطانية هذا الإضراب وباتوا يفكرون فى استخدام بعض الأرمن أو المالطيين لتموين سفنهم بالفحم فى بورسعيد . وقد شاركهم هذا الشعور رجال البوليس ورئيسهم البكباشى محمد أبو العطا كما عقدت اجتماعات فى مسجد قرية العرب كانت تستمر طوال الليل لسماع خطب الخطباء وعلى رأسهم قاضى بورسعيد الشيخ محمد ابراهيم الشهير بأبى عائشة يدعو الناس للجهاد ومساندة أحمد عرابى ويهاجم الخديوى توفيق . وأصبحت مدينة بورسعيد بعد أحداث الإسكندرية المصدر الرئيسى للأخبار بالنسبة للصحافة الأجنبية مما أدى ذلك إلى انتشار كثير من الشائعات . وساد الأجانب فى بورسعيد شعور بعدم الإطمئنان والخوف من المصريين فشددت الحراسة حول المبانى الخاصة بالقنصليات الأجنبية وساد الأجانب موجة من الذعر فرغبوا عدم الإقامة فى بورسعيد والتوجه إلى مالطة أو إلى بلادهم فوصلت إلى ميناء بورسعيد عدة سفن من جنسيات مختلفة (فرنسية ويونانية وإيطالية وغيرها لترحيل رعاياهم والأجانب فى العودة إلى بلادهم) واكتظ الميناء بعدد كبير من الأجانب رغم إبلاغ المحافظ للقناصل الأجانب بضمان أمن وسلامة رعاياهم وشهدت بورسعيد بعد احتلال مدينة الإسكندرية توافد أعداد هائلة من الأجانب المقيمين فى أرجاء مصر على ميناء بورسعيد للرحيل منه إلى بلادهم ومما أثار الإضطراب داخل بورسعيد هروب محافظ بورسعيد إسماعيل حمدى باشا فى مساء ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٢ إلى إحدى السفن البريطانية الراسية فى ميناء بورسعيد كما لجأ وكيل محافظة القنال وأحد الكتبة بالمحافظة إلى إحدى السفن البريطانية الراسية ولما شكل أحمد عرابى مجلساً عرفياً يتولى أمور البلاد المصرية بعد خيانة توفيق قرر هذا المجلس تعيين إبراهيم رشدى [1] - رئيس المحكمة المختلطة - محافظاً لبورسعيد وتعيين البكباشى محمد أبو العطا - رئيس البوليس المصرى فى المدينة - وكيلاً للمحافظة وباحتلال القوات البريطانية بورسعيد فى ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ كان الغليان يسود المدينة فأرسل الخديوى توفيق محمد سلطان باشا وعلى مبارك باشا وعمر لطفى باشا إلى بورسعيد فى ٢٨ أغسطس فى مهمة لتهدئة الخواطر وأن النية من الحملة البريطانية هى نشر الأمن فى ربوع مصر وأن الإنجليز ليس فى نيتهم احتلال البلاد أو التعرض لأهلها فاجتمعوا بالمحافظ ثم بالعلماء وأعيان المدينة ثم غادروا بورسعيد فى اليوم التالى متوجهين للإسماعيلية لنفس الغرض .

وبدأت باقى الأساطيل الحربية الراسية بالميناء للدول الأوربية فى إنزال بحاراتها إلى المدينة فاكتظت المدينة بعديد من البحارة وذلك اعتباراً من أواخر سبتمبر ١٨٨٢ واستمر إضراب عمال الفحم بالمدينة إلى أن تم الاستيلاء على طابية الجميل فى اكتوبر ١٨٨٢ وفى منتصف هذا الشهر بدأت الحياة الطبيعة تعود لمدينة بورسعيد لدرجة أنه سمح لموسيقات السفينة الروسية الراسية بالميناء للنزول للبر لعزف مقطوعات موسيقية بحديقة المنشية حيث عزفت فى البدء والختام السلام الخديوى .



استبسال القوات العرابية فى موقعة التل الكبير

(١) سمى باسمه شارع ببورسعيد ويقطن فيه صديقان لى ولوالدى رحمه الله هما الاستاذ كمال مردان والحاج محمد المغربى وسبق لهما أن استفسرا منى عن سبب تسمية هذا الشارع باسم رشدى .

الفصل الثاني

الحرب العالمية الأولى

مقدمات الحرب

لم يقف التنافس بين ألمانيا وإنجلترا عند حد إبرام المعاهدات وصناعة المدمرات وأدوات القتال ، وامتد هذا التنافس إلى الشرق الأوسط كنقطة استراتيجية هامة كل منها يريد السيطرة وبسط نفوذه عليها. فنجد إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني يتوجه للقدس سنة ١٨٩٨ بحجة زيارة الأماكن المقدسة وخلالها زار السلطان العثماني في القسطنطينية بل وعند انتهاء زيارته للقدس اتجه إلى دمشق وأعلن في خطاب ألقاه عن حبه وصداقته للسلطان العثماني والعالم الإسلامي .

وكان من ثمار تلك الزيارة أن وافق السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين على طلب قدم من رجل الأعمال الألماني Siemens " مدير بنك Densche" بامتياز مد خط سكة حديد بغداد وإنشاء ميناء حيدر باشا على شاطيء البسفور. وفزعت إنجلترا وروسيا من هذا الوفاق فحاكت الدسائس ضد تركيا فقامت النمسا والمجر بضم البوسنة والهرسك إليها وكان هذا التصرف نذيراً من نذر الحرب العالمية الأولى ولعبت الدبلوماسية الأوروبية دورها خلال تلك الفترة خوفاً من سيطرة ألمانيا وبسط نفوذها على منطقة الشرق الأوسط.

فزار ملك إنجلترا ، إدوارد السابع ، قيصر روسيا في يونيه ١٩٠٨ ليدرسا تلك الحالة الطارئة وانتهى لقاؤهما بإصدار بيان مشترك .واتجهت فرنسا نحو ألمانيا فعقدت معها اتفاقاً في التاسع من فبراير سنة ١٩٠٩ يقضي باعتراف ألمانيا بمصالح فرنسا السياسية في مراكش في مقابل تعهد فرنسا بضمان مصالح ألمانيا التجارية والاقتصادية وأن تكون مصالحها على قدم المساواة. وكان من أثر هذا الاتفاق أن فجرت فرنسا الثورة في مراكش سنة ١٩١١ .

وقامت إنجلترا بإثارة الفتن والقلاقل في بلاد البلقان في سنتي ١٩١٢ ، ١٩١٣ وحاولت إنجلترا إبعاد تركيا عن حليفتها ألمانيا لكن دون جدوى.

وحاولت الدبلوماسية البريطانية بدهائها أن تخفي دفين شعورها نحو ألمانيا فنظمت زيارة للملك جورج الخامس لبرلين سنة ١٩١٣ وتم طرح موضوع تقسيم مستعمرات البرتغال في أفريقيا. والذي انتهى بتوقيع إتفاق يوليو سنة ١٩١٤ ، أي قبل إعلان الحرب على ألمانيا والنمسا لدرجة أن حليفتيها فرنسا وروسيا كانتا تشكان في مودة إنجلترا لهما ولجلاء الأمور رتبت الدبلوماسية البريطانية زيارة للملك جورج الخامس لباريس وصاحبه السير إدورد جراي وزير خارجيته في ربيع سنة ١٩١٤ ليوضح لفرنسا النوايا الحقيقية لإنجلترا وخلال تلك الزيارة اقترح بوانكاريه رئيس الوزراء الفرنسي على جراي أن تعقد إنجلترا مع روسيا معاهدة بحرية إثباتاً لحسن النوايا وبالفعل عقدت عدة مفاوضات سرية إلا أن أمرها افتضح أمام عيون ألمانيا وأفشت سرها الصحف الألمانية فاضطرت إنجلترا إلى قطعها.

وفي أواخر يونيو ١٩١٤ توجه الأمير فرانسوا فرديناند(١) تصاحبه زوجته الدوقة هوهنبرج لزيارة بلاد البوسنة والهرسك لتحقيق فكرة سياسية جليلة ألا وهي ربط كافة العناصر السلافية في بلاده (النمسا) بإحدى الدول السلافية المجاورة فتتحد معها كاتحاد المجر بالنمسا . ولم يكد يصل إلى مدينة سيراجيڤو Sarajeve في يوم الأحد ٢٨ يونيو ١٩١٤ واذ بطالب جامعي يدعى برنزيب يلقي على سيارتهما قنبلة فلم تنفجر فبادرهما بثلاث رصاصات أطلقها من مسدسه أصابتهما في مقتل.

وفي يوم الجمعة ٢٤ يوليو ١٩١٤ وجهت النمسا إنذارها المشهور إلى الصرب إحتجاجاً على مقتل ولي عهدها وزوجته ومنحت الصرب ٢٤ ساعة للرد عليه ، فقبلت الصرب جميع المطالب المشروعة وطلبت إحالة المطالب غير المشروعة للتحكيم . وفي ٢٨ يوليو ١٩١٤ أعلنت حكومة النمسا والمجر الحرب على الصرب .

وفي أوائل أغسطس ١٩١٤ اشتبكت ألمانيا مع روسيا وأعلنت الحرب عليها . وفي نفس الوقت أعلن بوانكاريه التعبئة العامة في فرنسا فأعلنت ألمانيا الحرب عليها والتي لم ترع حياد بلجيكا ولكسمبورج وقاوم الشعب البلجيكي الجيوش الألمانية رغم تفوقها في العدة والعتاد .

وفي الساعة الحادية عشرة من مساء الثلاثاء ، أبلغت حكومة جلالة الملك الحكومة الألمانية أنه إذا أعطتها جواباً راضياً على ما طلبت منها وهو أن تؤكد لها أنها تحترم حياد البلجيك فإنها تضطر أن تبذل ما في وسعها لتأييد ذلك الحياد والمحافظة على المعاهدة التي وقعتها ألمانيا مثل إنجلترا ، فكان جواب ألمانيا على ذلك جواباً اضطر سفير جلالة الملك في برلين أن يسحب أوراق تعيينه وعليه أبلغت حكومة جلالة الملك الحكومة الألمانية أن البلدين في حرب من الساعة ١١ من مساء اليوم .

ولم تكد تعلن الحرب حتى بعث الملك جورج الخامس برسالة إلى السير جون جاليكو القائد العام للإسطول (٢) البريطاني قال فيها

---

(١) هو ابن أخ أمبراطور النمسا والمجر فرانسوا جوزيف واصبح فرانسوا فرديناند ولياً للعهد بعد موت الأمير رودلف ابن الامبراطور فرانسوا جوزيف .

(٢) سبق للملك جورج الخامس أن زار الأساطيل المتجمعة في سبتهد يوم السبت ٢٨ يوليو ١٩١٤ وكان عدد السفن التي استعرضها أعظم من كل ماسبق فقد تجمع هناك ٢٣٢ بارجة وغواصة تقل ٧٠ الف بحار إلى جانب ٣٠ طائرة وبالونين . وكان طول صف السفن ٤٠ ميلاً وعدد السفن من المدمرات ٢٤ منها ١٣ تحمل مدافع ثقيلة ١٣,٥ بوصة و٣٥ بارجة و ٢٠ طراد مدرع و ٣٥ طراد محمي و ٧٨ ناسفة و ٧ كاسحة ألغام و ١٧ سفينة حربية صغيرة .

« فى هذه الساعة الحرجة من تاريخنا الوطنى أرسل إليك وإلى ضابط الأسطول الذى وليت قيادته وبحارته على يديك معرباً عن ثقتى بأنهم يجددون بقيادتكم مجد بحريتنا السالف ويبرهنون مرة أخرى على أن لبريطانيا درعاً منيعاً فى ساعة التجربة » .

ورد عليه الأدميرال قائلاً : « بالنيابة عن ضباط الأسطول الحامى حمى إنجلترا وبحارته نرفع إلى جلالتكم شكرنا الخالص على رسالتكم التى ستضرم فى قلوبنا كلنا نار العزيمة على رفع شأن تقاليدنا المجيدة الماضية » .

وحاولت كل من ألمانيا وإنجلترا أن تضم تركيا إلى جانبها وإن كانت كل الشواهد تدل على أن تركيا كانت أكثر ميلاً لألمانيا التى أعلنت أنها ستحافظ على سلامة الدولة العثمانية وبالفعل وقعت الدولتان معاهدة تحالف وصداقة فى الثانى من أغسطس إلا أنه فى العاشر من أغسطس ١٩١٤ استطاعت البارجتان الألمانيتان جوبين Goeben وبريسلاو Breslau الولوج إلى ميناء الدردنيل فادعت تركيا أنها اشترتهما لنفسها ورغم احتجاج الحلفاء على تركيا إلا أن كل دولة خافت أن تقحم نفسها فى حرب معها فإنجلترا كانت لا تريد أن تخسر حلفائها المسلمين فى الهند والشرق الأوسط وانتظرت أن تعلن إحدى الدول من حلفائها الحرب على تركيا فتدخل معها الحرب بمقتضى التحالف .

وتحرج الموقف عندما قام ضباط ألمان بفتح نيران الأسطول التركى على الموانى الروسية ، سيباستيول وأودسا وغيرهما ، فى يومى ٢٩ ، ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٤ .

وفى الثانى من نوفمبر ١٩١٤ أعلنت روسيا الحرب على تركيا وتبعتها فرنسا فى الخامس من نوفمبر وأخيراً إنجلترا فى السادس من نوفمبر .

مصر والحرب العالمية الأولى

لم يكد تمض أربع وعشرون ساعة على دخول إنجلترا الحرب حتى اجتمع مجلس الوزراء المصرى برئاسة حسين رشدى باشا رئيس مجلس النظار (الوزراء) - وقائمقام الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كان موجوداً بالأستانة - وأصدر قراراً بمنع التعامل مع ألمانيا ورعاياها والأشخاص المقيمين فيها ومنع السفن المصرية من الاتصال بأى ثغر ألمانى وحظر التصدير إلى ألمانيا وتخويل القوات الحربية والبحرية البريطانية جميع حقوق الحرب فى الموانىء المصرية وأراضى القطر المصرى . وقد برر حسين رشدى ، رئيس النظار ، هذا القرار بأن إعلان الحرب بين إنجلترا وألمانيا ووجود جيش الاحتلال البريطانى فى مصر يجعل هذا القطر عرضة لهجوم أعداء بريطانيا. وقد بادرت بريطانيا باتخاذ الإجراءات الكفيلة بالدفاع عن مصر فأصدر الجنرال مكسويل القائد العام للقوات البريطانية فى مصر أمراً فى الثانى من نوفمبر ١٩١٤ يقضى بإعلان الأحكام العسكرية فى البلاد ووضع القطر المصرى تحت الحكم العسكرى . وفسر مكسويل ذلك بأن السلطة العسكرية لن تحل محل الإدارة المدنية التى تقرر بقاؤها ولكنها ستعتبر مكملة لها فى اتخاذ الإجراءات التى تتطلبها مقتضيات الحرب .

أما من الناحية الحربية فقد استدعت بريطانيا بعض قواتها فى مصر ولذلك قامت باستدعاء الفرقة ٤٢ من لانكشير واللواء التاسع الهندى هذا بخلاف قوات كبيرة أخرى من استراليا ونيوزيلاندا وكانت القوتان الأخيرتان فى حاجة إلى تدريب كبير قبل أن تكون أهلاً للحرب لذلك أوكل إليها مهمة المحافظة على الأمن الداخلى.

وذكر الليفتانت كولونيل كيرزى أنه كان يوجد بمصر فى أواخر سنة ١٩١٤ ما يقرب من ٢٢ ألفاً من القوات المصرية والسودانية بالإضافة إلى ٧٠ ألفاً وأرسلت إنجلترا بحامياتها إلى الإسكندرية وضواحيها لحفر الخنادق وإقامة الإستحكامات ونصبت المدافع فى حصن كوم الدكة والمكس وحصنت المدرعات ميناء الإسكندرية ووقفت السفن البريطانية الحربية فى عرض البحر المتوسط على مسافات قريبة من السواحل المصرية. وعندما انضمت تركيا لألمانيا فى حربها ضد إنجلترا أعلنت هذه الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

حشد السلطة العسكرية للعمال المصريين

أخذت السلطة العسكرية منذ بداية الحرب تجمع ما تستطيع من العمال والفلاحين بطريق الإكراه لإرسالهم إلى مختلف النواحى فى شبه جزيرة سيناء أو فى العراق أو فلسطين أو الدردنيل أو فرنسا للعمل بما تحتاج إليه الجيوش .

وكانت دعوة هؤلاء العمال فى ظاهرها الاختيار والطواعية حتى أطلق عليهم « الرغوبية » أى برغبتهم إلا أن الحقيقة كانوا يجندون قسراً وجبراً بل امتد الأمر إلى الحكومة المصرية التى وضعت جميع إدارتها ومصالحها رهن اشارة السلطة العسكرية البريطانية.

وشهد الريف المصرى نشاطاً كبيراً لجمع مثل هؤلاء العمال وتسلط العمد والمشايخ على الأهالى فكانوا يزجون بخصومهم ويسلمونهم لرجال السلطة حيث كان هذا التجنيد يعتبر نوعاً من النفى والفناء إذ قتل الكثيرون فى صحراء سيناء المحرقة وعلى امتداد ساحات القتال

المختلفة امتد نشاط العمد إلى الدواب وبالأخص الإبل فجمعوا الكثير وقاموا بتوريدها لرجال السلطة كذلك الحال بالنسبة للمؤن والحبوب وعلف المواشى وكان التوريد يتم بأبخس الأثمان .

لقد أثرت تلك التصرفات على الاقتصاد المصرى فأدى تجنيد الآلاف من الفلاحين إلى نقص كبير فى المساحات المزروعة وبالأخص المحصول الأساسى، القطن ، واستبدلت زراعته بالحبوب التى تحتاجها القوات البريطانية ودوابها فبات الشعب المصرى فى ضنك العيش يقدم خيرات بلاده وفلذة أكباده لجيش الاحتلال البريطانى.

وكان من كثرة تحرك القوات العسكرية بالسكك الحديدية أن تلف عدد كبير من القاطرات والعربات والمهمات بل واستخدمت تلك القوات بعضاً من هذه العربات كملاجىء للضباط على امتداد جبهة القناة . كما كثر تخريب الطرق المعبدة داخل المدن المصرية.

المالية العامة لمصر تتكبد الكثير خلال الحرب العالمية الأولى

أوضح مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الرافعى فى كتابه ، تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩٢١ ، حالة المالية العامة للدولة المصرية تحت عنوان ﴿ منحة ثلاثة ملايين جنيه ونصف للحكومة البريطانية ﴾ :

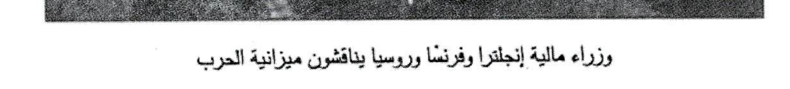
أنفقت الحكومة المصرية منذ نشوب الحرب لحساب الحكومة البريطانية وأغراضها العسكرية مبالغ طائلة فى مختلف المصالح وقيدت هذه المبالغ فى حساب العهد على الحكومة البريطانية وقد خص معظم هذه النفقات مصلحة السكك الحديدية ووضع السير وليم برونييت المستشار المالى بالنيابة كشفاً فى أوائل سنة ١٩١٨ بالمبالغ التى أنفقتها الحكومة المصرية فى هذا الصدد حتى ٢١ ديسمبر ١٩١٧ فزادت على مليونى جنيه ونصف المليون مع تقدير نصف مليون آخر كان منظور صرفه حتى آخر تلك السنة المالية بذلك بلغ إجمالى ما أقرضته الخزانة المصرية للحكومة البريطانية ثلاثة ملايين من الجنيهات. إلا أن الحكومة المصرية أرادت أن تثبت كرمها لجيوش الاحتلال فاجتمع مجلس الوزراء ، رئيس الوزراء حسين رشدى ، برئاسة السلطان أحمد فؤاد وقرر من تلقاء نفسه أن تتحمل الخزانة المصرية كافة نفقات الحكومة البريطانية التى أنفقتها فى مصر حتى ثلاثة ملايين جنيه إعترافاً بجميل بريطانيا العظمى التى حمت البلاد من خطر الغارات كما قرر أيضاً أن تدرج وزارة المالية نصف مليون جنيه آخر للقيام بالمصروفات التى من هذا النوع فى السنة التالية فبلغت منحة الحكومة البريطانية ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات.

قناة السويس
والحرب العالمية الأولى

أوضحت المادة ١٤ من فرمان الامتياز المؤرخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ حياد قناة السويس والموانى الواقعة على امتدادها وظل هذا البند من الفرمان ينص على حياد القناة دون أية معاهدات دولية تضمن هذا الحياد . وبعد احتلال إنجلترا مصر سنة ١٨٨٢ وما صاحب ذلك من أزمات خصوصاً بعد احتلال القوات البريطانية بعض المنشآت التابعة لشركة قناة السويس بالإضافة إلى تعطل الملاحة فى القناة لعدة أيام بسبب الغزو البريطانى. لذلك رأت الدول الكبرى الإعداد لعمل من شأنه تأمين حرية الملاحة فى زمن السلم والحرب ، وبدأت بمفاوضات مع الباب العالى بشأن إدارة ملاحية صرفة مهمتها رقابية تدعى إليها جميع القوى الدولية للمساهمة فيها. وتطور الأمر بعقد مفاوضات طويلة وشاقة انتهت بتوقيع معاهدة دولية تضمن حياد القناة بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ وجعلت تلك المعاهدة القناة بمنأى عن أى عمل حربى. وبرغم أن القناة وموانيها تم تحييدها إلا أن القناة وموانيها كانت برغم كل ذلك أراض مصرية كلف بحمايتها السلطان العثمانى وخديوى مصر .. وكانت تلك الحماية محددة بثلاثة أميال بحرية. وكان قيام الحرب العالمية الأولى هو المناخ الذى طبقت فيه معاهدة ١٨٨٨ لأول مرة. وفاجأ قرار إعلان الحرب العالمية الأولى عشرة سفن ألمانية وسفينتين نمساويتين فى ميناء بورسعيد أما فى السويس فكانت ترسو سفينتان ألمانيتان وثالثة نمساوية.

ومنذ الخامس من أغسطس ١٩١٤ قامت الحكومة المصرية برفع هوائيات أجهزة الاتصال اللاسلكية من فوق السفن الألمانية العشر والنمساويتين الراسيتين فى مدخلى القناة وذلك لثبوت إرسال الباخرتين الألمانيتين Lutzon . Derflinger ببرقيات تلغرافية باستخدام الهوائيات فى أوقات غير مألوفة أو ضرورية بل ألزمت هذه السفن بفك قطع من آلاتها.

وفى السادس من أغسطس كلفت الحكومة المصرية القوات البريطانية بكافة مهام الدفاع عن مصر وأخطرت جميع السفن التجارية



وزراء مالية إنجلترا وفرنسا وروسيا يناقشون ميزانية الحرب



الملك چورچ ملك بريطانيا بصحبته الملك ألبرت ملك بلچيكا يستعرضان القوات فى العاصمة البلچيكية



الجنرالان چوفْر وفرنش على جبهة القتال الأمامية



القوات الحليفه على الجبهة الأمامية وينتشرون خلال الأسلاك الشائكة

الألمانية الراسية فى الموانى المصرية بضرورة مغادرتها قبل يوم ١٤ أغسطس ، ومع هذا فإن السفن التجارية التى كانت فى حالة عبور أو ترغب فى عبور القناة فسوف يكون لها كامل الحرية بالعبور ومغادرة موانى الدخول كذا حق اللجوء مهما كانت جنسياتها بشرط أن يكون وصولها قد تم بأمر طبيعى وبدون تباطؤ أو تأخير .

وفى ١٠ ، ١١ أغسطس سنة ١٩١٤ سمح للسفن النمساوية الراسية فى مينائى بورسعيد والسويس بعبور القناة.

أما السفن الألمانية فمنعت من عبور القناة اعتباراً من ١٧ أغسطس خشية أن تغرق نفسها فى القناة بهدف تعطيلها ومع ذلك فقد ظلت تتمتع بكامل حريتها فى الإبحار ومغادرة القناة إلى البحر ومع ذلك ظلت راسية فى الموانى دون مغادرتها خشية أن تقوم بمصادرتها السفن البريطانية الراسية أمام الشواطىء المصرية .

وفى ٣٠ سبتمبر ١٩١٤ أنشأت إنجلترا بمدينة الإسكندرية محكمة خاصة للنظر فى قضايا الغنائم التى تغتنمها القوات البريطانية من أعدائها وقدمت لهذه المحكمة عدة قضايا خاصة بسفن تجارية ألمانية ونمساوية كانت ترابط بميناء بورسعيد منذ نشوب الحرب ورفضت مغادرة هذا الميناء خشية القبض عليها من السفن البريطانية التى كانت تسيطر على البحر الأبيض المتوسط ، ولما طالت إقامة هذه السفن أصدرت الحكومة المصرية أوامرها بإيعاز من الحكومة البريطانية بضررة مغادرة تلك السفن للموانى المصرية فوراً دون إبطاء وعلى بعد ثلاثة أميال من ميناء بورسعيد تصادرها السفن الحربية البريطانية التى كانت تنتظرها وهى لها بالمرصاد لاقتيادها لميناء الإسكندرية تمهيداً لتقديمها لمحكمة الغنائم البريطانية . وكان يوم ١٣ أكتوبر ١٩١٤ هو تاريخ بدء تنفيذ قرار عدم بقاء السفن الألمانية والنمساوية فى الموانى المصرية فقامت قوات السواحل باحتلال هذه السفن وبعد ذلك تم تجريدها من ملاحيها وتم التحفظ عليهم وأبحرت تلك السفن من بورسعيد يومى ١٥ ، ١٦ أكتوبر ١٩١٤ وأبحرت الإحدى عشرة سفينة بأعلامها الوطنية وكان الطراد البريطانى Warrior ينتظرها فى عرض البحر وبفحص أوراقها ومستنداتها وأجبرها على التوجه إلى الإسكندرية.

واتبعت نفس الطريقة بالنسبة للثلاث سفن التى كانت ترسو فى السويس وبعد أن أمرت بالإبحار عن السويس تم التحفظ عليها فى عرض البحر بواسطة سفينة طوربيد بريطانية أمام السويس واعتبرت غنائم حرب.

ورداً على الاحتجاجات التى قدمها ملاك السفن المعنيين ضد هذا الإنتهاك لحياد مياه القناة أعلنت الحكومة البريطانية بأن موانىء القناة ليست تحت أى غطاء من الحياد يهدف المحافظة على حرية العبور فى القناة أن تستخدم الموانى الواقعة عليها ملاذاً وملجأ لسفن الأعداء وقد ورد هذا التفسيرلمعاهدة ١٨٨٨ فى حكم محكمة الغنائم بالإسكندرية الصادر فى فبراير ١٩١٥ .

وقد اعتبر هذا التصرف مسرحية من السلطات البريطانية للإستيلاء على سفن الأعداء بمجرد خروجها من موانى القناة.

كانت الحرب العالمية الأولى لها سمات تختلف عنها فى الحرب العالمية الثانية بالنسبة لوضع قناة السويس :

فالسمة الأولى لهذه الحرب : هى تأثير حرب الغواصات خلال تلك المعركة .. نجد أن التهديد من جانب الغواصات لم يكن بدأ قوياً بالنسبة للقناة فكان من السهل مراقبة مدخليها وتزويد كل منهما بحواجز تمنع بصفة عملية أية عائمات أو غواصات يمكن دخولها أو تسربها لمياه القناة وذلك حفاظاً على أن تؤدى القناة التزاماتها نحو استمرارية عملها بغض النظر على الحالات التى تعتبر من قبيل القوة القهرية وكان من ضمن إجراءات الوقاية التى اتبعتها شركة القناة من أجل تعويم الألغام وعدم وصولها للقناة من مدخل ميناء بورسعيد أن أعدت جهازاً للمراقبة عن طريق كراكاتها وقوارب الإرشاد الصغيرة Pilotine فكانت مهمة الكراكات القيام بعمليات جرف مستمرة ودورية وذلك جعل أى عملية يقوم بها الأعداء أمام بورسعيد يكون مصيرها الفشل .

إلا أن الألمان والأتراك تغلبوا على تلك اليقظة التامة من جانب شركة قنال السويس واستطاعوا أن ينفذوا عبر صحراء سيناء بمجموعات تمكنت بإلقاء بعض الألغام فى القناة كما قامت تلك القوات بتجنيد عدة مجموعات من البدو فى مناطق العريش والقنطرة للقيام بنفس الدور عن طريق إلقاء الألغام فى القناة أثرت أعمالها إلى توقف الملاحة على فترات متقطعة .

وفى بادئ أمر الحرب كان المشاع عن القناة أنها ليست من الجبهات الهامة وقد تغير الوضع بالنسبة لهذا المفهوم عندما استخدمت القناة لنقل قوات هائلة من الهند إلى الجبهة الفرنسية إذ قامت قافلة كبيرة مكونة من ٣٨ سفينة تحمل على ظهرها ٢٥ ألف مقاتل وتعبر قناة السويس يوم ١٥ أكتوبر ١٩١٤ ثم تبعتها قافلة مكونة من٣٦ سفينة لتعبر القناة يوم ١٠ نوفمبر ١٩١٤ وكان هذا التدفق الهائل مما تقتضيه ضروريات الحرب فى ذلك الوقت بل كان المرور وعبور القناة للقوافل الحربية من سفن بريطانيا وحلفائها أمراً حيوياً وضرورياً لدرجة أن مجلس الحرب البريطانى قرر تعزيز منطقة القناة بقوات هائلة لكى تتمكن من دفع أى هجوم تركى وألمانى متوقع وبالأخص بعد دخول تركيا الحرب فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ .

وبالفعل تم توزيع ٦ ألوية مدفعية منها ثلاث بطاريات مدفعية من القوات الهندية وبطارية مدفعية مصرية كذا لواء مشاة بريطانى واثنتين وأربعين كتيبة مشاة من القوات الهندية وزعت بين بورسعيد والقنطرة والإسماعيلية والسويس واعتبرت المنطقة من القنطرة إلى السويس مناطق محصنة تحصيناً قوياً دعمت بقوات دفاعية قوية تم خلالها شق الخنادق على امتداد ضفة القناة الغربية .

أما المنطقة من بورسعيد إلى القنطرة عبر الضفة الغربية للقناة فكانت عبارة عن منخفض أقل من مستوى البحر فقامت القوات البريطانية بإغراقه بالمياه حتى الكيلو متر ٣١ حتى لا تكون عرضة لاحتلالها كذا الحال بالنسبة لبعض المنخفضات الواقعة فى الجنوب قليلاً .

وقدرت القوات المدافعة عن القناة بحوالى ثلاثين ألف مقاتل كما عين السلاح الجوى البريطانى بعضاً من أسرابه للدفاع عن القناة وقد عاونت فرنسا بريطانيا بأن وضعت بعض طائراتها وسفنها تحت تصرف القيادة البريطانية فى منطقة القناة والتى عهد بأمر قيادتها للجنرال ولسون الذى نودى به قائداً عاماً للقوات البريطانية فى منطقة القناة واتخذ الإسماعيلية مقراً لقيادته وتم إنشاء ثلاث قيادات فرعية اتخذت مقرها على طول منطقة القناة (الأولى) فى بورسعيد و(الثانية) فى الإسماعيلية و(الثالثة) فى السويس ونظمت حراسة فى شكل دوريات كذلك كانت الطائرات تقوم بدورها ، للإستكشاف فى المناطق القريبة للقناة خشية أن يكون هناك تجمعات للعدو بالقرب منها .

واكتملت الإستعدادات بأن قامت السفن الحربية الإنجليزية والفرنسية المنتشرة عبر القناة بتوجيه مدافعها القوية تجاه الشاطئ الأسيوى والذى يصل مرماها عبر صحراء سيناء .

فتم إرساء البارجة الفرنسية Le Requin (القرش) فى شق فى بحيرة التمساح تم حفره لها خصيصاً .

أما البارجة الفرنسية Entre Casteaux فكانت مهمتها أن تحوم بصفة مستمرة فى شمال البحيرة الكبرى .

أما السفن البريطانية Swiftsure ، Clio ، Ocean ، Minerva فاتخذت مواقعها عند القنطرة والبلاح والشط والشلوفة .

أما الطراد Himalaya فكان متواجداً عند الكيلومتر ١٤٠ .

وتواجد الطراد Hardinge فى بحيرة التمساح .

أما البارجة Prosperine فاتخذت موقعها فى بورسعيد .

واعتباراً من ٢٥ يناير سنة ١٩١٥ وضح أن خطر الحرب على القناة أصبح وشيكاً ويحتاج الأمر إلى احتياطات دقيقة فى عبور القناة فاستقر الرأى على وقف الملاحة ليلاً بأن تتجمع السفن بالليل فى البحيرات وتتوقف بإلقاء مراسيها فى مياه البحيرات .

وكانت السمة الثانية لهذه الحرب : هو أن التهديد الجوى للقناة من الطائرات التركية والألمانية لم يكن موجوداً حتى نهاية سنة ١٩١٤ بل يكاد يكون معدوماً بعد ذلك .

أما السمة الثالثة لهذه الحرب : فهو مايطرحه السؤال التالى هل يستطيع عدو جرئ مزود بمدفعية حديثة أن يقترب من ضفاف القناة ويطلق قذائفه على السفن العابرة وإغراقها فى القناة وبهذا ينجح فى أن يوقع الخطورة بهذا الشريان البحرى الحيوى للإمبراطورية البريطانية ؟ وهل إذا نجح العدو فى ذلك فهل سينتقل خطره إلى مصر ؟ .

والإجابة على ذلك ماسوف توضحه المعارك التى دارت فى تلك البقعة الهامة وذلك منذ أوائل سنة ١٩١٥ حيث وضح أن المعارك البرية احتمالاتها واقعة مائة فى المائة . مما زاد بالحشود البشرية للقوات البريطانية والقوات الحليفة لها من مصرية وسودانية وهندية واسترالية ونيوزيلندية . وهذا ماوضحه الليفتنانت كولونيل كيرزى عن حجم القوات الرابضة فوق أرض مصر خلال تلك الفترة الهامة من تاريخ مصر بل ومن تاريخ البشرية جمعاء فذكر ، أنه كان يوجد على أرض مصر فى أول سنة ١٩١٥ مايقرب من ٢٢ ألفاً من القوات المصرية والسودانية بالإضافة إلى ٧٠ ألفاً من القوات البريطانية والهندية والإسترالية والنيوزيلندية ، .

ومنذ أول يناير سنة ١٩١٥ بدأت التقارير تصل إلى القيادة البريطانية عن استعداد الأتراك بالقيام بحملة على مصر عن طريق القناة وأنه قد تم إنشاء مخازن ومحطات تموين لقواتهم التى سيعهد إليها بأمر الحملة وذلك فى خان يونس والعريش والعوجة والقسيمة ونخل .

وفى ٢٤ يناير وصلت طلائع القوات التركية على بعد ٢٥ ميلاً من القناة وكان أول اشتباك للقوات التركية مع القوات المدافعة عن القناة فى ٢٤ يناير ١٩١٥ ، وفى ٣١ يناير ١٩١٥ كان الفيلق التركى [1] بقيادة جمال باشا دويدار (وزير الحربية التركى) والقائد الألمانى فون كريس ليكون رئيس أركان حربه ومعه مجموعة من ضباط القيادة الألمانية على مسافة ١٥ كم من شرق بحيرة التمساح .

---

(١) كانت القوات التركية تقدر بنحو ١٢ ـ١٥ ألف جندى وتسع بطاريات ومدفعين هاوتزر .

وفى أول فبراير كانت الدوريات المتقدمة من هذا الفيلق تتسلل لتحتل مواقع أمام محطة طوسون والورشة رقم ٦ .

وفى ليلة الثانى من فبراير حاولت القوات التركية عبور القناة من محطة طوسون فتصدت لها قوات الجيش المصرى وهى الكتيبة الطوبجية (المدفعية) برئاسة الملازم أول أحمد أفندى حلمى رئيس البطارية الخامسة الطوبجية حيث قام الأتراك بمد جسر خفيف منصوب على زوارق من الألمونيوم لاجتياز القناة ولما انتهوا من تركيبه وبدأوا السير عليه سلط الملازم أول أحمد حلمى نيران مدفعيته فأحبط محاولة الجيش التركى فى عبور القناة واستشهد فى تلك الموقعة التى عرفت بموقعة طوسون وتولى قيادة البطارية الخامسة من بعده الملازم أول على ذكى والملازم أول خليل جبور وقد تحملت القوات الغازية خسائر فادحة فى الأرواح والعتاد .

وفى صباح ٣ فبراير وعند الفجر ظهر الجيش التركى شرق بحيرة التمساح وأمطرت قذائفه المعسكر الإنجليزى المتمركز عند الورشة رقم ٦ ومستشفى سان ڤان سان وورشة جزيرة الفرسان والسفن الراسية فى بحيرة التمساح فأصيبت البارجة Hardinge إصابات بالغة مما إضطرها للتقهقر إلا أن الباخرة Le Requin استطاعت أن تسلط نيران مدفعيتها على البطاريات التركية . وفى الساعة الثانية بعد الظهر أصدر جمال باشا أوامره بالانسحاب بعد أن أمطرت السفن الراسية قواته بقذائف مدافعها . إلا أن الإنجليز كانو يوقنون أن الأتراك سيعاودون هجومهم على القناة مرة أخرى .

وترك جمال باشا قوة صغيرة تقدر بـ ٤٠٠ مقاتل لتهديد القنال وإجبار القوات البريطانية على أن تكون دائماً فى وضع استعداد وفى يوم ١٢ فبراير ١٩١٥ تم إرسال نصف كتيبة هندية على ظهر السفينة الحربية منير متجهة إلى جبل الطور لتعزيز القوات المصرية المرابطة هناك والتى تعرضت لهجوم من جانب القوات التركية .

وقامت القوات التركية المتبقية أمام الإسماعيلية بالضفة الشرقية بالاشتباك مع القوات البريطانية والحليفة فتصدى لها قول من ثمان كتائب فرسان ونصف كتيبة مدفعية مصرية ونصف كتيبة مشاة وتم صد تلك القوات التى اضطرت إلى التقهقر .

جمعت القيادة التركية قوة قوامها ثلاثون ألف جندى فى منطقة بير سبع فى شبه جزيرة سيناء استعداداً لمعاودة هجومها على القناة كما استطاعوا بواسطة الغواصات الألمانية أن يزرعوا الألغام فى البحر الأحمر وعند مدينة السويس .

وتسلل الأتراك عبر شبه جزيرة سيناء فى مارس سنة ١٩١٥ ثم ردوا على أعقابهم وتجدد الهجوم عند الإسماعيلية فى ٢٨ أبريل وتسللت وحدات تركية عبر القناة واستطاعت أن تزرع ألغاماً فى القناة وقد تسبب ذلك فى غرق السفينة Teiresias فى ٣٠ يونيو سنة ١٩١٥ بعد أن أصابها لغم فى البحيرات المرة واستطاعت شركة قنال السويس أن تنتشلها واستأنفت الملاحة فى القناة فى اليوم التالى .

وقد أجلى الإنجليز عن غاليبولى فى ديسمبر سنة ١٩١٥ وتحرج موقفهم فى قناة السويس وتبعاً لذلك حاول الترك وقتئذ أن يزحفوا على قناة السويس بقوة قوامها مائة وثلاثون ألف رجل ووصلت هذه الأنباء إلى كتشنر[1] الذى أصبح وزيراً للحربية البريطانية فى إبريل سنة ١٩١٦ فانخلع قلبه لذلك رأى كتشنر أن تقوم إنجلترا بالهجوم بقواتها البحرية على الدردنيل كوسيلة لإبعاد تركيا عن قناة السويس ومصر إلا أن القوات البحرية البريطانية خسرت عدة قطع حربية عند عبورها الدردنيل فغيرت القوات البريطانية خطتها للهجوم البرى بدلاً من البحرى .

وأعيد تنظيم القوات البريطانية فى مصر [2] فعهد بأمر قيادتها للسير آرشيبالد موراى Sir Archibald Murray وكان رجلاً غليظ القلب فأكره المصريين على العمل فى مد قضبان السكك الحديدية عبر سيناء إلى رمانة . ففى منتصف مايو سنة ١٩١٦ تم مد السكة الحديدية من القنطرة إلى رمانة . كما قام موراى بتسخير المصريين فى حفر الآبار فى سيناء ومد خطوط التلغراف عبرها وبلغ من سخر لهذا العمل الشاق فى شمس الصحراء المحترقة مئات الآلاف من العمال والفلاحين . وانتقلت أطماع موراى إلى الاستيلاء عنوة على مئات الآلاف من الدواب التى تعتبر عماد الفلاح .

ونعود إلى الحديث عن القوات التركية فعهدت تركيا بقيادة حملة جديدة على قناة السويس إلى القائد الألمانى ، ڤون كريس ، الذى تقدم إلى قاطية فى صباح ٢٣ أبريل سنة ١٩١٦ فاحتلها وانسحبت القوة البريطانية منها إلى الغرب ولكنها عادت فتمكنت من معاودة احتلالها فى ٢٥ أبريل وانسحب الأتراك إلى بير العبد . وفى يوليو بدأ كريس يتحرك بقواته تجاه القناة وتعطيلها ثم السيطرة عليها وحرمان الإنجليز من استخدامها . وفى ٢٤ يوليو توقف الأتراك فى تقدمهم وكانوا قد وصلوا إلى مسافة ١٠ أميال من رومانة ، ولكن

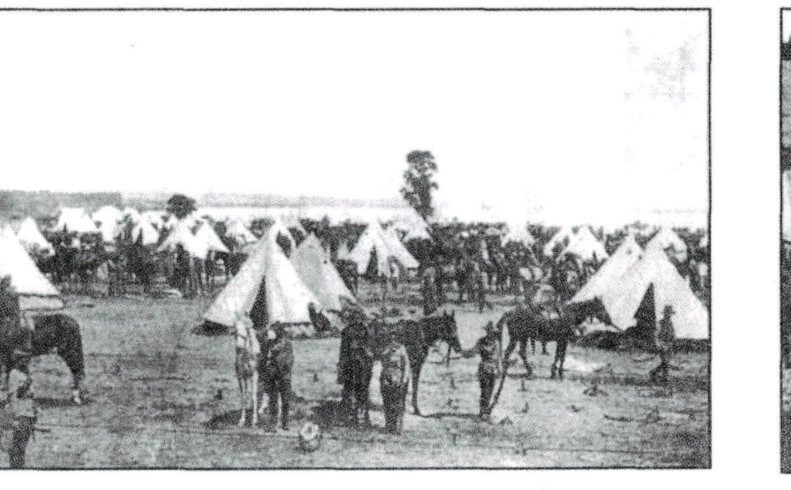
---

(١) هو الجنرال هيربرت كتشنر ولد سنة ١٨٥١ وتوفى فى البحر عندما كان وزيراً للحربية البريطانية سنة ١٩١٧ بعد أن غرق الطرد الذى كان يقله إلى روسيا .

(٢) ورد فى مذكرات دوق وندسور - الملك إدورد الثامن - أن والده الملك جورج الخامس أوفده لزيارة جبهة القتال فى مصر وقتما كان مجنداً فى الجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الأولى فزار تلك القوات فى بورسعيد ثم توجهه بعد ذلك إلى السويس لتفقد باقى القوات البريطانية المرابطه هناك وقد بث والده فيه روح العسكرية من صغره بإعتباره ولياً للعهد ، أمير ويلز ،







تدفق القوات الحليفة لبريطانيا على مصر وعسكرتها فى صحراء الهرم لحين دفعها لجبهة قناة السويس

كريس بمكره استطاع الانسحاب إلى العريش ولم ينجح الإنجليز من تطويقه - بعد أن قتل منهم عدداً كما قتل بعض المصريين الذين فى خدمتهم بسبب عدم سيطرة القيادة المعهود بها لهذه العملية لأنها اتخذت مقراً بعيداً عن ميدان المعركة عند القنطرة .

وفى ٤ أغسطس سنة ١٩١٦ حاول الأتراك مهاجمة سيناء مرة ثانية وكان عددهم نحو ثمانية عشر ألف مقاتلاً فهاجموا فى منتصف ليلة ٤ أغسطس المواقع الحربية بين قاطية ورمانة فى معركة فاصلة عرفت بموقعة رمانة لكنهم منوا بهزيمة كبيرة وارتدوا عن ميدان القتال وبلغت خسائرهم فى هذا اليوم والأيام التالية نحو خمسة آلاف مقاتلاً منهم ٣٣٠٠ أسيراً ولم يفكروا بعد هذه الواقعة إستئناف الهجوم على القناة ثم ما لبثوا أن انسحبوا من شبه جزيرة سيناء وأخلوا رفح والعريش .

وخرجت روسيا من الحرب منهوكة القوى بعد الخسائر الفادحة فى الأرواح نتيجة لاستدراج المارشال « هاندربرج » لتلك القوات بعد أن تظاهر بالتقهقر ثم فتح على القوات الروسية مياه أحد السدود مما تسبب عن ذلك غرق ستمائة ألف جندى روسى فخرجت روسيا من الحرب وقدمت تنازلات مهينة لألمانيا التى رجحت كفتها مما حدى بأمريكا أن تنزل بكل ثقلها فى آواخر أيام الحرب وبطبيعة الحال كان الجندى الأمريكى طوال فترة الحرب فى كامل راحته - دخلت أمريكا الحرب فى ٦ أبريل سنة ١٩١٧ - ولقد مكن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب مع الحلفاء من إلحاق الهزائم بألمانيا بعد أن تعددت جبهات القتال فى شبه جزيرة البلقان وسارايفو والصرب ورومانيا وبولندا وبلجيكا وبحر الشمال وشبه جزيرة سيناء وأرسلت الولايات المتحدة الأمريكية بأساطيلها لمنطقة قناة السويس تجوبها فى دوريات من شمالها فى بورسعيد إلى جنوبها فى السويس وكان أهم تلك القطع . Virginia ، Wisconsin ، Kentucky ، Connecticut ، Illinois ، Kansas ، Rhode Island ، Louisiana .

وبدخول الولايات المتحدة الحرب مع الحلفاء ضد الألمان توحدت قيادة الحلفاء تحت قيادة المارشال فوش الفرنسى وتمكنت قواته من الوصول إلى مونز مطاردة للألمان . وعندما أصبح على مسافة قريبة من برلين اضطرت ألمانيا إلى طلب الهدنة بعد أن تحطم جيشها تماماً . وفى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ عقدت الهدنة [1] بين ألمانيا وإنجلترا وحلفائها (فرنسا والولايات المتحدة وروسيا وإيطاليا) وكانت أول دولة ألقت السلاح هى بلغاريا ثم أعقبتها تركيا التى عقدت الهدنة مع بريطانيا وحلفائها فى يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٨ .

من مذكرات الزعيم محمد فريد

١-معركة حربية على ضفاف القناة

كانت الإمبراطورية العثمانية فى غضون عام ١٩١٤ فى قبضة الإتحاديين وفى حالة تفكك وانقسام وكانت تسير فى ركاب ألمانيا التى تمدها بالمساعدات العسكرية والإقتصادية ولم يكن السلطان ورجال بلاطه والوزراء سوى أشباح ماثلة فى قبضة أنور باشا الذى كان لاينى يردد قوله « إن الجيش العثمانى سيغسل عنه العار الذى أورثته إياه حروب البلقان » .

ومن هنا نبتت فى الأوساط العسكرية فكرة إرسال حملة عسكرية إلى وادى النيل ومد خط حديدى يتفرع من سكة حديد الحجاز إلى حدود مصر الشرقية لطرد الإنجليز من مصر والشرق ، واحتضن الألمان هذه الفكرة وأصبحوا يعلقون أهمية قصوى على هذه الحملة لكسر شوكة الإنجليز والفرنسيين فى منطقة الشرق الأوسط وتهديد طريق الهند وسرعان ماحثوا الأتراك على تنفيذ الفكرة وعهد إلى الجنرال فون ساندزر المفتش العام للجيش العثمانى مهمة وضع خطة للزحف على قناة السويس أو تخريبها ، فقد كانت القناة عند نشوب الحرب العالمية الأولى بمثابة قاعدة عسكرية رئيسية تستقبل أفواجاً من جنود المستعمرات فى آسيا وأفريقيا وكان الأسطولان البريطانى والفرنسى يفرضان الحصار على الحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط وكذلك على البحر الأحمر فإذا تعذر على الحملة اقتحام القناة والاستيلاء على مصر فلا مفر إذن من إعاقة جيوش الحلفاء وإبقائها فترة طويلة فى تلك المنطقة لتخفيف الضغط على ميادين القتال فى أوروبا .

الزعيم محمد فريد

٢- تركيا تستغل جهاد الزعماء

وعرضت هذه الفكرة على زعماء مصر المقيمين فى تركيا فحبذوها بقولهم إن الإنجليز أعداؤنا وقد حانت الفرصة لطردهم من بلادنا وإرغامهم على دفع ثمن الأرواح الغالية التى أزهقوها فى وادى النيل وإيرلندا والهند ، والتف المناضلون منهم حول الزعيم محمد فريد فى منفاه

(١) وفى الساعة الحادية عشرة من ظهر يوم الأثنين ١١ نوفمبر ١٩١٨ وقع الألمان على شروط الهدنة .

الاختيارى باستامبول فخاطبهم بقوله « إن تركيا الآن دولة معادية لبريطانيا ، وقناة السويس شريان حيوى لكل من المتحاربين ويهم الأتراك والألمان الاستيلاء عليه ولقد التقيت بالأمس مع طلعت باشا وزير الحربية الذى صارحنى بأن لتركيا رغبة فى استعادة مصر وأنها الآن بسبيل إعداد حملة عسكرية تعبر سيناء وتخرج الإنجليز من وادى النيل فكان جوابى بأن مصر ستكون للمصريين وحدهم وأن هذه الحملة لايمكن أن تعطى تركيا حقوقاً جديدة ، إن تركيا تريد أن تستغل جهاد المصريين لمآربها وأن تعيد مصر أيالة عثمانية لذلك لايمكننى أن أحث المصريين هنا على التطوع لإعادة الأوضاع فى مصر إلى ماكانت عليه قبل الاحتلال والاحتفاظ بالامتيازات التى خولتها إياها الفرمانات فهنا يكون الشباب المصرى فى طليعة الحملة وعندما تجتاز قناة السويس فإن الشعب المصرى بأسره سيهب للثورة وبعد أن يتم تحرير مصر فإن على الجيش العثمانى مغادرة الأراضى المصرية فوراً ولا يبقى فيها بعد ذلك أى أثر للأجنبى . وحبذ المناضلون هذه الخطة وبدأ محمد فريد مساعيه السياسية فاتصل بالثالوث الهام فى حزب الاتحاد (التركى) الذى يحكم تركيا : طلعت وأنور وجاويد .

وأخذ الأمل يداعب الخديوى عباس حلمى [1] ليكون على رأس هذه الحملة ودخول مصر دخول المحرر لها فاتصل بمحمد فريد وصحبه وبذل الجهد فى تملقهم فقد كان على رأس الوزارة التركية الأمير سعيد حليم أحد الطامعين فى عرش مصر لذلك أراق الخديوى ماء وجهه وبذل من الوعود والاستعطاف حتى قبل المصريون عقد مؤتمر بقصر بيبيك شهده من جانب : محمد فريد ، إسماعيل لبيب ، السيد دسوقى ، مهدى السيد حشيش ، حسين أمين حتحوت ، توفيق وعباس صبور . ومن الجانب الآخر : الخديوى ويوسف صديق وأحمد شفيق ، والدكتور سيد كامل ، الشيخ عبد العزيز جاويش . وفى هذا المؤتمر رسمت الخطة فاقترح الخديوى أن ينوب عنه فى مرافقة الحملة الأمير إبراهيم حلمى وعليه أن يقيم فى (عابدين) بوصفه وصياً على العرش وأن يخصص للقيادة العثمانية المبنى الذى تشغله قيادة الاحتلال البريطانى فى القاهرة وأن يحتل الجنود الأتراك الثكنات البريطانية ولا يرخص لهم باحتلال أية ثكنة مصرية أو التجول فى مدن أخرى سوى القاهرة وأن تعلن الأحكام العرفية ويجرى الترحيب بالجيش العثمانى بدون مبالغة من جانب الحكومة وينتدب مندوب إيطاليا فى صندوق الدين ليحل محل المستشار المالى البريطانى وبمجرد إنسحاب الموظفين الإنجليز يعين من يخلفهم من المصريين وخصوصاً فى البوليس على أن يراعى عدم تدخل القائد العثمانى فى شئون الإدارة . وأعد الخديوى نداء موجهاً إلى المصريين اشترك فى وضعه محمد فريد وعبد العزيز جاويش و يوسف صديق و دكتور سيد كامل .

وقد استهل النداء بقوله : « هاقد حانت الساعة لخلاصكم من احتلال أجنبى وطئ البلاد منذ اثنين وثلاثين سنة بدعوى أنه مؤقتاً وأنه جاء لتأييد العرش ولكن مضت الأعوام ونسى المحتل وعوده بالجلاء متدخلاً فى شئون البلاد الإدارية والسياسية » .

وبعد أن ندد البيان بمساوئ الاحتلال مضى يعد المصريين بمنحهم دستوراً كاملاً وإلغاء القوانين المنافية للحرية والعفو عن المجرمين السياسيين إلى أن قال : « إن إرادة أمير المؤمنين اقتضت تسيير جيش عثمانى عديد مظفر إلى مصر لإعادة الحالة إلى ماكانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ ، وقد رأينا أن نسيرمع هذا الجيش حتى يتم النصر له بمعاونتكم وقيامكم بتمهيد كل الوسائل لتسهيل مهمته واستعدادكم لاستقبالنا واستقباله بما هو معهود فيكم من الحمية الوطنية » .

وبعد أن وقع الخديوى على البيان بلقب جديد هو « خديوى مصر والسودان » بعث بألوف النسخ منه إلى وزارة الحربية التركية لتتولى الطائرات إلقاءه على المدن المصرية .

وبعد أيام أصدر السلطان محمد رشاد البيان التالى « أشكر المولى جل وعلا على إتاحة هذه الفرصة السعيدة التى سنحت لى بإرسال جيوشى المنصورة لتخليص بلادكم الجميلة مصر التى هى ميراث الإسلام .. وإننى متأكد من أن الجيش سينجح بعناية الله فى تخليصكم من العدو ومن تدخله فى شئونكم وفى رد استقلالكم وحريتكم إليكم » .

٣- تجهيز الحملة

سار الاستعداد للحملة على قدم وساق وشرعت السلطات البريطانية فى مصر تستعد لصدها ، فأخلت فى أول نوفمبر ١٩١٤ منطقة سيناء لتجعل من الصحراء فاصلاً بيها وبين الجيش المهاجم وفتحت سداً من البحر الأبيض المتوسط على زاوية سيناء الشمالية الغربية لإغراقها بالماء وحفرت الخنادق على ضفاف القناة من القنطرة حتى السويس وعززتها بالجند وبعض المدرعات الحربية التى رابطت فى بحيرة التمساح والبحيرات المرة .

(١) إنتهزت إنجلترا وجوده بالأستانة فقامت بعزله بناء على أوامر المعتمد البريطانى هنرى مكماهون واعلنت حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

وبادرت القوات التركية باجتياز الحدود المصرية فى ثلاث نقاط وهى العريش والعقبة ونقطة أخرى بينهما تصلح لسير السيارات ، كما شرعت فى مد سكة ، ديكوفيل ، فوق رمال الصحراء لحمل المدافع الضخمة .

وفى استامبول نحى الخديوى عن قيادة الحملة وبالأحرى خشى أن يسير معها حتى لا يفتك به الأتراك فى الصحراء ، ووقع الاختيار على رجل عسكرى معروف بتعصبه الزميم ضد العرب هو جمال باشا وزير الحربية الملقب ، بالسفاح ، ليقود الحملة وإلى فون كريس الألمانى ليكون رئيساً لأركان حربه ومعه لفيف من ضباط القيادة الألمانية .

وغادرت الحملة محطة حيدر باشا باستامبول فى ١٥ نوفمبر وسط مظاهر الحماسة وكانت البعثة المصرية التى ترافقها تتألف من ، اسماعيل لبيب ، الدكتور أحمد فؤاد ، حلمى المسلمى ، فؤاد سليم ، عباس وتوفيق صبور ، وعشرات من المتطوعين وقد أعدت لأفرادها الخيام والخيل والبغال والمؤن وزودت بالسلاح .

جعلت دمشق قاعدة للزحف على مصر وكان على قائد الحملة أن يختار أسهل الطرق وأقربها إلى الدلتا وهو طريق ساحل البحر الأبيض المتوسط ولكن كان من الصعب عليه أن يجتاز ذلك الطريق بسبب تعرضه لأسطول الحلفاء لذلك اضطر إلى أن يسلك طريق القوافل فى قلب الصحراء أى شبه جزيرة سيناء .

وكان الفيلق الذى يقوده جمال باشا مؤلفاً من عشر كتائب وثلاث سرايا مدافع رشاشة وسبع بطاريات مدفعية جبلية وبطارية مدافع من طراز أوبوس سريع الطلقات ولواء هجانة وكتيبة مهندسين ومجموع الفيلق ١٣,٤١٩ جندياً ، ٤٣٦ ضابطا ، ٤٥٢ سائق سيارة يرافقة قرابة تسعة آلاف جندى غير نظامى من الشام والحجاز وكان مع الحملة ثمانية آلاف جمل منها ألفان لجر الأحمال التى وضعت على مركبات زحافة فوق الرمال وكذلك كان معها ١٧٥٣ حصاناً وألف بغلاً وجسر متحرك يتكون من ستة وثلاثين زورقاً من الألمونيوم لعبور القناة .

وارتدى أفراد لواء الهجانة ملابس العثمانيين القدماء أى السراويل والأردية القصيرة وعقدوافوق رؤوسهم عمائم رمادية اللون يزينها هلال نحاسى صغير الحجم .

وفى غرة عام ١٩١٥ تحركت الحملة من قاعدتها الرئيسية فى دمشق وكانت الخطة الموضوعة هى أن يبدأ قلب الجيش زحفه من بئر سبع متجهاً إلى الإسماعيلية والجناح الأيمن يتبع طريق غزة العريش إلى القنطرة والجناح الأيسر من قلعة نخل بسيناء إلى السويس .

واصلت الحملة السير فى جوف الصحراء وهى مثقلة بأحمالها فلا تقف إلا ريثما تتنفس خوفاً من نفاذ الماء والزاد وكانت صورة الأهرام شاخصة أمامهم وخيال النيل يتراءى فى عيونهم فيشجعهم على تحمل المشاق وكان الاعتقاد السائد بينهم أن الشعب المصرى سينتفض ويهب للثورة بمجرد أن تطأ أقدامهم ضفاف القناة .

ووصلت الحملة إلى القناة فى ٢٨ يناير ١٩١٥ وهى منهكة القوى مثقلة بأحمالها فلاحت أمامها الإسماعيلية وسرابيوم وطوسون هادئة ساكنة فى ظلال السفن فى الماء وعلى حين فجأة سلطت الأنوار الكاشفة على الحملة فى الضفة الغربية على مسافة عشرين كيلومتراً للتعرف إلى أماكنها ومبلغ استعدادها كما حلقت الطائرات فوقها .

كان على الجناح الأيمن للحملة الاستيلاء على القنطرة والقلب على الإسماعيلية والجناح الأيسر على السويس وعهد للمدفعية بإغراق الطرادات الرابضة فى بحيرة التمساح وتعطيل الملاحة فى القناة .

أما القوات البريطانية فكانت على النقيض فى ذلك كانت تنعم بالراحة وتعتصم داخل الخنادق تحميها القطارات المصفحة المسلحة بالمدافع وهى تغدو وتروح بين السويس وبورسعيد ومن خلفها نجدات يبلغ عددها أربعون ألف جندى داخل مثلث يرتكز عند حدود مدينة الزقازيق وكان فى خطوط الدفاع البريطانية مدافع ثقيلة وخفيفة وألغام ورشاشات تحمى المواقع من أولها لآخرها هذا عدا ماتعتمد عليه من الموارد المصرية ووسائل المواصلات وغيرها من الوسائل التى سيطروا عليها تحت إسم الحماية البريطانية .

٤- المعركة الفاصلة

بدأت المعركة الفاصلة فى ليلة ٢ - ٣ فبراير ١٩١٥ بأن حاول حملة الزوارق إنزالها إلى المياه لإقامة جسر يصلح لاجتياز القناة على مقربة من محطة طوسون فتصدى الإنجليز من حملة المدافع الرشاشة لهم وأغرقوا الزورق الأول غير أن أحد الضباط الأتراك ومعه بعض الجنود تمكنوا من العبور إلى الضفة الغربية ثم تدفق الجنود فى أثرهم بزوارقهم ولكن رصاص الرشاشات كان يفتك بهم فتكاً ذريعاً وأبدى بعض الضباط بسالة خارقة بأن ألقوا بأنفسهم فى المياه ليسحبوا الزوارق التى ثقبها الرصاص . كما اعتمد ضباط آخرون على

سواعدهم فى عبور القناة وهكذا تمكنت سريتان من الوصول إلى الضفة الغربية وأصوات رجالها ترتفع بالتهليل والتكبير على حين غرقت فى ظلام الليل عدة زوارق وهى مكتظة بالجرحى والمقاتلين .

وحمى وطيس المعركة فى صبيحة اليوم التالى واستمر إلى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر وأطلقت المدفعية التركية قذائفها على مدينة الإسماعيلية . وكانت المعركة الرئيسية بين محطتى طوسون وسرابيوم إذ حاقت الهزيمة بالأتراك فارتدوا مذعورين مخلفين وراءهم ثلاثمائة قتيل ومئات من الجرحى والأسرى أما الإنجليز فقتل منهم نحو ثمانية وجرح مائتان وعشرون . وأراد الأتراك أن يستروا هزيمتهم فأعلنوا بأن الغرض من الحملة لم يكن غزو مصر وأنما القيام بمظاهرة عسكرية على ضفاف القناة » .

« إنتهى الجزء الخاص بمذكرات الزعيم محمد فريد »

كيف عاشت بورسعيد زمن الحرب العالمية الأولى من خلال محاضر مجلس بلدى بورسعيد

تعتبر محاضر جلسات مجلس بلدى بورسعيد عن الفترة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ مرآة للحياة فى مدينة بورسعيد تعكس لنا كيف عاش أجدادنا تلك الفترة الحرجة من تاريخ البشرية جمعاء بمشاكلها وكيف وضعوا لها الحلول من خلال هذا المجلس فما هى تلك المشاكل وكيف وضعت لها الحلول ؟

أولاً بحث غلاء المواد الغذائية والبترول

لم يمض يومان على إعلان قيام الحرب العالمية الأولى إلا وقام محمد بك حداية محافظ بورسعيد ورئيس المجلس البلدى بعقد جلسة غير اعتيادية للمجلس البلدى عقدها فى يوم الخميس ٦ أغسطس سنة ١٩١٤ لبحث غلاء أسعار المأكولات فى المدينة بسبب ظروف قيام الحرب ونقدم لكم الكلمة التى افتتح بها محمد بك حداية تلك الجلسة :

« إن الغرض الأول من اجتماعنا اليوم بصفة غير اعتيادية هو البحث فى مسألة هامة لاتستدعى تأجيل النظر فيها إلى ميعاد الجلسة العادية وهى مسألة غلاء الأسعار حيث لايخفى على حضراتكم أن التجار قد انتهزوا فرصة الظروف الحاضرة فرفعوا بدون مسوغ أثمان المأكولات بنسبة مبالغ فيها وقد علمتم حضراتكم من محضر جلسة المأمورية الأخيرة أنى كنت دعوت حضرات قناصل الدول للاجتماع بهم على أثر إنعقاد جلسة المأمورية المذكورة ومفاوضتهم فى الأمر وقد استقر بنا الرأى على أن يكلف بعض من القناصل تجار المأكولات التابعين لهم بانتداب أشخاص منهم ليتحدوا معنا فى وضع تعريفة لأثمان المأكولات وقد تم ذلك وهؤلاء النواب موجودون الآن بالمحافظة » .

وجاء موضوع بحث غلاء الأسعار بجدول أعمال الجلسة تحت رقم ٧ وننقلها لكم فطلب رئيس المجلس البلدى (المحافظ محمد حداية بك) من الأعضاء إبداء رأيهم فى موضوع غلاء الأسعار المنوه عنه فى صدرهذا المحضر .

الكونت دى سريون [١] - بما أن مدينة بورسعيد ليست الوحيدة فى القطر فإنى أسأل عما إذا كانت البلاد الأخرى اتخذت إجراءات فى موضوع غلاء الأسعار .

أجاب حضرة الرئيس - بأن بلدية الإسكندرية آخذة فى نظر المسألة الآن وفى عزمها وضع تعريفة مخصوصة .

محمود صبحى أفندى - بالأخص وأن مدينة بورسعيد لها صفة خصوصية فهى تستجلب معظم مأكولاتها من الخارج أما البلاد الداخلية فلديها حاصلات القطر على أننا لو وضعنا تعريفة قانونية فلا يمكن العمل بها إجبارياً إلا مع الوطنيين (يقصد المصريين دون الأجانب)

وهنا اقترح حضرة الرئيس أن يبتدئ أولا بالاتفاق مع نواب التجار على وضع تعريفة تناسب الحالة الحاضرة ... واستدعى بعد ذلك فى قاعة الجلسة نواب التجار وهم الخواجات براسكاكى وكيتزونيدس وبلاتس وبتسالى وجرانجيوتى ودراس وبندوغوس والشيخ عوض الدالى (تجار دقيق وخبز) .. ماتسيدس وتورشيو وسكلانو والشيخ ابراهيم المخزنجى ونعمان أفندى (بقالون) والمعلم عوض فقوسة (تاجر لحوم) ..

وبعد المناقشة معهم طويلاً قبلوا وتعهدوا كتابة بالعمل بالتعريفة لغاية شهر أغسطس الجارى .

الدقيق ماعدا الرومانى نمرة ١ والروسى والبلغارى والكندى (بسعر الكيلو ٨ صولدى [٢] على الأكثر بالقطاعى وسعر الشوال الذى يزيد عن ٩٧ - ٩٨ كيلو ٣٦ فرنك على ألا يباع أكثر من شوال لكل مشتر واحد) .

---

(١) نائب عام شركة قنال السويس ومعين عضواً فى المجلس بحكم قانون تأسيس مجلس بلدى مدينة بورسعيد المؤرخ فى ٢ يناير سنة ١٩١١ .
(٢) الصولدى = مليمان والفرنك = ٤ قروش

الخبز البلدى بسعر ٩ صولدى الأقة .

الخبز الافرنجى بسعر ١٠ صولدى للكيلو .

اللبن المركز بسعر ١٣ صولدى للعلبة .

السكر بزيادة ١٠ ٪ على ثمن الشراء أى بأربعة عشر صولدى فى الوقت الحاضر .

اللحم البقرى للشوربة والخضار بسعر ٣٠ صولدى للكيلو .

اللحم الضانى كستليته وبوفتيك بسعر ٣٥ صولدى للكيلو .

اللحم الضانى الشامى بسعر ٢ فرنك للكيلو .

اللحم الضانى البلدى بسعر ١٠ قروش صاغ للكيلو .

وقرر القومسيون إيقاف تنفيذ اقتراح المأمورية الخاصة بشراء مأكولات بالجملة لبيعها بالقطاعى بدون مكسب إلى أن تعلم نتيجة الإجراءات التى اتخذتها مع نواب التجار وإلى أن يعرف رد الحكومة فى موضوع وضع تعريفة إجبارية ..

ونظراً لارتفاع أسعار المأكولات فقد تأسس فى مدينة بورسعيد عدة مطابخ اقتصادية ومطاعم شعبية كنوع من المساعدة للطبقات الفقيرة .

وبجلسة المجلس البلدى المنعقدة يوم الأربعاء ٢١ اكتوبر سنة ١٩١٤ طلب عضو المجلس البلدى المسيو بافتشفتش تقرير مساعدة مادية من البلدية لتلك المطابخ .

وبجلسة المجلس البلدى المنعقدة يوم السبت ٩ يناير سنة ١٩١٥ قرر قومسيون المجلس البلدى بناء على اقتراح عضو المجلس المسيو بسورلا منح إعانة شهرية قدرها جنيهاً مصرياً اعتباراً من أول يناير سنة ١٩١٥ لمطبخ الفقراء الذى أنشأته الجمعية اليونانية ببورسعيد .

وبجلسة المجلس البلدى المنعقدة يوم السبت ١٥ مايو سنة ١٩١٥ وافق القومسيون على منح إعانة شهرية قدرها جنيهان لكل مطبخ بالمدينة بناء على الاقتراح السابق المقدم مع العضو بافتشفتش .

ومن الغريب العجيب أنه بينما كانت قوات السلطة العسكرية البريطانية تسلب الشعب المصرى قوته وتشاركه أرزاقة وخيرات أرضه الزراعية قسراً وقهراً كانت تقوم ببيع الدقيق التالف الذى لا يصلح للاستعمال الآدمى وهذا ماأثبتته محاضر مجلس بلدى بورسعيد .

ففى يوم الأثنين ٤ فبراير سنة ١٩١٨ عقدت جلسة مجلس بلدى بورسعيد وصرح المحافظ محمد بك حداية بالآتى : « أرسل لى بعض من حضرات الأعضاء خطاباً يطلبون فيه أن يبحث المجلس فى الطرق التى يمكن إتخاذها لملاقاة الأضرار الممكن حصولها من كون السلطة العسكرية باعت ٥٠٠ طناً تقريباً دقيق تالف بشرط عدم استعماله فيما يأكله بنو الإنسان ومن يخالف ذلك توقع عليه غرامة قدرها ٢٠٠ جنيهاً ولكن لاحظنا أن السعر وصل إلى ١٣ جنيه عن الطن وهذا الثمن لا يدفع فى غذاء للحيوانات . ومادام أنه دفع فالمشترون عازمون إذن على استعمال الدقيق فى ما يأكله الإنسان ونظن من جهة أخرى أنه مادام هذا غرضهم فمكسبهم من الدقيق يكون كبيراً يسهل عليهم دفع الغرامة المذكورة آنفاً وهى غرامة تكون قليلة جداً بالنسبة للمكسب الكبير فبناء على ذلك يجب اتخاذ طرق فعالة نأمن بها تنفيذ شرط البيع تنفيذاً صحيحاً » .

وفى نفس الجلسة ونظراً للأزمة التى تعانيها بورسعيد من البترول فقد اقترح عضو المجلس البلدى على أفندى لهيطة أن تتبع بورسعيد طريقة توزيع البترول المعمول بها الآن فى مدينة الإسكندرية . ومساعدة من المجلس لسكان مدينة بورسعيد بعد أن ارتفعت أثمان المأكولات فى المدينة اقترح المحافظ محمد بك حداية (رئيس المجلس) بيع خضروات المزرعة التابعة للمجلس البلدى للأهالى مباشرة بدلاً من أن يباع للتجار بالمزاد على أن يحدد الثمن - متوسط ما يباع به الخضار من السوق ومايشترى به الخضار من المزرعة عن طريق المزاد وهذا ما أوضحه محضر جلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة يوم الاربعاء ١٧ أبريل سنة ١٩١٨ .

وبجلسة ٢٠ يناير ١٩١٧ صرح رئيس المجلس البلدى (المحافظ محمد حداية بك) بالآتى : « أن المسيو إكس باشجنايني المجلس سيسافر قريباً إلى أوروبا للخدمة العسكرية وهو مكلف بزراعة مستودع المجارى والحدائق والأشجار بالمدينة فيجب تعيين آخر بدلاً منه ومستر نويل (باشمهندس المجلس) يرى أن نطلب من وزارة الزراعة أن تعيرنا عاملاً مؤقتاً بمرتب ٧,٥ جنيهاً فى الشهر » .

وخلال الحرب العالمية الأولى قامت وزارة الزراعة بتكليف لجنة مراقبة التموين بتوزيع محصول القمح على مدن مصر حسب احتياجات كل منها فورد للمجلس البلدى الخطاب التالى والذى نوقش بجلسة الأربعاء ٢٩ مايو سنة ١٩١٨ :

« سعادة محافظ القنال

حيث أنه ربما يصبح من الضرورى أن نرسل إلى بورسعيد كمية من القمح الذى تشتريه لجنة مراقبة التموين بواسطة وزارة الزراعة

لكى تسد بها حاجة الأهالى إلى أن يظهر المحصول الجديد بكمية وافرة فيحسن أن توضح من الآن النظام الذى سيوزع به هذا القمح على الأهالى ولذلك فإنى أقترح أن تتكفل البلدية بهذا التوزيع بنفس الطريقة المتبعة الآن بمدينة مصر ...، .

وخلال تلك الجلسة علق المحافظ محمد بك حداية بأن : ، بورسعيد ليس بها طواحين فورود القمح لا يفيدنا بشئ وأن المدينة محتاجة إلى الدقيق ، .

وفى جلستى المجلس المنعقدتين يومى الأربعاء ٥ يونيو سنة ١٩١٨ ، والسبت ٨ يونيو سنة ١٩١٨ تمت مناقشة موضوع الدقيق الذى سيصرف لبورسعيد وطريقة صرفه وتوزيعه .

فتحدث فى الجلسة الأولى سكرتير المجلس البلدى : ، إن جناب المستر تيلور مراقب التموين قبل أن يعطى للبلدية كمية كبيرة من الدقيق الأسترالى لبيعها للأهالى فالبلدية تشترى الدقيق وتوزعه لحسابها أما كمية الدقيق فهى ٤٠ طناً منها ١٠ طن للإسماعيلية ولكن علمت بعد ذلك من الجرائد أن تجار الإسماعيلية قبلوا أن يأخذوا قمحاً أما الدقيق أصبح إذن غير لازم لهم فيمكن لبورسعيد أن تأخذ أيضاً العشرة أطنان المخصصة للإسماعيلية أما الثمن فهو ١٨٣ قرش للشوال زنة ٥٤ أقة تسليم محطة بورسعيد ...، .

وفى الجلسة الثانية استفسر العضو على أفندى لهيطة عن موضوع الدقيق وطلب عند وروده أن يوزع على صغار التجار وألا يعطى منه شئ لأصحاب المخابز ويقوم المجلس بمراقبة التوزيع ورد المحافظ محمد بك حداية قائلاً : ، إن الدقيق سيحضر عاجلاً وقرار المأمورية المنعقدة فى ٥ يونيو قضى بالتوزيع على الوجه المطلوب الآن ويمكن تشكيل هذه اللجنة من كل من حضرات المسيو بردو وعلى أفندى لهيطة (عضو المجلس البلدى) وعبد الحميد أفندى محمد معاون إدارة المحافظة ، .

وخلال الحرب لاقى أبناء بورسعيد صعوبات فى الحصول على السكر مما حدا بالعضو محمد أفندى غندر أن يشرح تلك الصعوبات خلال جلسة المجلس المنعقدة يوم السبت ٦ يوليو سنة ١٩١٨ وطلب من المحافظ بأن يحل تلك المشكلة كما حل أزمة الدقيق وأجاب وكيل المحافظة محمد بك ضيا [١] رئيس المجلس بالنيابة : ، بأن المحافظ اهتم بمسألة السكر وعما قريب ستحل حلاً فعالاً ، .

وإلى مزيد من سعى مجلس بلدى مدينة بورسعيد فى حل أزمة المواد الغذائية فى زمن الحرب فقد قررت لجنة التموين المحلية بالمدينة الإتفاق مع شركة الملح والصودا على شراء كميات كبيرة من الزيت على نفقة المجلس وتوزيعها على التجار شرط أن يكون بيعها تحت ملاحظة لجنة التموين وذلك بجلسة المجلس المنعقدة الأحد ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١٨ وقدمت للمجلس تعريفة عن ثلاثة أنواع من الزيت وأثمانها بالأقة .

	ثمن الفابريقة	ثمن الجملة	ثمن القطاعى
زيت إنجليزى بالأقة	٨ ١/٢ قرش	٩ قرش	٩ ٣/٤ قرش
زيت سلطانى بالأقة	١٨ ١/٢ قرش	١٩ ١/٢ قرش	٢٠ ٣/٤ قرش
زيت فرنساوى بالأقة	١٩ ١/٢ قرش	٢٠ ١/٤ قرش	٢١ ٣/٤ قرش

وقررت المأمورية مبدئياً أنه لا يطلب فى الوقت الحاضر من الزيت إلا النوع الأول من الفبريقة لأنه أرخص الأنواع وبالتالى الأكثر استعمالاً عند الطبقة الفقيرة .

ولما كان السمك هو الغذاء الرئيسى لأبناء بورسعيد ونظراً لارتفاع أثمانه فى زمن الحرب وحلاً لهذا الموضوع تقدم عضو المجلس البلدى المسيو جرانجيوتى بالطلب التالى الذى تلاه فى نفس الجلسة عاليه :

، سعادة رئيس المجلس البلدى

إن أهالى بورسعيد على العموم ومنهم الشغالة الفقراء على الخصوص يتألمون كثيراً من ارتفاع أثمان الأسماك لأنهم مضطرون لأن يدفعوا أثماناً باهظة تصل إلى ٦ فرنكات للكيلو الواحد فضلاً عن أن الأسماك تكون غالباً فى حالة رديئة فينال السكان من ذلك ضرراً مالياً وضرراً صحياً فلتلافى هذين الضررين أرجو سعادتكم أن تخابروا السلطة المختصة لكى يوضع نظام لبيع السمك مثل النظام المتبع عند السلطة العسكرية بحيث يكون تحت مراقبتها أيضاً وهو تعيين عشرة أو ١٥ صياداً لصيد السمك وبيعه فى المدينة بأثمان معقولة ...، فقررت المأمورية الموافقة على هذا الاقتراح على أن يبلغ للجنة التموين المحلية مشفوعاً بتوصية المحافظ .

وكان من أثر قيام الحرب أن زادت تعريفة الركوب للنقل بالترام [٢] وسيلة المواصلات الداخلية ففى جلسة المجلس المنعقدة يوم

---

(١) معمى عمى اليوزباشى ضياء الدين حسن القاضى من سلاح خدمة الجيش الملكى (سلاح الإمداد والتموين حالياً) والذى توفى على أثر حادث نسبة إلى وكيل المحافظة محمد ضيا بك وجاءت تسميتى بضياء لعمى .

(٢) منحت الحكومة المصرية للمسيو قسطنطين زوروس (يونانى) من كبار تجار الدخان فى بورسعيد عقد إمتياز تشغيل ترام بورسعيد كانت تجره الخيل ثم تنازل زوروس عن هذا الإمتياز إلى شركة سكك حديد الوجه البحرى فى ١٠ مارس ١٩٠٠ وكانت خطوطه ثلاثة إجمالى طولها الكلى ٥٩٠٠ متراً .

السبت ٤ مايو سنة ١٩١٨ تحدث المحافظ محمد حداية بك قائلاً : « أن شركة الترامواى نظراً لأن مصروفاتها قد ارتفعت تبعاً لارتفاع الأثمان فى الوقت الحاضر والتى طلبت منى منذ ثلاثة شهور تقريباً التصريح بزيادة أجور النقل بنسبة ٥٠ ٪ نظراً لأن أجرة نقل الأشخاص بعد إدخال هذه الزيادة لاتزيد عن الحد الأقصى المنصوص عليه بشروط إمتيازها وهو ١٠ مليم .... » .

ثانياً : بحث الإضطراب النقدى فى مدينة بورسعيد

توافدت على مصر عامة وعلى بورسعيد خاصة قوات حليفة فى شتى بقاع الإمبراطورية البريطانية من أستراليين ونيوزيلنديين وهنود كل يتعامل بعملة بلده بالإضافة إلى أن بورسعيد كان التعامل فيها أساساً ومنذ فترة طويلة بالعملة الفرنسية (الفرنك والسنتيم) بجانب العملة المصرية مما خلق شيئاً من عدم الاستقرار النقدى فى المعاملات ونظراً لأن الروبية الهندية هى العملة الأكثر استخداماً فقد أصدرت الحكومة المصرية مرسوماً فى ٦ مارس سنة ١٩١٦ باعتبار الروبية الهندية الفضية ذات سعر قانونى فى القطر المصرى مثلها مثل العملة الفضية المصرية وتحددت قيمة الروبية بـ ٦٥ مليماً . أما فى مدينة بورسعيد فقد ناقش المجلس البلدى موضوع التعامل النقدى داخل المدينة وأوجد الحلول كما سوف نرى .

وبجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة السبت ١٣ فبراير ١٩١٥ ناقش هذا الموضوع عضو المجلس محمود أفندى صبحى قائلاً :

« قد لاحظنا كلنا أخيراً على أثر وصول الجيوش البريطانية فى القطر أن العملة الإنجليزية الفضية كثرت جداً ونظراً لأن بورسعيد هى المدينة الوحيدة الجارى التعامل فيها بالعملة الأجنبية قد تحولت بها مبالغ كبيرة من العملة الإنجليزية فأراد على إثر ذلك أحد بنوك المدينة أن ينتفع من هذا الظرف فقرر أن لا يقبل العملة الإنجليزية إلا بسعر الشلن فرنك وعشرون سنتيماً ويكفى أن يضع أحد البنوك سعراً حتى تتداوله المدينة كلها فنتج عن ذلك أن الأشخاص الذين بحوزتهم مبالغ من العملة الفضية الإنجليزية فقدوا أربعة فى المائة من هذه المبالغ بدون مسوغ .. فلذلك اقترح من سعادة الرئيس (المحافظ) أن يطلب من الحكومة أن تتدخل فى الأمر لكى تعيد السعر الأصلى للشلن أو تسحب من المدينة كل العملة الأجنبية وتبديلها بعملة مصرية » .

ثالثاً : إنتشار البطالة فى بورسعيد

على أثر قيام الحرب العظمى انتشرت البطالة فى بورسعيد انتشاراً سريعاً نظراً لأن كثيراً من عمال المدينة مرتبطون بأعمال الميناء الذى تأثر تأثراً مباشراً بالحرب مما حدا بالعضو محمود أفندى صبحى أن يناقش هذا الموضوع بجلسة المجلس المنعقدة يوم السبت ٥ سبتمبر سنة ١٩١٤ قائلاً :

« البطالة والبؤس من أكبر محركات الجرائم ومن أعظم دواعى الشغب والقلاقل لذلك نرى اهتمام الأمم الراقية بمعالجة أمراضها بمجهودات تفوق الوصف . إن الأحوال الحاضرة التى نأسف لها جميعاً قد تركت فى مدينتنا هذه عدداً ليس بالقليل بلا عمل وتركت مثله فى حالة من الفاقة يرثى اليها ولست بمبالغ إذا قلت أن كثيرين من هؤلاء العطلة [1] والعوذة يجول بخاطرهم الآن إرتكاب جريمتى الخيانة والسرقة وذلك مما يؤدى بالطبع إلى اختلال الأمن العام . لذلك أقترح على المجلس أن يعمل باشتراكهم مع بعض رجال الحكومة الساهرة على مصلحة البلد ومع بعض من ذوى الحيثيات من أهل المدينة فى إيجاد طريقة لتلافى هذه الشرور ومن رأيى أن اللجنة المختلطة تبحث فى أمور ثلاثة :

١ ـ فى إيجاد عمل للعطلة سواء كان عند الأفراد أو بالشركات الكبيرة أو بالمجلس أو ببعض مصالح الحكومة .

٢ ـ البحث فى طريقة أو فى طرق اقتصادية تسهل على الفقير أمور المعيشة .

٣ ـ جمع اكتتابات أو تبرعات من الأهالى ووضع ضريبة على محال اللهو والتياترات والقهاوى لمساعدة البائسين وإنى أترك التفصيلات فى كل هذه الأمور إلى حكم اللجان التى شكلت لهذا الغرض » .

---

(١) كانت ظاهرة البطالة فى أول أيام الحرب ولما طالت مدتها بدأت الحكومة المصرية فى تجنيد أعداد غفيرة من العمال المصريين وتسلمهم للقوات البريطانية فحدثت عملية عكسية وفى جلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة فى ٢١ابرايل سنة ١٩١٧ تليت مذكرة المسترنبل باشمهندس المجلس ذاكراً « نظراً لنقص العمال فى مدينة بورسعيد نطلب احضار ثلاثين شغالاً من الوجه القبلى لازالة الرمال المتراكمة بجوار الكبائن وللقيام بأعمال رصف الطرق » .

رابعاً : حالة شوارع بورسعيد يرثى لها من أثر كثرة مرور عربات الجيش الإنجليزى عليها .

أنشئ المجلس البلدى سنة ١٩١١ فمنذ هذا التاريخ وحتى قيام الحرب العظمى سنة ١٩١٤ قام برصف عديداً من شوارع المدينة بالأحجار والمكادام وعمل ترتوارات لها حيث كانت تستجلب لها الأحجار من أبى زعبل ومن محاجر الضبعة وقامت البلدية بشراء هراس للقيام بأعمال رصف الشوارع وفى حالة تعطله كانت البلدية تستأجر هراس شركة القنال كما قامت بغرس أنواعاً كثيرة من الأشجار فى نوع اللستك والنخيل بعد أن كانت تلك الشوارع رملية وبقيام الحرب العظمى توافدت على المدينة جيوش كثيرة أثرت حركة تنقلاتها بالعربات إلى سوء حالة الشوارع المرصوفة حديثاً وقد أثير هذا الموضوع خلال المجلس البلدى .

وفى جلسة مجلس بلدى بورسعيد عرض المحافظ محمد بك حداية حالة تلك الطرق بالجلسة المنعقدة يوم الأحد ٢٨ يوليو سنة ١٩١٨ قائلاً : « أن شوارع المدينة قد تأثرت كثيراً من حركة مرور عربات النقل التابعة للجيش البريطانى فأصبحت هذه الشوارع فى حالة سيئة جداً لدرجة أنه لا يتثنى إصلاحها من مواد البلدية إلا فى سنوات عديدة وأن هذا التصليح لا يكون إلا ببطء شديد وهذا المرور من شأنه أن يجعل الشوارع فى حالة أسوأ مما هى عليه الآن ولذلك فإنه يحسن بنا أن نطلب مساعدة السلطة العسكرية مساعدة مالية أو تقديم عمال أو مهمات » .

خامساً : إنتشار الأوبئة

نظراً لتوافد أعداداً هائلة من القوات البريطانية والقوات الحليفة لها على مدينة بورسعيد انتشرت الأوبئة وقد نوقش هذا الأمر فى المجلس البلدى .

وفىَ جلسة المجلس البلدى المنعقدة الأحد ١٧ مارس سنة ١٩١٨ تحدث المحافظ محمد بك حداية فى هذا الموضوع قائلاً : « نظراً لأن عدد الإصابات بالتيفود أصبح فى درجة توجب القلق فيحسن بالبلدية أن تنظر فى الأمر وتقترح على الحكومة اتخاذ إجراءات لمقاومة هذا المرض إن عمال البلدية يعملون مافى وسعهم لتنظيف الشوارع بخلاف أعمال الكنس والرش العادية وقد اتبعنا طريقة من مقتضاها تشغيل جميع أنفار المجلس فى تنظيف المدينة تنظيفاً وافياً يوماً فى الأسبوع ولكن مايجب عمله على الأخص هى إجراءات صحية أخرى لا تدخل فى إختصاص المجلس » .

وبعد المناقشة قررت المأمورية أن يقترح على الحكومة اتخاذ الأجراءات الآتية :

أولا : زيادة عدد رجال البوليس لكى يكون فى المدينة منهم مايكفى لأن يخصص جانب منهم لتنفيذ اللوائح .

ثانيا : إرسال عدد كاف من الأطباء للتفتيش على المنازل تفتيشاً إجبارياً وتطهيرها وعزل المصابين الذين يوجدون بها .

هذا وقد سبق للمجلس فى جلسة سابقة فى السبت ٩ مارس سنة ١٩١٨ أن تحدث العضو على أفندى لهيطة فى نفس الموضوع قائلاً : « نظراً لأن المدينة موبوءة بعدة أنواع من الحمى فإنى أقترح أن يطلب من مصلحة الصحة وقسم النظافة عمل ما فى وسعها من الصحة كل فيما يخصه لمقاومة تلك الأمراض ولجعل الشوارع بحالة نظيفة على الدوام » .

سادساً : تقييد الإنارة

نظراً للغارات التى كانت تقوم بها الطائرات الألمانية على بورسعيد لذلك رأت السلطة العسكرية إطفاء ١٥٣ فانوساً من الإضاءة العمومية فى المدينة اعتباراً من ٣١ مايو سنة ١٩١٦ وهذا ماعرضه المحافظ محمد بك حداية على المجلس فى جلسته المنعقدة الأحد ٤ يونيو سنة ١٩١٦ .

واستمر هذا التقييد فترة طويلة إلى مابعد إنتهاء الحرب إلى أن طالب عضو المجلس البلدى المسيويردو إثارة إعادة إنارة المدينة بالكامل وهذا ما أوضحه فى محضر جلسة المجلس البلدى المنعقدة السبت ٣ مايو سنة ١٩١٩ قائلاً : « أقترح على قومسيون المجلس البلدى رجاء الرئيس ـ المحافظ ـ السعى وراء إنارة الفوانيس غير المضاءة بأمر السلطة وإنارة المدينة جميعها أسوة بباقى المدن المصرية خصوصاً بعد أن رفعت القيود الخاصة بالأنارة » .

سابعاً : إنتقال تجارة وتشوين القطن لبورسعيد

جذبت بورسعيد خلال الحرب العظمى تجار القطن وأنشأوا بها شوناً كبيرة للأقطان مما استوجب معه مطالبة ضابط المطافئ زيادة عدد رجال فرقة المطافئ بصف ضابط و ٨ أنفار وذلك نظراً لأن المدينة أصبح بها أشوان قطن وصار عدد رجال الفرقة الحالية لايكفى لمواجهة المهام الملقاة على عاتقها وذلك من واقع مادار بجلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة يوم الأحد ٢٨ يوليو سنة ١٩١٨ .

ثامناً : تقييد حركة الإنتقال من وإلى منطقة قنال السويس

ما أن بدأت الحرب حتى سيطرت القوات البريطانية على حركة التنقل من وإلى منطقة القنال خوفاً من تغلغل الجواسيس الأتراك والألمان إلى منطقة قنال السويس التى كانت تعتبر إحدى جبهات القتال بين الأطراف المتحاربة وكانت نقطة تمركز لجيوش الحلفاء لذلك أنشأت نظاماً للدخول والخروج من منطقة القنال بواسطة تصاريح تصدر منها .

ولما انهت الحرب بدأ أهالى منطقة القنال فى التنقل بحرية داخل القطر المصرى إلا أن السلطات الإنجليزية أبطأت فى إلغاء نظام التصاريح وفى بورسعيد انعكس ذلك على محاضر المجلس البلدى .

وبجلسة السبت ١٢ يوليو ١٩١٩ سأل العضو محمود صبحى أفندى عما إذا كانت البلدية تسعى إلى إبطال تصريحات السفر .. خصوصاً وأن فخامة القائد العام ينظر إلى الطلبات التى تقدم له بعين الرعاية . فأجابه المسيو جرانجيوتى بأنه يظن أن إبطال التصريحات أمر صعب لأن القنطرة بها مهام كثيرة ويخشى من أن العمال يتركون الشغل إذا أبطلت التصريحات فقال المسيو باقتشقتش : « إن المجلس يتكلم عن مدينة بورسعيد لاغيرها » . وقرر المجلس أن ينتهز فرصة سفره للقاهرة تشريفات عيد الأضحى ويقدم هذا الإلتماس لأولى الأمر شفهياً وكتابياً .

وبجلسة السبت ٢٠ سبتمبر ١٩١٩ صرح عضو المجلس البلدى على أفندى لهيطة (بك) : « علمت من الجرائد أن السلطة العسكرية ألغت تصريحات السفر الصادرة من وإلى منطقة القنال ويبق للمجلس أن يقدم عدة مطالب منها إلغاء تلك التصاريح إلى صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وإلى جناب القائم بأعمال فخامة نائب الملك » .

تاسعاً : ماذا قدم المجلس البلدى لرجال السلطة العسكرية ؟!

دائما مصر كريمة فى عطائها حتى مع أعدائها لقد قدم مجلس بلدى بورسعيد الكثير لرجال السلطة العسكرية .

ففى جلسة المجلس المنعقدة السبت ٥ يونيو سنة ١٩١٥ طلب المحافظ محمد حداية بك تخصيص ٥٠ جنيهاً[1] كإعانة لجرحى الحرب المقيمين فى مستشفيات المدينة .

وفى جلسة المجلس المنعقدة السبت ٣ يوليو سنة ١٩١٥ وافق المجلس على الطلب المقدم من المسيو سيمونينى صاحب لوكاندة الكازينو بالاس على شاطئ البحر ليتمكن الضباط فى دور النقاهة تمضية بعض الوقت للإقامة ببورسعيد طلباً لتبديل الهواء والاستراحة عقب شفائهم .

وبجلسة السبت ٧ أغسطس سنة ١٩١٥ تلى الخطاب المرسل من اللادى جراهام حرم مستشار الداخلية والموجه لرئيس مجلس بلدى بورسعيد (المحافظ) مضمونه « أنه عند البدء فى القتال بالدردنيل بوقت قصير وصل إلى القطر المصرى عدد عظيم لا يخفى عليكم من العساكر الجرحى فازدحمت بهم المستشعيات ونظراً لصعوبة حصول رجال السلطة على العدد الكافى من الممرضات لتمريض العساكر المرضى أو الجرحى فقد تكرمت مجالس مديريات الغربية وأسيوط والبحيرة والدقهلية والمنوفية والشرقية وبنى سويف والمنيا والفيوم وجرجا والجيزة ومجلس بلدى بورسعيد مدفوعة بعامل الشفقة فى تقديم خدمات رئيسات المستوصفات والمستشفيات لمساعدة رجال السلطة فى مواساة الجرحى ولقد قابلت السلطة العسكرية هذا العمل المجيد بالشكر » .

وبجلسة المجلس المنعقدة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦ تلى خطاب المسيو دى رجمون سكرتير جمعية الصليب الأحمر ببورسعيد يرجو المجلس بأن يورد إذا أمكن أسبوعياً ومجاناً بعضاً من الزهور للمستشفيات العسكرية خصوصاً المستشفى الموجود بالبر الشرقى (بورفؤاد حالياً) فوافق المجلس على طلب جمعية الصليب الأحمر .

---

(١) يعتبر هذا المبلغ كبيراً جداً بمقاييس ذلك العصر .

وبجلسة السبت ٤ أغسطس سنة ١٩١٧ تمت الموافقة على خطاب « الماجور هدسون التابع للجيش الاسترالى برغبة هذا الجيش أن يقيم ببورسعيد أثراً يخلد ذكرى الجنود الذين ماتوا للدفاع عن القنال وشبه جزيرة سيناء وهذا التمثال عبارة عن جندى من الخيالة الخفيف ومعه جواده وسيصنع من الرخام الاسترالى الصلب بمعرفة حفار ماهر من ذوى الشهرة العالمية وستبلغ قيمة تكاليفه آلاف من الجنيهات كما أضاف الماجور هدسون فى خطابه بأن هذا التمثال سيكون عملاً فنياً جليلاً من شأنه أن يزين المدينة بوجوده فيها وقد طلب - وهو فى نفس الوقت سكرتير لجنة تخليد ذكرى شهداء الحرب - أن يضع المجلس تحت تصرفه مكاناً لإقامة التمثال فيه بحيث يمكن مشاهدته من البواخر عند مرورها » . وقد تم ترشيح مكان لهذا التمثال فى حديقة واصف « حديقة الكازينو بالاس » .

ملحوظة : تعدلت فكرة تصميم هذا التمثال لتشمل تخليد الجنود الاستراليين والنوزيلنديين المشتركين فى الحرب العظمى فى الدفاع عن القناة وقد ازيح الستار عن هذا التمثال فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ .

وبجلسة السبت ٩ مارس سنة ١٩١٨ أعلن مجلس بلدى بورسعيد موافقته على منح قطعة أرض جنوب بورسعيد لإقامة ملعب لكرة القدم وإبلاغ تلك الموافقة للكولونيل الجود قومندان مركز القوات البريطانية ببورسعيد .

وكان قد تقدم بهذا الطلب الكابتن أشتون من الأورطة الأولى التابعة لألاى نورثمبتون الذى يطلب فيه من المجلس البلدى استعمال قطعة الأرض المجاورة للثلاجة (جزء من أرض الجبانات القديمة) للعب كرة القدم وتعهد بترميم السور الموجود حولها .

مظاهر الاحتفال بانتهاء الحرب

فى اليوم التالى لإعلان الهدنة قامت الجاليات الأجنبية من الحلفاء وأصدقائهم فى بورسعيد بمظاهرات جابت شوارع المدينة تعلن فرحتها بانتهاء أعنف الحروب شهدتها البشرية واعتبر كل إنسان شهد هذا اليوم إنه يوم مولده لأن أخطار الحرب انتشرت فى كافة بقاع الأرض كما أقامت هذه الجاليات احتفالات كبرى بتلك المناسبة وأقامت فرق الموسيقى الإيطالية إستعراضاً موسيقياً كبيراً وقد خرج الأهالى رافعين الأعلام المصرية كما رفع أبناء الجاليات المنتصرة فى الحرب أعلام بلادهم فشوهدت الأعلام البريطانية والفرنسية والروسية والإيطالية واليونانية مرفوعة فوق المبانى والمحال التجارية والبنوك وأقيمت أقواس النصر وفى هذا اليوم « الثلاثاء ١٢ نوفمبر ١٩١٨ » أغلقت المحال التجارية والمصارف - كما انتشرت الزينات والمصابيح الكهربائية الملونة فوق القنصليات والمبانى الهامة كما أقيمت أقواس النصر . وفى نهاية الاحتفال مرت فرقة الموسيقى الفرنسية أمام القنصلية البريطانية وعزفت السلام الملكى البريطانى وبعدها توجهت إلى مبنى القنصلية الفرنسية وعزفت السلام الجمهورى الفرنسى كما عطلت المدارس ابتهاجاً بهذا الحدث التاريخى .

وفى المساء استمتع الأهالى بمشاهدة الألعاب النارية والصواريخ التى أعدتها شركة القنال وعادت الحياة الطبيعية رويداً رويداً للمدينة الكوزموبوليتان بورسعيد فرفعت قيود الإنارة وألغت التصاريح الخاصة بالتنقل عبر منطقة القنال ومدنها .

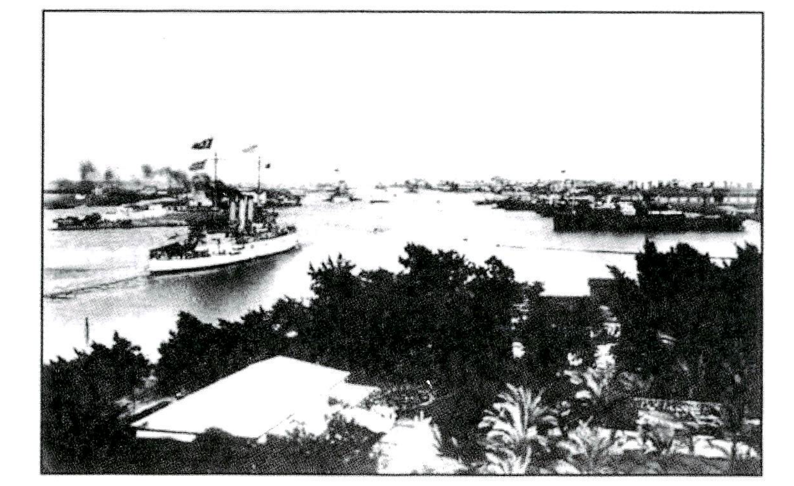
وصف حالة بورسعيد في زمن الحرب العالمية الأولى
كما عاشها وقصها علينا إثنان من اليونانيين المقيمين فى بورسعيد

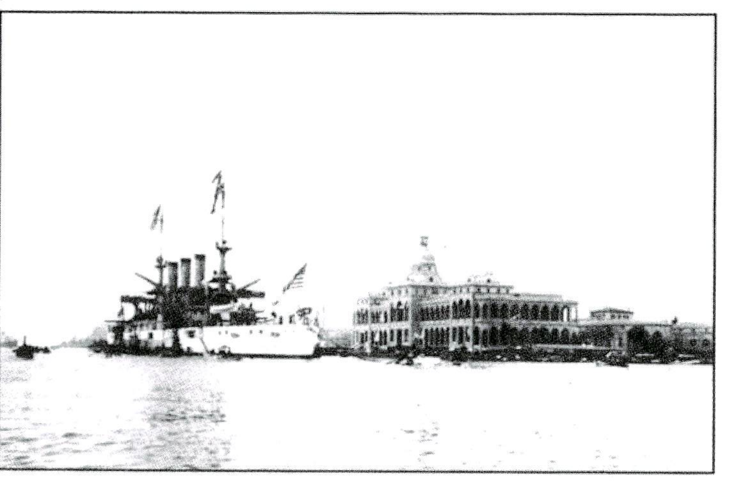
جاء فى كتاب « حقائق وذكريات عن بورسعيد » لديمتريوس . خالدوبيس الصادر سنة ١٩٣٩ يصف حالة بورسعيد فى زمن الحرب العالمية الأولى . ففى ص ١٥٤ قال : « بدأت الحرب العظمى فى أغسطس سنة ١٩١٤ وتم توجيه إنذار لجميع السفن الألمانية بالابتعاد عن المياه الإقليمية المصرية وفى ذلك الوقت وصلت باخرة تجارية ألمانية لميناء بورسعيد وقامت بسداد رسوم عبور القناة متوجهة للمحيط الهندى عبر البحر الأحمر وصعد مرشد يونانى تابع لشركة قنال السويس على ظهر الباخرة وتقابل مع قبطانها الألمانى وكان صديقاً قديماً له فعلم أثناء حديث دار بينهما أنه ينوى نسف باخرته الألمانية وسط قناة السويس بغرض تعطيل الملاحة فيها ولمنع السفن الحربية البريطانية من المرور فيها قام القبطان اليونانى بتفتيش الباخرة الألمانية فوجد فيها مواد شديدة الإنفجار وعلى الفور منع القبطان اليونانى مرور الباخرة عبر القناة وأمر قبطان السفينة الألمانى بالعودة للبحر الأبيض المتوسط وبذلك انقذت القناة من التعطيل » .

القوات الحليفة تصل للشاطئ الأسيوى من القناة بعد دحر القوات التركية



إشتباك قوات الحلفاء مع القوات التركية والألمانية الغازية





صورتان تمثلان قطعتان بحريتان حربيتان أمريكيتان تجوبان القناة من الشمال إلى الجنوب

وفى ص ١٦٠ تحدث عن ضرب بورسعيد بالقنابل « خلال الحرب العظمى وبعد معركة قاطية فى ٢٥ مارس سنة ١٩١٥ بعد سحق القوات البريطانية الهجوم التركى بدأ النشاط الجوى للعدو يزداد على مدينة بورسعيد فتم قصف مدينة بورسعيد بأربع قنابل زنة الواحدة ١٢٠ لبرة لكن الحمد لله لم يحدث أى تدمير أو خسائر فى الأرواح وقد عاودت الطائرات الألمانية الهجوم على المدينة فسبب ذلك ذعراً شديداً بين الأهالى وأدى إلى حدوث خسائر كبيرة فى الأرواح نظراً لأن الهجوم كان ليلاً أو عند فجر يوم ٢١ يوليو سنة ١٩١٦ وكان الناس يهرعون بالهرب فى الشوارع من شدة الخوف » .

وفى ص ١٦١ « أغارت الطائرات الألمانية والتركية على بورسعيد فى صباح أول سبتمبر ١٩١٦ وقد أصيب ١٩ بجراح وتوفى آخر من جنود الجيش البريطانى المرابط فى بورسعيد أما خسائر المدنيين تسعة قتلى ، ١٧ جريحاً وكانت أكبر الخسائر فى الأرواح بالقرب من قهوة البسفور بشارع محمد على بحى العرب من المدينة » .

أما شاهد عيان أحداث الحرب العالمية الأولى على مدينة بورسعيد فهو الصحفى اليونانى جورج سلطناكى فقد وصف لنا حال بورسعيد وحال أهلها فى كتابه « مدن القنال » الصادر سنة ١٩٢٢ ص ١٤٧ : « عند إعلان الحرب العظمى التجار الأوربيين جنوا مكاسب باهظة ومنذ شهر مارس سنة ١٩١٥ بدأ يتوافد على مصر آلاف من القوات البريطانية والأسترالية والهندية وقامت الحكومة البريطانية بإمداد تلك القوات بالبضائع المحلية نظراً لأن التجارة الخارجية كانت شبه مقطوعة كما أن المخزون من البضائع بدأ ينفذ فارتفعت أسعار تلك السلع كما أن مخازن التجار أصبحت خاوية من البضائع والتى بيعت بالنقد وبأثمان مرتفعة وخيالية مما أدى ذلك الوضع إلى تضخم الثروات لدرجة أن التجار الذين أوشكوا على الإفلاس سنة ١٩١٤ أو التجار الذين كان رأسمالهم قليلاً أصبحوا سنة ١٩١٦ أغنياء حرب ذوى ثروات طائلة . وأثناء حرب الغواصات فى البحر الأبيض المتوسط والتى حدت من التجارة الخارجية أصبحت بورسعيد مركزاً ومحطة لتصدير البضائع لأوروبا والشرق الأقصى أما الشئ الغريب الذى حدث فى بورسعيد أن كثيراً من التجار قد أقاموا مستودعات كبيرة للبضائع وأصبحوا أغنياء حرب فى وقت قصير فكانت تصل لحسابهم بواخر مليئة بالبضائع قادمة من الشرق الأقصى ثم يقومون ببيعها فى جميع الأسواق المصرية ويمكن القول بأن تجارة مصر الخارجية أصبحت فى يد تجار بورسعيد وقدرت رؤوس أموالهم من التجارة بملايين الجنيهات وحققوا مكاسب باهظة وفتحوا أسواقاً جديدة بعد أن كانت التجارة قاصرة مع تريستا وهامبورج ولم تمض سنتان على انتهاء الحرب العالمية الأولى إلا وأصاب أسواق بورسعيد ركود شديد بسبب انخفاض سعر المارك والكرونة وأدى التذبذب الدائم فى أسعار تلك العملتين إلى ارتفاع مصاريف الشحن كثيراً مما أدى إلى انخفاض سعر القطن انخفاضاً بالغاً مما أثر على التجارة والسوق المصرية وأصبحت المحال الموجودة فى بورسعيد والمرتبطة بأعمال الميناء تعمل المستحيل من أجل تحقيق مايكفى قوت يومها ووصلت التجارة فى بورسعيد إلى حالتها قبل قيام الحرب العظمى ولولا المكاسب الباهظة التى حققها التجار خلال الحرب لما استمر كثير منهم فى تجارته » .



صد العدوان التركي عن القناه فى يوم الثانى من فبراير ١٩١٥

الفصل الثالث
بورسعيد تشارك فى ركب الوطنية سنة ١٩١٩

تعتبر ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ ضد المستعمر البريطانى ثورة رائدة فى الشرق مما كان لها الأثر على باقى الشعوب المستعمرة والواقعة تحت نير الإستعمار وعلى سبيل المثال صرح الزعيم الهندى غاندى بأن « ثورة الشعب المصرى بجميع طوائفه ضد المستعمر البريطانى يرجع الفضل فيها لزعيم الأمة سعد زغلول الذى وحد بين عنصرى الأمة من مسلمين وأقباط فكان لها الأثر على الثورة فى الهند حيث حذا غاندى حذوه وقام بتوحيد عنصرى الأمة الهندية من مسلمين وهندوس فكتب لحركته النجاح ضد المستعمر البريطانى » .

وقد أخرج الفكر الإنسانى كثيراً من الكتب والمقالات الصحفية عن تلك الثورة الرائدة . وعلى رأس هذه المراجع مذكرات سعد زغلول شخصياً .

وبقيام الحرب العالمية الأولى فى الثانى من أغسطس سنة ١٩١٤ أقحمت إنجلترا مصر فى تلك الحرب وقامت بتجنيد أعداد هائلة من شباب مصر والزج بهم مكرهين فى ميادين القتال كما استولت على المحاصيل الزراعية والدواب وصبرت مصر على كل ذلك طمعاً فى نيل استقلالها فما كان من إنجلترا إلا أن أعلنت حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ بعد أن عزلت الخديوى عباس حلمى الذى كان بالأستانة للاستشفاء وقاموا بتعيين عمه حسين كامل سلطاناً على مصر وبعد وفاته خلفه شقيقه أحمد فؤاد سلطاناً على مصر وانتهت الحرب العظمى فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ بانتصار إنجلترا وانتظرت مصر أن تنال استقلالها بعد أن ساعدت إنجلترا فى حربها بالنفس والنفيس إلا أن إنجلترا كعادتها كانت تراوغ وتخادع . وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ تقدم سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى باعتبارهم ممثلى الأمة المصرية يطلبون من المعتمد البريطانى السير رجلنت ونجت السماح لهم بالسفر إلى لندن لعرض القضية المصرية إلا أن طلبهم رفض بحجة أن أعضاء الوزارة البريطانية يعدون العدة للسفر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح .. إلا أن سعداً ورفاقه كونوا ما يعرف بالوفد فى ٣ مارس سنة ١٩١٩ ورفعوا عريضة تحمل نفس المعنى للسلطان فؤاد الذى اعتبرها تحد له فأوعز للإنجليز بنفى سعد وعدد من مؤسسى حزب الوفد (حمد الباسل ، إسماعيل صدقى ، محمد محمود) إلى مالطة عن طريق بورسعيد حيث تم القبض عليهم فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ وفى اليوم التالى تم نقلهم إلى بورسعيد تحت حراسة مشددة خوفاً من ثورة الشعب البورسعيدى ـ حيث كانت بورسعيد أول المدن المصرية التى أيدت سعد زغلول فى وقفته الجريئة وكان أبناؤها أول من وقع التفويضات لسعد زغلول ورفاقه ليمثلوا الأمة المصرية وكان على رأس هؤلاء أبناؤها الأحرار على بك لهيطة [1] والشيخ ابراهيم بك عطا الله وصالح سليم بك (باشا) ومحمد بك غندر وعلى الألفى والشيخ محمود حلبة والشيخ محمد شاهين والشيخ إبراهيم القاضى (شاعر) ومئات غيرهم ـ ونقلهم رجال السلطة إلى السفينة المقلة إلى جزيرة مالطة . وما أن علم الشعب البورسعيدى بنبأ وصول سعد ورفاقه إلى بورسعيد توطئة لنفيهم خارج مصر حتى تجمعوا وتظاهروا معبرين عن سخطهم للقبض على زعيم الأمة وصحبه حيث لاجريرة لهم سوى أنهم يطالبون بالحرية لبلادهم وماكان من الحكمدار البريطانى جرانت بك Grant Bey إلا أن حشد



على بك لهيطة

قواته على امتداد شارع محمد على لمنع وصول الأهالى المتظاهرين إلى الحى الإفرنجى وهم يحملون العصى والحجارة والزجاجات الفارغة تعبيراً عن سخطهم على تلك الفعلة الشنعاء التى وجهت لصدر الشعب المصرى وفى ذلك اليوم أغلق الأجانب محالهم بالمدينة خوفاً من غليان الشعب البورسعيدى أن يخترق حصار القوات البريطانية ويصل إلى حى الإفرنج ومنه إلى الميناء حيث تنتظر سفينة الأبطال أوامرها بالإبحار ومن هنا نقولها كلمة للتاريخ إن الشرارة الأولى لثورة ١٩١٩ انطلقت من بورسعيد سخطاً من الشعب البورسعيدى على خروج سعد ورفاقه من أرض مصر ومن ميناء بورسعيد إلى المنفى وإن كانت أغلب المراجع تنكر تلك الوقفة وتعطى الشرارة الأولى لشعب العاصمة الذى اندلعت ثورته وانتقلت لبقية مدن وأقاليم مصر وقبل أن نسرد أحداث مؤازرة بورسعيد لثورة ١٩١٩ بمظاهرة يوم ٢١ مارس قد يتبادر للذهن عدة تساؤلات هل كان فى بورسعيد جهاز سرى كالجهاز المشكل فى العاصمة ومن هم أهم

---

(١) قامت القوات البريطانية بالقبض على شقيقه محمود حلمى لهيطة وأودعته السجن لتحريضه الشباب على مقاومة القوات البريطانية ولما تولى سعد رئاسة الوزراة فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤ كان أول عمل يقوم به الإفراج عن الوطنيين المعتقلين بالسجون ومنهم محمود حلمى لهيطة.









الثورة تعم أرجاء مصر إحتجاجاً على نفى سعد زغلول وصحبه

أعضاؤه وما هى المسئوليات الملقاة على عاتقه وكيف كانت تنفذ خطط الثوار فى بورسعيد وهل كان فى بورسعيد مجموعات من الفدائيين وما دورها ؟

لقد كان من دهاء رئاسة الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ الموجود بالقاهرة - على رأسه أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى - أن يختار قاضى مدينة بورسعيد الأستاذ أحمد الصاوى وزملاءه وكلاء النيابة ليكونوا الجهاز السرى لمدينة بورسعيد ومقر منزل القاضى نفسه ليكون بعيداً عن أعين رجال مخابرات السلطة العسكرية البريطانية - يرأس هذا الجهاز كين بويد بالقاهرة - لقد فتش جنود الأعداء منازل بورسعيد جميعها عندما ظهرت حرب المنشورات لكى يكتشفوا أين تخبأ وأين توجد المطبعة السرية التى تطبع المنشورات بعدة لغات لكن دون جدوى وأحكم جنود الأعداء رقابتهم على منافذ المدينة لكن دون جدوى .. كان هناك جهازاً آخراً من الفدائيين يتولى استلام تلك المنشورات لتوزيعها وكان يشرف على هؤلاء كلٌ من على بك لهيطة والشيخ ابراهيم بك عطا الله (عضوا النواب والشيوخ فيما بعد عن دائرة القنال) .

لقد بدأت الشرارة الأولى للثورة فى بورسعيد من منزل الشيخ إبراهيم عطا الله - عرف هذا البيت فيما بعد ببيت الأمة بعد زيارة سعد زغلول لبورسعيد فى سبتمبر سنة ١٩٢٠ وألقى عنده بخطاب حماسى على الآلاف من أبناء بورسعيد - والذى ورثه عن والده الشيخ يوسف عطا الله - أحد الأعضاء المشهورين بالجمعية التشريعية - لقد كان هذا المنزل نقطة التقاء لجميع طبقات الشعب البورسعيدى والذى جمعت فيه التفويضات من أبناء الشعب البورسعيدى ليتولى سعد ورفاقه الدفاع عن القضية المصرية وأن يكونوا ممثلى الشعب المصرى للمطالبة باستقلال الأمة المصرية وكما أوضحنا هذا مسبقاً .. لقد كان هذا المنزل ملتقى خطباء الثورة فى بورسعيد أمثال الشيخ يوسف أبو العيلة والشيخ محمود حلبة والشيخ محمد عبد العظيم حجاب وعلى الألفى والشيخ مصطفى شاهين ومحمد محمود عسل رحمهم الله .

لقد ألفت تلك الثورة بين عنصرى الأمة مسلمين وأقباط وتعانق الهلال مع الصليب فكما كان بالقاهرة القمص سرجيوس كان فى بورسعيد القمص ديمتريوس يوسف راعى كنيسة العذراء مريم للأقباط الأرثوذكس الموجودة بشارع محمد على فى وسط المدينة لقد كانت ظاهرة التآخى بين عنصرى الأمة ممثلة فى الوحدة الوطنية أن توجه المشايخ للكنائس يخطبون وتوجه القسس للجوامع يخطبون لقد كان شعار الثورة (الدين للديان والوطن للجميع) بذلك قطعت الثورة دابر مبدأ المستعمرالإنجليزى المشهور فرق تسد .

ملأت اللافتات الشوارع كما أغرقت بملآت المنشورات التى تحض على الثورة ومهاجمة الإنجليز وتهديد الحكومة والوزراء ومقاطعة المحلات والبضائع والبنوك والسفن البريطانية . لقد كانت بكافة لغات الأرض فبورسعيد مليئة بعديد من الجاليات الأجنبية التى تتحدث عديداً من اللغات بل كان لبورسعيد موقعها المتميز عن باقى المدن المصرية باعتبارها ميناءً عالمياً وملتقى الشرق بالغرب فالثورة فيها يجب أن تأخذ طابعاً متميزاً فقد كلف البمبوطية يحملون المنشورات إلى السفن المارة عبر قناة السويس يوزعونها مع بضائعهم الشرقية على البحارة وركاب السفن ..لقد كانت تلك الوسيلة التى حولت ثورة ١٩١٩ من الإقليمية إلى العالمية ووصلت أخبار تلك الثورة لكافة بقاع الأرض المأهولة من مشارقها إلى مغاربها وأصبحت مثلاً يحتذى به لعديد من الدول التى تخضع للسيطرة الإستعمارية وكما ذكرت فى السطور الأولى من هذا الفصل أن الزعيم غاندى اعترف بفضل تلك الثورة على الهند لقد كانت مهمة الفدائيين تهريب الوطنيين الفارين من ظلم أحكام المعتمد البريطانى السير ريجنالد ونجت ومن بعده اللورد اللنبى - إلى خارج مصر عن طريق ميناء بورسعيد بجوازات سفر مزورة للهروب بها إلى إيطاليا . فكانوا يحصلون على الجوازات التركية وينزعون منها صور أصحابها ويضعون صور من يراد تهريبه على جواز السفر لقد هرب كثير من الوطنيين بتلك الطريقة إلى إيطاليا رغم تشديد السلطة العسكرية الرقابة على الميناء وانتشار رجال مخابراتها .

لقد انتقل نشاط الفدائيين إلى تهريب الوثائق والرسائل ورموز الشفرة للخارج فى كعوب الأحذية بعد إعادة حياكتها مرة أخرى. ولقد لعب الفدائيون فى بورسعيد إبان ثورة ١٩١٩ دوراً خطيراً يمثل نفس الدور الذى لعبه زملاؤهم فى العاصمة لقد قاموا بحملة اغتيالات كبيرة حصدوا من رجال السلطة العسكرية البريطانية فى بورسعيد الكثير وخير شاهد على بطولاتهم مشاهد القبور الموجودة بجبانة قتلى الحرب العالمية الأولى الموجودة بغرب بورسعيد فدون على المشاهد الرخامية الوفاة فى مارس سنة ١٩١٩ بما يدل أن جهاز استخبارات كين بوند وقف عاجزاً عن كشف الستار عن الجهاز السرى وقيادة الفدائيين فى بورسعيد.

بورسعيد كانت شعلة من الوطنية فما كاد الحكمدار الإنجليزى جرانت بك يفرق مظاهرة فى أحد الشوارع حتى يفاجأ بمظاهرة ثانية وثالثة فى شوارع حى العرب ، معارك يدور رحاها فى الشوارع ، صوت الرصاص لا ينقطع طوال الليل فى الشوارع ، لقد انتشر فى كل مكان شعار الثورة ، الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، .

الغليان الكبير فى بورسعيد
فى يوم الجمعة ٢١ مارس سنة ١٩١٩

اتفقت قيادة الثورة فى بورسعيد على أن تنظم مظاهرة كبيرة عقب صلاة الجمعة ٢١ مارس سنة ١٩١٩ يشترك فيها جموع المصلين بالجامع التوفيقى وتكون مسيرتهم عبر شارع أوجينى ، صفية زغلول حالياً ، وجموع المصلين بالجامع العباسى وتكون مسيرتهم شارع محمد على ، الشهداء حالياً ، وجموع من الأقباط الارثوذكس قادمين من كنيسة السيدة العذراء ويلتقون جميعاً فى نقطة واحدة بمنتصف شارع محمد على وما أن تعانق الهلال مع الصليب حتى تصدى الحكمدار الإنجليزى جرانت بك وجنود من القوات الهندية والاسترالية والنيوزيلندية للمتظاهرين محاولاً تفريقهم إلا أنهم أصروا على تكملة مظاهرتهم عبر بقية شوارع المدينة وهم ينشدون أغانى سيد درويش الوطنية بلادى بلادى بلادى لك حبى وفؤادى ويهتفون بحياة سعد ـ بالرغم أن الإنجليز أصدروا أوامرهم بعدم ذكر إسم سعد زغلول فى الجرائد ولا فى المجلات أو الكتب فكان قرار رجال الثورة فى طول البلاد وعرضها أن يكتب إسم سعد على كل ورقة بنكنوت لدرجة أن الباعة كانوا يرفضون التعامل بأى ورقة بنكنوت غير مكتوب عليها عبارة يحيا سعد ، فجن جنون اللنبى وفكر فى إلغاء العملة المتداولة وطبع عملة جديدة فى لندن ولما وجد أن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً عدل عن فكرة جمع أوراق البنكنوت ، كما ألهبت فنانة الشعب المطربة منيرة المهدية الشعور فغنت أغنية ، يا بلح زغلول يا حليوة يا بلح ... ، فغناها الشعب المصرى فى طول البلاد وعرضها مما جعل اللنبى يلغى قراره الذى يمنع ذكر إسم سعد .

إن ثورة ١٩١٩ كانت أول الثورات المصرية التى تخرج فيها المرأة المصرية للشارع المصرى وتشترك فى المظاهرات وتخترق صفوف الجنود الإنجليز الشاهرين اسلحتهم ، توجه صدورهن للرصاص ولقد نظم لهن شاعر النيل حافظ إبراهيم الأبيات التالية :

خرج الغوانى يحتجبن
ورحت أرقب جمعهـــن
فاذا بهن اتخذن مـــن
سود الثياب شعارهـــن
فطلعن مثل كواكـــب
يسطعن فى وسط الدجنه
وأخذن يجتزن الطريق
ودار سعد قصـــدهن
يمشين فى كنف الوقار
وقد ابـــن شعورهـــن
واذا بجيـــش مقـــبل
والخيل مطلقة الأعنة
واذا الجنود سيوفـــها
قد صويت لنحورهن
والخيل والفرسان قد
ضربت نطاقاً حولهن

فكما قاومت المرأة القاهرية القوات البريطانية وتزعمت صفية زغلول الحركة النسائية وتولت القيادة تحض الشعب المصرى على الجهاد فأطلق عليها أم المصريين وتصدرت المظاهرات ومن حولها رائدات الحركة الوطنية النسائية هدى شعراوى[1] وسيزا نبراوى وهدية بركات وكثيرات غيرهن ، انتقلت تلك الوقفة الجريئة لسيدات بورسعيد فتصدرت مظاهرة يوم ٢١ مارس سنة ١٩١٩ من جليلة البحراوى [2] وجليلة المناخلى و نعمت القاضى ونبوية الجابرى .. لم يعبأن بتهديد المستعمر البريطانى ... سارت الثلاث مظاهرات كما هو مرسوم لها فى قيادة

(١) اعددت مقالاً بمجلة Prism بعدة لغات عن رائدات الحركة الوطنية المصرية في أوائل هذا القرن .

(٢) رائدة من رائدات الحركة النسائية في بورسعيد إمتد دورها فى النضال إلى الحركة السياسية والإجتماعية فى بورسعيد فوصلت لمنصب رئيس سيدات الهلال الأحمر فى بورسعيد ومن أشهر عضواته ملك العطار ، زكية الشناوى ، اعتماد الطيب .. كما انتخبت أول رئيسة للاتحاد النسائى ببورسعيد ، مقره بالبيت الحديد ، سكرتيرة هذا الاتحاد اعتماد الطيب ، وامتد نشاطها إلى السياسة فانتخبت عضوا بالاتحاد الاشتراكى العربى وعضو مجلس محافظة وتزوجت من الأستاذ محمد شوقى العطار من أعيان بورسعيد وهو أديب وصحفى واستاذ جامعى انتدب للعمل بجامعة بغداد.

الثورة فى بورسعيد ، وعند نقطة اللقاء المتفق عليها عند تقاطع شارعى أوجينى بمحمد على أمر الحكمدار جرانت بك بإطلاق النار على المتظاهرين منفذاً أوامر اللورد اللبنى بالرغم أنه كان يتبع محافظ القنال مباشرة محمد بك حدايه فسقط من الشهداء **ابراهيم الزينى (تاجر) - فريد الغنام - السيد المصرى - عبد العزيز فزاع - محمد عباده (طالب) - محمد خليفة رجب السلامونى .**

وبلغ عدد الجرحى سبعة عشر . وهذا العدد قليل غير مطابق للواقع فسبق لكل من الأستاذين عبد الرحمن الرافعى ومصطفى أمين باعتقادهما بأن هذا الإحصاء عن الشهداء والجرحى أقل من الحقيقة لأن بعض الجرحى لم يبلغوا عن إصابتهم وبعض القتلى من الشهداء لم يحصل التبليغ عنهم خوفاً من أذى قوات السلطة البريطانية ، ومنذ تلك اللحظة ورث أبناء بورسعيد كراهيتهم للورد اللنبى ولهم عادتهم الخاصة فى حرق اللنبى - سنورد له فصلاً خاصاً.

لقد كان لصحوة الشعب وتذمره من تصرفات المستعمر البريطانى أن أمرت بريطانيا بالإفراج عن سعد ورفاقه والسماح لمن يشاء بالسفر خارج مصر ولم تهدأ الحالة فى مصر إلا فى السادس من أبريل سنة ١٩١٩ .

وكان لهذا القرار أثره السريع فسافر بقية أعضاء الوفد المصرى ، على شعراوى ، المكباتى ، عبد العزيز فهمى ، حافظ عفيفى ، ويصا واصف ، جورج خياط ، حسين واصف ، قاصدين فرنسا لحضور مؤتمر الصلح فى باريس وغادروا ميناء بورسعيد يوم الجمعة ١١ أبريل سنة ١٩١٩ على ظهر الباخرة كاليدونيا التى عرجت وهى فى طريقها إلى مرسيليا إلى جزيرة مالطا فوصلتها ١٥ أبريل سنة ١٩١٩ حيث كان فى انتظارها سعد زغلول ورفاقه ووصلوا جميعاً مارسيليا فى يوم الجمعة ١٨ أبريل سنة ١٩١٩ .

الفصل الرابع
الحرب العالمية الثانية

مقدمة

قبل الحديث عن الحرب العالمية الثانية وأثرها على بورسعيد علينا أن نوضح أن هناك مقدمات وحوادث سبقت تلك الحرب ففوجىء العالم بتحطيم ألمانيا قيود التسليح التى فرضتها معاهدة فرساى.

وفى مارس ١٩٣٥ اكتشف العالم أن ألمانيا لها قوة جوية لا يستهان بها ومما زاد من توتر الدول الأروبية أن أعلن زعيم ألمانيا هتلر الدعوة بالتطوع فى الجيش كما أعلن برنامجاً لإعادة بناء الجيش وتقويته.

وفى نفس السنة أظهر الزعيم الإيطالى الفاشستى بندتى موسلينى نواياه فى التوسع فأعلن عن حلمه بالسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ،بحوله إلى بحيرة إيطالية وإنشاء إمبراطورية إفريقية فشجع الإيطاليين على زيادة نسلهم ليتمكن من بسط سيطرته على الإمبراطورية التى يحلم بها.

واتخذ موسلينى من الحادثة التى وقعت على حدود الحبشة فى منطقة الوالوال والتى تحرش فيها الجنود الأحباش بالجنود الإيطاليين المرابطين على حدود المستعمرات الإيطالية بارتيريا والصومال ذريعة فى احتلال الحبشة .. فأعلن موسلينى التعبئة العامة وجعل ميناء نابولى قاعدة لغزو الحبشة بالإضافة للموانى الأخرى مثل جنوا ومسينا ويسراكيوس.

وبدأت حملة غزو الحبشة فى فجر ٣ أكتوبر ١٩٣٥ تحت إشراف وزير المستعمرات الإيطالية وأسندت قيادة الحملة للمرشال بادوجلو كما تولى الجنرال جرازيانى [1] قيادة الجيش الإيطالى فى الصومال. وعبرت الأساطيل الحربية الإيطالية قناة السويس متجهة إلى الحبشة عبر البحر الأحمر . وشنت إيطاليا هجومها على الحبشة التى كانت عضواً فى عصبة الأمم المتحدة فقد لعبت الدبلوماسية الإثيوبية دورها فى أروقة العصبة بفضل مساعى وزير الخارجية الحبشىHerouy والوزير الأثيوبى بباريس وفى نفس الوقت الوزير الحبشى المفوض فى

(١) هو قائد الجيوش الإيطالية فى ليبيا والذى دوخه عمر المختار.

جنيف Tekle Hawariate فعقدت جلسة طارئة لعصبة الأمم المتحدة حيث أدان مندبو ٥٠ دولة الإعتداء المسلح على الحبشة وتحفظ صامويل هور وزير الخارجية البريطانية وبير لا فال وزير خارجية فرنسا من إدانة العدوان الإيطالى على الحبشة.

وأدى التدهور السريع فى المجتمع الدولى إلى قلق إنجلترا من مركزها فى مصر وبصفة خاصة تمركزها فى منطقة قناة السويس مما عجل بها إلى عقد معاهدة مع مصر أطلق عليها معاهدة الصداقة والشرف وقعت فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦، ورأس وفد المفاوضة عن الجانب المصرى مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء وعن الجانب البريطانى أنتونى إيدن وزير الخارجية ورئيس الوفد البريطانى.

وتتكون هذه المعاهدة [١] من ١٧ مادة وبعض هذه المواد يشتمل على ملحق به عديد من النقاط فى شكل تفسيرات للمادة.

وتنص المادة الأولى : « انتهى احتلال مصر عسكرياً بواسطة صاحب الجلالة الملك والإمبراطور ».

وحصلت إنجلترا على عديد من المزايا من جراء عقد هذه المعاهدة كان أهمها إنشاء إنجلترا قاعدة حربية فى منطقة قناة السويس . والتى ترتب عليها تعبيد طريق يربط بين مدن القنال التى تنتشر حولها المعسكرات البريطانية وعرف هذا الطريق بطريق المعاهدة.

وكانت الشواهد تدل على أن هناك حرباً قادمة لا محالة فأعلنت الحكومة المصرية فى أوائل سنة ١٩٣٧ عن مشروع للدفاع الوطنى وأعلنت عن حملة تبرعات على مستوى المملكة المصرية. وكانت بورسعيد من أوائل المدن المصرية إقداماً على هذا المشروع الوطنى وتم تسجيل تلك المشاركة فى محاضر مجلس بلدى بورسعيد فى جلسة السبت ٢٣ يناير ١٩٣٧ ، عرض المشروع على أعضاء المجلس فوافق جميع الأعضاء مصريون وأجانب بالتبرع بألفى جنيه .. لما لهذا المشروع من أثر جليل . وكانت تلك الجلسة برئاسة المحافظ محمد سيد شاهين بك.

وتوالت الأحداث على الصعيد الدولى فبالرغم أن إنجلترا أشبعت نهم هتلر فى التوسع ووافقت له على أن يضم منطقة السوديت التشيكية لأراضى ألمانيا [٢] وبعد أن أخذ رئيس الوزارة البريطانية أوستن تشمبرلن على هتلر موثقاً بألا يضم أية أراض إلا بموافقة الدول الكبرى [٣].

وبالرغم من ذلك طالب هتلر بضم ميناء دانزج الواقع على بحر البلطيق والذى سبق ضمه لبولندا بناء على معاهدة فرساى ، ولما احتجت بولندا على نوايا هتلر التوسعية قام بإعلان الحرب عليها فى أول سبتمبر ١٩٣٩ حيث ألقى هتلر خطاباً فى هذا اليوم أورد فيه العبارة التالية « وقد عزمت على التكلم مع البولنديين بعين اللجهة التى استعملوها معنا مدة طويلة ». ولما كان هناك معاهدة دفاع مشترك بين بولندا وكلٍ من فرنسا وإنجلترا فقد أعلنتا الحرب على ألمانيا فى الثالث من سبتمبر ١٩٣٩ .

إعلان قيام الحرب العالمية الثانية

وعلى صعيد المملكة المصرية أعلنت الأحكام العرفية فى طول البلاد وعرضها فى الثانى من سبتمبر ١٩٣٩ ونودى بعلى ماهر باشا رئيس الوزارة المصرية حاكماً عسكرياً على البلاد لكى يحافظ على النظام ويحمى الأمن العام وقد باشر على ماهر هذا التفويض بعد أن نشر بالجريدة الرسمية بالعدد ٩٠ (غير اعتيادى) فى سبتمبر ١٩٣٩ وقام بإصدار عدة أوامر عسكرية تنظم كافة الأمور وبصفة خاصة المتعلقة بالأمن العام.

فتضمن الأمر العسكرى رقم (١) الصادر فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ (يوم إعلان قيام الحرب) فرض الرقابة العامة على الأراضى والمياه والأجواء المصرية والبريد والطرود والإتصالات بأنواعها سواء بالداخل أو مع الخارج كذا الصحف ووسائل النشر ، وتم إنشاء مصلحة للرقابة.

وتضمن الأمر العسكرى رقم (٢) بأن يرأس مصلحة الرقابة الرقيب العام . وتعين لهذا المنصب حسن فهمى رفعت وكيل وزارة الداخلية (كان يشغل منصب محافظ القنال المدة من مارس ١٩٣١ ـ سبتمبر ١٩٣٥) .

وتضمن الأمر العسكرى رقم (٣) تشكيل لجنة استشارية لمعاونة الرقيب العام.

وتضمن الأمر العسكرى رقم (٤) إنشاء نقاط تفتيش للبواخر فى مينائى بورسعيد والسويس لضمان سلامة القناة من محاولة سدها بإلقاء عوائق أو متفجرات فى مجراها. وكان هذا الأمر له أثره فى تأمين قوافل السفن الحربية البريطانية وسفن الدول الحليفة لبريطانيا المتجهة إلى جبهات القتال فى أوربا ، وعلى العكس بالنسبة للسفن الألمانية التى كانت تحتمى دائماً بالموانى المحايدة وإن كانت فى النهاية لا تسلم من الأسر.

(١) نص هذه المعاهدة منشور فى كتاب القضية المصرية (١٨٨٢ ـ ١٩٥٤) ص ٤٥٨ .
(٢) كانت حجة هتلر فى ضمها بأن أهلها من أصل ألمانى.
(٣) بناء على اتفاقية ميونخ فى أغسطس ١٩٣٨ .

كما قامت مصر بتأليف ما يعرف بفرق الجيش المرابط (يتكون من أفراد تحت التجنيد إلا أنهم لم يطلبوا للخدمة) تكون مهمة هذه الفرق الحراسة والخدمة وراء ميادين القتال . وعين عبد الرحمن عزام باشا ، وزير الأوقاف ، رئيساً لهذا الجيش .

وصدر الأمر العسكرى رقم (٥) ، فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ ، الذى تضمن اعتبار كل من مناطق القاهرة والإسكندرية والقنال والصحراء الغربية مناطق خاصة يخول مندوبو السلطة القائمة على تنفيذ الأحكام العرفية فيها أن يتخذوا التدابير اللازمة لحفظ النظام والأمن العام .

فقام محافظو تلك المناطق بإنشاء المخابىء لوقاية الأهالى شرور الغارات الجوية ووضع خطة للإظلام تبدأ من الغروب حتى الشروق . ومنذ إعلان قيام الحرب تدفقت على مصر جيوش القوات الحليفة إسترالية ونيوزيلندية وهندية مما أثر ذلك على استهلاك السلع الغذائية وأرتفاع أسعارها.

ونعود إلى الحالة على المستوى العالمى : فبعد ١٨ يوماً من إعلان ألمانيا الحرب كانت قد اجتاحت مدن بولندا وتحولت إلى بلجيكا وعن طريقها احتل هتلر شمال فرنسا بالرغم من خطوط تحصيناتها القوية ، خط ماچينو ، وعلى إثر هزيمة فرنسا تفاوض المارشال بيتان مع الألمان وعقد معهم هدنة فى يونيو سنة ١٩٤٠ بأن يكون الاحتلال الألمانى لفرنسا يشمل الجزء الشمالى المتاخم لبلجيكا كذا شرق فرنسا المتاخم لألمانيا على أن يترك ما وراء ذلك للفرنسيين فى ظل حكومة يرأسها بيتان ويكون مقرها مدينة ڤيشى الفرنسية . وفى لندن وعلى الجانب الآخر شكل الجنرال ديجول حكومة فرنسا الحرة لكى تكمل الجهاد ضد الغزاة الألمان على هيئة حكومة بالمنفى ونادى ديجول بأن فرنسا لا تقبل الهدنة التى عقدها بيتان ولا تعترف بحكومة ڤيشى.

وفى العاشر من يونيو ١٩٤٠ تخلت إيطاليا عن حيادها ودخلت الحرب فى صف ألمانيا ضد الحلفاء وكونت ما يعرف بالمحور بعد انضمام اليابان فى هذه الحرب الضروس فيما بعد ، ديسمبر ١٩٤١ ، ، وكان لدخول إيطاليا الحرب أثره فى عدم سيطرة إنجلترا على البحر الأبيض المتوسط بل وأصبحت قناة السويس هدفاً ومرمى لنيران الطائرات الإيطالية التى تقلع من قاعدة ألدوديكانيز والتى لا تبعد عن بورسعيد أكثر من ٣٥٠ ميلاً فاضطرت السفن البريطانية إلى استخدام طريق رأس الرجاء الصالح .

وبدأ الإيطاليون نشاطهم فى ضرب منطقة قناة السويس ، ففى أواخر أغسطس ١٩٤٠ قامت أربع طائرات إيطالية بضرب ميناء ومدينة بورسعيد . وتطور القتال منذ عام ١٩٤١ فاشتركت الطائرات الألمانية فى شن هجومها على منطقة القناة.

وفى ٤ مارس ١٩٤١ وقعت غارة جوية وألقيت بعض القنابل لم ينجم عنها أية خسارة مادية أو بشرية وأطلقت صفارات الإنذار بوقوع غارة جوية وأذاعت حكمدارية بوليس القنال بياناً لفتت فيه أنظار الأهالى إلى أنه ستضاء أثناء حدوث الغارات الجوية مصابيح عليها حرف D وكلمة خطر وذلك فى محطات شركة القنال الواقعة بين بورسعيد والقنطرة.

وفى صباح ١٣ يوليو ١٩٤١ وقعت غارة جوية على امتداد منطقة قنال السويس وألقيت عدة قنابل مما تسبب فى مقتل ستة أشخاص وإصابة ١٤ شخصاً ونجم عنها بعض الخسائر المادية فى الممتلكات.

واعتبرت منطقة قناة السويس منطقة مغلقة لا يمكن دخولها إلا بتصاريح من القوات الإنجليزية وكلف البوليس المصرى بالبحث عن الجواسيس فى الوقت الذى أرسلت فيه ألمانيا إلى جبهة القنال فى الصحراء الغربية بجيوش هائلة بعد أن منى القائد الإيطالى جرازيانى بالهزيمة من القوات البريطانية فى ٩ ديسمبر ١٩٤٠ وكانت تصريحات القادة الألمان أنهم ينوون الوصول إلى منطقة قناة السويس والسيطرة عليها بعد زحفهم على الدلتا واحتلالها مما جعل قوات الجيش المصرى ترفع درجات استعدادها لمواجهة أى عدوان تتعرض له الأراضى المصرية. وكلف البوليس المصرى بالقبض على قنصل اليابان فى بورسعيد بعد أن ضبط وهو يقوم بتصوير بعض المواقع فى المدينة وازداد التوتر فى مصر بصفة عامة وفى منطقة القنال بصفة خاصة بعد انتشار أخبار تنبىء بانتصارات القائد الألمانى روميل وأنه يولى وجهه شطر مصر لاحتلالها وطرد الإنجليز منها فكانت الاستعدادات فى مصر على أشدها لمواجهة الغزو الألمانى فتمت محاصرة المبانى الهامة بالأسلاك الشائكة وتم تلغيم الطرق والكبارى ووضعت خطة لإغراق الدلتا لإعاقة تقدم دبابات ومصفحات روميل .

إلا أن الحلفاء أسندوا للقائد الفيلد مارشال مونتجمرى قيادة الجيش الثامن فى العلمين دارت رحى المعارك على جبهة الصحراء الغربية انتهت بهزيمة روميل . وتوالت الهزائم على جميع الجبهات ومنيت الجيوش الألمانية بخسائر فادحة انتهت باستسلام ألمانيا.

ففى يوم الإثنين السابع من مايو ١٩٤٥ أذاع الجراند أميال دوينتز ، بوصفه رئيساً للحكومة الألمانية النازية ، بياناً باستسلام القوات الألمانية البرية والبحرية والجوية بلا قيد ولا شرط كما أمر جميع الغواصات الألمانية بالكف عن القتال وقد تلقى العالم كله بصفة عامة ودول

الحلفاء بصفة خاصة هذا الخبر بالفرح حيث قاسى العالم كله من آثار تلك الحرب الضروس التى امتدت من سنة ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٤٥ .

وفى اليوم التالى الثامن من مايو ١٩٤٥ تم التوقيع على وثيقة التسليم وقعها عن الجانب الألمانى الكونيل جنرال جوستاف يودل ، ممثل القيادة العليا الألمانية ، والجراند أميرل دوينتر ، بصفته رئيساً للحكومة الألمانية ، وعن الجانب الآخر وقع الجنرال بيدل سميث ، رئيس هيئة قيادة الجيش الأمريكى ، والجنرال فرانسوا سيفز وذلك ، بوصفهما نائبين عن القائد الأعلى لقوات الحلفاء ،.

وفى راديو لندن أذاع أقطاب الحلفاء أولهم ونستون تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية ، خطاباً تاريخياً أعلن فيه انتهاء الحرب فى أوربا ثم أعقبه بدقائق الرئيس الأمريكى ترومان ثم الجنرال شارل ديجول ، رئيس الوزارة الفرنسية ، ثم الجنرال أيزنهاور والمارشال شانج كاى شيك .

وفى القاهرة وجه الملك فاروق حديثاً بالراديو للشعب المصرى يهنئه بانتهاء الحرب وأطلقت مدافع القلعة ٢١ طبقة إبتهاجاً بيوم النصر .. وأعلن أن يوم ٩ مايو عطلة رسمية تعطل فيها دواوين الحكومة كما رفعت الأعلام على مقار الوزارات والمصالح الحكومية .

أما فى بورسعيد فكان الاحتفال بانتهاء الحرب يوماً مشهوداً فى تاريخها فتوجه المحافظ فؤاد شرين بك لقناصل دول الحلفاء مهنئاً بالنصر وازدانت المدينة بأعلام الدول المنتصرة وانتشرت الزينات والأنوار فى شتى أنحاء المدينة وأطلقت طابية السلام ٢١ طلقة من طلقات مدافعها ودقت أجراس الكنائس وأقيمت فيها صلاة شكر وفى المساء أطلقت شركة قنال السويس الصواريخ ابتهاجاً بيوم النصر وأقيمت الحفلات الراقصة .

وفى الخامس من أغسطس ١٩٤٥ انتهت الحرب نهائياً بإعلان اليابان استسلامها

آثار الحرب العالمية الثانية على بورسعيد

تعتبر مدينة بورسعيد من أكثر المدن المصرية التى تأثرت تأثيراً كبيراً ومباشراً بقيام الحرب العالمية الثانية نظراً لموقعها الفريد المتميز فهى تقع على مدخل قناة السويس وأقرب النقاط للقواعد العسكرية الإيطالية يضاف إلى ذلك انتشار معسكرات القوات البريطانية جنوبها وشرقها فى مدينة بورفؤاد فكانت هدفاً ومرمى لقنابل الطائرات الإيطالية والألمانية . وتضافرت جهود رجال الإدارة وعلى رأسهم محافظ القنال ووكيل المحافظة وحكمدار بوليس القنال ، وكان إنجليزياً ، كذا جهود المجلس البلدى ، بأعضائه المصريين ، فى تنظيم الحياة داخل المدينة ووقاية الأهالى شرور الغارات الجوية .. والآتى سرد للحياة فى بورسعيد خلال الحرب العالمية الثانية .

ففى جلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة الثلاثاء ٣٠ مايو ١٩٣٩ عرض رئيس المجلس عباس سيد أحمد بك ، محافظ القنال ، المقايسات والمواصفات المقدمة من هندسة التنظيم عن إنشاء أربعة خنادق تسع كل منها خمسين شخصاً لوقاية المدنيين من الغارات الجوية وتبلغ تكلفة الخندق الواحد ١٠٥ جنيهاً. وقد عقب العضو عبد الرحمن لطفى ، باشا ، قائلاً : ، ألا تبدأ البلدية بعمل الخنادق المكلفة بعملها على حسابها وفى تلك الحالة تقوم البلدية بعمل خندق نظير أربعة تقوم بعملها الحكومة ،. وقد أيد العضو سيلڤيو سيمونينى ، إيطالى ، رأى زميله المصرى قائلاً : ، فى رأيى أن تبدأ الحكومة أولاً بعمل الخنادق مثل ما عملت فى القاهرة وإذا كنا قد اعتمدنا مبلغ خمسة آلاف جنيه للوقاية من الغارات الجوية فليس معنى ذلك أن تنفرد البلدية بالصرف بل تشاركنا الحكومة ،. وبعد المداولة قرر مجلس بلدى بورسعيد عمل هذه الخنادق على أن يبدأ المقاول فى عمل خندق واحد يسع خمسين شخصاً بصفة تجربة فى قسم ثان ، حى العرب ، من المدينة ويكلف المقاول بعد ذلك بعمل الخنادق فى الأمكنة التى تحددها البلدية .

وفى جلسة مجلس بلدى بورسعيد المنعقدة الثلاثاء ٢٠ يونيو ١٩٣٩ عرض موضوع الخندق النموذجى الذى أقيم بجوار سكن حكمدار بوليس القنال ، أبلت بك وكان إنجليزياً ، بصفته ضابط الوقاية الأعلى بمحافظة القنال وذلك بناء على طلب وزارة الداخلية .

ومن محاضر المجلس البلدى لمدينة بورسعيد تدل الشواهد أنه كان هناك تنبؤ بقيام حرب عالمية ثانية .

وكانت للمخابىء التى أنشئت فى شتى بقاع بورسعيد ، حديقة سعد زغلول وغرب مبنى محافظة القنال وبجوار محطة السكة الحديد وبحى المناخ وببورفؤاد وحديقة كازينو بالاس ،. الفضل فى وقاية المدنيين من قنابل الأعداء خلال الحرب العالمية الثانية .

وعند نشوب الحرب العالمية الثانية كان المحافظ عباس سيد أحمد بك هو الحاكم العسكرى لمنطقة محافظة القنال ، بورسعيد والقنطرة والإسماعيلية ، وكان يعاونه محمد حافظ نجاتى وكيل المحافظة ومن بعده محمد جمال الدين أما حكمدار القنال فكان أبلت بك .

وقد عز على المحافظ عباس سيد أحمد أن يرى ما قام به من إصلاحات وحركة تعمير فى جميع أنحاء بورسعيد تخربها الغارات

الجوية فطلب نقله من بورسعيد فى منتصف سنة ١٩٤٠ . وعين مكانه محمد عزيز أباظة ، الشاعر والأديب المشهور ، محافظاً للقنال واستلم مقاليد عمله فى منتصف سنة ١٩٤٠ فى أحلك الظروف خلال الحرب العالمية الثانية وباشر عمله كحاكم عسكرى للمدينة إستناداً لأوامر وزير الداخلية فقام بإنشاء عدة مخابىء فى أماكن متفرقة بالمدينة وذلك بعد اعتبار بورسعيد ومنطقة القنال من المناطق الواجب اتخاذ تدابير الوقاية وإنشاء المخابىء فيها. كما أصدر أوامره بتشديد الرقابة على حالة الإظلام التام من وقت الغروب إلى وقت الشروق حرصاً على حياة سكان المدينة من الغارات الجوية للطائرات المعادية .

وقد عرفت من والدى المرحوم الحاج حسن القاضى وكان من أفراد الوقاية [١] من الغارات فى تلك الأونة وكان مسئولاً عن المنطقة التى يقع فيها سكنه بشارع توفيق ، عرابى حالياً ، أمام نادى المعارف أن الأحياء كانت مقسمة إلى مناطق يشرف على كل منطقة مسئول الوقاية من الغارات تكون مسئوليته إرشاد أهالى المنطقة بكافة الإجراءات الواجب اتباعها وقت حدوث الغارات ومن واجبه إرشاد المارة بمنطقتة وقت حدوث الغارات بأقرب مكان للخنادق وأمر الأهالى بإطفاء الأنوار وقت وقوع الغارات والإبلاغ عن المشتبه فيهم ممن يوقدون ضوءاً أو يقومون بإحداث إشارات ضوئية وقت وقوع الغارات والتأكد من دهان أهالى منطقته زجاج نوافذهم باللون الأزرق الذى لا ينفذ منه الضوء ولصق شرائط ورقية أو من الشاش على شكل حرف X على كل لوح من ألواح النوافذ وتدريب الأهالى على استخدام القناع الواقى من الغازات السامة .

ونعود للمحافظ عزيز أباظة فكان له دور هام فى وضع خطة محكمة لإمداد المدينة بالسلع التموينية خاصة الدقيق ، خصوصاً بعد أن شحت المواد والسلع الغذائية من الأسواق بل واختفاء العديد منها لاستيلاء القوات البريطانية عليها نظراً لتوافد أعداداً غفيرة من الجيوش على المنطقة كما ارتفعت أسعار كثير من السلع وكان من أثر ذلك ظهور طبقة من أثرياء الحرب والذين كانوا قبل الحرب تجاراً عاديين فخدمتهم ظروف قيام الحرب ومنع استيراد كثير من السلع وتشاء الصدف أن كانت مخازنهم مليئة بمثل هذه السلع التى منع استيرادها فأثروا من جراء ذلك ثراءً فاحشاً ، مثل إبر الخياطة وحجارة الولاعات وغيرها من الأشياء التى كانت تعد تافهة قبل الحرب ومنع استيرادها فى زمن الحرب ..

وسبق أن قص علىَّ أحد المسئولين عن التموين فى بورسعيد فى زمن الحرب وهو المرحوم اللواء حسن حسنى على سليمان معاون الإدارة بمحافظة القنال ، لواء نائب مدير أمن بورسعيد سنة ١٩٦٤ ، أنه خلال فترة تنصيب محمد عزيز أباظة بك محافظاً للقنال كانت أحداث الحرب العالمية الثانية تعاصر تلك الفترة العصيبة فأصدر أوامره من أجل احتياطات الدفاع المدنى وأمر بتشكيل جماعات الوقاية من الغارات الألمانية والإيطالية على بورسعيد حيث كان غرضها ضرب الأهداف العسكرية البريطانية على طول القنال. كما أصدر أوامره بتشديد الإظلام الليلى فجاءت خطته محكمة وقت بورسعيد كثيراً من شرور تلك الغارات ولن تنسى بورسعيد غارة الرابع من أغسطس ١٩٤١ التى أصيبت منطقة سوق البازار فأتت على منزل سرحان وغندر وقشلاق المطافىء وبعض المنازل الأخرى الواقعة على ناصيتى شارع فرعون وفاروق ، الشهيد عطوط والنهضة ، نتيجة لإلقاء طوربيد إيطالى على فرن اليونانى مانوليس جاكوس حيث قام الطليان بإلقاء فوانيس مضيئة ليلاً فى سماء بورسعيد ، كذا غارة ٢١ أغسطس ١٩٤١ التى جاءت على منازل شارع الأسكندر الأكبر ، شارع أحمد ماهر بالأفرنج ، وقد أعدت القوات الإنجليزية معسكرات اعتقال للإيطاليين بجهة القرش وفايد وجنيفه والشلوفه فوقع على المحافظ عزيز أباظة عبء حماية أملاكهم المنتشرة ببورسعيد والإسماعيلية وقد عين الأستاذ عبد الحميد سعيد ، عضو المجلس البلدى السابق ، مندوباً للحراسة على أموال وممتلكات الرعايا الإيطاليين ببورسعيد حيث كانت تلك الجالية من أكبر الجاليات الأجنبية عدداً بعد الجالية اليونانية . وقام المجلس البلدى فى جلسته المنعقدة ٢١ يونيو ١٩٤١ بالإعلان عن بيع كبائن الشاطىء الخشبية المملوكة للإيطاليين بالمزاد العلنى وذلك وفاءً للرسوم المستحقة عن تأجير الأراضى وتحدد يوم البيع بالمزاد فى ٢ يوليو ١٩٤١ . أما عن أملاك سيمونينى السياحية فكانت شركة مصر للسياحة هى الحارسة عليها .وبانتهاء الاعتقالات بنهاية الحرب قام الإيطاليون ببيع أملاكهم بأبخس الأثمان وعادوا إلى إيطاليا وقد واجه المحافظ عزيز أباظة مصاعباً كثيرة بشأن تموين المدينة التى كانت شبه معزولة فبذل هو ووكيله أحمد مرتضى المراغى بك ورجال الإدارة جهداً كبيراً فى توزيع التموين بانتظام فابتكر نظام البطاقات التموينية وقام بصرف المواد التموينية بالبونات . وقد أخذت وزارة التموين [٢] تجربته هذه وقامت بتنفيذها على المواد التموينية بالنسبة لجميع أنحاء المملكة المصرية ووقع على عاتق عزيز أباظة إصلاح وتعمير ما أفسدته الغارات كذا قام بالإشراف على تقدير وصرف التعويضات عن الأضرار المادية وخسائر

---

(١) أنشئت وزارة للوقاية المدنية فى ٣١ يوليو ١٩٤١ فى وزارة حسين سرى باشا وتعين لها عبد القوى أحمد باشا كأول وزير لها واستمرت حتى ألغيت بمرسوم فى ١٩ أكتوبر ١٩٤٤ عند تشكيل وزارة أحمد ماهر.

(٢) أنشئت وزارة التموين لأول مرة فى ٢٨ يونيو ١٩٤٠ خلال وزارة حسن صبرى باشا وتعين صليب سامى بك أول وزير للتموين وكان إنشاؤها بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

الأرواح والإصابات وقد نقل مديراً لمديرية البحيرة فى نهاية يناير ١٩٤٢ حزناً على وفاة زوجته التى نظم فيها ديوان : أنات حائرة [1] حيث حل محله فؤاد شرين بك ، .

ولم تكتف القوات البريطانية باحتلال المعسكرات فى جنوب وشرق بورسعيد بل طلبت من المجلس البلدى أن يؤجر لها عدة قطع من الأراضى فى أماكن متميزة وهذا ما أوضحته محاضر مجلس بلدى بورسعيد . فاستولت السلطة العسكرية البريطانية على محلين بمبنى الجمرك القديم لحين إنتهاء الحرب وذلك فى مايو ١٩٤٠ . واستسلم المجلس البلدى لهذا التعدى على أملاكه وجامل القوات البريطانية بإيجار رمزى قدره ٥٠٠ مليم فى السنة للمحلين .

وبجلسة السبت ٨ يناير ١٩٤٤ عرض طلب سلاح البحرية البريطانية استئجار قطعة أرض خلف متحف البلدية طوال مدة الحرب بإيجار إسمى قدره ٥٠٠ مليماً سنوياً . فوافق أعضاء المجلس البلدى على الطلب المقدم .

كما استولت القوات البريطانية على الكازادى إتاليا ، بيت إيطاليا ، وحولته إلى مقر لقواتها والقوات الحليفة .

قناة السويس خلال الحرب العالمية الثانية

كان قيام الحرب العالمية الأولى هو المناخ الذى طبقت فيه معاهدة ١٨٨٨ لأول مرة . وكان قيام الحرب العالمية الثانية التجربة الثانية لتطبيق تلك المعاهدة . ففى خلال التسعة أشهر التى سبقت دخول إيطاليا الحرب فإن العبور الملاحى للقناة لم يلحقه أية معوقات فعلية فاستمر عبور القوافل الكثيفة للقناة فى بداية الحرب نظراً لغياب الخطر البحرى فى البحر الأبيض المتوسط واعتباراً من ديسمبر ١٩٣٩ عادت الملاحة تسير بطريقتها الحرة المعتادة بمعنى أن الملاحة فى البحر الأحمر كانت تتم دون أى عائق كما أن الملاحة ليلاً فى القناة تم ممارستها كما كانت فى زمن السلم باستخدام أجهزة الإضاءة الليلية والشمندورات .

وبدخول إيطاليا الحرب فى يونيو سنة ١٩٤٠ عدل نظام العبور فى القناة تعديلاً جذرياً نظراً لأن الملاحة فى القناة وموانيها لحقها تهديد كبير من جراء الغارات الجوية واستمر ذلك التهديد إلى أن انهارت الإمبراطورية الإيطالية فى أفريقيا .

وسوف نستعرض بشئ من التفصيل الفترات الزمنية التى تعرضت لها منطقة القنال (القنال وموانيها) لخطر الغارات الجوية الإيطالية والألمانية .

أولاً الفترة من يونيو إلى ديسمبر ١٩٤٠

وتميزت هذه الفترة بثمانى غارات جوية ذات نتائج هامة . وقعت الغارة الأولى فى ٢٨ أغسطس ١٩٤٠ . ولتحاشى خطورة هذه الغارات تم إطفاء الشمندورات المضيئة وإبطال استخدام الكشافات ونتيجة لذلك فقد توقفت عمليات العبور للقناة أثناء الليل بمعنى أن عبور القناة أصبح يتم بالنهار فقط وإن كان هنالك بعض الإستثناءات النادرة جداً وكان من احتياطات الأمان وأيضاً إجراءات إبعاد الخطر عن القناة الفعلية فى حالة الغارات الجوية فكانت السفن تجبر على الرسو أثناء الليل وتتمركز إما فى البحيرات أو فى الأخاديد التى تم إعدادها عند الكيلو ٢٢ والكيلو ٤٠ هذا بالنسبة للسفن العابرة للقناة ، أما السفن التى كانت تأتى من البحر الأحمر فى قوافل فكان أغلبها يقوم بتفريغ شحناتها فى خليج السويس دون ماعبور للقناة ، أما السفن التى كان يجب عليها تفريغ بضاعتها فى ميناء بورسعيد أو القنطرة وتعود بسرعة لترسو فى البحيرة الكبرى ومن هذا المكان تنتظر الوقت المناسب والمحدد للحاق بأول قافلة تتجه إلى البحر الأحمر ، وكان الانتظار للبحيرات له ميزة هو ألا يكتظ خليج السويس بالسفن فيعطى فرصة مواتية للغارات الجوية .

ثانياً : عام ١٩٤١ (عام الغارات الجوية)

فى يوم ٣٠ يناير ١٩٤١ تم إسقاط ١٩ لغماً فى القناة بواسطة البراشوتات فى المنطقة مابين الإسماعيلية والسويس فى مجرى القناة مما نتج عنه توقف الملاحة إلى أن تمكنت القوات الإنجليزية من انتشال هذه الألغام وأعيدت الملاحة فى أول فبراير ، وفى الثالث من فبراير اصطدمت السفينة Derwent Hall بلغم عند الكيلو ١٣٦ ومن حسن الحظ لم تصب بتلفيات جسيمة ، وفى اليوم التالى كانت

---

(١) ومما قاله فى رثائها : فخور على الدنيا بأنك زوجتى وما أنا قارون ولا أنا يوسف

الباخرة Aghios Georgios تعبر القناة فتصطدم بلغم فيقذف بها إلى أعلى ثم تهبط لتستقر بقاع القناة عند الكيلو ١٤٢ ، وفى الخامس من فبراير كانت الباخرة Ranee تنفجر هى أيضاً وتغرق بدورها عند الكيلو ٨٣ وحدث فى نفس اليوم أن غرقت ثلاث سفن خدمة صغيرة بالقناة وهكذا استطاع الألمان والطليان فى مدى يومين سد القناة بواسطة هذه الألغام الجديدة ذات القوة التفجيرية العالية باعتبار أن الباخرة أجيوس جورجيوس الغارقة بعرض ١٨ متراً وعمق ١٠ أمتار والباخرة رانى الغارقة كانت بعرض ٣٥ متراً أما سفن الخدمات فإحداها بعرض ٣٠ متراً والثانية ٤٧ متراً ولم يكن فى المستطاع سحب هذه السفن الغارقة فى الحال ولم تكن تسمح للسفن العابرة إلا بممرات ضيقة وكان الحل الوحيد يكمن فى حفر منطقة حول جدار السفينتين الكبيرتين وكانت السفن العابرة تعبر هذه المناطق المختنقة بطبيعة الحال تحت قيادة مرشدين متخصصين وخبراء فى الملاحة فى هذه المناطق الخطرة وبمعاونة قاطرات سحب إذا اقتضى الأمر ذلك .

ولم تسبب الهجمات العنيفة فى أيام ١٨ ، ٢٢ فبراير ، ٣ مارس فى خسائر كبيرة (إصابة حفار لالتقاط الألغام وغرق قارب فقط) إلا أن تلك الحوادث أدت إلى توقف الملاحة حتى ٩ مارس حتى يتم التقاط الألغام الساقطة فى القناة وأدى توقف الملاحة فى القناة إلى تكدس ٩٥ سفينة فى خليج السويس . وفى يوم ٩ مارس عبرت قافلة مكونة من ٥٠ سفينة القناة متجهة شمالاً دون أية حوادث .

وخلال هذه الغارات الجوية العديدة التى تتابعت على القناة كانت القناة يلحقها كثير من الخسائر من جراء إسقاط الألغام فى مجرى القناة وكانت عملية انتشالها تتم بصفة عامة أما تلك المتعذر انتشالها فقد استقر الرأى على تجميعها فى مناطقها الخطرة والتنبيه على السفن والمرشدين بمحاولة الالتفاف حول هذه المناطق الخطرة مع أخذ الاحتياطات المناسبة وكانت البواخر العابرة فى حالة طوارئ مستمرة أثناء العبور وكان ربابنة السفن والمرشدون يرتدون الخوذات الفولاذية حماية لرؤوسهم فى حالة الانفجار . وانتشرت على ضفاف القناة قوات خدمة إسعاف تعاونها قوات بريطانية مستعدة للتدخل الفورى على امتداد القناة .

وكانت هناك احتياطات خاصة يلتزم اتباعها التزاماً بالنسبة للسفن التى تسير بمحركات حيث كانت معرضة للخطر من جراء تواجد ألغام صوتية فلم يكن يسمح لتلك السفن بالعبور إلا وآلاتها متوقفة عن العمل وتستخدم فى العبور الساحبات، وفى ديسمبر سمح للسفن بالعبور باستخدام آلاتها على أن تكون عملية العبور ببطء شديد .

أما بالنسبة لعبور السفن العادية الأخرى فكانت أيضاً تخضع لعدة قيود منها تفادى التغيرات المفاجئة فى السرعة وإيقاف آلاتها المساعدة وأحياناً تتقدمها جرارات .

وفى يوم ٥ اكتوبر انفجرت الباخرة Tynefield على إثر اصطدامها بلغم قديم عند الكيلو ١٥٣ فغرقت وتركت طريق مرور ملاحى مساحته ٤٥ متراً .

واعتباراً من نوفمبر ١٩٤١ انتهى سقوط الألغام فى القناة إلا أن ذلك لم يمنع من تواجد عدد ليس بالقليل من الألغام فى قاع مجرى القناة وهى الألغام التى لم تنفجر وظلت الحالة هكذا لمدة طويلة واخطرت السفن بضرورة إجراء احتياطات خاصة عند عبورها هذه المناطق الخطرة والمحددة .

ثالثاً : أعوام ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤

انخفض عدد السفن العابرة للقناة خلال عام ١٩٤٢ ، والتى كانت تعبر القناة كان عليها أن تتجمع فى بورسعيد أو السويس لتغادر كل منها فى قوافل صباحية وتتقاطع عند مشارف بحيرة التمساح وتغادر القناة فى نفس اليوم ، أما السفن التى تتخلف عن القوافل فكان عليها الانتظار فى البحيرات ليلاً أوفى المواقع المخصصة لعمليات الإيواء الاضطرارى .

وفى أول يوليو ١٩٤٢ عبرت القناة قافلة مكونة من ١٦ سفينة من الشمال إلى الجنوب بعودة العبور الليلى عند ما قل خطر الغارات الجوية الذى لم يعد يثير ضرورة اتخاذ إجراءات ملحة .

وخلال الشهور الأولى من عام ١٩٤٣ زاد عدد السفن العابرة للقناة واستمر التحسن فى الصعود حتى نهاية السنة ثم تكثفت أعداد السفن العابرة التى كانت تنتظم فى قوافل هامة وعديدة وأغلبها قادماً من الشمال كما أن الشمندورات المضيئة والتى قد تم تخفيضها فى يناير ٤٣ بدأت تعود إلى الانتعاش اعتباراً من يونيو ١٩٤٤ .

معارك القناة ١٩٥١

كنت سأقدم مختصراً عن تلك المعارك إلا أننى رأيت أن أخصص لها مكاناً يليق بها وبشئ من التفصيل فى الجزء الثالث من الموسوعة بإذن الله .

معركة بورسعيد سنة ١٩٥٦

أعددت عن هذه المعركة كتاباً تحت عنوان ، الأطلس التاريخى لبطولات شعب بورسعيد سنة ١٩٥٦ ، صدرت منه للآن ثلاث طبعات (طبع على نفقة المحافظة) الطبعة الأولى فى عهد المحافظ الأسبق اللواء محمد سامى محمود خضير (ابن بورسعيد البار) والثانية سنة ١٩٩٣ فى عهد المحافظ السابق اللواء فخر الدين خالد عبده والثالثة سنة ١٩٩٧ فى عهد المحافظ اللواء مصطفى إبراهيم صادق .

وكنت سأقدم عنها هنا ملخصاً اكتفاء بما جاء فى الطبعات الثلاث إلا أننى سوف أضعها فى مكان بارز فى الجزء الرابع بطريقة جديدة وشيقة وفيها كثير من خبايا التاريخ وسوف أسطرها بطريقة جديدة تكون بأقلام أبطال المعركة أنفسهم الأحياء أمثال أبطال مجموعة خطف مور هاوس وبطل خطف جون وليامز السيد عسران وبطل موقعة الجميل محمد مهران والسادة ضباط الصاعقة أما الأبطال الذين فى رحاب الله فأخصص جزءاً لخواطر وأحاديث أبنائهم ..

الفصل الخامس

من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر

إن الحديث عن حرب أكتوبر العظيم يعد ناقصاً إذا لم نعد للوراء ست سنوات من تاريخ مصر لكى نرى كيف حول الإنسان المصرى بالعزيمة وبالصبر وبالصمت الهزيمة إلى نصر .. كيف أثبت الجندى المصرى أن نتيجة النكسة لم تكن عيباً فى العسكرية المصرية ولا فى كفاءتها لكن نكسة مصر كانت بسبب القيادة العسكرية فى ذلك الوقت وتدخلها فى كافة نواحى الحياة فبعدت عن هدفها الأصلى وهو مسئوليتها فى قيادة الجيش الذى كان من واجبه الزود عن تراب مصر الطاهرة .

فتعالوا معنا لنبدأ بعرض بعض تفاصيل حرب يونيو التى أدت إلى الهزيمة ثم نعرج إلى ست سنوات قضاها الإنسان المصرى بذل خلالها الروح والدم إلى أن جاءت البشرى بنصر أكتوبر وبحرب رمضان المبارك .

فى أوائل عام ١٩٦٧ كان الجو مشحوناً بين الدول العربية وإسرائيل وبالأخص الدول المتاخمة لحدود إسرائيل .. وبالتحديد فى يوم الجمعة السابع من أبريل ١٩٦٧ قامت الطائرات الإسرائيلية بالإغارة فوق الأراضى السورية حيث تصدت لها الطائرات السورية فوق العاصمة دمشق وانتهت المعركة الجوية بتدمير ست طائرات سورية مما كان لهذا الحادث من أثر بالغ فى النفوس السورية والعربية وبالأخص المصرية واعتبر هذا العمل خرقاً لاتفاقية الهدنة التى وقعتها مصر مع إسرائيل سنة ١٩٤٩ وتبعتها كل من سوريا والأردن ولبنان وقد بررت إسرائيل هذا العدوان بأنه تأديب للقيادة السورية التى كان يتزعمها فى ذلك الوقت الرئيس نور الدين الأتاسى الذى سمح للفدائيين الفلسطنيين باتخاذ الأراضى السورية قواعد أ لهم يخرجون منها لضرب إسرائيل وقد بلغت تلك العمليات ١٤ عملية فدائية ضد إسرائيل لدرجة أن ليفى أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى فى ذلك الوقت هدد بغزو سوريا واحتلال العاصمة دمشق وعلمت مصر وقتها أن إسرائيل حشدت قرابة ١٣ لواء على حدودها ... ونظراً لأن مصر كانت تربطها بسوريا إتفاقية دفاع مشترك منذ عام ١٩٦٥ فقد أصدر الرئيس الراحل / جمال عبد الناصر أوامره فى يوم الأحد ١٤ مايو ١٩٦٧ للقوات المصرية بالزحف لسيناء التى كانت شبه منزوعة السلاح منذ سنة ١٩٥٦ وفى اليوم التالى طلب من أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة سحب القوات الدولية من سيناء ، فى ذلك الوقت كان هناك صراع خفى بين القيادة العسكرية فى مصر ممثلة فى المشير / عبد الحكيم عامر (الذى يريد أن يستحوذ على كل السلطات) و القيادة السياسية ممثلة فى الزعيم الراحل / جمال عبد الناصر وكان من أخطر القرارات التى اتخذها الرئيس جمال عبد الناصر فى تاريخ مصر هو قراره بإغلاق خليج العقبة ومضايق تيران فى وجه إسرائيل بمعنى عدم مرور ووصول السفن الإسرائيلية لميناء إيلات وهذا يعنى إصابة الاقتصاد الإسرائيلى بشلل كامل ـ وكان هذا القرار فى يوم الثلاثاء ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وقد أثار هذا القرار ليس اهتمامات مصر وقلق إسرائيل فحسب بل أثار اهتمامات وقلق العالم أجمع .

وفى يوم الأحد ٢٨ مايو ١٩٦٧ عقد الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمراً صحفياً عالمياً أجاب فيه على ٤٥ سؤالاً لمندوبى الصحافة العالمية وقد أوضح التليفزيون المصرى وقتها الحشود الهائلة للقوات المصرية على جبهة سيناء .

وفى يوم الجمعة الثانى من يونيو ١٩٦٧ عقد الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعاً مع القيادات السياسية والعسكرية المصرية أوضح فيه أن إسرائيل لا تستطيع أن تتحمل تعبئة عامة لفترة طويلة وأنه يتوقع قيامها بضربة جوية مفاجئة لقواتنا الجوية .

وعلى الجانب الآخر عقد مجلس الوزراء الإسرائيلى اجتماعه الأسبوعى المعتاد يوم (الأحد) ٤ يونيو ١٩٦٧ وفى نهاية الاجتماع وافق رئيس الوزراء ليفى أشكول على إعلان إسرائيل الحرب على جاراتها العربيات وتحدد بدء الهجوم الجوى فى الساعة ٨,٤٥ صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

السر وراء إختيار توقيت الهجوم

شرح مردخاى هود قائد سلاح الطيران الإسرائيلى السر وراء اختيار توقيت هذا الهجوم قائلاً إنه بالنسبة لاختيار الساعة ٨,٤٥ صباحاً ، فبعد مراقبة دقيقة للطيران المصرى خلال الأسابيع السابقة للمعركة وجد أن الطيارين المصريين اعتادوا الطيران فى دوريات يومية إبتداء من ظهور أول ضوء ولمدة ساعة ثم يعودون لقواعدهم الجوية لتناول إفطارهم فتصبح المدة بين الثامنة والتاسعة مناسبة للطيران الإسرائيلى بأن يقوم بمهمته خير قيام .. وأضاف مردخاى هود عن اختيار يوم الخامس من يونيو أن المشير عبد الحكيم عامر سوف يزور قيادة القوات المصرية فى سيناء فى صباح الخامس من يونيو وسوف تكون المدفعية المصرية مقيدة .

ماذا عن الجبهة الداخلية المصرية

كان الشعب المصرى فى قمة حماسه حيث كان موقناً أن قواته المسلحة ستسحق إسرائيل سحقاً وستلقى بها فى البحر وأنه جاء اليوم الذى اجتمعت فيه الدول العربية من أجل حرب مقدسة على كافة الجبهات وأن الانتصارات مؤكدة لامحالة فجابت المظاهرات المدن المصرية مؤيدة كل خطوات الرئيس جمال عبد الناصر والمساندة للجيش والمطالبة بحمل السلاح لحماية الجبهة الداخلية وعقدت اللقاءات فى المساجد والكنائس ومقار الاتحاد الاشتراكى والنقابات وجندت وسائل الإعلام المختلفة من أجل المعركة المقدسة .

بدء القتال الإثنين الخامس من يونيو ١٩٦٧

فى الساعة التاسعة من صباح الإثنين الخامس من يونيو بدأت إسرائيل عدوانها على الأراضى المصرية حيث شنت غاراتها على القاهرة ومدن القناة وأصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة خلال هذا اليوم ١١ بلاغاً عسكرياً تفيد تصدى الطائرات المصرية وقوات الدفاع الجوى المصرية للطائرات الإسرائيلية (وقد أثبتت الأيام التالية للمعركة عدم صحة هذه البيانات) . وألهبت تلك البيانات شعور المواطنين فى مصر والأمة العربية وخرجت المظاهرات هاتفة سنقاتل ... سنقاتل ...

وقد جند الإعلام المصرى (الصحف والمجلات والتليفزيون والإذاعة) لنشر تفاصيل غير مطابقة للواقع عن النصر الزائف وكان على رأس هؤلاء / أحمد سعيد مدير إذاعة صوت العرب [١] الذى كان معروفاً عن صوته فى العادة بث الحماس فما بالكم وهو يذيع بلاغات عسكرية تفيد أن قواتنا على أبواب إسرائيل .

لقد أثبت الواقع أن الشلل التام لم يصب سلاح الطيران المصرى فقط منذ الساعات الأولى لبدء القتال بل امتد هذا الشلل إلى القيادة العسكرية التى تضاربت أوامرها القتالية والتى أخفت الهزيمة فى بادئ الأمر على القيادة السياسية وقد ثبت تدمير السلاح الجوى المصرى الذى وصل إلى أكثر من ٦٥ ٪ نظراً لأن الطائرات المصرية لم تكن لها دشم أو مخابئ تحميها فى المطارات والقواعد الجوية لأن ميزانية القوات المسلحة لعام ٦٦ / ٦٧ شملتها تخفيضات كبيرة حيث تم شطب ماكان مخصصاً لبناء هذه الدشم والمخابئ .

ورغم كل ذلك فقد أثبت الواقع أن المقاتل المصرى فى سيناء أبدى صلابة وكفاءة عالية فى التضحية والفداء فى الزود عن أرضه وسلاحه حتى صدرت له الأوامر بالانسحاب وتكفينا شهادة اللواء / طه المجذوب (وهو بورسعيدى المولد) الذى كان يشغل رئيس أركان

---

(١) ذكر الدكتور أحمد شلبى فى موسوعته التاريخ الإسلامى الكثير والكثير من خبايا حرب يونيو ١٩٦٧ .

اللواء الثالث المدرع فى الفرقة الرابعة المدرعة المتمركزة فى سيناء فى يونيو ٦٧ وأعطى لنفسه الحق باعتباره معايشاً لهذه الحرب تخطيطاً فى هيئة العمليات ثم تنفيذاً فى الميدان وبصفته رئيساً لأركان اللواء الثالث المدرع شارحاً كيف أن هذه الفرقة عطلت تقدم القوات الإسرائيلية يوماً كاملاً مما حقق للقوات المصرية المنسحبة من سيناء خسائر أقل وكانت قوات الفرقة الرابعة آخر القوات المصرية المنسحبة من سيناء وكان ذلك فى الساعة الواحدة من صباح الثامن من يونيو ١٩٦٧ .

وقد ثبت بالدليل القاطع أن إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية قامتا بمساندة القوات الإسرائيلية المعتدية وخير دليل على ذلك قيام إسرائيل بضرب سفينة التجسس الأمريكية « ليبرتى » بطريق الخطأ أمام السواحل المصرية فى الثامن من يونيو ١٩٦٧ .

وفى يوم الجمعة التاسع من يونيو التزمت القوات المتحاربة على كافة الجبهات بقرار وقف إطلاق النار الذى أصدره مجلس الأمن .

وفى مساء هذا اليوم ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابه الذى أفصح لمصر والعالم بالهزيمة وكان أول من أطلق على تلك الهزيمة تعبير النكسة . وفى نهاية الخطاب قرر التنحى بالبعد عن الحياة السياسية وقبل إلقاء هذا الخطاب كان المشير عبد الحكيم عامر قد اعتزل جميع مناصبه إبتداء من الساعة السابعة والنصف مساء وسافر إلى بلدته أسطال بالمنيا .

وبعد انتهاء الرئيس جمال عبد الناصر من إلقاء خطابه أصر مجلس الوزراء المصرى على بقاء جمال عبد الناصر فى موقعه كما ناشد مجلس الأمة المصرى عبد الناصر بالبقاء فى مكانه كما طالبه الشعب المصرى والعربى بالبقاء فى مكانه حيث طافت المظاهرات العارمة شوارع المدن المصرية طوال ليلة ٩ يونيو ويوم ١٠ يونيو حتى عرفت تلك المظاهرات فى التاريخ المصرى الحديث بجماهير ٩ ، ١٠ يونيو وعلى إثر تلك الحوادث ورد بالصحف خبر انتحار المشير عبد الحكيم عامر وإن تردد أنه مات مسموماً وفى جميع الأحوال تخلص عبد الناصر من صراع السلطة العسكرية وأصبحت الزعامة السياسية المصرية بلا أغلال أو تدخل .

الجندى المصرى يستعيد كرامته
معركة رأس العش

لم يمض على هزيمة يونيو ١٩٦٧ إلا عدة أيام معدودات حتى أثبت المقاتل المصرى للعالم أجمع شجاعته وبسالته .

ففى الساعات الأولى من صباح أول يوليو ١٩٦٧ تقدمت قوة إسرائيلية مدرعة إلى القنطرة شرق على الضفة الشرقية لقناة السويس متجهة شمالاً تجاه رأس العش فى مهمه لاحتلال مدينة بورفؤاد وكان غرض إسرائيل من تلك المحاولة هو احتلال الضفة الشرقية لقناة السويس بالكامل ذلك الشريان الحيوى . وقد خيب ظن القوات الإسرائيلية فصيلة من قوات الصاعقة المصرية التى تصدت لتلك القوات الهائلة المتقدمة فأنزلت بها خسائراً جسيمة مما أضطر بباقى القوات الإسرائيلية إلى الفرار تجر أذيال الخيبة .

وقد تعجبت القيادة الإسرائيلية من جسارة تلك القوة المصرية الصغيرة التى لم يتعد أفرادها الثلاثين فرداً . فردت لمصر جزءاً من كرامتها ، والغريب أن إسرائيل لم تحاول أن تكرر تلك اللعبة مرة أخرى خلال الست سنوات التالية ووقفت عند الكيلو ١٠ جنوب بورسعيد .

يوم البحرية المصرية

فى الساعة الخامسة من مساء ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ رصدت قواتنا البحرية على شاشات الرادار تحرك إحدى قطع الإسطول وهى تتسلل داخل مياهنا الإقليمية على الشاطئ الشرقى أمام مدينة بورسعيد فصدرت الأوامر لقطع زوارق الطوربيد المصرية (لنشى صورايخ طراز ١٨٣ ثنائية القواذف) الرابضة داخل ميناء بورسعيد بالتحرك والتصدى للقطعة البحرية الإسرائيلية المتسللة والتى تم التعرف عليها وتحديدها وهى المدمرة إيلات إحدى الثلاث مدمرات يتكون منها الأسطول الإسرائيلى فهناك المدمرتان حيفا ويافو .

وفى تمام الساعة الخامسة و٢٥ دقيقة مساء وجهت زوارق الطوربيد بقيادة النقيب بحرى / أحمد شاكر عبد الواحد القارح ضرباتها الأولى بصاروخ مباشر من الزورق (٥٠٤) للمدمرة إيلات التى أخذت تميل على جنبها فى الحال ولم تمض دقيقة واحدة إلا ولاحقها زورق الطوربيد الثانى رقم (٥٠١) بقيادة النقيب بحرى / لطفى جاد الله بصاروخ مباشر أنهى عليها تماماً [١] وغرقت على مسافة ١١ ميلاً بحرى شمال شرق بورسعيد ولقى ٤٧ بحاراً إسرائيلياً مصرعهم بينما أصيب ٩١ آخرون ، وخرج الشعب البورسعيدى فى ذلك اليوم

(١) قام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بتكريم طاقمى لنشى الصواريخ فمنح نجمة الشرف العسكرية (أرفع أوسمة الدولة) لقائدى اللنشين ومنح وسام النجم لباقى ضباط اللنشين كما منح وسام الجمهورية لضباط الصف والجنود

تجاه ميناء بورسعيد مهللاً ومكبراً مهنئاً قواته البحرية بالنصر وقد اعتبر هذا اليوم يوم البحرية المصرية يحتفل به كل عام . وردت إسرائيل على تلك البطولات بقصف معامل تكرير البترول جنوبى السويس .
وهذه بعض من الأنوار الساطعة لبطولات العسكرية المصرية ساطعةً فى سماء النضال العسكرى المصرى.

مرحلة حرب الاستنزاف

وخلال عام ١٩٦٨ حقق الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية واللواء (الفريق) عبد المنعم رياض رئيس أركان هيئة القوات المسلحة تقدماً كبيرا فى إعادة بناء الجيش المصرى .. كما استعد عبد المنعم رياض وهيئة أركانه لاستئناف القيام بعمليات محددة عبر قناة السويس مما أدى إلى زيادة التراشق بالمدفعية بين الجانبين ... ولما أدرك الجانب المصرى أن الإسرائيليين بدأوا يركزون قصفهم على الأهداف المدنية بغرض خلخلة الجبهة الداخلية ، بدأ وضع خطة لتهجير ٤٠٠ ألف مواطن من أهالى مدن القناة إلى داخل مصر .

وفى عام ١٩٦٩ بدأ جيش مصر فى تنفيذ مرحلة جديدة عرفت بحرب الإستنزاف والتى بدأت فى ٨ مارس ١٩٦٩ لتحقيق أهداف حددها الفريق عبد المنعم رياض (رئيس الأركان) وهى :

١) تدمير تحصينات خط بارليف .
٢) منع الإسرائيليين من إعادة بناء مادمره المصريون من تحصينات الإسرائيليين .
٣) جعل الحياة لاتطاق بالنسبة للإسرائيليين على الضفة الشرقية للقناة .
٤) بث الروح الهجومية لدى أفراد القوات المسلحة .
٥) إعتبار تلك العمليات نوعاً من التدريب العملى والفعلى . لعبور الحائل المائى قناة السويس .

وفى اليوم التالى لإعلان مصر حرب الاستنزاف التاسع من مارس ١٩٦٩ توجه الفريق عبد المنعم رياض لزيارة الجبهة وفى أحد المواقع المتقدمة أطلق العدو الإسرائيلى نيران مدفعيته فانفجرت إحدى القذائف بجانبه نتج عنه نزيف داخلى أودى بحياته واعتبر هذا اليوم يوم استشهاد عبد المنعم رياض عيداً قومياً عرف بيوم الشهيد يحتفل به سنوياً .

عمدت إسرائيل إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات لتدمير إرادة مصر وتصميمها على القتال عن طريق إعاقة الإجراءات التى تتخذها مصر لإعادة بناء القوات المسلحة ومنع أية تحضيرات تقوم بها لشن أية عملية هجومية حتى وصل عدد الغارات الجوية الإسرائيلية من يوليو ١٩٦٩ حتس سبتمبر ١٩٦٩ حوالى ألف غارة على الأهداف المدنية فى عمق مصر لتوسيع رقعة القتال بحيث تضطر مصر إلى نشر قواتها فى اتجاهات فرعية لتشغلها عن جبهة القتال الرئيسية .

لذلك نجد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يصدر أوامره فى ١١ فبراير ١٩٧٠ ببناء مواقع حصينة للصواريخ المصرية وهو ما عرف بحائط الصواريخ المصرية [1] والذى انتهى منه فى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ وهذا اليوم يعرف بعيد الدفاع الجوى .

واشتط العدو الإسرائيلى غضباً من فكرة بناء حائط الصواريخ وخلال بناء هذا الحائط ركزت إسرائيل ضرباتها على المراكز المدنية مثل قناطر نجع حمادى ومصانع أبو زعبل وكان أشرس تلك الهجمات قصف مدرسة بحر البقر الابتدائية (التى كانت تتبع محافظة الشرقية فى ذلك الوقت) فى يوم التاسع من أبريل سنة ١٩٧٠ فاستشهد عشرات من الأطفال .

وفى صباح يوم ٣١ مايو ١٩٧٠ طالعتنا الصحف المصرية ببشرى عظيمة تزف للشعب المصرى والعالم أجمع نجاح أول عملية عبور مصرية لقناة السويس بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وذلك فى المنطقة الواقعة جنوب بورسعيد بين القنطرة ورأس العش فقد تمكنت مجموعة من قوات المشاة المصرية تعززها مجموعة من القوات الخاصة من عبور قناة السويس يوم ٣٠ مايو ١٩٧٠ وذلك فى وضح النهار حيث قامت بنصب كمين على الضفة الشرقية للقناة وتمكنت من إحداث خسائر جسيمة فى مدرعات العدو وعادت القوة المصرية إلى قاعدتها سالمة بعدد من الأسرى .

وتوسط وزير الخارجية الأمريكية المستر روجرز الذى وضع خطة انتهت بالاتفاق على وقف إطلاق النار فى الثامن من أغسطس ١٩٧٠ .

وفى ٢٨ سبتمبر توفى الرئيس جمال عبد الناصر على إثر إصابته بنوبة قلبية وخلفه نائبه محمد أنور السادات الذى وضع نصب عينيه ضرورة إنهاء وضع اللاحرب واللاسلام بالقوة وكان من مؤيدى فكرته هذه الفريق أحمد إسماعيل والفريق سعد الدين الشاذلى فعينهما فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ وزيراً للحربية ورئيساً لأركان الجيش خلفاً للفريق محمد صادق والفريق عبد القادر حسن .

(١) أول من أسقط طائرة إسرائيلية بلا طيار هو الرائد عبد الرحمن طه رحمو (ابن بورسعيد ورقى وقتها لرتبة المقدم وهو حالياً برتبة اللواء) .

الإعداد لحرب أكتوبر

علمنا أن إسرائيل حققت انتصاراً زائفاً حيث استطاع جيشها إلحاق الهزيمة بثلاثة جيوش عربية فى ستة أيام وضمت إليها أراضاً عربية بما يزيد على ثلاثة أمثال مساحتها وهذا كله يرجع بالدرجة الأولى إلى أخطاء ارتكبتها بعض القيادات العسكرية المصرية والعربية وليس مقدرة الجيش الإسرائيلى وبراعته فإن إسرائيل وقادتها ركبهم البطش والغرور وأطلقوا أسطورة تفوقهم على العرب وأن جيشها لا يقهر وهو القادر على سحق أعدائها العرب فى أى مكان ... فقبل حرب أكتوبر بيومين وعلى وجه التحديد فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ألقى (دافيد ألعازر) رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلى الكلمة التالية أثناء اجتماعه بقوات المظلات الإسرائيلية : إنه ينبغى على الدول العربية التى تحشد قواتها على خطوط إطلاق النار أن تعرف أن لدى إسرائيل أيدى طويلة تستطيع الوصول إلى أعماق هذه الدول وخطوطها الخلفية وإنزال الضربات بها .

(ساعة التوقيت)
الساعة الثانية ظهر يوم السادس من أكتوبر

تحدث اللواء / صلاح الدين فهمى نخله صاحب فكرة توقيت الهجوم خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ حيث كان وقتها برتبة العقيد بفرع التخطيط بهيئة العمليات والتى كان يرأسها اللواء / محمد عبد الغنى الجمسى الذى استدعاه فى آواخر أغسطس ٧٣ وأعطاه تكليفاً شخصياً بإجراء دراسة عن أنسب توقيت للقيام بعملية عسكرية على الضفة الشرقية للقناة وأعطاه كتاباً أعد بهيئة العمليات عن الأعياد اليهودية والتقاليد والطقوس للشعب الإسرائيلى .

فتم اختيار سبت عيد الغفران حيث تتعطل فيه الحياة فى إسرائيل بما فيها الإذاعه وعليه يتعذر استدعاء الاحتياطى . أما اختيار الساعة الثانية فتكون أشعة الشمس فى مواجهة العدو وهو خير توقيت للمرحلة الافتتاحية للحرب بالضربة الجوية ثم التمهيد النيرانى بالمدفعية ثم أن الظلام سيحل بعد خمس ساعات وهى فترة ملائمة لإقامة الكبارى الرئيسية وعبور الأسلحة الثقيلة والدبابات والمدفعية ومراكز القيادة دون تدخل من العدو لاستحالة قيامه بالهجمات المضادة ليلاً .

الإعلام أحد عوامل نصر أكتوبر

صرح الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإعلام فى زمن الحرب بأن التزام السرية وعنصر المفاجأة كان أحد الأسس الرئيسية لنجاح حرب أكتوبر فلم يعرف توقيت الحرب أو ساعة الصفر إلا عدد محدود من القيادات العسكرية وعلى رأسهم الرئيس حسنى مبارك قائد القوات الجوية فى حرب أكتوبر وأن الخطة الإعلامية قبل المعركة ركزت على الإيحاء بأن مصر تتجه نحو العمل والنضال السياسى وذكر بأنه أثناء زيارته لكورت فالدهايم حرص على تسرب أخبار لأجهزة الإعلام العالمية بأن مصر أكدت لفالدهايم إيمانها بضرورة التسوية السلمية فى منطقة الشرق الأوسط وأضاف أن وسائل الإعلام المصرية بدأت فى ترويج أنباء تؤكد على أن أسلحة مصر وسوريا ليست على مستوى الحرب .

أسبوع ماقبل المعركة الأحد ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣

دعا الرئيس الراحل / محمد أنور السادات مجلس الأمن القومى حيث استعرض الموقف من كافة جوانبه وأكد أن حالة اللاحرب واللاسلام القائمة يجب أن تنتهى بعمل عسكرى عبر قناة السويس تم الإعداد له وإن لم يكن قد تحدد موعده وطلب من المجتمعين إبداء آرائهم .

الإثنين أول أكتوبر سنة ١٩٧٣

أصدر الرئيس الراحل محمد أنور السادات توجيهاً سياسياً وعسكرياً إلى الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة .

الجمعة ٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣

أصدر الرئيس الراحل محمد أنور السادات رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة توجيهاً استراتيجياً للفريق أحمد إسماعيل يتضمن :

١ ـ تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الاستراتيجية التالية :

أ ـ ازالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف إطلاق النار اعتباراً من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ب ـ تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات .

ج ـ العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانياتها .

٢ ـ تنفيذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة منفردة أو بالتعاون مع القوات السلحة السورية .

ملحوظة : اختيار الرئيس الراحل محمد أنور السادات قرار العبور فى يوم السادس من أكتوبر لأن هذا اليوم يعرف عند اليهود بعيد الغفران حيث يمنع العمل فيه وتشل الحركة العامة تقريباً فى هذا اليوم .

العبور العظيم
السبت السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ م

بعد صمت وصبر دام ست سنوات استطاعت القوات المسلحة المصرية أن تثبت للعالم كذب الأسطورة التى كانت تطلقها إسرائيل عن الجيش الإسرائيلى بأنه الجيش الذى لايقهر ... استطاعت بعد تدريبات شاقة وعنيفة خلال ست سنوات بذل فيها العرق والروح والدم، إثبات أن خط بارليف ذلك الخط المنيع الذى فاق استحكامات خطى ماجينو وسيجفريد يمكن اختراقه وتدميره خلال ساعات .

وخط بارليف ينسب إلى الجنرال حاييم بارليف رئيس أركان الجيش الإسرائيلى خلال حرب الاستنزاف والذى فكر فى إقامة خط دفاعى قوى على امتداد قناة السويس يتخلله عشرات من النقط الحصينة كل نقطة منها عبارة عن عدة طوابق أغلبها فى باطن الأرض وكل منها محاطة بالأسلاك الشائكة وحقول الألغام ووسائل الإنذار ضد المتسللين وكثرت الأقاويل حول هذا الخط لدرجة أنهم أشاعوا أن القنبلة الذرية لاتؤثر فيه شيئاً ـ لقد أثبتت مصر للعالم كله روح المقاتل المصرى وشجاعته وإصراره على إعادة أرضه فقد تم عبور الحائل المائى الطبيعى (قناة السويس) من الشمال عند بورسعيد حتى الجنوب عند السويس ... حيث بدأت العمليات الحربية فى تمام الساعة الثانية وخمس دقائق فقد سقطت ١٠٥٠٠ قذيفة مدفع خلال الدقيقة الأولى واستمر القصف لمدة ٥٣ دقيقة تم خلالها العبور وإقامة الجسور وفى نفس اللحظة انطلقت ٢٢٢ طائرة مصرية مقاتلة فوق الضفة الشرقية للقناة قامت بضرب المطارات الإسرائيلية ومواقع صواريخه ومدفعيته ومراكز القيادة والرادار .

الرئيس محمد حسنى مبارك ومعارك أكتوبر


الرئيس حسنى مبارك بطل العبور

كان الفريق محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية يتأهب للضربة الجوية دون أن يعلم بها أحد من قيادة القوات الجوية ولا يعلم بها سوى القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس الراحل محمد أنور السادات والفريق أول أحمد إسماعيل على وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة وفى اليوم السابق للمعركة كان يلمح بأنه سيأمر بعمليات تدريبية للقوات الجوية حتى لايشعر الطيارون مع بقائهم فى القواعد الجوية أنهم بصدد معركة قادمة (وذلك حفاظاً على سرية ساعة الصفر) وفى صباح السادس من أكتوبر غادر الفريق محمد حسنى مبارك منزله فى نفس التوقيت اليومى المعتاد ووضع فى اعتباره أن قد يكون عليه مراقبة من الأعداء وتوجه إلى قيادة القوات الجوية كالمعتاد وطلب التمام من قادة القواعد الجوية وأمر بالاستعداد التام للطيران وكانت كل قاعدة لدى قائدها المهام الموكلة إليه تنفيذها وفى ساعة الصفر أصدر أوامره بتنفيذ المهام الموكلة لكل قاعدة وانطلقت ٢٥٠ طائرة وانقضت على خط بارليف ومراكز القيادة للعدو فى سيناء وكانت لخطة الإنطلاق فى الثانية ظهراً وقامت بتنفيذ مهامها بالكامل حيث قامت

بدق جميع مراكز قيادة العدو فى سيناء وايضاً تدمير معظم حصون خط بارليف .

ولعظمة القائد حسنى مبارك وبراعة الطيارين المصريين تحققت أعظم وأقوى ضربة جوية فى التاريخ العسكرى وكانت خسائرنا فى الطيران طفيفة جداً تقل عن ١,٥ ٪ من حجم القوات الجوية .

وعبرت قواتنا الساتر الترابى على الشاطئ الشرقى للقناة بعد أن أحدث سلاح المهندسين عدة ثغرات أنشئت على الضفة كمعابر لعبور الأليات والمدرعات المصرية ولما وصلت أقدام جنودنا الضفة الشرقية كبروا مهللين « الله أكبر » وقاموا برفع العلم المصرى على النقط الحصينة على طول خط بارليف وتم تحرير جزء من سيناء وكانت الخسائر فى القوات والمعدات المصرية طفيفة للغاية أذهلت خبراء الحرب العسكريين .

المعارك التى دارت عند بورسعيد

يجب علينا أولاً أن نتعرف على القوات الإسرائيلية المرابطة على الضفة الشرقية من القناة جنوب بورفؤاد و القوات المصرية المناط بها العمليات الحربية فى منطقة بورسعيد .

أولا : القوات الإسرائيلية ـ وتتمركز فى ثلاثة حصون على خط بارليف .

١ ـ حصن (لاهتزانيت) وهو النقطة القوية الإسرائيلية الواقعة عند الكيلو ١٩ جنوب بورفؤاد .

٢ ـ حصن « أوركال » Orkal « وهو النقطة الحصينة الإسرائيلية الواقعة عن الكيلو ١٠ جنوب بورفؤاد وهو منطقة دفاعية كبيرة من ثلاثة قطاعات أو حصون .

ـ أوركال أ وترابط داخله قوة قوامها ٢٠ جندياً تحت قيادة النقيب جاد سوميخ Gad Somekh وهو فى نفس الوقت قائد الحصن أوركال بقطاعاته الثلاثة ويعاونه فى أوركال أ الملازم عيزرا Ezra ـ وهو الموقع الشمالى فى الحصن .

ـ أوركال ب وترابط داخله قوة قوامها ستة جنود بقيادة الملازم دافيد أودرهام David Abudirham يعاونه الرقيب آربيه (أحد المظليين السابقين) .

ـ أوركال جـ ويرابط به ١٨ جندياً بقيادة الملازم ديسبرج Desbrg .

٣ ـ حصنن بودابست Budapest وهو النقطة القوية شرق بورفؤاد على طريق لسان رمانة .

ثانيا : القوات المصرية فى تلك المنطقة (قطاع بورسعيد العسكرى بقيادة اللواء أ.ح عمر خالد حسن كامل [1] ورئيس الأركان العميد حمدى الشعراوى وقيادة مدفعية القطاع العميد أبو علم ورئيس عمليات القطاع المقدم أ. ح فاروق محمد الحفنى .

ـ اللواء ١٣٥ مشاه بقيادة العميد أ . ح محمد صلاح الدين عبد الحليم .

ـ اللواء ٣٠ مشاة مستقل بقيادة العقيد أ.ح مصطفى العباسى .

ـ (المجموعة ١٢٨ صاعقة ـ الكتيبة ٢٠٣ صاعقة) تمثل سرايا معاونه .

كيف تحقق النصر عند بورسعيد

اعتبر قطاع بورسعيد بقيادة اللواء عمر خالد من أولى وحدات الجيش المصرى التى نفذت المهمة القتالية الموكلة إليها فقد تمكن اللواء ٣٠ مشاة مستقل من الاستيلاء على النقطة الحصينة الإسرائيلية لاهتزانيت عن الكيلو ١٩ جنوب بورفؤاد فى الساعة الثالثة والنصف (أى بعد حوالى ساعة ونصف من بدء مرحلة عمليات الاقتحام وكان العلم المصرى قد رفع على المنطقة الدفاعية للنقطة الحصينة وقبل الاستيلاء عليها) .

وفى نفس توقيت الهجوم كان اللواء ١٣٥ مشاة وسرايا المعاونة مكلفه بالاستيلاء على حصنى بودابست (شرق بورفؤاد) وأوركال بقطاعاته الثلاثة عند الكيلو ١٠ جنوب بورفؤاد ، وخطط لهذا الهجوم أن تكون البداية الضربة الجوية والقصف المدفعى إلى أن يتم إبرار بحرى لأحد سرايا الصاعقة لمعاونة وحدات المشاة العابرة للقناة .

---

(١) دفعة عمى اللواء أ.ح يحيى حسن القاضى قائد الفرقة الخامسة دفاع جوى (جزء من مهامها الدفاع عن العاصمة) خلال حرب أكتوبر والذى ألحقنى بإحدى الوحدات ببورسعيد قيادة سيادة اللواء عمر خالد (رحمه الله) .

ـ ونجد أن أشد المعارك ضراوة كانت عند الاستيلاء على الحصن أوركال نظراً لأنه مكون من ثلاثة قطاعات حيث تشبث أفراده بموقعهم على عكس النقطتين الحصينتين لاهتزانيت وبودابست .

ـ وبعد تلاحم بالنيران استطاع الجنود المصريون محاصرة أوركال جـ وتم الاستيلاء عليه فى السادسه مساء .

وفى ظهر يوم ٧ أكتوبر دارت معركة بمنطقة داخل أوركال ب حيث تم الاستيلاء عليه فى الثالثة بعد الظهر بعد مقتل عدد من الإسرائيليين كان منهم النقيب جاد سوميخ قائد حصن أوركال ومعاونه الملازم عيزرا وتم أسر عدد من الجنود الإسرائليين.

أما اوركال أ فتوجه له الملازم أبو درهام وبعض من جنوده وبعد مقاومة وفى الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من يوم ٧ أكتوبر تم الاستيلاء على أوركال وأصبح الثلاثة حصون يرفرف عليها العلم المصرى بفضل قوات قطاع بورسعيد .

قذف بورسعيد بقنابل الطائرات

منذ بدء القتال فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ حتى وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .. كانت بورسعيد هدفاً للطائرات الحربية الإسرائيلية التى قامت بتركيز الضرب على المدينة بهدف إضعاف، الروح المعنوية لأبناء الشعب البورسعيدى فقد كان هناك نسبة كبيرة من أبنائها مستبقين فى قطاعات الخدمات يضاف إلى ذلك أن العدو الإسرائيلى كان يهدف إلى احتلال المدينة لتحقيق نصر سياسى بعد نصر مصر العسكرى ، فمدينة بورسعيد لها وضعها الخاص المتميز فهى المدخل للشريان الحيوى لقناة السويس ولما كانت بورسعيد فى هذا الوقت شبه معزولة إلا من نقطة واحدة وهى كوبرى الجميل فقد ركزت الطائرات المغيرة ضرب هذا الهدف الحيوى لولا بسالة جنود الدفاع الجوى داخل قواعد الصواريخ المنتشرة حول الكوبرى فتم إسقاط عشرات من الطائرات المغيرة فى وضح النهار فاضطر العدو إلى التركيز على الأهداف المدنية فى شتى أنحاء المدينة .. فبالنسبة لحى الشرق تم تدمير جزء كبير من مساكن هيئة قناة السويس بشارع أحمد ماهروالمناطق القريبة منها كشارع صلاح سالم وعزمى .. كذا المنطقة المحيطة بسنترال بورسعيد كشوارع محفوظ العجرودى وعبد الهادى غزالى والشهيد الجيار حيث لم تنج مستشفى الدليفراند بمرضاها والكنيسة الملاصقة ومنزل عباس حلمى المحامى المشهور من القصف الجوى .. كما تم قصف المناطق المحيطة بحديقة فريال وميدان البولمان .. ومكتب البريد .

أما فى حى العرب فقد أصيبت المنازل المحيطة بالقرب من نادى المعارف . ومن الغريب أن منزل جدى الذى يقع أمام نادى المعارف بشارع عرابى أصيب للمرة الثانية و ذلك يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ قبل وقف إطلاق النار بيوم واحد أما المرة الأولى فكانت إصابته و تهدمه بالكامل يوم الثلاثاء السادس من نوفمبر سنة ١٩٥٦ حيث استشهد جدى .. أما أشد الإصابات فكانت بشارع الحميدى المكتظ بالمواطنين وكان الوقت رمضان والكل يشترى طعام الإفطار فركز العدو ضربه على تلك المنطقة فسقط مئات من الشهداء وكانت أشد الإصابات عند ضرب أحد الأفران وكان الأهالى يشترون خبز إفطارهم وكان يجاور هذا الفرن موقف للعربات الكارو فامتلأ الشارع بجثث الخيول .. وسقطت إحدى القذائف على إحدى الزوايا المليئة بجمهور المصلين فانهارت عليهم الأنقاض ودفنوا أحياء .. أما مدينة بورفؤاد فأصيبت أغلب فيلات هيئة قناة السويس المنتشرة بها والتى بنيت فى أول عهد مدينة بورفؤاد .

وأنهى هذا الجزء بكلمة قرأتها لقاسم أمين فى كتابه " كلمات " المطبوع سنة ١٩٠٨ "اللذه التى تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ولا علو المنصب ولا شيئاً من الأشياء التى يجرى ورائها الناس عادة ، وإنما هى أن يكون الإنسان قوةً عاملةً ذات أثر خالد فى العالم ".

وانتهى الجزء الأول من الموسوعة
ويليه بعون الله الجزء الثانى

finally several kinds of pudding would be offered. If the owner of the house was pleased with the singer he would throw a coin to him, gold or silver, depending on the class of the house or according to the fame of the troupe.

Another kind of evening party was identified with the Syrian and Lebanese Muslims of Port Said who enjoyed literature and would invite their Egyptian friends who were cultured to compete in reciting or composing poetry, while they drank salep and the servants come and go, serving apricot pudding and pistachios. Other nights some of the more distinguished inhabitants of Port Said would bring the Kuran readers to their homes to recite the Kuran. Chinese tea infused with green peppermint was served from a samovar.

The women going on visits wore a veil to cover half the face, the neck and bosom, with an overcoat or black silk wrap. Girls covered themselves with a full wrap and a black veil with a golden decoration over the noses, their hair under a kerchief. Distances were covered on donkey back ; the donkeys were either owned (by the well-to-do) or were rented from a jobber.

The middle class, who were not poor, but did not have a great wealth, went to coffee houses. The biggest was owned by the sheikh of coffee house owners, who sat in the middle of his establishment on a chair covered with Persian carpets. He maintained a poet from one of the villages surrounding Port Said, who would tell a tale from the legend of Abu Zeid Alhilaly Salama—how courageously he faced an adversary and how he won Naasa. Or the story of Alzeer Salem, who confronts Gassass and strikes him with his spear because he has unfairly killed Kaleeb. Or the story of Antara Ibn Shadad, who fought beasts in the deserts of Mesopotamia and who killed fifty men with only one sword and submitted their heads to Abla, who graciously accepted this gift from him. Everyone would have a good time ; they would smoke the narjeela and dream.



The internal courtyard in a well-to-do house.

At two o'clock it was time for everyone to go home to eat the last meal before day break. They then could go to the mosques to pray the dawn prayer.

The nights wore on and as the noble month was about to run out, Muslims bade farewell to the night-watchman, who had waken them all before daybreak, by giving him money or a gift of sweetmeats, almonds, walnuts, hazelnuts, or dates. Everyone spent according to his income, bidding farewell the Ramadan month, singing "Good-bye, goodby, the month of fasting."

would start tomorrow, the sheikhs shouted back,"Yes, O nation of Islam, it is fasting, according to the ruling made by the Sheikh of Islam." Thousands, of children followed the procession and the whole of Port Said was topsy-turvy.

The Sheikh of Islam, the Chief Judge and the governor mounted decorated horses and the procession continued to Tewfiki mosque, which had been opened for prayers four years earlier. It overlooked the seashore and immediately behind it there still remained many vacant lots. Here was the end of the procession. The Sheikh of Islam and the Judge gave speeches in praise of the fasting month. There were prayers and congratulations and everyone went his way.

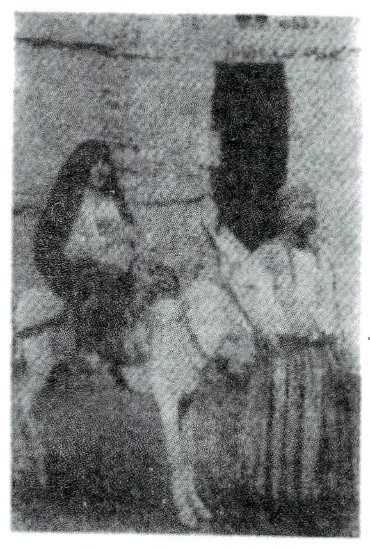
During the night there is a great deal of activity. A regulation forbids walking at night without carrying lamps, so the streets and alleys are full of light as everyone comes and goes to help prepare for the meal before daybreak and the beginning of the fast.

The First Day of Ramadan

During the first day of Ramadan, most people sleep the whole day, in order to be able to stay awake the whole night, and there seems to be no activity in the Arab quarter except in the afternoon. Near sunset shops open and buying and selling increases. Carts appear with different kinds of food.

The Tewfiki mosque and the corners surrounding it are filled with people who go there for prayers, most of them are wearing informal attire such as galabeyas, as though they were in their own homes. Some of them will stay the whole month in the mosque, each bringing his needs in a small box. The ground outside Al Tewfiki mosque becomes a big market, with vendors coming from every place selling such things as beans with oil, (cooked in copper pots), water cress, radishes and onions. There is a kind of bread baked especially in Ramadan called **garadik**, which is cooked with sesame seed, and another kind called **fetout**, garnished with olives.

The donkey was the main transportation means.



The radio had not been invented and the cannon used elsewhere to signal sunset and the breaking of the day's fast was not customary in Port Said. Men and children would gather in groups outside to watch the sun go down, while women and girls, having prepared the sunset meal, would stand on the roofs of their one or two storey wooden houses. The Muazen of the Tewfik Mosque and the other muazins would be tracking the movement of the sun ; and the minute it had set they would say the evening prayer. The men and children would rush home. After the noise of their running, however, it becomes silent in the Arab quarter. And if you passed ten minutes later, you would see no sign of life except the little lamps in the minarets and at the doors and windows of houses.

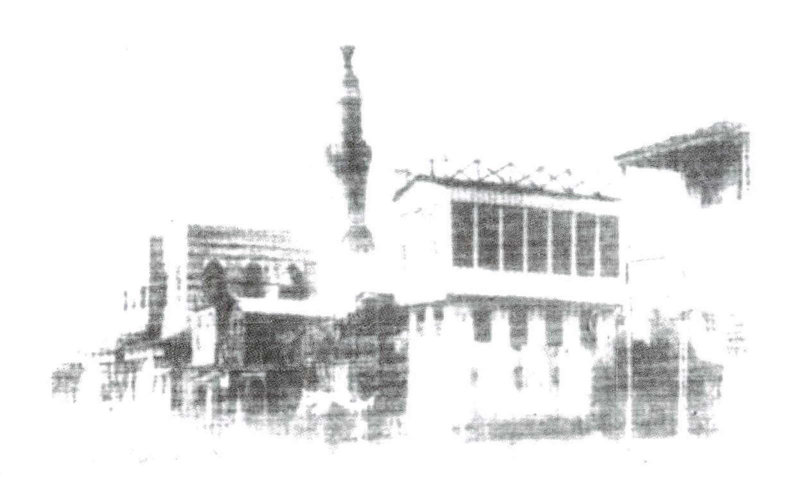
At home the citizens gather around the low-legged **Iftar** table, which reflects on the social class of its owners. It could be wooden, unadorned or studded with mother of pearl or it could be a big tray made of copper. People surround it, sitting on the floor in poorer houses or on comfortable cushions in the houses of the rich, where servants bring food and drinks. Since most of the rich householders were generous, they would have tables set up for the needy, such as beggars, dervishes, insane or those who are described as having "no one but God" some would send food to the Tewfiki mosque, where the floors in the outside court were covered with rush mats. Many a beggar there had a place to eat his **Iftar** at the table of a rich man, seating himself at sunset to let the servants wait on him. The drinking water would be sweetened with rosewater, there would be be pastry to be eaten with meat and Turkish coffee. As an extra sign of generosity, the water-pipe would be passed. After eating the beggar would walk to the Tewfiki mosque to pray.

Everyone stays up until it is time for the last meal before daybreak. The children would go out carrying lamps and singing the Ramadan song "Wahawee Ya Wahawee Iouha" to knock on the doors of their friends, who would give them sweets, nuts and money, as they still do today.

Inside, meanwhile, the cushions were re-organized in a wider circle. The place of the owner would he fixed in a prominent position and he would have invited his closest friends, who lie on their sides smoking their narjeela. Religious entertainers from nearby areas included singers and players of the **qanoun**, the flute, drums and other instruments. While the servants offered them aromatic water and sweet drinks made of fruit, the listeners would become enraptured with the music. Nuts, pastry, dried figs, apricots, prunes, dates and

Public Fountains

Port Said had no sabils, the public fountains that were built in other Egyptian cities, especially Cairo. During the Ottoman era, these fountains became elaborate public buildings, constructed at the expense of donors who wished to be remembered for their generosity. Since Port Said was a new town, it had no sabils. Saleh Selim Pasha erected an unpretentious lathe work shelter over a number of water jugs, however, and later, when the municipality had provided piped water for taps, he rebuilt the structure in stone. At the Victoria statue on Quai François Joseph, later known as Shari' Sultan Hussein, people drank the water gushing from the mouths of the lions around the pedestal. During Ramadan, civic leaders and prominent citizens paid for the erection of reed-walled stands where pots and jars of drinking water mixed with rose water and orange- blossom water were kept filled for the refreshment of the public. The sale of water jugs and pots increased during Ramadan even when the month fell during a cool season.





The Ramadan Procession

On 6 May 1889 A.D. (30 Shabaan 1306 Hijra) the Muslim inhabitants of Port Said impatiently awaited the beginning of month of Ramadan, the month of fasting and blessings, signalled by the sighting of the new moon. A telegram notified the city that an edict had been issued by the Cairo religious court, the body deemed competent to sight the Ramadan crescent. The first day of Ramadan 1290 Hijra (A.D. 1873) was declared.

Once the sighting was verified, a great religious procession formed up and marched through the city, headed by Sheikh Abdel Rahman Abul Hassan, the sheikh of the Port Said ulemma, the well-to -do of the city, and the leaders of the Sufi orders, with music, banners, and drums. The procession was preceded by acrobats and dancers and followed by a parade of decorated horse-drawn wagons bearing the sheikhs who headed each of the craft guilds, with each sheikh demonstrating the skills of his profession. Pastry cooks, blacksmiths, shoemakers, wafer sellers, and dyers were all represented. The cannons of the Egyptian navy, including the frigate Al Saqra anchored outside the port, fired salutes to celebrate this grea event.

The procession followed a route from the residence of the Governor at the corner of Ismail and Al Nahda streets, and headed toward Bayt al Qadi, the house of the Chief Judge, at the corner of Al Maqdis and Al Hameedy streets, only recently demolished to make room for a housing block. There the fasting decree was issued, while women peeped from latticed windows and leaned over balconies to exchange greetings, ululating with joy. The smell of incense drifted out of windows and doors, the lamps were hung over lintels and to the question whether or not the fasting



Ramadan Nights in Port Said A Century Ago

In Port Said one hundred years ago, there were certain arts and crafts that appeared only during the month of Ramadan. The tinsmiths, for example, who were clustered in an alley called the "Tinsmiths Market," turned all their energy to making Ramadan lamps. Two weeks before the beginning of the blessed month they would leave their usual industries and start working night and day. A single shop's production was no less than 70 lamps a day, using tin from empty tin cans, worth about two milliems per lamp. The most expensive completed lamp sold for one piastre.

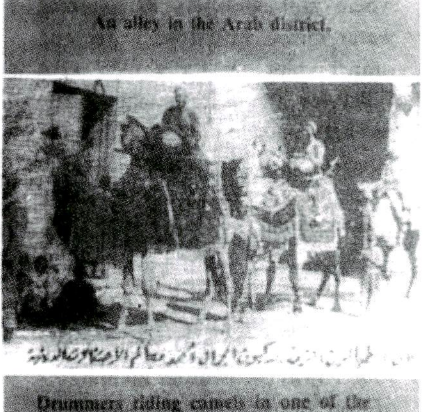


An alley in the Arab district.

Lamps were displayed in different ways. Hung in festoons, they demarcated venues in alleys and market places. Young lamp vendors sold them from decorated carts, which moved from place to place. Some were placed on large baskets made of woven palm.

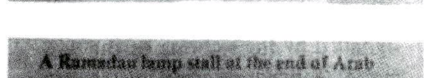
Kataif and **Kunáfa**, the typical Ramadan sweetmeats, were made on coalfired stoves erected outside in open areas. Sugar, oil, and flour—the best was French or Australian—were saved up in advance to meet the demand. The most important flour store, owned by a Greek, was in Mohamed Aly street, close to Kisra street. After Ramadan **Kataif** and **Kunafa** could be found only at one or two Syrian pastry stores, which sold **Kunafa, feteer** and other pastry made from local butter and sweetened with honey. There was a kind of nut-filled pastry for children called **al-malaweek.**

Nuts were especially popular during Ramadan, but could be bought throughout the year as there were no restrictions on their importation. Importers were Syrians, Turks, and Greeks as well as Egyptians and their merchandise included not only hazelnuts, walnuts, and almonds but also Greek and Cypriot raisins, dried apricots, whole and in sheets, prunes, glacé cherries, pine nuts and coconuts. Such things could be purchased at groceries and at the stalls of "**attareen,**" where herbs, spices, and perfumes were sold. During Ramadan they stocked huge quantities of candles, incense, and the special spices that figured in the dishes served during that month, as well as the raw materials for hot and cold infusions : licorice, tamarind, **karkadé,** carob, cinnamon, ginger, ans salep. Spices often came from India, East Indies, Malaya and China, brought by ships traversing the Suez Canal.



Drummers riding camels in one of the religious processions.

Coppersmiths displayed pans, kettles, boilers, pitchers, wash-basins, bean -pots and wide copper trays, all made of red and yellow copper, as aluminium was unknown.



A Ramadan lamp stall at the end of Arab village.



Nessan. Prime Minister Mustafa Fahmy Pasha and his Cabinet were also invited, as were Ghazi Mukhtar Pasha, the Ottoman plenipotentionary, Prince Waldemar of Denmark, Lord Cromer the British proconsul in Egypt, together wiht his entire political section, and all the consuls in Port Said. Apart from Prince and Duke Auguste a'Arenberg, chairman of the board of the Company, other participants included several bishops, the President of the Académie Française, the Governor of the Canal Zone and most of the other Egyptian governors, representatives of the Egyptian and foreign press, officers of the Egyptian and British armies, Mme De Lesseps, the widow of the founder, and some of his sons and daughter.

Port Said was beautifully ornamented with banners and triumphal arches that had put the foreign communities in competition with each other. Most active in adorning the city were the Greeks.

Khedive Abbbas Hilmi and his aides de camp arrived from Ismailia in the evening of November 16 on board the ship Titan of the Canal Company, escorted by governor, Prince d'Arenberg and a delegation of the company officials. The viceregal yacht Al Mahroussa had reached Port Said from Alexandria two days before and Khedive Abbas spent the night aboard her.

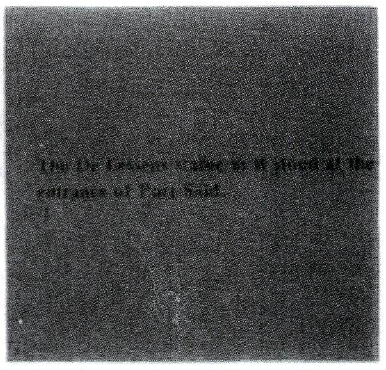
On the morning of November 17 a raft was constructed and a platform and dais were erected, with chairs arranged around them as a Roman theatre. At 8 a.m. groups of the Canal Company workers lined up with their chiefs on the platform, while the ship India carrying guests anchored beside the statue. At 9 a.m. a cannon salute signailed the beginning of the celebration while, a military music band played the Khedival Anthems, announcing the



arrival of the Khedive and his entourage.

The Khedive sat in the place of honor, with Prince Waldemar of Denmark on his right and Prince Auguste d'Arenberg on his left, who as the chairman of the Company's board asked the Khedive to unveil the statue. Cheers and applause filled the place as the shrouds fell around the statue, which was seven metres high, and weighed 17 tons. Three bands entertained the crowd with orchestral pieces, then the Khedive made a speech thanking the company for its hospitality. At its conclusion he shook hands with everybody, while the bands played the Khedivial Anthems.

The Prince d'Arenberg then delivered a long speech followed by the President of the French Academy, who spoke about the history of the Canal. The last speaker was Charles De Lesseps, eldest son of the man for whom the observance was being held, who thanked all the guests on behalf of the De Lesseps Family.



The De Lesseps statue as it stood at the entrance of Port Said.

The Egyptian military band played the Khedivial, the British and the French anthems and the two-hour ceremony was over, The Khedive left, followed by cheers and applause, having invited Prince d'Arenberg and the Cabinet to a luncheon banquet on board his yacht the Mahroussa. Other officials met on board the India, anchored near the quay.

The banquets and balls went on for two days and nights. The Suez Canal Company festooned its central building with lights and banners and invited 300 persons to a party on board one of its ships. Fireworks included one display that wrote the date of the opening of the Canal 1869 and the date of the celebration 1899 in the skies over Port Said. The Khedive invited the De Lesseps family to dine with him at Kobba palace in Cairo on Christmas Eve that year. The statue remained on its pedestal on the Western Breakwater for exactly 57 years after that dinner. In a gesture asserting national sovereignty, it was dismantled and removed on Christmas Eve 1956, the day after the evacuation of the British and French troops who had occupied Port Said during the Tripartite Agression. At present there is a movement to re-erect the statue, either in its original setting or in the garden of a proposed Port Said Historical Museum.

The Statue of De Lesseps

The Suez Canal was officially opened on November 17, 1869. On the thirtieth anniversary of that date, a colossal bronze statue of the founder of the Suez Canal Company, Ferdinand De Lesseps, was unveiled at a site overlooking the northern entrance to the Canal.



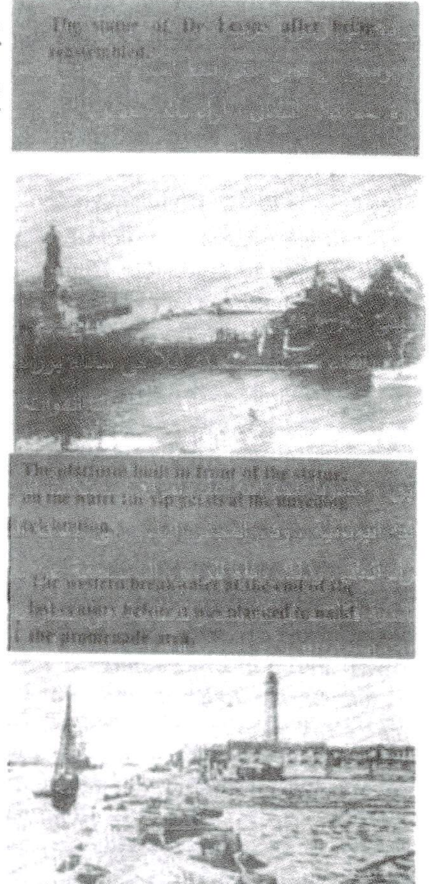
To immortalize the memory of its founder, the Company had chosen to erect their tribute on the Western Breakwater. Intended to protect the northern approach to the Canal against the build-up of sands carried by a coastal current all the way from the mouth of the Nile, the breakwater was conceived during 1859, the first year of excavation.

De Lesseps had stone shipped overland from the quarries at Meks, near Alexandria, then made a contract with the firm of Dussaud Frères, whose stoneworks (chantier) occupied an island facing Ismail Basin. The blocks turned out there weighed as much as 20 tons a piece ; each was numbered and lowered into a pre-established position. When the breakwater was completed, in 1868, it was three kilometres long, but has been lengthened to the present seven kilometres.

By 1899, the Suez Canal Company had decided to beautify the northern entry to the Canal by changing what was still a rough stone wall into a quay that could be used as a promenade. With views of the port, the Suez Canal and the Mediterranean, it would allow citizens and visitors to enjoy fresh air, while providing a perfect site for a memorial to De Lesseps, who had died four years before.

The Italian contractor Alberti was hired to carry out the transformation. Low balustrades were erected for picnickers along the sides of the new quay facing the Canal and the Mediterranean. The Company commissioned E. Frémiet, a well-known French sculptor, who finished the statue in August, 1899, and it was cast by the firm of Barbedienne. Shipped from Marseille on the Duke of Buckingham in nine packing cases, it reached Port Said on October 12, 1899. It depicts De Lesseps heroically posed in a cloak, raising his right hand in salute to the ships entering the Canal, holding the plan of the Suez Canal in his left. On a bronze plaque fixed to the Stone pedestal was written a Latin phrase : "Aperire Terram Gentibus," meaning «To open the land to the nations.»

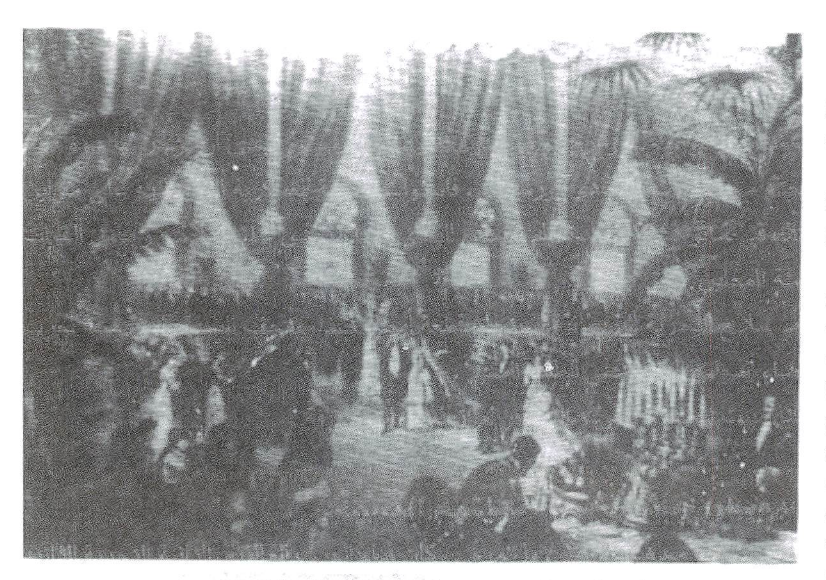
The Suez Canal Company took the responsibility for the unveiling ceremony, the center of celebrations intended to last from the seventeenth to the twentieth of November. Two ships, «India» and «Melborne,» belonging to Messageries Maritimes, were chartered to transport guests of whom 3000 had been invited. The most important was the Khedive Abbas Hilmi II, who had been invited while in Europe with aides, Prince Omar Tousson, and Aziz Bey



The statue of De Lesseps after being reassembled.

The platform built in front of the statue, on the water for guests at the unveiling celebration.

The western breakwater at the end of the last century before it was planned to build the promenade area.



The Ball held at Ismailia Palace on 18 November 1869.

thousands of guests. Fire works lit up the sky. There were displays of Arab horsemanship. During these celebrations De Lesseps married his second wife, the daughter of the Consul of Mexico.

The next morning port facilities were inaugurated on Lake Timsah, where more than fifty ships of various nationalities were anchored, while royal visitors paid social calls. Empress Eugénie went on horse-back to congratulate Khedive Ismail, then rode a camel through the streets of Ismailia to visit De Lesseps. In the afternoon, Khedive Ismail ordered carriages to take his guests for a promenade in the desert, escorted by the Khedival-Guard sometimes with difficulty, as the carriages scattered in all directions. Bedouins displayed their riding skills, much to everyone's pleasure. In the evening Ismail gave a ball in his palace in Ismailia, followed by another banquet for thousands.

In the morning of 19 November, the yacht L'Aigle set sail once more at the head of the procession for Suez, which the first ships reached on the morning of the next day, 20 November, having spent a night on the Bitter Lakes. As they sailed into the Red Sea, cannon were fired to indicate an end to the public festivities. From Suez Eugénie cabled her husband, Emperor Napoleon III, to tell him that she had never in her life seen such magnificence and splendour.

That evening Khedive Ismail returned to Cairo, inviting all his guests to remain in Egypt as long as they liked. The Empress Eugénie spent two days in Suez, visited several of the cities in Lower Egypt, then went on to Cairo, where she stayed at the Gezira Palace, which according to legend — the Khedive had had constructed expressly for her. The exterior was adorned with cast-iron colonnades in Moorish designs, prefabricated in Germany, while the interior was outfitted with furniture from the Exposition Universelle that had been held in Paris just two years earlier.

Khedive Ismail had commissioned Italian architects to build a new Opera House, which had been completed fifteen months later at a cost of 160 thousand pounds sterling. Verdi's Opera Aida, with a liberetto by Antonio Ghislanzoni, based upon a plot supplied by Auguste Mariette, founder of the Egyptian Antiquities Service, was not commissioned for either the Suez Canal inauguration or for the opening of the Opera House, but for later performance. The Opera House opened, in fact, on 29 November, 1869 with Rigoletto, the Empress Eugénie and several European princes in attendance.

Khedive Ismail had the road to the Pyramids especially paved for the visit of Empress Eugénie, who also visited the Khan Khalili bazar and bought some souvenirs. A yacht was put at her disposal for a tour of the antiquities of Upper Egypt. When it came time to leave she was accompanied by the Khedive and an entourage to Alexandria. As parting gifts Eugénie gave Ismail several presents including a gold tray and 24 gold cups studded with precious stones, currently valued at between 10 and 15 million Egyptian pounds.

It was reported that the cost of inaugurating the Suez Canal, including the hospitality extended to six thousand guests — their transportation by land and sea, their complete accommodation in Egypt and the gifts they carried home — amounted to one million four hundred thousand pounds sterling. And if the cost of new buildings and other projects associated with the opening of the Canal were added to those expenses, the total would amount to four million pounds. Khedive Ismail is said to have met these expenses with part of the loan he had received from the Oppenheim Bank the year before, amounting to 11,890.000 pounds sterling.

Whatever the cost, Khedive Ismail made the Arabian Nights a dream come true for everyone who attended the Suez Canal inaugurational celebrations. Medals were coined to memorialize the event. On one side they carried two female figures, representing the Mediterranean and the Red Sea, offering the world to each other, with a map of the Canal behind them. The reverse carried a French inscription and the date of the inauguration.

on his yacht, Al Mahrousa, accompanied by Sherif Pasha, Minister of the Interior and Chairman of the High Privy Council (the Cabinet), Nubar Pasha, Minister of Foreign Affairs, Shaheen Pasha, Minister of War and the Navy, Riyad Pasha, the Khedieval Treasurer, Prince Mohamed Tewfik, the seventeen-year-old Crown Prince, and Prince Tousson, the eighteen-year-old younger son of Viceroy Mohamed Said, Ismail's immediate predecessor. De Lesseps arrived the next day. A widower of 64, he was to marry his second wife in the course of the inaugural celebrations. Both merchant and military ships anchored in the port greeted him by blowing their sirens.

On 15 November, Emperor Franz Josef's yacht arrived at Port Said, escorted by a destroyer. The Emperor was accompanied by the Prime Ministers of Austria and Hungary, the Commander-in-Chief of the Fleet, and ambassador of the Austrian Empire to Turkey. He was warmly received as the fortress fired a salute.

On 16 November a ceremony of benediction was to take place. A ship owned by the Messageries Maritimes arrived carrying the members of the board of directors of the Suez Canal Company. Prince Friedrich Wilhelm, the ten-year-old Crown Prince of Prussia, arrived a little later on board the cruiser Hista, followed by the yacht L'Aigle carrying Empress Eugénie and her entourage. Cannon sounded from shore batteries and from anchored cruisers, flags were unfurled, and the 80 ships at anchor ran up banners and bunting. The Egyptian, French, British, Austro-Hungarian, Prussian, Dutch, Spanish, Russian, Swedish, and Norwegian fleets were all represented. Khedive Ismail and Vicomte De Lesseps boarded L'Aigle shortly after it anchored to welcome Empress Eugénie.



The yacht, L'Aigle, at the head of the maritime procession crossing the Canal from Port Said to Suez.

Three platforms had been erected on the northernmost wharf at Port Said, jutting out into the Mediterranean, which has since been called the Eugénie Wharf. The largest platform was allocated to royalty and other leading guests. The second was reserved for Muslim ulemma ; and the third was for Christian clergymen. Guests began filling the platforms at three in the afternoon. De Lesseps followed the Crown Prince of Prussia and the Crown Prince and Princees of the Netherlands, accompanied by members of the Suez Canal Company Board, commanders of the fleets of the countries participating in the celebration, the diplomatic corps, and Muslim and Christian clergymen. Finally Khedive Ismail mounted the platform, with Empress Eugénie on his arm. After reciting verses from the Holy Kuran, Sheikh Ibrahim Al Sakka, Sheikh Al Islam, pronounced a blessing in Arabic ; then Monseignor Bouweir, Chaplain to Napoleon III gave a benediction in French. That night Port Said was illuminated and there was a display of fireworks. Banquets were served and music was played into the nice hours.

On the morning of 17 November 1869, the day of the inauguration, a maritime procession through the Canal set sail, the yacht L'Aigle at its head carrying Empress Eugénie and De Lesseps. The yachts of Emperor Franz Josef, the Crown Prince of Prussia, and the Crown Prince of Holland followed. The Bichet, carrying Sir Henry Elliot, England's Ambassador to Turkey, and the Vladimir, carrying General Ignatiev, Russian Ambassador to Turkey, brought up the rear. Then came a convoy of 68 merchant ships. At 5:30 in the afternoon the vanguard anchored off Ismailia in Lake Timsah, while Egyptian artillery fired a salute.

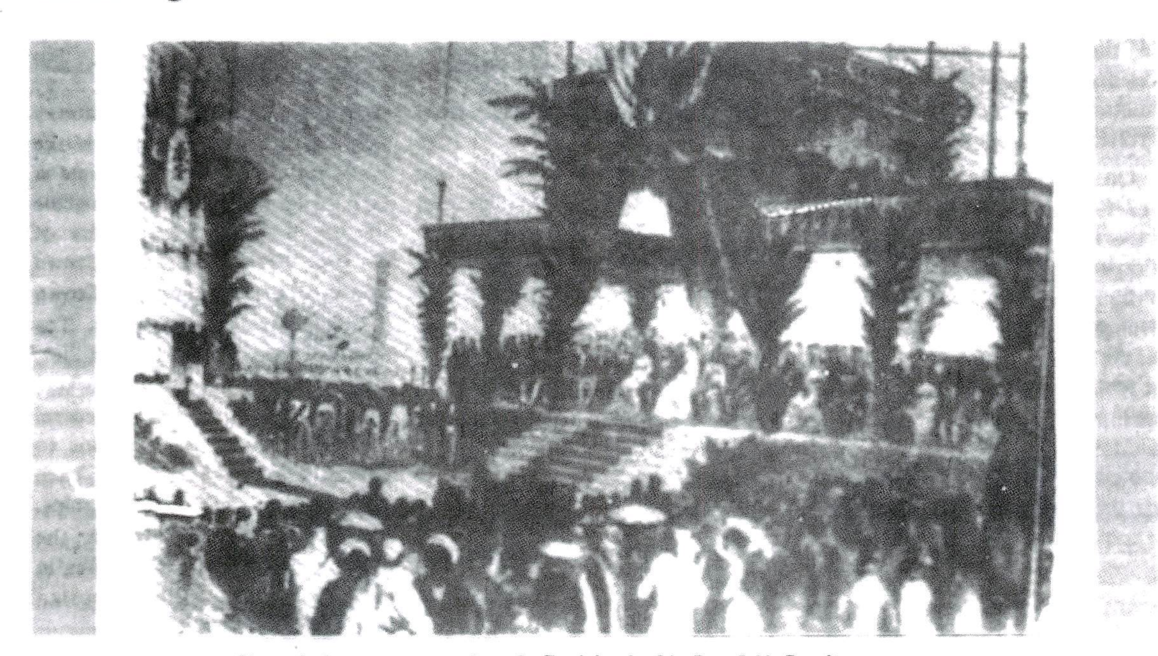
Royal guests spent the night at a palace in Ismailia that had been built for the occasion and was not to be used again for more than thirty years. Ismailia's hotels and houses were packed full of guests and the overflow slept in tents, erected at Khedival expense. There were hundred thousand other visitors in Ismailia. Headmen, sheikhs and local villagers had set up their own tents on the shores of Lake Timsah, while houseboats holding families of pashas and beys anchored in the Ismailia Canal, connecting Ismailia via the Nile with Cairo.

A banquet was served for

Celebrating the Inauguration of the Suez Canal

by
Diaeldine Hassan
Al Kady

The celebrations surrounding the opening of the Suez Canal were described by eye-witnesses and later by historians in a way that makes them sound like something out of the Arabian Nights.



Three platforms were erected on the Eugénie wharf in Port Said. Royalty are seen on the largest platform.

Digging had started on 25 April 1859, and the inauguration date was set for 17 November, 1869, by Ferdinand, Vicomte De Lesseps, promoter and builder of the Canal. De Lesseps suggested that Khedive Ismail invite European kings, princes, statesmen, men of letters and artists to an inaugural celebration, leading Ismail to believe that this gesture would make him seem equal to the greatest king in the world.

Invitations were therefore sent to the ruling houses of Europe. On behalf of her husband, Empress Eugénie, wife of the French Emperor Napoléon III accepted and so did Franz Josef, who was not only Emperor of Austria, Apostolic King of Hungary, King of Bohemia, Dalmatia, Croatia, Slavonia, Galicia but also Lodomeria and Ilyria. Prince Friedrich Wilhelm, the Crown Prince of Prussia, and Prince Henry, the Crown Prince of the Netherlands, were designated to represent their countries. Some 6000 others accepted invitations including a host of officials, bureaucrats, writers like Zola and Theophile Gautier, painters like Jerôme, scientists, engineers, journalists, and scholars from Britain, France, Russia, Switzerland, Prussia, the Netherlands, Austria - Hungary and Italy.

The crown Prince and Princess of the Netherlands anchored their yacht off Port Said on 13 November. They were met by Khedive Ismail, who had already arrived from Alexandria

number of battleships anchored between Port Said and Kantara and dug trenches along a 30- kilometer front. A German-Turkish attack was foiled on 2 February, 1915, but successful air attacks filled Port Said with terror, and left 55% of the houses in the Arab quarter destroyed. Turkish forces renewed the offensive, but were crushed 25 March 1915 at the battle of Kattia.

The Germans now began concentrated air attacks. Port Said will never forget the day four 20-pound bombs were dropped, though the losses were only material. Another attack in May 1915 resulted in human casualities, however, and in a violent raid on the city on the morning of 1 September 1916, one soldier was killed and 19 were wounded, while nine Egyptian civilians died and 17 were injured. The heaviest casualties were in Shari' Mohamed Ali, separating the Arab and foreign quarters.

Military authorities ordered a blackout in Port Said from 31 May and they installed a system requiring



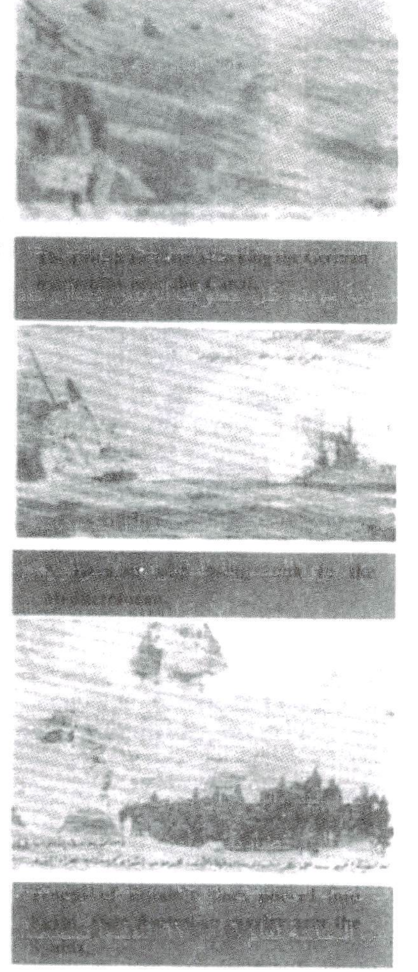




passes in and out of the city. Port Said's hospitals were crammed with casualties from the Dardanelles and the Egyptian Health Administration called up nurses from all the country's governorates. A mad increase in the prices of food followed the annulment of price regulation and a twenty per cent bonus was given to all workers and officials. Fares for the city's horse-drawn streetcars, the only public transport in Port Siad, rose.

A decline in the value of the French Franc the principal currency used in Port Said, made the crisis worse. New construction and rebuilding of what had been destroyed by German Turkish bombs drove up the cost of building materials. The wooden houses of the Arab quarter were pulled down and replaced by three-or four storey buildings of stone.

A group of nouveau riche merchants became prominent, their wealth swollen by the submarine war, which had paralysed trade between Egypt and Europe. These merchants had directed their attention to the Far East, from which ships arrived full of goods for the



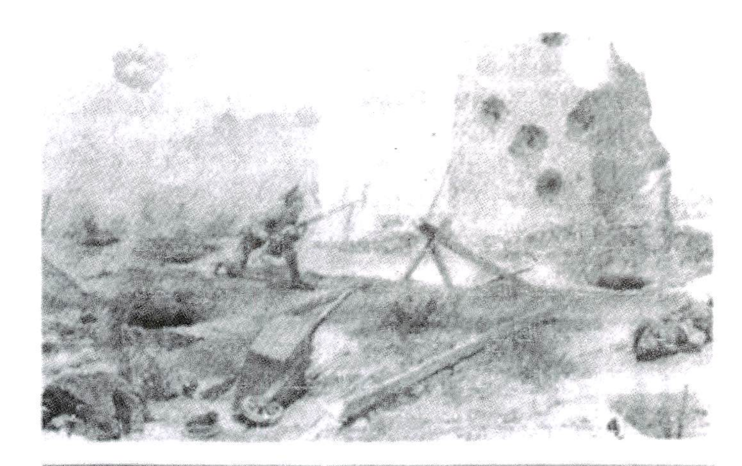
Egyptian markets. Other merchants, who had invested in the German mark, became bankrupt when Germany declared the banknotes used before the war to be valueless.

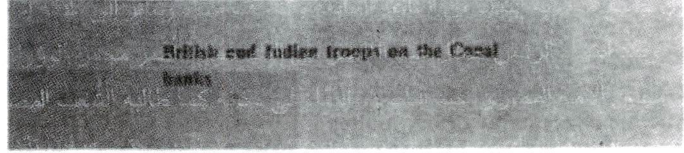
particularly foodstuffs. Governor Hiddaya Pasha held a meeting on 6 August with the foreign Consuls and representatives of the merchants at his official residence and discussed the matter with them. It was decided that each Consul would request the merchants belonging to his country to put a fixed price to basic foodstuffs such as flour, bread, grocery items and meat. The crisis grew worse, however, and to alleviate its effect on the poor, the municipal council opened soup kitchens.

To prevent a black market in petroleum products, the council undertook supervision of sales of petrol and made an arrangement with the Salt and Soda Company to act as the council's agent in selling oil at a fixed price. The council bought 40 tons of Australian flour and sold a sack weighing 54 pounds for 83 p.t. A sugar shortage continued, however, and the price of sugar rocketed upwards.

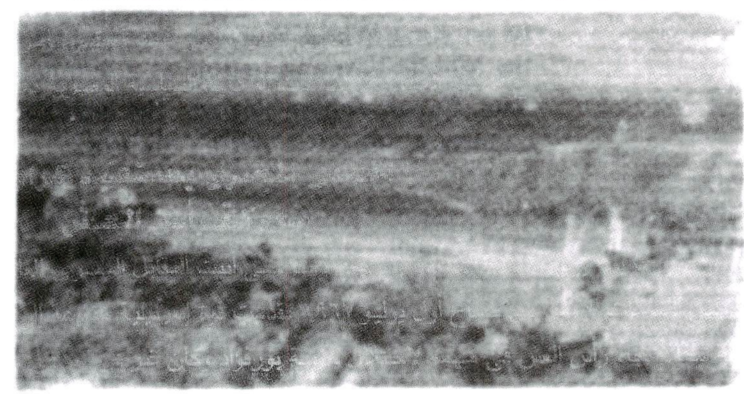
Along the Canal, the British mustered forces consisting of 30 thousand men in 42 infantry battalions, with three batteries of artillery manned by Indians and one battery manned by Egyptians. British battleships anchored along the length of the Canal were supported by squadrons of planes. France also put planes and ships at the disposal of the British leadership in the Canal. General Wilson, the new commander, made Ismailia his headquarters, and in Port Said British forces took over the Eastern Exchange Hotel, planting a wireless station and anti-aircraft guns on its roof. The hotel was a good choice. The tallest building in the city, it stood seven storeys high and was constructed out of brick and cast iron.

A Turkish army of between twelve and fifteen thousand threatened the Canal. The British increased the





British and Indian troops on the Canal banks



Battle Scene in Sinai

The marines crossing the Canal in an attack on the Turkish troops.



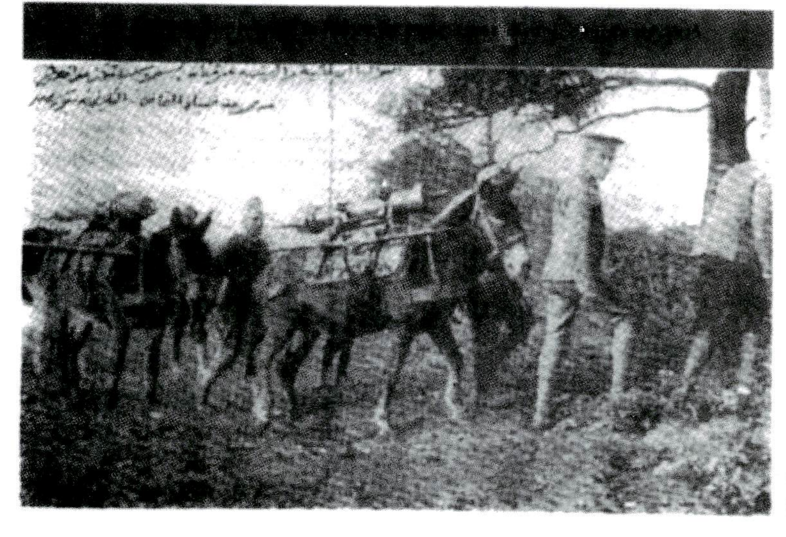


A marine demonstration of the Ally forces in the Mediterranean facing the Canal .

Port Said During The First World War

In the arms race between England and Germany that led to the First World War one motive had been control over the Middle East and its role as a link between Europe and Asia. Egypt, and particularly the Suez Canal, thus became important objectives during the war.

England declared war against Germany in the evening of 4 August 1914. What attitude could Egypt take ? It was ruled by the Muhammed Aly Family as vassals of Turkey, Germany's ally, but had been accupied by the British, who recognised it as and Ottoman province, since 1892. The Council of Ministers met on August 5 th 1914, chaired by Prime Minister Hussein Rushdy Pasha and issued a decree prohibiting support of Britain's enemies and granting the naval and military forces of His Majesty, the king of England, the privilege of conducting military action in Egyptian territory or from Egyptian ports. Hussein Rushdy explained that the state of war between England and Germany exposed Egypt to the attacks from Britain's enemies and that therefore it was Britain's duty to defend Egypt.



Turkey finally entered the war on 1 November. The following day Sir John Maxwell, the British Commander, imposed martial law. England declared war on Turkey on 6 November and thereafter British and allied forces flooded into Egypt, first Lancashire regiment, then an Indian battalion, followed by troops from Australia and New Zealand.

The Impact Of War On Port Said

Despite Port Said's rapid growth before the war, its first municipal council had not met until 2 January, 1911. The city's political independence was cut short by martial law, however, and the arrival of British and Imperial troops turned everything upside down. The municipal council could no longer concern itself with civic development, but had to find solutions for the consequences of the war.

One of the first consequences was inflation. As soon as Egyptian and foreign merchants heard about the declaration of 4 August, they raised the prices of commodities,

British Naval Forces Command in the Middle East. Since that time it has been known as Navy House. And it was over this building on 18 June 1956, when the last British soldier left Egypt that President Gamal Abdel Nasser hoisted the Egyptian flag.

The Eastern Exchange

The Eastern Exchange, «The Iron House," was constructed in 1892 and it was meant to house an exchange bank and a group of collection offices. Seven storeys high, it was built of hard red brick on a skeleton of iron pillars and beams held together by nuts and bolts, and was so radical in its design that the people of Port Said circulated a rumour that it had been built for military reasons. This rumour was not true at the time, but was given substance later on during the Great War when German and Turkish planes raided Port Said. The British Army commandeered the building, where they mounted an anti-aircraft battery and a wireless station.

With the end of the war an Italian named Simonini leased the Eastern Exchange and made improvements, turning it into an international hotel.

He transformed the ground floor into a huge lobby, with a deluxe restaurant, a ball room, a music hall and a cabaret. A summer theater attached to the garden became known as the Eastern Cinema. Empress Eugénie stayed at this hotel as an ordinary citizen in 1918 at the end of the Great War, reliving perhaps her memories at the opening of the Canal half a century earlier, when she had been Empress of the French.



Suez Canal Company offices with its 3 green domes

Unfortunately, it was decided to demolish this wonderful building, which could have stood hundreds of years, providing many generations with a symbol of the spirit of Port Said. The job was not easy, however ; the Eastern Exchange was too strong for pickaxes and axes. Wrenches had to be used to undo the bolts linking its iron beams together.

The Suez Canal Company Administration Building

The offices of M. Laroche, first director of works for the Suez Canal Company were originally in a wooden building directly overlooking the Mediterranean sea on the Quai Eugénie, now called Shari' Eugénie. The building that now houses the Suez Canal Company Administration was built in 1893- with blood, it was said at the time, since chunks of stone falling during construction killed seven employees, the best well known of them being a Signor Valentino. Mosaic was used to cover the building's three domes, the central one of which carried the symbol of the Suez Canal.

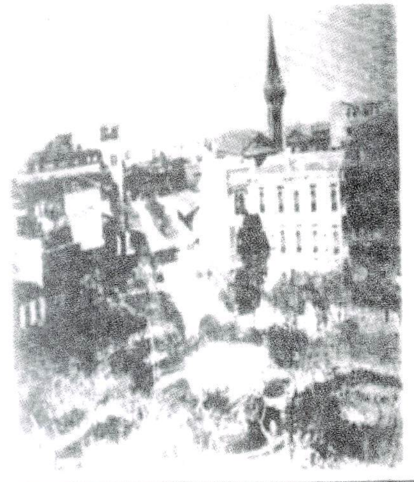
Inauguration of the building was attended by the Deputy to the Governor of the Canal Zone, at the invitaiton of the Director General of the Suez Canal Company and his deputy in Egypt.

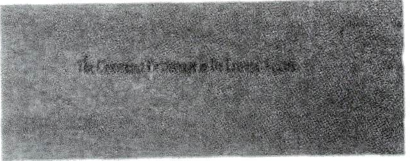
A permanent scaffold was erected for the reception of dignitaries transiting the canal, the most famous of whom was King George V, King of Great Britain and Emperor of India, who passed through the Suez Canal in January 1911 on his way to preside over the great Durban that took place in Delhi later that year.

The international Suez Canal Company was nationalized on 26 July 1956 according to law 185 of 1956, and the Egyptian administration took over this building the following day, conducting business under the name the Egyptian Suez Canal Authority. During the Tripartite Aggression against Egypt in 1956, the invaders forces used the building as their head quarters and as the residence of their commander in chief. It was surrendered to United Nations forces on 18 December 1956.

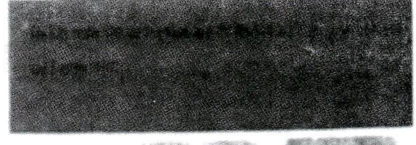
The Couvreux Orphanage

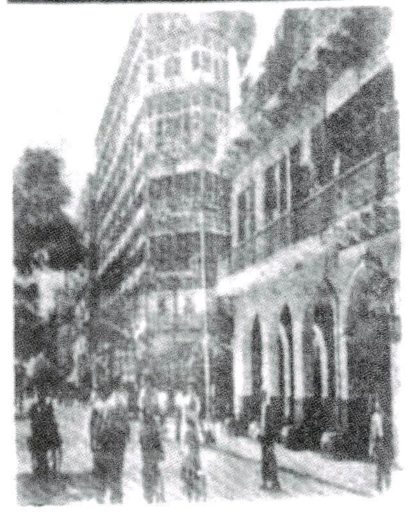
The Couvreux Orphanage was built in 1894 by Mme Couvreux, widow of the Chief Engineer at the Suez Canal Company, to provide shelter for the homeless of various nationalities. She also built a school for the children of Suez Canal Company workers. The inauguration was attended by all the foreign residents in the city, by the Director General of the Suez Canal Company, and the Governor of the Canal Zone.





The building was constructed north of the Catholic Church of St. Eugénie, where the Great Britain Hotel and its coffee house are now located, overlooking Place de Lesseps, now Maydan Al Manshia. Built of wood in the Gothic style, with windows of stained glass, the Great Britain is the oldest hotel now standing in Port Said.





The Dutch palace bought by the British army in World War I to be the Navy House

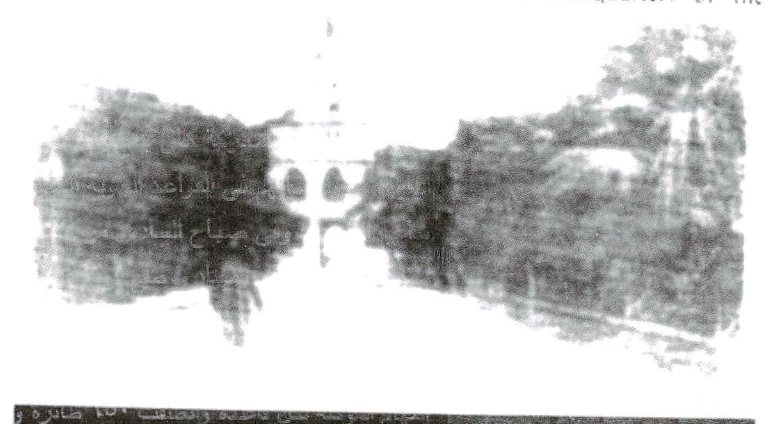
Port Said and its Architectural Renaissance

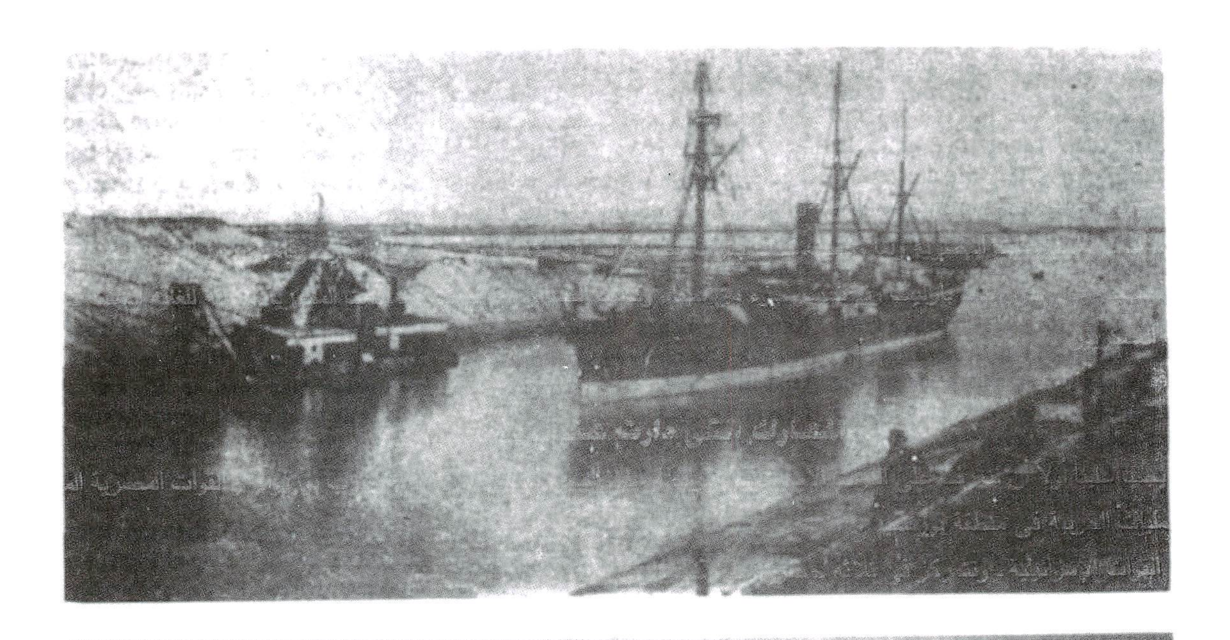
At the beginning of the twentieth century Port Said seemed in the midst of an architectural renaissance. Engineers and architects brought the art of building in the city to such a pitch that it began to compete aesthetically with Cairo and Alexandria, many centuries older. Decorative skills were lavished inside and outside on new buildings, attracting much admiration whatever purpose the buildings were to serve. There were in fact three categories of purpose.

In 1868, while the Suez Canal was still being dug, Prince Henry of Orange-Nassau, the Crown Prince of the Netherlands, visited Port Said and remarked that he would like a palace overlooking the Canal. De Lesseps invited him to attend the inaugural celebrations in November of the following year, where he deputized for his father, the king of Holland. Prince Henry inaugurated a branch of the Dutch Navigation Company in Port Said and took the occasion to ask De Lesseps to sell him a plot to build upon. In December 1871, for a nominal fee, he bought a piece of land then still inundated with seawater and began building his palace, which was constructed according to the latest theories of architecture.

The prince never lived in it, however, and ownership of the palace eventually fell to the Dutch navigation company, which requested the Suez Canal Company to grant it a site on which to erect a hotel, which would contain a few shops and cafés. A special platform on the Canal was to provide the hotel with a tourist attraction. The hotel was never built, however, as the site was too far from town and communications were almost nil. The platform overlooking the Canal was completed, however, despite objections from customs officials, who complained that they had no control over the imports coming for the Dutch company.

The palace was acquired by the British government for use as a Marconi (radio) station. When World War I started in 1914, it became the headquarters of the





The Suez Canal Company offices and Commercial Basin.

Egyptian and foreign working communities, the city was divided into neighborhoods, the foreigners, district being separated from the Arab village on the west by one kilometer long plot of land. As the city grew, expansion took place at its western part and the division between the two neighborhoods disappeared. Most of the houses in the Arab district were at first made of wood from crates and barrels. Al Manakh district emerged at the extreme west and south, as did Al Kabyti, while communities began to identify themselves with single districts, streets or even alleys. In the foreigners' district, for example, we find al Kashouteia Alley named for the Kasiotes, as well as Jews' Alley and Syrians' Alley.

Services centred in the Suez Canal Company, despite the presence a governor, whose functions were both simple and vague. The first governor of Port Said was Ismail Hamdy, named by Khedive Ismail at the establishment of the Suez Canal Governorate in March 1863. Security was in the hands of aFrench chief of police, but was not well maintained, which led to numerous burglaries.

The Suez Canal Company controlled rents and land ownership in the city as agreed with the Egyptian government on 23 April 1869. Land was subdivided in the Canal cities and sold through a special bureau, (The Domain Office). The square metre went for 20 francs in superior areas and could be paid for in installments over 15 years. Lots were also sold at auction. The company was responsible for street planning, treeplanting and setting up parks and squares.

Due to the large numbers of workers engaged in the digging area, diseases and plagues were rampant at first, forcing the Suez Company to take charge of sanitary services. Medical stations were set in the digging areas and French doctors were appointed to supervise them. The stations were gradually transformed into hospitals offering full medical services.

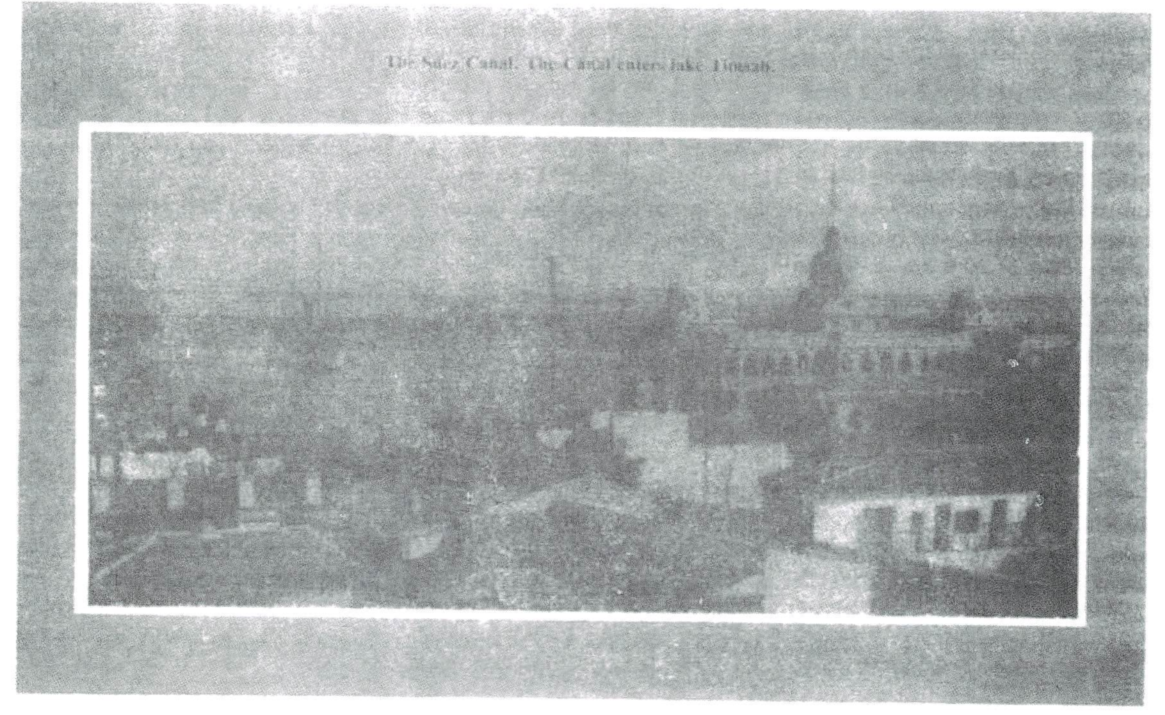
When the Seuz Canal was inaugurated, the city population began enjoying stability. Egyptian and foreign workers summoned their families, which led to commercial expansion in the city. The improvised stores were converted into big emporia, mostly owned by French merchants, the most improtant of whom was Serre Savon. The Suez Canal Company gave free land to the religious establishments to build churches, mosques, schools, orphanages, and hospitals. Wide paved streets appeared lit with gas and planted with trees on both sides; the most important of which were named for Eugenie, Franz Joseph, Tigara, De Lesseps, Sultan Othman, Sultan Abdel Hameed, Mohamed Aly and Sultan Abdel Meguid. The new squares were filled with statues; coffee - houses, bars, restaurants, hotels and public stores emerged on both sides of streets. Port Said's shops become most active when a boat arrives in port. Places of entertainment play music, vendors display the oriental goods popular with tourists and the brightly lit city stays up till all hours.

whole area is currently known as Balouza (Pelusia). The city of Tanis which is southwest of Port Said, in-land on the former Tanitic branch of the Nile, was famous, but less so than Tennis thanks to its distance from the Mediterranean Sea. Its position declined after the foundation of Alexandria.

Port Said had a different origin from any of these settlements. When Ferdinand de Lesseps set foot in this region, it had none of the amenities of life, a barren desert tract below sea level that was inundated at high tide. De Lesseps brought water from nearby places, either Damietta or Al Mattaria, in big boats carrying iron tanks or on camels. Two water - distilling plants were bought, but these combined resources could not meet the needs of the men who carried out the digging. Eventually, fresh water was transported to Port Said through pipes from the Abbasah Canal, until the fresh - water canal was dug, paralleling the Suez Canal, a historical event no less important than the digging of the Suez Canal itself. Except for camel caravans arriving by a single route or the huge boats anchored off-shore, Port Said was isolated from the surrounding world. During the digging of the Suez Canal, it was possible to construct a road parallel to the Canal, the costs being borne by the Seuz Canal Company, which was enabled to transport its equipment thus between the shipping stations on the Canal. Transportation and Communications were radically improved when Khedive Abbas inaugurated a railway linking between Port Said, Ismailia and the Capital in December 1893.

Food was of paramount improtance to those in charge of digging the Suez Canal. The Suez Canal Company undertook to supply workers with food commissioning a number of suppliers in Zagazig, who victimized the workers, although foodstuffs were inexpensive at that time. European workers received 15 riyals a month, and Egyptian workers received one franc a day. Rates of pay were so high that they attracted a number of Greek sailors from the island of Kasos, who worked on the excavation in large numbers, especially after the use of Egyptian forced Labor (the corvée) was abandoned. This Kasiote emigration encouraged Greek and French merchants to open primitive commercial stores, wooden kiosks, spread all over the digging areas, where miscellaneous goods were sold. Tents had originally served as living quarters for workers and engineers, but De Lesseps replaced them with wooden huts bought as surplus from the Crimean War, erecting them a meter and a half aboveground to prevent sea water from reaching them at high tide. Earth from the excavation was used as fill, and a dyke was built at the northern edge of the city site, overlooking the Mediterranean, to protect the city from sea waves. The dyke was topped with a paved platform, later known as and the Eugeni Platform and the pavement was ultimately converted into a street extending all along the built-up area at the north end of the city. At the eastern edge of the city, a stone platform was built, named after the Emperor Franz Joseph when the Canal was inaugurated. Gradually the wooden houses gave way to buildings made of stone, the first of which was Trnizio House, owned by the manager of the Austrian Loyds Company, in 1870.

The population map of the city started to change. When there were



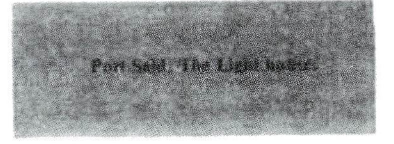
The Suez Canal. The Canal enters lake Timsah.

PORT SAID BETWEEN ITS PAST AND UNIQUE ORIGINS

by Dia el Dine Hassan Al Kady

Many people see the site of Port Said as having had no significance until 25 April, 1859, the date the first pickaxe hit the ground to announce the first digging for the Suez Canal. Studies had concluded that it was the ideal spot and Ferdinand de Lesseps had therefore brought his engineers and no more than 150 of his Egyptian workers to begin the work, which was to go on for ten years. The Canal was opened 17 November 1869.





Port Said, The Light house.

Historians and archaeologists, however, know that this site was important in ancient times, when its topography was very different from what is known to us today. Lake Manzalah with its many sedge -covered islands, did not exist, nor did the narrow sandy strip between the Mediterranean Sea and the Lake. In the sixth century A.D., as many as seven branches of the great Nile still passed through the Delta and numerous cities had been built on their banks. The most important of these branches was perhaps the Pelusiac, the easternmost, a strategic key to the heart of Egypt and hence crucial to defense. The mouth of the Pelusiac branch has often been fortified and often served as a path of invasion.

Geography also gave economic importance to this eastern Delta region, making it a passage for commercial excahnge between Egypt and neighboring peoples and for cultural, intellectual and religious diffusion into Egypt. According to both the Bible and the Quran, Abraham and his wife Sara passed through it as well as Joseph, who later became the Pharaoh's Treasurer and, of course, the Holy Family. Amr ibn al Aas brought the word of Islam to Egypt through the same port of entry.

There are several ancient and medieval sites in the area: Tennis, for example on the sea at the mouth of the Tanitic branch of the Nile had an exposed position that made it the object of invaders' desires despite its strong forifications. Salah ad-Din (Saladin) ordered it to be vacated in 1192 A.D. and Sultan al-Kamil, Saladin's nephew, destroyed its fortifications and walls in 1227 A.D. leaving it in ruins to prevent the Crusaders from occupying it. Tennis thus disappeared but some monuments are visible on the island of Kom Tennis in Lake Manzalah south-west of Port Said.

Pelusium, located at the Pelusiac mouth east of present-day Port Said, was the main entry-point into Egypt from the east and Egyptian ruiers constructed strong fortifications there to repel invading attacks. Ramses the Second lived there and built a city carrying his name: Per-Ramses. The Pharoahs also called it Per-Amun, "The City of Amun," hence the name Barmoun in the Coptic era. It was known as Al Faramah in the Ayyubid period, when it was destroyed by Crusaders. Bylos, established by Greeks as a port for Per-Amun, was called Al Tina by Arab historians and was also protected with fortifications. On the eastern frontier of Egypt, it served as a market for exchanges with Phoenicia, but came to an end at the hands of Baldwin the First, King of Jerusalem, whom the Arabs called Bradwell; the present name of Lake Bardawil is attributed to him. The

Le percement de l'Isthme de Suez

Le premier coup de pioche

Le 25 Avril 1859, lundi de Pâques, sur la plage de l'antique Péluse, où s'élève aujourd'hui la ville de Port-Saïd, à l'emplacement qui avait été définitivement fixé comme débouché du canal maritime dans la Méditerranée, Ferdinand de Lesseps, entouré d'une délégation du Conseil d'Administration de la Compagnie, des ingénieurs Laroche, Larousse et de Montaut, de l'entrepreneur général Hardon, des employés de l'administration et de cent cinquante marins et ouvriers, fit déployer le drapeau égyptien à la tête des chantiers et prononça les paroles suivantes:

> **"Au nom de la Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez, et en vertu des décisions du Conseil d'Administration, nous allons donner le premier coup de pioche sur ce terrain qui ouvre l'accès de l'Orient au commerce et à la civilisation de l'Occident."**

Puis, s'adressant spécialement aux ouvriers égyptiens, il dit:

> **"Chacun de vous va donner son premier coup de pioche. Rappelez-vous que ce n'est pas seulement la terre que vous allez remuer, mais que vos travaux apporteront la prospérité dans vos familles et dans votre beau pays."**

Cérémonie simple et émouvante.

Ces mots allèrent droit au coeur des assistants. Tous sentaient que de Lesseps avait conscience de l'immensité et des difficultés de sa tâche, mais l'énergique fierté empreinte sur son visage dissipait toute inquiétude.

Aussitôt, chacun, à son exemple, commença à ouvrir la tranchée.



Le premier coup de pioche eut un retentissement considérable dans toute l'Europe et la confiance des nombreux partisans du Canal s'en trouva renforcée.

Un mois après, les ouvriers égyptiens vinrent planter leurs tentes sur la plage de Péluse et les opérations se poursuivirent à un rythme rapide. Vingt mille fellahs, dont un grand nombre recrutés en Haute-Egypte, apportèrent vaillamment la force de leurs muscles et leur incomparable endurance, à l'exécution de l'oeuvre gigantesque.

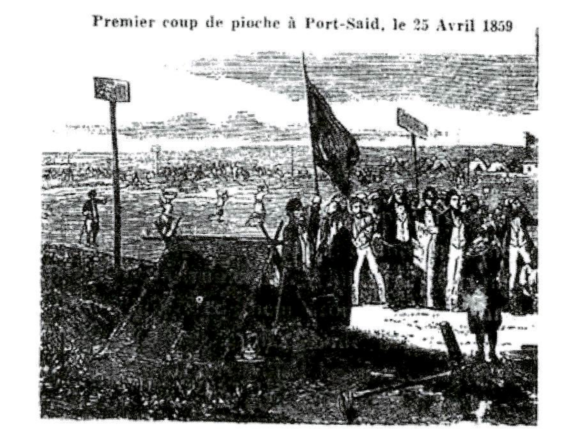
Le 18 Novembre 1862, les eaux de la Méditerranée s'engouffraient dans le Lac Timsah; le 18 Mars 1869, elles pénétraient dans les Lacs Amers, et le 18 Août 1869 s'opérait la jonction des deux mers.



"O fils d'Egypte, ô fils de ceux
"qui bâtirent les pyramides
c'est toi, qui fis le canal !



Premier coup de pioche à Port-Saïd, le 25 Avril 1859



En Europe, deux pays seulement, la France et l'Angleterre, étaient financièrement capables d'envisager une œuvre d'une aussi grande envergure que le percement de l'Isthme.

Depuis l'expédition de Bonaparte et l'aventure des Saint Simoniens, l'idée avait fait son chemin en France. En Angleterre, on avait préféré construire à grand frais un chemin de fer d'Alexandrie à Suez. Celui-ci venait précisement d'être achevé lorsque le 25 Avril 1859, à Port-Said, sous le haut patronage de MOHAMED SAID PACHA, Ferdinand de Lesseps donnait le premier coup de pioche à la gigantesque tranchée qui devait unir la Méditerranée à la Mer Rouge.

Malgré la violente campagne déclenchée par le gouvernement de Lord Palmerston contre la Cie Française, le "TIMES", porte-parole des milieux de la Cité de Londres, écrivait deux mois plus tard, le 23 Juin, mais non sans quelque réticence:

" Si la France peut raccourcir et " rendre plus économique la route " d'Orient, CE QUE NOUS NE CROYONS " PAS POUR LE MOMENT, voici sur quoi " elle peut compter: personne ne sera " plus satisfait que nous de lui voir " accomplir cette œuvre; car, quoi- " qu'on fasse, l'Angleterre y recueil- " lera certainement la plus large part " des bénéfices".

D'ailleurs, les arguments officiels n'avaient jamais été sincèrement partagés par le monde de l'Armement. Ils le furent encore moins lorsque, après l'ouverture du Canal, la puissante Cie P. & O. se trouva soudain en mauvaise posture par la faute du Post Office, qui, avec une sorte de perversité bien administrative, refusa pendant 5 ans que la poste emprunte la voie du Canal Maritime, obligeant ainsi la Cie concessionnaire liée par son contrat antérieur, à maintenir à grands frais sa flotte de Méditerranée et sa flotte de Mer Rouge.

Entre le premier coup de pioche du 25 Avril 1859 et l'Inauguration du Canal, le 17 Novembre 1869, le tonnage maritime à vapeur n'avait fait que croître et le temps n'était plus éloigné où l'Armement devait cesser complétement de construire des voiliers.

Le succès du Canal de Suez devait s'affirmer bien au delà des prévisions les plus optimistes.

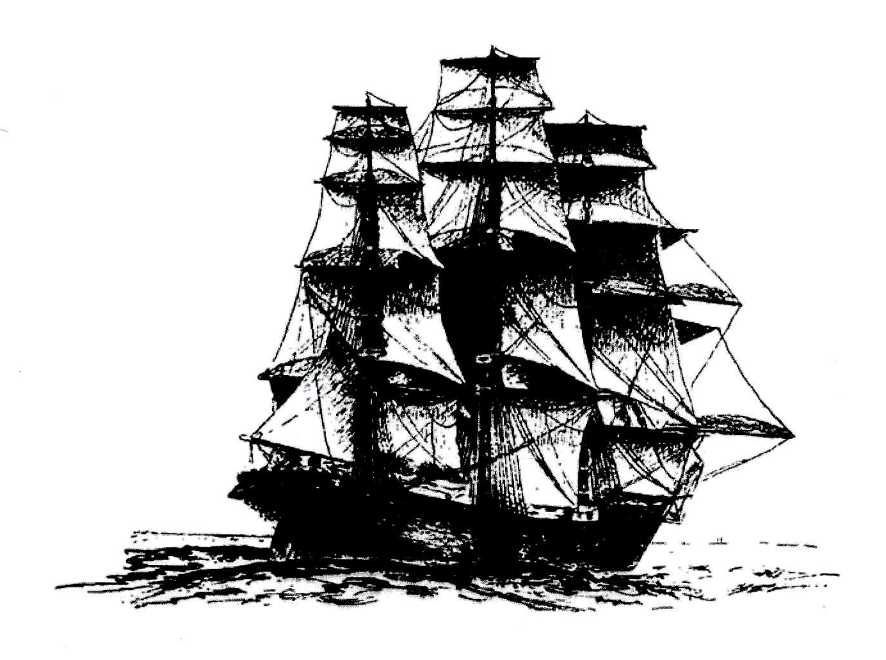
De 500 traversées en 1870, le trafic passe à 1500 en 1878. Il dépasse 3000 en 1882 et se fixe autour de 3500 en 1900.

En 30 ans les usagers du Canal ont augmenté dans la proportion de 1 à 7.

Après un fléchissement dû à la guerre de 1914-1918, l'essor reprend. En 1930, le Canal enregistre 6000 traversées; 6170 en 1938. Nouveau fléchissement de 1940 à 1946; puis la courbe ascendante reprend et dépasse largement les sommets antérieurs grâce à la mise en exploitation des champs de pétrole d'Arabie. En 1948, 8686 navires franchissent le Canal; en 1949, 10.420. En 1950 et 51, un nouveau palier est atteint avec 11.750 et 11.693 traversées.

Aujourd'hui, en 1952, il passe par le Canal plus de 1000 navires par mois alors qu'il en passait 42 en 1870.

Quelle plus éclatante justification pourrait-on rêver à la clairvoyance et à la tenacité de FERDINAND DE LESSEPS.



AU SERVICE DE LA NAVIGATION

Au milieu du XIXème siècle, le tonnage maritime des voiliers l'emportait certes de beaucoup sur celui des vapeurs, mais tout laissait prévoir un renversement extraordinairement rapide de cette situation.

Entre 1820 et 1835, quelques traversées océaniques avaient été tentées par des navires à voile munis de machines à vapeur auxiliaires; les rapports des marins et des ingénieurs avaient été assez concluants pour que dès l'année 1838 commencent à se fonder en Angleterre, aux Etats-Unis et en France des Compagnies dont les flottes ne comporteraient plus que des vapeurs; toutefois ce n'est guère que vers 1875 que les constructeurs renoncèrent définitivement à prévoir une voilure de fortune.

Pour prendre un exemple: en 1857, la Cie des Messageries Maritimes comptait, à flot ou en construction, une flotte à vapeur de 80.000 tonnes; en 1875, cette flotte jaugeait 175.000 tonnes; en 1890, 203.000 tonnes, pour atteindre, en 1910, 293.000 tonnes avec 65 navires.

Depuis 1845, le gouvernement Britannique, cherchant à raccourcir ses communications avec Bombay, avait organisé, par le truchement de la Cie Peninsular and Oriental un service postal subventionné: les navires débarquaient à Alexandrie la poste et les passagers; ceux-ci étaient acheminés d'Alexandrie au Caire par le Nil, puis du Caire à Suez à travers 150 Km. de désert par d'inconfortables sortes d'omnibus à deux roues. Des navires de la Cie P. & O reprenaient à Suez les passagers exténués pour les conduire à Bombay.

En 1859, la mise en service du chemin de fer d'Alexandrie à Suez améliora grandement le passage d'une mer à l'autre.

Il est certain que le percement de l'Isthme ne se justifiait qu'en fonction de la navigation à vapeur. En effet, un rapport très sérieux daté aussi de 1859 établissait que si deux bons voiliers partaient ensemble du Détroit de la Sonde à destination d'un port de la Manche, celui qui emprunterait la route du Cap mettrait 105 jours en hiver (115 en été) alors que celui qui devrait passer par la Mer Rouge mettrait 110 jours en hiver (100 jours en été) en comptant 5 jours pour la traversée du canal en remorque.

Sans l'espoir d'un gain de temps sensible sur la traversée, il est douteux que les armateurs de grands voiliers eussent envisagé d'abandonner leurs routes classiques pour affronter les moussons de l'Océan Indien et les parages mal reconnus de la mer Rouge

Rouge, en utilisant, des lacs à Suez, des chenaux naturels. Mais Ptolémée Philadelphe remit le canal tout entier en état depuis le Delta et c'est lui qui ordonna enfin de creuser la partie comprise entre Géneffé et la mer.

Les traces de ce canal sont parfaitement visible de la route qui les coupe à angle droit peu avant la gare de Géneffé. Il rejoint le canal maritime du côté ouest de la route: son lit est reconnaissable à l'abondante verdure qui a trouvé une humidité propice dans l'ancienne tranchée. Près du km. 138, où se trouve la pépinière de la Cie, l'actuel canal d'eau douce a été creusé dans le lit même de l'ancien canal. Les traces s'effacent en traversant les jardins de Suez, mais on connaît leur prolongement jusqu'au port de Clisma, au pied de la butte de Tell Kolzoum sur laquelle se trouve toujours la batterie du gouvernement.

Un peu plus au sud, vers le débouché du canal Ismaïlieh, dans la lagune, Ptolémée avait fait construire sa fameuse "euripe", solide ouvrage de maçonnerie faisant office d'écluse pour permettre l'accès du canal entre deux marées.

❖

Ce n'est pas tout. Au temps de l'occupation romaine, l'Empereur Trajan, poussé par les nécessités du commerce, fit rétablir le canal abondonné après les Ptolémées. Il en transporta la prise d'eau à Babylone, c'est-à-dire au Caire. Un nouveau canal fut creusé en bordure du désert, à l'est du Delta, jusqu'à sa jonction, près d'Abbaceh, avec l'ancien tronçon longeant au sud l'Ouadi Toumilat et qui a été décrit plus haut.

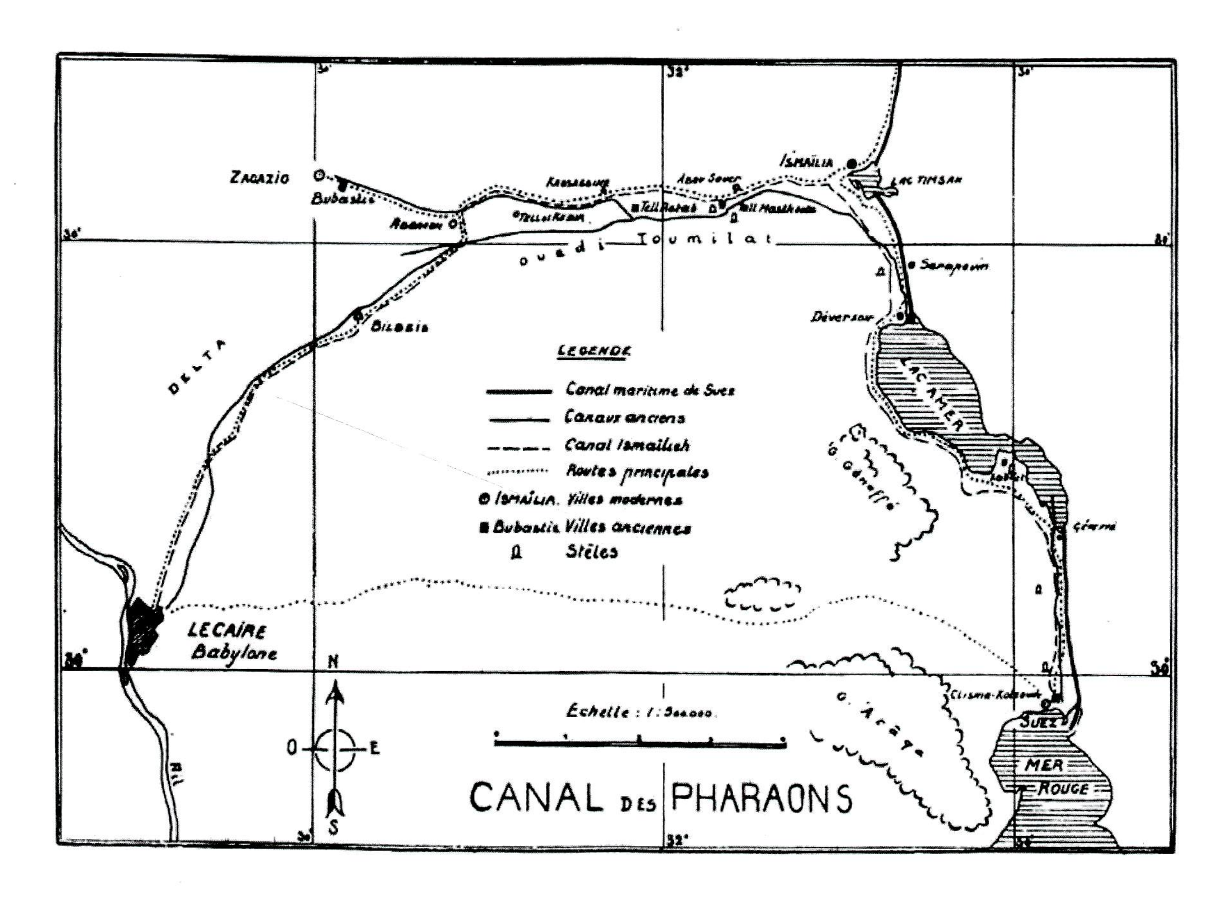
Après l'invasion arabe, ceux-ci, sur l'ordre d'Amr Ibn el Ass ou Amrou, lieutenant du Khalife Omar, recreusèrent, dit-on, ce canal de Fostat à Kolzoum en six mois. La navigation reprit donc entre le Nil et la Mer Rouge. Puis, en 760 de notre ère, le Khalife Djafar el Mansour fit obstruer définitivement le canal, vers Suez, afin d'interdire l'approvisionnement de Médine et de la Mecque révoltées contre son autorité.

❖

Il fallut attendre onze siècles pour que soient rétablies les liaisons par eau entre la Méditerranée et la Mer Rouge. Quel sort le temps réserve-t-il au Canal de Suez actuel?

Peut-être dans dix ou vingt siècles, un archéologue en retrouvera-t-il des traces dans le désert...

A. Fontaine



LE CANAL DES PHARAONS

Il eut été surprenant que la configuration physique de l'isthme de Suez et la position géographique de l'Egypte n'amenât pas les souverains locaux à envisager, dès la plus haute antiquité, une liaison par eau entre la Méditerranée et la Mer Rouge.

De tout temps les transports par eau se sont avérés les moins coûteux; en outre, les caravanes exigeaient pour leur sécurité, toujours précaire, une escorte onéreuse.

Marché des échanges, entre l'Orient et l'Occident, l'Egypte tirait de sa situation de grandes richesses: il était naturel qu'elle cherche à améliorer les conditions de ce commerce.

Les Pharaons nationaux, les Perses, les Grecs, les Romains, les Arabes s'intéressèrent tous, à ce qu'un terme vague désigne sous le nom de Canal des Pharaons.

La crainte de voir les eaux de la Mer Rouge envahir l'Egypte freina périodiquement l'audace des réalisateurs et chacun sait que ce danger ne fut reconnu vain qu'au milieu du siècle dernier: le niveau moyen de la Mer Rouge n'était décidément pas plus élevé que celui de la Méditerranée et l'amplitude des marées était trop faible pour présenter un danger.

Le Canal des Pharaons s'est appelé successivement: Canal des Rois, Canal de Nécos, Canal de Darius, Canal de Ptolémée et enfin Canal du Prince des Fidèles.

Toute la lumière est loin d'être faite sur son histoire mais, on a pu retrouver à peu près aujourd'hui son ou plutôt ses traces successives, et déterminer les parties relevant de tel ou tel souverain. Il était logique, à une époque où les procédés de creusement se limitaient à la pioche, d'utiliser le plus loin possible la voie naturelle du Nil et les ramifications de son Delta.

Si l'on en croit Hérodote, la plus ancienne partie du canal artificiel aurait eu sa prise d'eau à Bubastis, l'actuel Zagazig. Celui-ci courrait vers l'est en direction de l'Ouadi Toumilat et en suivait le versant nord jusqu'à Kassassine. Après un crochet vers le sud, il longeait cette fois la bordure méridionale de l'Ouadi, desservait une ville très ancienne (probablement de la VI^{e} dynastie) dont les vestiges sont appelés Tell Retab; puis parvenait à Heroopolis (l'actuel Abou Soueir). Il existe à Abou Soueir des vestiges ramessides dont on a ramené de belles triades à Ismaïlia; elles décorent le jardin des Stèles. On y a également découvert une stèle de Darius et une stèle de Ptolémée II, gravées de textes relatifs au canal.

Linant de Bellefonds nous apprend que Mohamed Ali ordonna en 1820 de remettre l'ouvrage en état pour irriguer la région comprise entre Abbaceh et Kassassine. En 1860 il fut remanié pour amener l'eau du Nil jusqu'à Ismaïlia et Suez.

Un autre canal venant de quelque part dans le Delta et un peu plus au sud convergeait sur Kassassine et Abou Soueir. Il est probable que l'un et l'autre furent à l'origine des canaux d'irrigation que l'on élargit pour permettre un trafic de bateaux.

Une seconde phase de l'entreprise consista à relier Heroopolis (Abou Soueir) aux Lacs Amers.

Les documents historiques, papiri, stèles ou textes classiques ne permettent pas encore de se montrer affirmatif sur le nom du Pharaon qui, le premier, entreprit des travaux.

A la suite de l'identification d'un petit temple de Ramsès au km. 91 du canal, sur la berge Asie, à mi-chemin des gares de Toussoum et du Déversoir, il n'est pas impossible d'en imputer la paternité à la XIX^{e} dynastie.

De toute façon les travaux furent repris par le Pharaon Nécos qui ne put les mener à bien.

Vers 518 av. J.C., le Perse Darius fut plus heureux. Que ce soit pour des raisons d'ordre commercial ou religieux, soit pour faire offrande aux dieux des sanctuaires des Lacs Amers, soit pour combattre la famine, et ces deux raisons étaient probablement liées, les eaux du Nil arrivent aux lacs et la prospérité apparaît dans la région.

D'Abou Soueir, le canal partait vers l'est, puis s'infléchissait au sud-est en bordure des dunes. Il passait à 1000 m. environ dans l'est du Serapeum et aboutissait au Grand Lac près de la gare du Déversoir.

⁂

Le Nil était donc en communication avec les Lacs Amers. Il n'y a pas lieu d'entamer une argumentation aux fins d'établir si, oui ou non, la navigation fut possible à une certaine époque depuis Heroopolis jusqu'à la Mer

Table Des Matieres - Index

ENCYCLOPEDIE HISTORIQUE
DE
PORT SAID



Par *Dia El Dine Hassan El Kady*

HISTORICAL ENCYCLOPEDIA
OF
PORT SAID



By *Dia El Dine Hassan El Kady*